مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
سلسلة «التراث»

رحلة ابن بطوطة

المسّماة

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

تأليف
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي

قدّم له وحقّقه ووضع خرائطه وفهارسه
عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

المجلّد الثاني

1417 هـ /1997 م

أكاديمية المملكة المغربية

شارع الإمام مالك، كلم 11، ص.ب. 5062

الرمز البريدي 10.100

الرباط – المملكة المغربية

تليفون : 75.51.13 / 75.51.24

75.51.35 / 75.51.89

فاكس : 75.51.01

رقم الإيداع القانوني : 1997/321

ردمك 9981-46-006-0 (المجموعة)

ردمك 9981-46-008-7 (الجزء الثاني)

الفصل الخامس

العراق وفارس

(عراق العرب وعراق العجم)

- النَجَف الأشرف
- من النَّجف إلى البصرة حيث يبتدئ المجلد الثاني
- من البصرة إلى إصفهان
- مدينة إصفهان والخروج إلى شيراز
- مدينة شيراز
- من شيراز إلى بغداد
- مدينة بغداد
- رحلةٌ إلى تِبريز عاصمة سلْطنة عراق العرب والعجم
- حَجّة أخرى ومجاورته ثم حَجّه مرة ثالثة

خريطة العراق وفارس



نحو مدينة البصرة

1/2 ولمّا تحصّلت لنا زيارة أمير المومنين عليّ عليه السلام، سافر الركبُ إلى بغداد، وسافرت إلى البصرة صحبة رفقةٍ كبيرة من عرب خَفَاجة (18)، وهم أهل تلك البلاد، ولهم شوكةٌ عظيمة وبأس شديد، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلاّ في صحبتهم، فاكتريت جملاً على يد أمير تلك القافلة شامر بن درّاج الخفاجيّ وخرجنا من مشهد عليّ عليه السلام فنزلنا الخَوْرنْقَ موضع سُكنى النعمان ابن المنذر (19) وآبائه من ملوك بني ماء السماء، وبه عمارةٌ

2/2 وبقايا قباب ضخمة، في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفُرات، ثم رَحلْنا عنه فنزلنا موضعًا بقائم (20) الواثق، وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه إلا صومعته، ثم رحلنا عنه آخذين مع جانب الفُرات بالموضع المعروف بالعِذَار، وهو غابة قَصبٍ في وسط الماء (21) يسكنها أعراب يعرفون بالمَعَادي، وهم قطّاع الطريق، رافضيّة المذْهب خرجوا على جماعةٍ من الفقراء تأخروا عن رفقتنا فسلبوهم حتّى النّعال والكشاكيل (22)، وهم يتحصّنون بتلك الغابة ويمتنعون بها ممّن يريدهم، والسباع بها كثيرة، ورحلنا مع هذا العِذار ثلاث مراحل ثم وصلنا مدينة واسط.

مدينة واسط

مدينة واسط وهي حسنة الأقطار، كثيرة البساتين والأشجار، بها أعلام يهدي الخير

3/2 شاهدهم وتُهدى الاعتبارَ مشاهدهم (23)، وأهلها من خيار أهل العراق، بل هم خير على

---

(18) بنو خفاجة، فرعٌ من القبيلة الشهيرة عُقيل بن كعب هاجر إلى ناحية الكوفة في أوائل القرن الخامس الهجري = القرن العاشر الميلادي، معجم قبائل العرب لكحالة.

(19) الخَوَرْنَق كان قصرًا شهيرًا قبل ظهور الإسلام يقع على بعد كيلوميتر ونصف من النجف، وكان منسوبًا لملوك الحيرة وخاصة منهم النُّعمانُ بن امرئ القيس أمير الحيرة من قبل ملك الفرس المتوفى سنة 198 ق.هـ = 431 ميلادية، وهو الذي بنى أيضا قصر "السدير" وليس النعمان بن المنذرالمتوفى سنة 15 ق. هـ - 608. وبعد أن إستعمل كمقر إقامة للحكام العرب في الكوفة، اختفت آثاره نهائيًا، ويظهر أن حديث ابن بطوطة هذا عن الخورنق كان آخر إشعار بوجود معالم هذا القصر الذي طبّقت شهرته الآفاق.

(20) هو المكان الذي يسمى إلى الآن بالقائم ...

(21) إقليم يقع جنوب الجمهورية العراقية اليوم وهو مغطًى بمستنقع يتوزع فيه نهر الفرات، في ضفة جميلة جدًا بمناظرها الرائعة المتنوّعة وتعرف تحت اسم (الجبايش) و (الأهوار) وقد زرتها على متن زورق خاص بمناسبة زيارتي لبغداد في نونبر 1981 بمناسبة مشاركتي في مؤتمر وزراء الثقافة العرب ببغداد، وإن الذين يعرفون عنْ وجود واسط على بعد 115 ميلا شرقي النَّجَف. ويقرأون مع هذا عن حديثه عن غابة القصب قبل أن يصل إلى واسط... إن الذين يعرفون ذلك يدركون اضطراب الوصف...

(22) الكشاكل جمع كشكول : آنية للشرب يتخذها الفقراء أثناء تنقلاتهم، ويجمعون فيها أيضا ما يجود به الناس عليهم. ومايزال التعبير معروفا بالمغرب : فلان نصب الكشكول : أي يحتاج إلى عطاء !!

(23) واسط عمّرت من لدن الحَجّاج بن يوسف الثقفي سنة 84=703 عندما كان واليًا على العراق، تقع منتصف الطريق بين الكوفة والبصرة، ومن هنا كان اسمها كذلك لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخًا... والحديث عن انها مركز علم وفكر متجدد ودائم... - معجم البلدان

FU'AD SAFAR : Wasit, Baghdad 1945.



البصرة بين الشناشيل



والنخيل

الإطلاق، أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة واليهم ياتي أهل بلاد العراق برسم تعلّم ذالك.

وكان في القافلة التي وصلْنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على من بها من الشيوخ، وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاث مائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلّم القرآن، عمّرها الشيخ تقيّ الدين بن عبد المحسن الواسطيّ (24)، وهو من كبار أهلها وفقهائها ويعطي لكلّ متعلّم بها كسوةً في السنة ويجرى له نفقته في كلّ يوم ويقعد هو واخوانه وأصحابه لتعليم القرآن بالمدرسة، وقد لقيته وأضافني وزوّدني تمرًا ودراهم، ولمّا 4/2 نزلنا مدينة واسط أقامت القافلة ثلاثا بخارجها للتجارة فسنح لي زيارة قبر الوليّ أبي العباس أحمد الرفاعيّ (25)، وهو بقرية تعرف بأم عبيدة (26) على مسيرة يومٍ من واسط، فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث معي من يوصلني إليها فبعث معي ثلاثةً من عرب بني أسد (27)، وهم قُطّان تلك الجهة، وأركبني فرسًا له وخرجت ظُهرًا فبتّ تلك الليلة بحوش بني أسد، ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرّواق، وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كوجك حفيد (28) وليّ الله أبي العبّاس الرفاعي الذي قصدنا زيارته، وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم زيارة قبْر جدّه واليه انتهت الشياخة بالرّواق، ولمّا انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف وأخذ الفقراء في الرقص ثم 5/2 صلّوا المغرب وقدّموا السّماط، وهو خبز الأرز والسمك والتمر فاكل النّاس ثم صلّوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد قاعد على سجّادة جدّه المذكور، ثم أخذوا في السماع وقد أعدّوا أحمالا من الحطب فأجّجوها نارًا ودخلوا في وسطها يرقصون، ومنهم من يتمرّغ فيها، ومنهم من ياكلها بفمه حتّى أطفأوها جميعا وهذا دأبهم وهذه الطايفة الأحمديّة (29)

(24) هو عبد الرحمن بن عبد المحسن المتوفى سنة 743-744=1343-1344 وهو مؤلف ترجمة الشيخ الرفاعي. Gibb : The Travel T II, P 272 Note 7

(25) سلفتْ ترجمة الشيخ أحمد بن علي الرّفاعي المتوفى 578=1182 ج I ، 223 تعليق 248.

(26) أم عُبيدَة أو عَبِيدة تقع على بعد خمسين ميلا جنوبا شرقي واسط، وتسمّى في الخرائط اليوم الرفاعي.

(27) بنو أسد من أشهر القبائل العربية التي أقامت بالعراق منذ الفتح الإسلامي للمنطقة.

(28) كوجك (KOUCHUK) وتعني بالفارسية أو التركية الصُغير، وهو ابن تاج الدين الذي يذكر على أنه أحد حفدة الشيخ أحمد لكن الذي عليه معظم المؤرخين من أمثال ابن خلّكان أن الشيخ الرفاعي لم يخلّف وان العقب لأخيه ... رقم 248 ج I ص 223.

(29) كان إسم (الأحمدية) يطلق على هذه الطريقة بيد أنه تُرك فيما بعد حتى لا يلتبس مع طريقةٍ أخرى توجد بمصر تنسب للشيخ أحمد بدوي تحمل نفس الاسم.

مخصوصة بهذا، وفيهم من يأخذ الحيّة العظيمة فيعضّ بأسنانه على رأسها حتى يقطعه 6/2

حكاية [الرقص في النار]

كنت مرّة بموضع يقال له أفْقَانْبُور (30) من عمالة هَزَار أمْروها وبينها وبين دهلي : حضرة الهند مسيرة خمس، وقد نزلنا بها على نهر يعرف بنهر السّرْو (31)، وذلك في أوان الشّكال (32)، والشكال : عندهم هو المطر، وينزل في ابّان القيظ، وكان السّيل ينحدر في هذا النهر من جبال قراجيل (33)، فكلّ من يشرب منه من إنسان أو بهيمة يموت لنزول المطر على الحشايش المسمومة، فاقمنا على النهر أربعة أيام لا يقربه أحد، ووصل إليّ هنالك جماعةٌ من الفقراء في أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم، وكبيرهم رجلٌ أسود حالُك اللون، وهم من الطايفة المعروفة بالحيْدَريّة (34)، فباتوا عندنا ليلة وطلب منّي كبيرهم أن آتيه بالحطب 7/2 ليوقده عند رقصهم، فكلّفت والي تلك الجهة وهو عزيز المعروف بالخمّار، وسياتي ذكره، أن يأتي بالحطب فوجّه منه نحو عشرة أحمال، فأضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتّى صارت جمرًا وأخذوا في السماع ثمّ دخلوا في تلك النار فما زالوا يرقصون ويتمرغون فيها، وطلب منّي كبيرهم قميصًا فأعطيته قميصا في النهاية من الرقّة فلبسه وجعل يتمرّغ به في النار ويضربها بأكمامه حتّى طفئت تلك النار وخمدت وجاء إليّ بالقميص والنّار لم تؤثر فيه شيئا ألبتّة، فطال عجبي منه !

---

(30) أفقانبور تحمل اليوم اسم أغوابور (AGHWAPUR) على بعد خمسة أميال ونصف جنوب شرقي تُغْلُق أباد Tughluqabad، احدى المدن الأربعة لدهلي، يمكن أن تكون هي الموقع المتحدث عنه الآن، وسيتحدث ابن بطوطة في السفر الثاني عن عمالة (امروها) التي نفذ له الوزير فيها باقي الغلة المامور بها للزاوية كما سنرى في ج III ص 437.

(31) يتعلق الأمر بالمجْرى العالي لنهر الكانج على ما سياتي، ونهر السّرو هو المعروف اليوم بسرجو Sarju هذا وينبغي التنبيه على أن النسخة المطبوعة بباريز ترسم خطا (السرور) عوض السرو الموجود في كل النسخ المعتمدة، وعلى العادة فإن معظم الذين اعتمدوا على النسخة الباريزية اثبتو السرور عوض السرو...!

(32) الكلمة من أصل سَنْسكريتي (Varchakala) : فصل الريح، وردت عند البيروني تحت اسم بَرشكال الموسمية (Moussons).

(33) جبال قراجيل KARÂ-JÎL هو الذي يطلق من قِبل العرب والفرس على جبال الهِيمَالايا (Himalaya)

(34) طائفة صوفية تنسب للمؤسس قطب الدين حيدر، وهي قريبة من الطريقة القَلَندرية، ينتسب قطب الدّين لمدينة زاوة آتية الذكر(ج III، 79) ويقال في النسبة اليها الزاوهي، انظر في معجم البلدان اسماء بعض العلماء الذين ينتسبون اليها.

ولمّا حصلْت لي زيارة الشيخ أبي العباس الرفاعي نفع الله به عدت إلى مدينة واسط فوجدت الرفقة التي كنت فيها قد رحلتْ فلحقتها في الطريق ونزلنا ماء يعرف بالهُضَيب، ثم رحلنا ونزلنا بوادي الكِراع وليس به ماء ثم رحلْنا ونزلْنا موضعًا يعرف بالْمُشيْرب (35)، ثم رحلنا منه ونزلنا بالقرب من البصرة ثم رحلنا فدخلنا ضحوة النهار إلى مدينة البصرة (36). 8/2

مدينة البصرة

فنزلنا بها رباط مالك بن دينار (37)، وكنت رأيت عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناء عالًا مثل الحِصن، فسألتُ عنه فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب (38) رضي الله عنه، وكانت البصرة من اتّساع الخِطّة، وانفساح الساحة، بحيث كان هذا المسجد في وسطها، وبينه الآن وبينها ميلان، وكذلك بينه وبين السور الأول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسّط بينهما.

9/2 ومدينة البصرة إحدى امّهات العراق، الشهيرة الذكر في الآفاق، الفسيحة الأرجاء، المؤنقة الآفناء، ذات البساتين الكثيرة والفواكه الأثيرة، توفّر قسمها من النضارة والخصب، لما كانت مجمع البحرين : الأجاج والعذب (39)، وليس في الدنيا أكثر نخلاً منها فيباع التمر في

(35) لم نقف على تحديد لهذه المراحل الثلاثة : الهضيب ، وادي الكراع، المُشيْرب ... وقد حاولنا عبثًا أن نجد لها أثرًا في الخرائط التي نتوفر عليها ... وقد قدم لنا مستوفي اسم المحطات العادية بين واسط والبصرة.

(36) موقع مدينة البصرة التي انشئت عام 17=639 أيام الخليفة عمر ابن الخطاب تُرك في القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي، وتمّ الاتجاه نحو موقع آخر يوجد على بعد خمس كيلوميترات في الغرب، وفي مكان البصرة القديمة توجد اليوم مدينة الزُّبَيْر وقد قام البروفيسور ماسينيون بدراسة لموقع البصرة 1956 : L. Massignon : Explication du Plan de BASRA. Wiesbaden 1954

(37) مالك بن دينار يعتبر من أصحاب الحسن البصري يكنى أبا يحيى كان مثلاً في الورع، يأكل من كسبه ويكتب المصاحف بالأجرة، قال عنه فريد الدين العطار إنه أمير الرجال... وإنه رحالة في طرق الحقيقة... أدركه أجله عام 173=748. ومن المفيد أن أنبّه هنا إلى الخطأ الذي وقع فيه الشيخ أحمد عز الدّين المعبري المليباري في كتابه (تحفة المجاهدين في احوال البرتغاليين) عندما خلط بين مالك بن دينار هذا وبين دينار مالك القائد الغزى المتوفى سنة 591 هـ 1195 والذي بنى عدة مساجد بالهند ...
تحفة المجاهدين تحقيق محمد سعيد الطريحي، دائرة المعارف الهندية مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان 1405=1985 – د. التازي : رسالة إلى الطّريحي، مجلّة الموسم العدد 16-1993 ص 368
- Ency. Islam (DÎNÂR MALIK)

(38) ينسب المؤرخون العرب المسجد الكبير الذي يوجد في البصرة إلى زياد بن أبيه حاكم البصرة في عهد الخليفة معاوية، وحسبما يوجد في كتاب الاشارات للهروي فإن منارته، كما قيل – وقبلته من عمارة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... الاشارات، دمشق 1953 تحقيق جانين سورديل – طومين ... هذا وتوجد هذه الأطلال شرقي المدينة العتيقة الزبير.

(39) الإشارة إلى السورة 25، الآية 53.

سوقها بحساب أربعة عشر رطلا عراقية بدرهم، ودرهمهم ثلث النقرة، ولقد بَعَثَ إليّ قاضيها حجّةُ الدين بقَوْصَرة تَمْرٍ يحملها الرجل على تكلّف، فاردت بيعها فبيعت بتسعة دراهم أخذ الحمّال منها ثلثها عن أُجرة حملها من المنزل إلى السوق ! ويصنع بها من التمر عسل يسمّى السّيَلان (40)، وهو طيّب كانّه الجلاب، والبصرة ثلاث محلاّت إحداها : محلّة هُذَيل، وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الأثير من الكرماء الفضلاء، أضافني وبعث اليّ بثياب ودراهم، والمحلّة ‖ الثانية : محلّة بني حَرَام كبيرها السيّد الشريف مجد الدين موسى الحسنى ذو مكارم وفواضل أضافني وبعث اليّ التمر والسّيلان والدراهم، والمحلّة الثالثة : محلّة العجم كبيرها جمال الدين بن اللّوكيّ (41).

10/2

وأهل البصرة لهم مكارم أخلاق وايناس للغريب وقيام بحقّه فلا يستوحش فيما بينهم غريب، وهم يصلّون الجمعة في مسجد أمير المومنين علي رضي الله عنه الذي ذكرته، ثم يسدّ فلا يأتونه إلا في الجمعة.

وهذا المسجد من أحسن المساجد، وصحنه متناهي الانفساح مفروش بالحصباء الحمراء التي يوتي بها من وادي السباع (42)، وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لمّا قتل (43)، وأثر تغيُّر الدم في الورقة التي فيها ‖ قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (44).

11/2

---

(40) استعمال كلمة السّيْلان (أو السَّيَلان) بمعنى عسل التمر لم نجد له أصلاً، هذا وتعتبر المنطقة من أغنى المناطق في انتاج التمور، كانت تعطى قديمًا زهاء 180 نوعًا واليوم نحو 98. وقد عشت ردحا من الزّمان مع أنواعها المتعددة والمتنوّعة وأنا بالعراق – القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه...

(41) يتحدث ابن حوقل عن أنهار البصرة فيذكر أنها عُدَّت أيام بلال بن أبي بردة (تـ 126=744) فزادت على مائة الف نهر وعشرين الف نهر، تجري فيها الزوارق وكنت أنكر ما ذكر ... حتى رأيت كثيرًا من تلك البقاع فرأيت في مقدار رمْية سهم عدةً من الأنهار صغارًا تجري في جميعها المسماريّات (المخيطة بالمسامير – ذات ألواح ودُسُر)، ولكل نهر اسم ينسب به إلى صاحبه الذي احتفره أو إلى الناحية التي ينصب منها أو ينصبُّ مَاؤه إليها ...! وفي تعليقٍ لا حق عن المدينة قال المعلق : دخلتها سنة 537=1142 وقد خربت ولم يبق من آثارها إلا الأقل، وطمستْ محالّها فلم يبق منها إلا محالّ معلومة كالنحّاسين والقساميل وهذيل والمِرْبَد وقبر طلحة، وقد بقي من محلةٍ بيوت معدودة، وباقي بيوتها إما خراب، وأما غير مسكونة، وجامعها باقٍ في وسط الخراب كأنه سفينة في وسط بحر لجيّ ... وسورها القديم قد خرب، وبينه وبين ما قد بقي منٍ العمارة مسافة بعيدة ... وسبب خرابها ظُلْم الولاة والجور..." وقد تميزت مخطوطة تونس بذكر اللّولي بدل اللوكي، وقد يكون معنى اللولي المشتغل باللؤلؤ ... هذا وقد حفلت المخطوطة التونسية لابن بطوطة بطرَّة مستقاة من شراح مقامات الحريري ومن الخريدة...

(42) وادي السباع قريب يقع شمال الزبير على بعد ستة أميال منه غير بعيد عن محطة شعَيبة.

(43) من المعلوم أن سيدنا عثمان قتل بالمدينة وهو يتلو القرآن عام 35=656، هذا وتوجد عدة نسخ من مصاحف في ديار الإسلام تنسب لسيدنا عثمان على ما نعرف.

(44) السورة 2، الآية 137.

حكاية اعتبار

شهدت مرةً بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به إلى الخطبة وسرْدها لحن فيها لحنًا كثيرًا جليًّا فعجبت من أمره وذكرت ذلك للقاضي حجّة الدين فقال لي : إن هذا البلد لم يبْق به من يعرف شيئًا من علم النحو ! وهذه عبرةٌ لمن تفكّر فيها، سبحان مغيّر الأشياء ومقلّب الأمور. هذه البصرة التي إلى أهلها انتهت رياسة النحو، وفيها أصله وفرعه، ومن أهلها إمامه (45) الذي لا ينكر سبقه لا يُقيم خطيبها خطبةَ الجمعة على دؤبه عليها.

12/2 ولهذا المسجد سبْعُ صوامع إحداها ‖ الصومعة التي تتحرّك، بزعمهم عند ذكر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، صعدتُ إليها من أعلى سطح المسجد ومعي بعض أهل البصرة فوجدت في ركن من أركانها مقبضَ خشب مسمّرًا فيها كأنه مقبضُ مُمَلَّسة البَنَّاء، فجعل الرجُل الذي كان معي يدَه في ذلك المقبض وقال : بحقّ رأس أمير المومنين عليّ رضي الله عنه، تحرّكي ! وهزّ المقبض، فتحركت الصومعة، فجعلت أنا يدي في المقبض وقلت له : وأنا أقول : بحقّ رأس أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحرّكي ! وهززت المقبض فتحركت الصومعة (46) ! فعجبوا من ذلك ! وأهل البصرة على مذهب السنّة والجماعة، ولا يخاف مَن يفعل مثل فعلي عندهم، ولو جرى مثل هذا بمشهد عليّ أو مشهد الحسين أو بالحلّة 13/2 أو بالبحرين أو قُمْ أو قاشان أو ساوة أو آوه ‖ أو طوس لهلك فاعله ! لأنّهم رافضة غالية.

قال ابن جزي : قد عاينتُ بمدينة برشانة (47) من وادي المنصورة من بلاد الأندلس حاطها الله، صومعة تهتزّ من غير أن يُذكر لها أحد من الخلفاء أو سواهم، وهي صومعة المسجد الأعظم بها، وبناؤها ليس بالقديم، وهي كأحسن ما أنت راءٍ من الصوامع، حُسْن

---

(45) الحديث عن مدرسة البصرة وإمامها في النحو العلامة الفارسي سيبويه حديث سارت به الركبان منذ القرن الثاني للهجرة، وهكذا فإن البصرة كانت قاعدة اللغة العربية (د. المختار ولد باه : تاريخ النحو - إيسيسكو 1996، ص 205) ومع ذلك فإن ما حكاه ابن بطوطة يتكرر عبر السنين والأحقاب، قال في التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية تعليقًا على ملاحظة ابن بطوطة للحْن خطيب الجمعة : وفي ذلك يقول الشيخ عثمان بن سند المالكي الشهير آخر فضلاء البصريين

قد كانت البصرة الفيحاء من قدم ... مجرى لأبْحُر نحو تقذف الدررا
فأصبحت وهي صفراء الوشاح فلا ... نحوى فيها سوى نزْر وهم فقرا !!

(46) وجد المهتمون بآثار إصفهان في عدم نص ابن بطوطة على المئذنة المتحركة (منار جنبان) دليلاً على أنه أي المنار لم يكن موجودًا أيام زيارة الرحالة المغربي للمدينة عام 727=1327 سيما وأن ابن بطوطة لم يهمل الحديث عن المنار المتحرك في البصرة كما نرى...
- د. التازي : إيران بين الأمس واليوم، ص 53، 1984.

(47) برشانة (Purchena) تقع بوادي المنصورة على بعد 58 ك.م. شمال مدينة المرية. هذا ويلاحظ استعمال (الجامور) من لدن ابن جُزَي وقد سبق أن ج I، 30 تعليق 7.

منظر واعتدالاً وارتفاعًا، لا ميل فيها ولا زيغ صعدتُ اليها مرّةً ومعي جماعة من الناس فأخذ بعضُ مَن كان معي بجوانب جامورها وهزّوها فاهتزّت حتّى أشرت اليهم أن يكفوا فكفوا عن هزّها ! رجع.

ذكر المشاهد المباركة بالبصرة

فمنها مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة، رضي الله عنهم، وهو بداخل المدينة وعليه 14/2 قبّةٌ ومسجد وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وأهل البصرة يعظّمونه تعظيما شديدًا وحُقّ له، ومنها مشهد الزبير بن العوّام حوارّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وابن عمّته رضي الله عنهما وهو بخارج البصرة ولا قبّة عليه وله مسجد وزاوية فيها الطعام لابناء السبيل.

ومنها (48) قبْر حليمة السعديّة أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرّضاعة رضي الله عنها وإلى جانبها قبرُ ابنها رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم (49)، ومنها قبْر أبي بكرة (50) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قبّة. وعلى ستّة أميال منها بقرب وادي السباع قبر آنس ابن مالك (51) خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لزيارته إلا في جمع كثيف لكثرة السباع وعدم العمران.

ومنها 15/2 قبر الحَسَن بن أبي الحسن البصريّ سيّد التابعين رضي الله عنه (52) ومنها

(48) طلحة والزبير كلاهما من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد لقيا مصرعهما في (وقعة الجَمَل) التي جابهتهما ضد الإمام علي، القبران يوجدان إلى الآن : فيما يتصل بطلحة فإنه قريب من المسجد، وفيما يتصل بالزبير فإنه يوجد بالمربد على مقربة من المدينة التي تحمل إسم الزبير والتي تعرضت أثناء حرب الخليج (1991) إلى عمليات قصف متوالية...

(49) هذه معلومة يستأثر بها ابن بطوطة، هذا وقد تعرض الهروي لمن توجد مقابرهم في الرقة من الأخوال التسعة للنبي صلى الله عليه وسلم : إخوة حليمة السعدية.

(50) أبو بكرة هو نُفَيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، من أهل الطائف من أصل حبشي أدركه أجله عام 52=672.

(51) أنس بن مالك بن النضر النّجّاري الخزرجي الانصاري، مولده بالمدينة وأسلم صغيرًا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم ... ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فتوفى بها عام 93=712، وما يزال قبره معروفًا هناك ...

(52) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد ... له مع الحجّاج بن يوسف الثقفي مواقف... من كلماته السائرة: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن..." وليس بحديث شريف، ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه : إني قد ابتليت بهذا الامر فانظر لي أعوانًا يعينوني عليه، فأجابه الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك فاستعن بالله !! أدركه أجله بالبصرة عام 110=728.

قبْر محمد بن سيرين (53)، رضي الله عنه، ومنها قبر محمد بن واسع (54) رضي الله عنه، ومنها قبرُ عُتبة الغُلام (55)، رضي الله عنه، ومنها قبرُ مالك بن دينار رضي الله عنه (56)، ومنها قبْر حبيب العجميّ (57)، رضي الله عنه، ومنها قبر سهل بن عبد الله التُّستريّ (58) رضي الله عنه.

وعلى كل قبر منها قبْريّة مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاته، وذالك كله داخل السور القديم، وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال، وبها سوى ذلك قبور الجمّ الغفير من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل. وكان أمير البصرة حين ورُودي عليها يسمّى بركن الدين العجمي التّوريزيّ (59) أضافني فأحسن إلي.

16/2

والبصرة على ساحل الفرات والدجلة وبها المدّ والجزر كمثل ما هو بوادي سلا (60) من بلاد المغرب وسواه، والخليج المالح الخارج من بحر فارس (61) على عشرة أميال منها

---

(53) ابن سيرين كان إمام وقته في علوم الدين من أشراف الكتاب وهو مؤسس فنّ "تعبير الرؤيا" في دنيا الاسلام وله ينسب كتاب (تعبير الرؤيا) أدركه أجله بالبصرة سنة 110=729.

(54) ابن واسع بن جابر الأزدي من تلامذة الحسن البصري، عرض عليه قضاء البصرة فأبى ! أدركه أجله عام 123=741.

(55) عتبة بن أبان من تلامذة الحسن البصري أيضًا لقب بالغلام لاجتهاده في العبادة، استشهد في معركة جرت ضد الروم على مقربة من المصيصة. الإصفهاني : حلية الأولياء - القاهرة 1936 ج 6 ص238-226.

(56) راجع التعليق رقم 37 في هذا الفصل.

(57) حبيب العجمي الفارسي كان رجلاً ثريًا ومُرابيًا كذلك، أي إنه يقرض الناس بفائدة ربوية فاحشة ثم تَحَوّل إلى رجل صالح تحت تأثير الحَسَن البصري، AL-HUJWIRI : KASHF AL MAHJOUB Trans NICHOLSON - London 1991, p. 88-89

(58) توفي سهل بن عبد الله التسترى عام 273=886 وهو أحد الائمة المؤسسين للمدرسة الصوفية له كتاب في "تفسير القرآن" و "رقائق المحبّين" - الوفيات ا، 218.

(59) لم نستطع الوصول إلى التعرف بركن الدين العجمي التوريزي المنسوب إلى توريز أي تبريز وفي بعض المخطوطات : التوزيري بتقديم الزاي، هذا وقد ذكر الهروي أنه تعرف في البصرة على رجل شريف اسمه عمران بن سالم، قال عنه : إنه إستخرج من حرف الكاف حروف الكتابة جميعها وهي 29 حرفًا، كل حرف منها قائم بذاته وزاد عليها ثمانية أحرف...

(60) وادي سلا بذلك سماه بن حوقل ولو أن الفزازي سماه وادي أسمير والمراكشي سماه وادي الرمان ويسمى اليوم بوركراك... ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة، تحقيق د. التازي، الطبعة الثالثة - طبعة دار المغرب الاسلامي، بيروت 1987.

(61) يظهر من ابن بطوطة في هذا المقطع أنه يعتبر شط العرب أو نهر العرب - وهو الإسم الذي يطلق على نهر دجلة والفرات مجتمعين - خليجًا خارجاً من بحر فارس ... وسنراه قريباً يتحدث عن "خليج" آخر يخرج من بلاد فارس ترجمه الاثنان .D.S - ومعهما الحق - بالمحيط الهندي، وينبغي أن نذكر هُنا أن الجغرافي المغربي المعروف بالشريف الادريسي ينعت الخليج الذي يتشعب من البحر الصيني بالخليج الأخضر ويقول : إنه بحر فارس والأبلة وفيها ينتهي على مقربة من عبادان...

فإذا كان المدّ غلب الماء المالح على العذب وإذا كان الجزر غلب الماء الحلو على المالح فيستقى أهل البصرة الماء لدورهم، ولذلك يقال : إن ماءهم زُعاق.

قال ابن جُزي : وبسبب ذلك كان هواء البصرة غير جيّد والوان أهلها مصفرّة كاسفة حتّى ضرب بهم المثل وقال بعض الشعراء وقد أحضرتْ (62) بين يدي الصاحب أُترجّة

17/2

لله أترجٌّ غدا بيننا	معبّرًا عن حالِ ذي عبْرة
كما كسى الله ثياب الضّنا	أهلَ الهوَى وساكني البصرة !!

رجع، ثم ركبتُ من ساحل البصرة في صُنْبُوق (63) وهو قارب صغير إلى الأبلة (64)، وبينها وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متّصلة، ونخيل مضلّلة، عن اليمين واليسار، والباعة في ظلال الأشجار، يبيعون الخبز والسمك واللبن والفواكه.

وفيما بين البصرة والأبلّة متعبّد سهل بن عبد الله التّسترى فإذا حاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء ممّا يُحاذيه من الوادي ويدعون عند ذلك تبرّكًا بهذا الوليّ، رضي الله عنه، والنواتية يجدفون في هذه البلاد وهم قيام:

---

(62) القصد إلى الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، كان من نوادر الزمان علمًا وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي، أستوزره مؤيد الدولة ابن بُويه الديلمي أمير فارس الغربية ... ولقب بالصاحب لصحبته مؤيّد الدولة من صباه، ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وتوفي سنة 385=995 بالري، ونقل إلى إصفهان فدفن بها، له تصانيف جليلة... هذا ومن المهم التنبيه على أن الترجمة الفرنسية التي قدمها الاثنان D.S. تضبط التاء في أحضرتُ بالضم : تاء المتكلم، فيترجمانها نتيجةً لذلك بما يقتضي أن ابن جزي هو الذي أحضر الأترجه ! مع أن الحقيقة التي تتوافق مع تاريخ ومكان الصاحب تقتضي أن تكون التاء ضميرًا للغائب يعود على الأترجه، وقد تنبه لهذاالسّير هاميلتون كيب في ترجمته الانجليزية...

(63) الصنبوق مركب له جؤجؤ (قيدوم) Proue ناتئ، مزود بقلاع مثلث الزوايا كان شائع الاستعمال في الحوض المتوسط والبحر الأحمر – حسن صالح شهاب : المراكب العربية نشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمي 1987 ص 49.

(64) يقول ابن حوقل عن نهر الأبلّة الذي يعتبر من أنهار البصرة : إن طوله أربعة فراسخ ... وعلى جانبي هذا النهر بساتين وقصور متصلة كأنها بستانٌ واحد قد مدت على خيط ... وكأن نخيلها غرست ليوم واحد ...! وكان على ركن الأبلة في دجلة بين يدي نهرها خور عظيم الخطر وماء جسيم دائم الضرر – فكانت السفن تغرق فيه – فاحتالت له بعض نساء بني العباس بمراكب على مقدار معيّن محدد فانسدّ وزال الضرر ... هذا والأبلّة هي المدينة الرومانية القديمة التي كانت تحمل اسم (APOLOGOS) وكانت تحتل موقع حي أعشار للمدينة الحالية : البصرة.

وكانت الابلّة مدينةً عظيمةً يقصدها تجار الهند وفارس فخربت وهي الآن قريةٌ بها آثار قصور وغيرها دالّة على عظمها، ثم ركبنا في الخليج من بحر فارس في مركب صغير لرجل من أهل الأبُلّة يسمّى بمُغامِس وذلك فيما بعد المغرب فصبحنا عبّادان (65)، وهي قرية كبيرة في سبخة لا عمارة بها، وفيها مساجد كثيرة ومتعبّدات ورباطات للصالحين وبينها وبين الساحل ثلاثة أميال.

قال ابن جزي : عبّادان كانت بلدًا فيما تقدّم وهي مُجدبة لا زرع بها وانّما بجلب اليها، والماء أيضا بها قليلٌ وقد قال فيها بعض الشعراء،

من مــــبلـغٌ أندلسًــــا أنّني | حللتُ عـبّـادان أقْـصى الثّـرى
أوحشُ مـــا أبصـــرتُ لا كِنّنِي | قَصَدْتُ فيها ذكْرَهَا في الوراى ‖
الخُــبْـزُ فــيــهــا يتـــهــادَوْنَه | وشُــربة الماء بهــا تُشــتــرى!!

19/2

رَجْع، وعلى ساحل البحر منها رابطةٌ تعرف بالنسبة إلى الخضِر وإلياس عليهما السلام، وبازايها زاوية يسكنها أربعة من الفقراء بأولادهم يخدمون الرابطة والزاوية، ويتعيّشون من فتوحات الناس وكلّ من يمرّ بهم يتصدّق عليهم، وذكر لي أهل هذه الزاوية أنّ بعبّادان عابدًا كبير القدر، ولا أنيس له، ياتي هذا البحرَ مرّةً في الشهر فيصطاد فيه ما يقوته شهرًا ثم لا يُرى إلا بعد تمام شهر، وهو على ذلك منذ أعوام، فلمّا وصلنا عبّادان لم يكن لي شأنٌ إلا طلبه، فاشتغل مَن كان معي بالصلاة في المساجد والمتعبّدات، وانطلقتُ طالبًا له فجئت مسجدًا خربا ‖ فوجدته يصلّي فيه فجلست إلى جانبه، فأوجز في صلاته، ولمّا سلّم أخذ بيدي، وقال لي : بلّغك الله مرادك في الدنيا والآخرة ! فقد بلغتُ بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السّياحة في الأرض وبلغتُ من ذلك ما لم يبلغه غيْري فيما أعلمه، وبقيت الأخرى والرجا قوّى في رحمة اللّه وتجاوزه وبلوغ المراد من دخول الجنّة.

20/2

ولمّا أتيتُ أصحابي أخبرتهم خبر الرجل واعلمتهم بموضعه فذهبوا اليه فلم يجدوه ولا وقعوا له على خبر فعجبوا من شأنه ! وعدنا بالعشى إلى الزاوية فبتنا بها ودخل علينا أحد الفقراء الأربعة بعد صلاة العشاء الآخرة، ومن عادة ذلك الفقير أن يأتي عبّادان كلّ ليلة فيسرج السرج بمساجدها ثم ‖ يعود إلى زاويته، فلما وصل إلى عبّادان وجد الرجل العابد فأعطاه سمكة طريّة، وقال له أوصل هاذه إلى الضيف الذي قدم اليوم، فقال لنا الفقير عند

21/2

(65) ورد في ملاحق ابن حوقل أن عبّادان جزيرة وسط الدجلة وماء الفرات عند مصبّهما في البحر ... وفيها رباط يسكنه جماعة الصوفية والزهاد وأهل الجهاد وليس بينهم إمرأة ألبتَّة ...وقد ذكر الهروي مشهد الخضر عليه السلام كما تحدث عن رُبُط عبّادان ... هذا ويلاحظ هنا أن ابن بطوطة حقق امنيته في السياحة.

دخوله علينا : من رأى منكم الشيخ اليوم ؟ فقلت له : أنا رأيته ! فقال : يقول لك هذه ضيافتك. فشكرت الله على ذلك، وطبخ لنا الفقير تلك السمكة فاكلنا منها أجمعون، وما أكلت قطّ سمكًا أطيب منها، وهجس في خاطري الإقامة بقيّة العمر في خدمة ذلك الشيخ، ثمّ صرفتني النّفس اللجوج عن ذلك.

ثم ركبنا البحر عند الصبح بقصد بلدة ماجول (66)، ومن عادتي في سفري أن لا أعود على طريق سلكتها ما أمكنني ذلك، وكنت أحبّ قصد بغداد العراق فأشار عليّ بعض أهل البصرة بالسفر إلى أرض اللّور ثم إلى عراق العجم، ثم إلى عراق العرب، فعملت 22/2 بمقتضى إشارته، ووصلنا بعد أربعة أيام إلى بلدة (ماجول) على وزن فاعول، وجيمها معقودة، وهي صغيرة على ساحل هذا الخليج الذي ذكرنا أنه يخرج من بحر فارس وأرضها سبخة لا شجر فيها ولا نبات ولها سوق عظيمة من أكبر الأسواق وأقمت بها يومًا واحدًا، ثم اكتريت دابّة لركوبي من الذين يجلبون الحُبوب من (رامز) إلى (ماجول)، وسرنا ثلاثًا في صحراء يسكنها الأكراد في بيوت الشعر، ويقال إن أصلهم من العرب (67)، ثم وصلنا إلى مدينة رامز (68) وأول حروفها راء وآخرها زاي وميمها مكسورة، وهي مدينة حسنة ذات فواكه وأنهار ونزلنا بها عند القاضي حسام الدين محمود، ولقيت عنده رجلاً من أهل العلم والدين والورع هنديّ الأصل، يدعى بهاء الدين، ويسمى إسماعيل، وهو من أولاد الشيخ 23/2 بهاء الدين أبي زكرياء المُلْتاني (69) وقرأ على مشايخ توريز وغيرها.

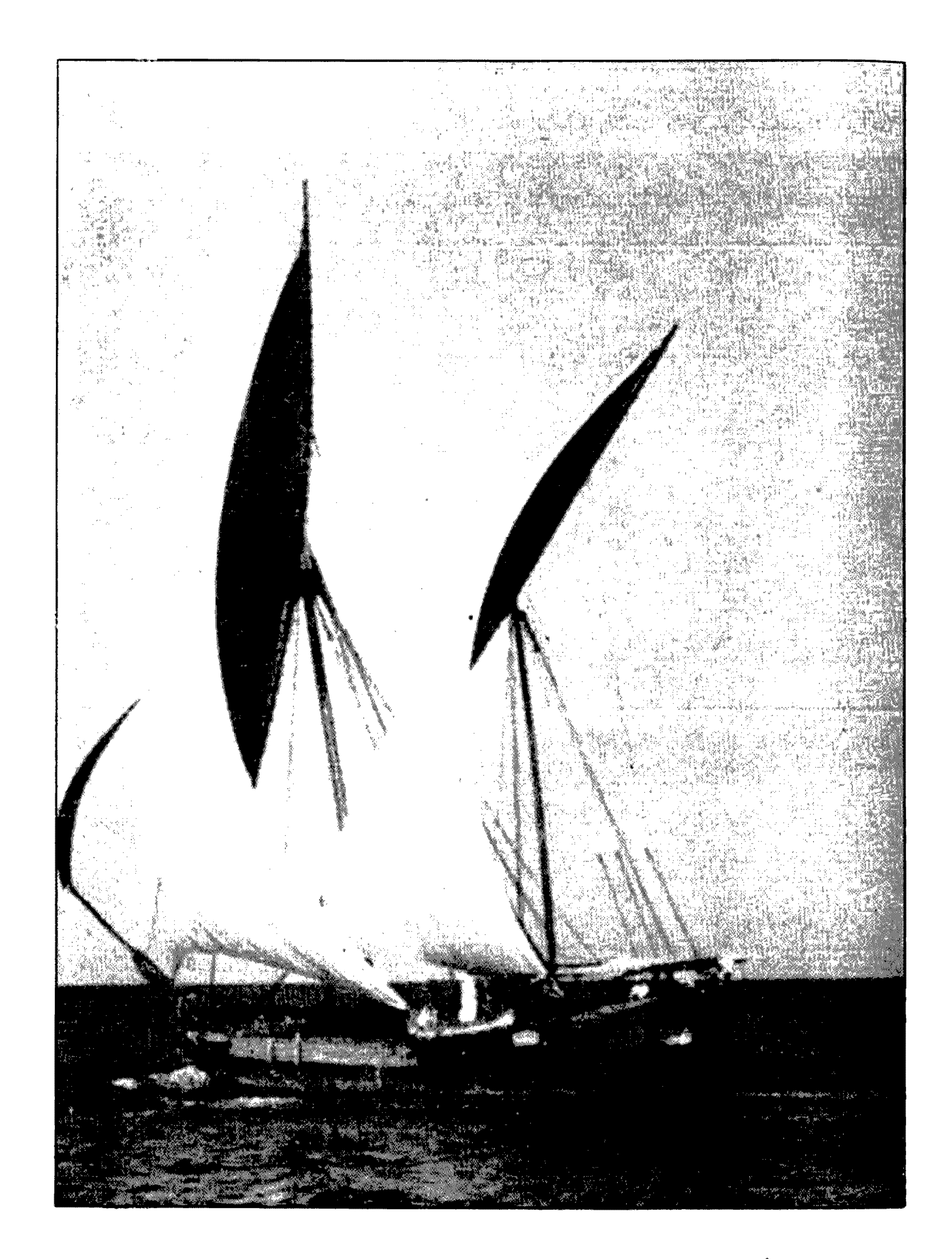
وأقمت بمدينة رامز ليلة واحدة، ثم رحلنا منها ثلاثا في بسيط فيه قُرى يسكنها الأكراد، وفي كل مرحلة منها زاوية فيها للوراد الخبزُ واللحم والحلواء، وحلواءهم من رُبّ

(66) ما جول هو اليوم بندر ماه شهر (MAH SHAR) على رأس خور موسى، وليس على نفس مجرى شط العرب، هذا وتلاحظ هنا ومن الآن هواية ابن بطوطة في أن لا يعود من نفس الطريق التي سلكها أولاً – د.التازي : إيران بين الأمس واليوم، قراءة جديدة لرحلة ابن بطوطة 1404=1984، ص 30 وما بعدها.

(67)بالرغم من الوحدّة الجنسية التي تربط بين الأكراد إلا أن وقوع إقليمهم كردستان بين عدد من الأمم الكبرى أدَّى إلى تقسيمهم ... وقد أنجبوا عددًا من الأبطال والقادة والرجال الأفذاذ عبر التاريخ...

(68) رامز مختصر رامهُرْمُز (Râm (a) Murmuz) وقد أسست من لدن الملك الساساني هرمز في القرن الثالث الميلادي، وهي مشهورة بمصانع الدمقس والحرير في القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي... وقد كانت مركزًا مزدهراً في القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي، تقع على نحو 90 ميلا شرقي بندر ماه شهر.
– عبيد طويرش : الصراع حول هرمز – منشورات اتحاد. كتاب وأدباء الامارات 1990.

(69) أبو زكرياء صوابه زكرياء بهاء الدين (579-665=1183-1267) خراساني الأصل الممثل الأساس للزاوية السُّهرورْدية بالهند على ما سنرى في بداية السفر الثاني.



الدّهو : مركب شراعي مألوف في شواطئ الجزيرة العربية والخليج، وشرقي افريقيا

العنب، مخلوطًا بالدقيق والسمن، وفي كل زاوية الشيخ والامام والمؤذن والخادم للفقراء، والعبيد والخدم يطبخون الطعام. ثم وصلت إلى مدينة تُسْتَر (70) وهي آخر البسيط من بلاد أتابك (71) وأول الجبال، مدينة كبيرة، رايقة نضيرة، وبها البساتين الشريفة، والرياض المنيفة، ولها المحاسن البارعة، والأسواق الجامعة، وهي قديمة البناء افتتحها خالدٌ بن الوليد، ووليُّ

24/2 هذه المدينة ينسب إلى سهل بن عبد الله ويحيط بها النهر المعروف بالأزرق (72) وهو عجيب في نهاية من الصفاء شديد البرودة في أيام الحرّ، ولم أر كزرقته إلا نهر بَلَخْشان (73)، ولها باب واحدٌ للمسافرين يسمّى دَرْوَازة دِسْبول (74)، والدَّرْوَازة عندهم الباب، ولها أبوابٌ غيره شارعةٌ إلى النهر وعلى جانبي النَّهر البساتين والدَّواليب (75)، والنهر عميق، وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب (76) كجسر بغداد والحلة.

قال ابن جزي : وفي النهر يقول بعضهم

انظر لشاذِروانَ تَسْتَرَ واعْتجِبْ — من جَمْعِه ماءً لِريِّ بِلادِه

25/2 كمليك قومٍ جُمِّعت أمواله — فَغدا يفرِّقُها على أجْنادِه

(70) بالفارسية تحمل إسم (Shushtar) وقد خصص اعتماد السلطنة في كتابه (مرآة البلدان ج I حرف التاء) فصلاً ممتازاً لتقديم هذه المدينة الجليلة القدر التي ظلت منذ أن افتتحها العرب بقيادة أبي موسى الأشعري حوالي سنة 42=662 ملاذاً للعلماء ورجال الفضل وحَمَلة الأقلام ... ومن أشهر المنتسبين إليها السادة النُورية وفي مقدمتهم نعمة الله الموسوي الحسيني صاحب كتاب (زهر الربيع). هذا وقد استهوت المعلوماتُ التي قدمها ابن بطوطة اعتمادَ السلطنة فنقلها بحذافيرها، يلاحظ أن ابن بطوطة إختار له طريقا ذا منعطفات ومنعرجات.

(71) (أتابك) (Atabak) وتعني الأب الكبير لقبٌ أعطي من لدن السلاطين السلاجقة للأمراء الذين يبعثون بهم وُلاة على الأقاليم، وكثير من هؤلاء الأتابكة اغتنموا فرصة سقوط الامبراطورية السلجوقية للاستقلال بالحكم !

(72) النهر الأزرق هو ما يعرف بنهر كارون (Le fleuve karun) ويعرف في العصر الوسيط باسم نهر دجيل.

(73) هذا النهر يقع في أفغانستان وهو يسمى اليوم كوكشا (Kokcha) من روافده نهر جيحون (OXUS) يسمى عند الجغرافيين في العصر الوسيط بسم درْغَم Dirgham .

(74) يحمل كذلك اسم دِزفُول ... ويتحدث مسْتوفي عن أربعة أبواب...

(75) يروي نعمة الله الموسوي الحسيني في كتابه زهر الربيع أن أبا نواس قال في الدواليب التي تعمل في مدينة تستر لرفع الماء من قراره إلى البساتين المرتفعة، وهو من أجمل ما قيل :

ودولاب روض بعدما كان أغصُناً
تميس، فلمَّا مزقته يد الدهر
تذكَّر عهداً بالرياض فكلها
عيون على أيام عصر الصِّبا تجري!

(76) يتحدث المقدسي (تـ 380=990) من رجال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عن الجسر المحمول على المراكب، وقد تحول هذا الجسر المحمول فيما بعد إلى جسر مبنى على سد.



جامع تُسْتَر

والفواكه بتستر كثيرة، والخيرات متيسّرة غزيرة، ولا مثْل لأسواقها في الحُسن، وبخارجها تربة معظّمة يقصدها أهل تلك الأقطار للزيارة وينذرون لها النذور، ولها زاوية بها جماعة من الفقراء، وهم يزعمون أنها تربة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب (77).

وكان نزولي من مدينة تستر في مدرسة الشيخ الامام الصالح المتفنّن شرف الدين موسى بن الشيخ الصالح الامام العالم صدر الدّين سليمان، وهو من ذريّة سهل ابن عبد الله، وهذا الشيخ ذو مكارم وفضائل، جامع بين العلم والدين والصلاح والايثار، وله مدرسة وزاوية، وخدّامها فتيان له أربعة : سُنبل وكافور، وجوهر وسرور، أحدهم موكّل بأوقاف الزاوية، والثاني متصرّف فيما يحتاج إليه من النفقات في كل يوم والثالث خديم السّماط بين أيدي الواردين ومرتّب الطعام لهم، والرابع موكّلٌ بالطبّاخين والسقّائين والفرّاشين، فاقمت عنده ستّة عشر يوما فلم أر أعجب من ترتيبه، ولا أرغد من طعامه يُقدّم بين يدَيْ الرجل ما يكفي الأربعة من طعامِ الأرز المفلفل المطبوخ في السّمن والدجاج المقلّي والخبز واللحم والحلواء. 26/2

وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة، وأقومهم سيرة، وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولمّا شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدى كلُّ واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر، ولم ألق فيمن لقيتهم مثله، حضرتُ يومًا عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبراؤها وأتى الفقراء من كل ناحية، فأطعم الجميع ثم صلّى بهم صلاة الظهر، وقام خطيبا وواعظًا بعد أن قرأ القرّاء أمامه بالتلاحين المبكّية، والنغمات المحرّكة المهيجة، وخطب خطبةً بسكون ووقار، وتصرّف في فنون العلم من تفسير كتاب الله وايراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه، ثم ترامت عليه الرّقاع من كل ناحية. ومن عادة الأعاجم أن يكتبوا المسائل في رقاع ويرمونها إلى الواعظ فيجيب عنها (78) فلمّا رمي إليه بتلك الرقاع جَمَعهَا في يده وأخذ يجيب عنها واحدةً بعد واحدةٍ بأبدع جواب وأحسنه وحان 27/2

(77) عليّ زين العابدين الامام الرابع من الأئمة الاثنى عشر، وقد توفي بالمدينة عام 94=712 ودفن بها ... أحصى بعد موته عدد من كان يقوتهم سرّاً فكان نحو مائة بيت. وذكر الهروي أن (تستر) تحتضن قبر محمد بن جعفر الصادق

(78) عرفت هذه العادة الحميدة في ديار المشرق وتحدث عنها ابن جبير وهو يحضر في بغداد مجلس ابن الجوزي (ص 11-12) ولقد استمرت هذه العادة في تلك الجهات، وقد حضرتُ شخصيًا أحد المجالس العلمية في مدينة سيؤون من حضرموت في ربيع الأول 1413 شتنبر 1992 حيث كان عريف المجلس يجمع الأوراق المكتوبة ويقدّمها للشيخ، ولا يقبل سؤالا شفوياً .!! هذا ولم نقف على ترجمة لشرف الدّين موسى ...

وقت صلاة العصر فصلّى بالقوم وانصرفوا وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وبركة، وتبادر 28/2 التائبون ‖ فأخذ عليهم العهد وجزّ نواصيَهم (79) وكانوا خمسة عشر رجلاً من الطلبة قدِموا من البصرة برسم ذلك وعشر رجال من عوّام تستر.

حكاية [الشيخ السّخي]

لمّا دخلت هذه المدينة أصابني مرض الحمّى، وهذه البلاد يُحمُّ داخلُها في زمان الحرّ كما يعرض في دمشق وسواها من البلاد الكثيرة المياه والفواكه، وأصابت الحمّى أصحابي أيضا فمات منهم شيخ اسمه يحيى الخرساني، وقام الشيخ بتجهيزه من كل ما يحتاج إليه الميّت وصلى عليه، وتركت بها صاحبًا لي يدعى بهاء الدين الختّني فمات بعد سفري.

29/2 وكنت حين مرضى لا ‖ أشتهي الأطعمة التي تصنع لي بمدرستِه، فذكر لي الفقيه شمس الدين السندي من طلبتها طعامًا فاشتهيته ودفعت له دراهم، وطبّخ لي ذلك الطعام بالسوق وأتى به إليّ فأكلت منه، وبلغ ذلك الشيخَ فشقّ عليه وأتى إليّ وقال لي : كيف تفعل هذا وتطبخ الطعام في السوق؟ وهلاّ أمرت الخدّام أن يصنعوا لك ما اشتهيته، ثم أحضر جميعهم وقال لهم : جميع ما يطلبه منكم من أنواع الطعام والسكر وغير ذلك فأتوا إليه به وأطبخوا له ما يشاءه واكّد عليهم في ذلك أشدّ التاكيد، جزاه الله خيراً.

ثم سافرنا من مدينة تستر ثلاثا في جبال شامخة وبكل منزل زاوية كما تقدم ذكر ذلك، ووصلنا إلى مدينة إيذَج، وضبط اسمها بكسر الهمزة وياء مدّ وذال معجم مفتوح وجيم، 30/2 وتسمى أيضا ‖ مال الأمير (80)، وهي حضرة السلطان أتابك، وعند وصولي إليها اجتمعت بشيخ شيوخها العالم الوارع نور الدين الكرماني وله النظر في جميع الزوايا، وهم يسمّونها المدرسة، والسلطان يعظّمه ويقصد زيارته، وكذلك أرباب الدولة وكبراء الحضرة يزورونه غدوًا

---

(79) في القرآن الكريم، السورة رقم 96، الآية 16 : لنسْفعاً بالناصية ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة، وجز الناصية رمز للتخلي عن الرذائل ...

(80) كانت إيذج (IZEH) عاصمة الدولة الهَزَارْ سبيدية في لورستان وهي التي تحمل اليوم اسم (MAL-AMÎR) وتقع على نهر كارون وقد ورد ذكرها في المسالك والممالك لأبي اسحاق الاصطخري ويذكر صاحب (مرآة البلدان) أنه كانت بها قنطرة من عجائب الدنيا، وكان مما نقش على فندق ينزله الواردون من اصفهان، أبيات هذا مطلعها :

فتح السالكون في طلب الرزْ ق إيذج إلى إصفهان ...

وقد وقعت بها زلازل كثيرة ومعادنها وافرة، وبها بحيرة مالحة، وكانت بها مزارع لصنع السكر ... وكذا معابد للذين يعبدون النار، والجدير بالذكر أن الخليفة العباسي المهدي ولد هنا في ايذج – انظر دائرة المعرف الاسلامية (بالفرنسية) مادة HAZARASPIDES كذلك مادة (LUR).

وعشيًا، فأكرمني وأضافني وأنزلني بزاوية تعرف باسم الدِّينَوَري. وأقمت بها أيامًا وكان وصولي في أيام القيظ (81)، وكنّا نصلّي صلوات الليل ثم ننام بأعلى سطحها، ثم ننزل إلى الزاوية ضحوة وكان في صحبتي أثنا عشر فقيرًا منهم إمام وقارئان مجيدان وخادم، ونحن على أحسن ترتيب.

ذكر ملك إيذج وتُستَر

31/2 وملك إيذج في عهد دخولي إليها ‖ السلطان أتابك أفراسياب ابن السلطان أتابك (82) أحمد، وأتابك عندهم سمة لكل من يلي هذه البلاد من ملك، وتسمى هذه البلاد بلاد اللّور (83)، وولى هذا السلطان بعد أخيه أتابك يوسف، وولى يوسف بعد أبيه أتابك أحمد، وكان أحمد المذكور ملكًا صالحًا سمعت من الثقاتِ ببلاده أنه عمَّر أربعمائة وستين زاوية ببلاده، منها بحضرة إيذج أربع وأربعون، وقسم خراج بلاده أثلاثا فالثلث منه لنفقة الزوايا والمدارس، والثلث منه لمرتّب العساكر، والثلث لنفقته ونفقة عياله وعبيده وخدّامه، ويبعث منه هديّة لملك العراق في كلِّ سنة، وربّما وفد عليه بنفسه.

32/2 وشاهدت من آثاره الصالحة ببلاده أن أكثرها في ‖ جبالٍ شامخة، وقد نحتت الطرق في الصخور والحجارة وسوّيت ووسعت بحيث تصعدها الدواب بأحمالها، وطول هذه الجبال

(81) حديث ابن بطوطة عن أيام القيظ ومبيته في السطح جعل الذين يحققون في يوميات سفره يتساءلون هل كان الوقت فعلاً وقت حر ؟ سنراه بعد فترة من الزمن يصل إلى إصفهان يوم 14 جمادى الثانية 217 = 7 ماي 1327 ومعنى هذا أنه لما كان في ايذج كان الوقت وقت قر ! لكنهم وجدو للرحالة المغربي مخرجاً من هذا الاشكال بافتراض أنه احياناً يحكي ما جرى له في زيارةٍ لاحقة ما جرى له في زيارة سابقة والعكس صحيح وقد اعترف هو أحيانا بانه يركب مثل هذا الصَّنيع (ج 4، 315-316)

(82) لاحظ المترجمان الفرنسيان D.S.، وثنَّى عليهما كَيب أن ابن بطوطة اختلط عليه إسم ملك لورستان في الفترة التي اجتاز فيها تلك البلاد عام 727 = (1327) مع اسم الملك الذي كان يحكم عشرين سنة بعد ذلك عندما كان ابن بطوطة عائدًا عن طريق فارس، ففي المرة الأولى كان الملك يحمل اسم نصرت الدّين أحمد الذي توفي عام 733=1333، بعد ست سنوات من تاريخ مرور ابن بطوطة، وقد عوض على التوالي من لدن ولدَيْه اللذين كان ثانيهما هو الأمير مظفر الدّين أسْياب الذي رآه ابن بطوطة والذي أنَّبه على التهالك على شرب الخمر، وبالرغم من أن ابن بطوطة لم يذكر اسم ايذج عند عودته عام 748=1347 على نحو ذكره للمواقع الأخرى فاننا على يقينٍ من أنه رأى هذه العاصمة العظيمة للهَزَارسبيين التي تقع على طريقه - د. أحمد كمال الدّين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة الكويت 1395=1975.

(83) اللور من الشعوب الإيرانية يعيش في الجبال الجنوبية الغربية من بلاد فارس، وعلى نحو حالة الأكراد فإن العلاقة الاساسية للفروع التي يتكون منها اللور هي اللغة، وقد عالج الحديث عن الدولة التي تكونت في هذه المنطقة تحت اسم الهزارْسبيد البروفيسور V.Minorsky في دائرة المعارف الاسلامية وكذا البروفسور B. SPULER في مادة HAZARASPIDES.

مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة، وهي شاهقة متّصل بعضها ببعض تشقّها الانهار، وشجرها البلّوط، وهم يصنعون من دقيقه الخبز وفي كلّ منزل من منازلها زاوية يسمونها المدرسة، فإذا وصل المسافر إلى مدرسةٍ منها أوتى بما يكفيه من الطعام والعلف لدابّته سواء طلب ذلك أو لم يطلبه، فإن عادتهم أن يأتي خادم المدرسة فيعُدّ من نزل بها من الناس ويعطي كلّ واحدٍ منهم قرصين من الخبز ولحمًا وحلواء، وكل ذلك من اوقاف السلطان عليها، وكان السلطان أتابك أحمد زاهدًا صالحاً كما ذكرناه، يلبس تحت ثيابه ممّا يلي جسده ثوب شَعر.

حكاية [عادة أهل ايذج في مأتم أمرائهم]

قدم السلطان آتابك أحمد مرّة على ملك العراق أبي سعيد، فقال له بعض خواصّه إن أتابك يدخل عليك وعليه الدّرع، وظنّ ثوب الشَّعر الذي تحت ثيابه درعًا، فأمرهم باختبار ذلك على جهةٍ من الانبساط ليعرف حقيقته، فدخل عليه يومًا فقام إليه الأمير الجوبان (84) عظيم امراء العراق، والأمير سُوَيْتَه (85) أمير ديار بكر، والشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق (86) وأمسكوا بثيابه كأنهم يمازحونه ويضاحكونه، فوجدوا تحت ثيابه ثوب الشعر، وراءه السلطان أبو سعيد، وقام إليه وعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال له : سَنْ آطا، ومعناه بالتركية : أنت أبي، وعوّضه عن هديّته بأضعافها وكتب له اليَرْليغ، وهو الظّهير ألاّ يطالبه بهديّةٍ بعدها هو ولا أولاده. 33/2

(84) الامير الجوبان (CHORBAN)، ينتسب للقبيلة المغولية سُلْدُز Sulduz كان حفيدًا لتورانويور (Turannoyon) أحد جنرالات هولاكو تزوج على التوالي بنتي أو لُجايتو خذا بنده : داولاندي أم ولده جالو خان، وبعد وفاتها تزوج ساتي بيگ أم سورغان ... كان صهرًا للسُّلطان أبي سعيد كما كان رئيسا للقوات المسلحة ...

(85) إذا كانت المخطوطات ترسمه (سويته) فإن الحافظ ابن حجر يرسمه (سوتاي) ويضبطه بالوصف، وينعته بالتتري تولى امرة ديار بكر... واستمر بها إلى أن مات ببلده التي قرب الموصل عام 732-1332 يذكر أنه بلغ المائة سنة، وانه رأى أربعة بطون من أولاده واولادهم حتى نافوا على الأربعين!! كان محبّبا إلى رعيته ذا حزم وسياسة - ابن حجر : الدرر 2، 275.

(86) الشيخ حسن الكبير الجلايري احتلّ بغداد عام 738=1339 وأسس دولة جديدة باسم الدولة الجلايرية، أدركه أجله عام 757=1356... وسيأتي الحديث عنه مفصلا...

وفي تلك السنة توفيَ، وولى ابنه أتابك يوسف، عشرة أعوام (87)، ثم ولى أخوه أفراسياب، ولما دخلت مدينة إيذج أردت رؤية السلطان أفراسياب المذكور فلم يتأت لي ذلك بسبب أنه لا يخرج إلاّ يوم الجمعة لإدْمانه على الخمر، وكان له ابن هو وليّ عهده وليس له سواه فمرض في تلك الأيام، ولمّا كان في إحدى الليالي أتاني أحد خدّامه وسألني عن حالي فعرّفته وذهب عنّي، ثم جاءَ بعد صلاة المغرب ومعه طيفوران كبيران، أحدهما بالطعام والآخر بالفاكهة، وخريطة فيها دراهم ومعه أهل السماع بآلاتهم، فقال : اعملوا السماع حتى يُرْهِجَ الفقراءَ ويدعون لابن السلطان، فقلت له : إن أصحابي ‖ لا يدرون بالسماع ولا بالرقص (88)، ودَعَوْنا للسلطان ولولده، وقسمت الدراهم على الفقراء، ولما كان نصف الليل سمعنا الصراخ والنواح، وقد مات المريض المذكور (89)، ولما كان الغد دخل عليّ شيخ الزاوية وأهل البلد، وقالوا : إن كبراء المدينة من القضاة والفقهاء والأشراف والأمراء قد ذهبوا إلى دار السلطان للعزاء فينبغي لك أن تذهب في جملتهم فأبيت عن ذلك، فعزموا عليّ، فلم يكن لي بدّ من المسير، فسرت معهم فوجدت مشور (90) دار السلطان ممتلئًا رجالاً وصبيانًا من المماليك وابناء الملوك والوزراء والأجناد وقد لبسوا التّلاليس وجِلال الدوابّ، وجعلوا فوق رؤسهم التراب والتبن، وبعضهم قد جزّ ناصيته، وانقسموا فرقتين : فرقة ‖ باعلى المشور وفرقة بأسفله، وتزحف كلّ فرقة إلى جهة الأخرى وهم ضاربون بأيديهم على صدورهم (91) قائلون : خُونْدِ كَارْمَا، ومعناه مولاي أنا فرأيت من ذلك امرًا هائلا ومنظرًا فضيحا لم أعهد مثله.

35/2

36/2

---

(87) يوجد هنا أيضا بعض الارتباك حيث إن الأمير نصرت الدين أحمد توفى عام 1333 والجوبان (شوبان) كان قتل عام 1328. دخول يوسف للحكم كان يختلف بين 1330 وتاريخ 1333، ومن الممكن أن يكون مساعدًا في بعض السنوات حيث إنه حسب رسائل فضل الله رشيد الدين كان ينعت قبل هذا " باتابك يوسف شاه ملك لورستان". هذا ومعنى يُرهج : يهيج بعضهم بعضا.

(88) يقارن موقف ابن بطوطة هنا حول الموسيقى بموقفه منها وهو يصحب معه في بعض أسفاره عددًا من المغنين ليُسمعوه النوبات المطربة بالرغم مما نقرأه في رسالة ابن أبي زيد القيرواني - يراجع ج III ص 437.

(89) حول أسرة افراسياب - انظر B. Spuleter, Hazaraspides, Enscyc de l'Islam.

(90) كلمة (المشور) مغربية أصلاً الساحة التي تتم فيها مشورة رجال الدولة، وما يزال الاستعمال سائدًا في المغرب يطلق على حَرَم القصر الملكي، ولا يوجد استعمال "لهذه الكلمة في المشرق - والتلاليس جمع تلّيس وهو استعمال مغربي يعني الأكياس الكبرى المصنوعة من الدوم مثلا لوضع الحبوب والبضاعات الثقيلة ويجعل التلّيس عادةً على ظهر الدّابة...

(91) يلاحظ على ابن بطوطة دهشته من الطريقة التي يعبّر بها سكان تلك الجهات عن أساهم... وقد حضرت مثل هذه المشاهد أثناء مقامي بالعراق وخاصة ليلة عاشوراء كما حضرتها في تهران بمناسبة وفاة الشيخ الطالقاني عام 1979 رحمه الله، هذا وان كلمة خُونِدكار Khundikar تشبه الكلمة الفارسية خاوانْدَكار وتعنى سيدي، مولاي، أمّا كلمة مَا فتعني ياء المتكلم أو نونه، هذا وترسم النسخ كلمة فضيح وليس فظيع كما يوجد في بعض النسخ المنشورة !

حكاية [ماتم ابن السلطان]

ومن غريب ما اتّفق لي يومئذ أنّي دخلت فرأيت القضاة والخطباء والشرفاء قد استندوا إلى حيطان المشور وهو غاصّ بهم من جميع جهاته وهم بين باكٍ ومتباكٍ ومطرقٍ، وقد لبسوا فوق ثيابهم ثيابًا خامةً من غليظ القطن غير محكمة الخياطة، بطاينها إلى أعلى ووجوهها ممّا يلي أجسادهم، وعلى رأس واحد منهم قطعة خرقة أوميزر أسود، وهكذا يكون فعلهم إلى تمام أربعين يوما، وهي نهاية الحزن عندهم، وبعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة فلمّا رأيت جهات المشور غاصّة بالناس نظرت يميناً وشمالاً أرتاد موضعًا لجلوسي فرأيت هنالك سقيفة مرتفعة عن الأرض بمقدار شبر وفي إحدى زواياها رجل منفرد عن الناس قاعد، عليه ثوب صوف شبه اللّبد يلبسه بتلك البلاد ضعفاء الناس أيام المطر والثلج، وفي لأسفار، فتقدمت إلى حيث الرجل، وانقطع عنّي أصحابي لمّا رأوا إقدامي نحوه، وعجبوا مني وأنا لا علِمَ عندي بشيء من حاله، فصعدت السقيفة وسلّمت على الرجل فردّ عليّ السلام وارتفع عن الارض كأنّه يريد القيام، وهم يسمّون ذلك نصف القيام ‖ وقعدت في الركن المقابل له ثم نظرتُ إلى الناس، وقد رموني بأبصارهم جميعًا فعجبت منهم ورأيت الفقهاء والمشايخ والأشراف مستندين إلى الحايط تحت السقيفة، وأشار إليّ أحدُ القضاة أن أنحطّ إلى جانبه، فلم أفعل، وحينئذ استشعرت أنه السلطان ! 38/2

فلما كان بعد ساعة أتى شيخ المشايخ نور الدين الكرماني الذي ذكرناه قبل، فصعد إلى السقيفة وسلّم على الرجل، فقام إليه وجلس فيما بيني وبينه، فحينئذ علمت أن الرجل هو السلطان، ثم جيء بالجنازة وهي بين أشجار الأترج والليمون والنارنج، وقد ملئوا أغصانها بثمارها والأشجار بأيدي الرجال، فكأنّ الجنازة تمشي في بستان والمشاعل في رماحٍ طوال بين يديها، والشمع كذلك فصلّى عليها، وذهب الناس معها إلى مدفن الملوك وهو بموضع ‖ يقال له (هَلافِيجَان) (92) على أربعة أميال من المدينة، وهنالك مدرسة عظيمة، يشقّها النهر، وبداخلها مسجد تقام فيه الجمعة وبخارجها حمّام ويحفّ بها بستان عظيم وبها الطعام للوارد وللصادر، ولم أستطع أن أذهب معهم إلى مدفن الجنازة لبعد الموضع فعُدت إلى المدرسة، فلما كان بعد أيام بعث إليّ السلطان رسولَه الذي أتاني بالضيافة أولاً يدعوني اليه فذهبت معه إلى باب يعرف بباب السَّرْو، وصعدنا في درج كثيرة إلى أن انتهينا إلى موضع لافرش به لأجل ما هم فيه من الحزن، والسلطان جالس فوق مخدّة، وبين يديه آنيتان قد غطيتا، إحداهما من الذهب والأخرى من الفضّة، وكانت بالمجلس سجّادة خضراء ‖ ففرشت 39/2 40/2

(92) يمكن تحديد هذا المكان في البقعة التي تحمل اسم (قلعة - إمدرسة) على بعد اثنى عشر ميلاً شمال إيذج، بيد أنه في هذه الحالة ينبغي أن نقرأ أربعة فراسخ عوض أربعة أميال لأنها بعيدة كما يقول كيب Gibb

لي بالقرب منه وقعدت عليها، وليس بالمجلس إلا حاجبه الفقيه محمود، ونديم له لا أعرف اسمه، فسألني عن حالي وبلادي وسألني عن الملك الناصر وبلاد الحجاز، فأجبته عن ذلك، ثم جاء فقيه كبير هو رئيس فقهاء تلك البلاد، فقال لي السلطان : هذا مولانا فَضِيل، والفقيه ببلاد الأعاجم كلّها إنما يخاطب بمولانا (93)، وبذلك يدعوه السلطان وسواه، ثم أخذ في الثناء على الفقيه المذكور وظهر لي أن السُكر غالب عليه ! وكنت قد عرفت إدمانه على الخمر، ثم قال لي : باللسان العربي، وكان يحسنه : تكلّم ! فقلت له : إن كنت تسمع منّي أقول لك، أنت من أولاد السلطان أتابك أحمد المشهور بالصلاح والزهد، وليس فيك ما يقدح في 41/2 سلطنتك غير هذا ! وأشرت إلى الآنيتين، فخجل من كلامي، وسكت وأردت الانصراف فأمرني بالجلوس وقال لي : الاجتماع مع أمثالك رحمة، ثم رأيته يتمايل ويريد النوم، فانصرفت وكنت تركت نعلي بالباب فلم أجده، فنزل الفقيه محمود في طلبه، وصعد الفقيه فضيل يطلبه في داخل المجلس، فوجده في طاقٍ هنالك، فأتى إليّ به فأخجلني برّه، واعتذرت إليه، فقبّل نعلي حينئذ، ووضعه على رأسه، وقال لي : بارك الله فيك هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر أحد أن يقوله له، غيرك، والله إني لأرجو أن يؤثر ذلك فيه.

ثم كان رحيلي من حضرة إيذَج بعد أيام فنزلت بمدرسة السلاطين التي بها قُبورهم، وأقمت بها أيامًا، وبعث إليّ السلطان 42/2 بجملة دنانير، وبعث بمثلها لأصحابي، وسافرنا في بلاد هذا السلطان عشرةَ أيام في جبالٍ شامخةٍ (94)، وفي كل ليلة ننزل بمدرسة فيها الطعام، فمنها ما هو في العمارة، ومنها ما لا عمارة حوله، ولكن يجلب إليها جميع ما تحتاج اليه.

وفي اليوم العاشر نزلنا بمدرسةٍ تعرف بمدرسة كِرِيوْ الرّخ (95)، وهي آخر بلاد هذا الملك، وسافرنا منها في بسيطٍ من الأرض كثير المياه من عمالة مدينة إصفهان، ثم وصلنا إلى

(93) من كلمة مولانا تأتي كلمة (مُولاً) بإيران والهند، ولا ننسى أن كلمة (مولاي) تختص في المغرب على العموم بالمنحدرين من الرسول صلى الله عليه وسلم تقابلها كلمة (لالة) بالنسبة للسيدات المنحدرات من الرسول.

(94) القصد إلى جبال زجْروس (Zaghros)، وحتى القرن الخامس عشر كان الطريق الذي يربط بين إيذج وبين إصبهان شاقا ويعرف باسم جادة الأتابكة.

(95) كِرِيوْ تعني بالفارسية المرتفع والتل، ولم نقف على صدىً لهذا الاسم في المعاجم الجغرافية الفارسية لكنّ ربما كان القصد إلى الاسم الحديث كَهْوَرُوخ (Kahwarukh) في إقليم شهر محل.

بلدة أشتُركان (96)، ويضبط اسمها بضم الهمزة واسكان الشين المعجم وضم التاء المعلوة واسكان الراء وآخره نون، وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والبساتين، ولها مسجد بديع يشقّه النهر، ثم رحلْنا منها إلى مدينة فيْروزان (97)، واسمها كأنّه تثنيّة فيروز، وهي مدينة صغيرة ذات أنهار وأشجار وبساتين، وصلناها ‖ بعد صلاة العصر فرأينا أهلها قد خرجوا لتشييع جنازة وقد أوقدوا خلْفها وأمامها المشاعل، واتبعوها بالمزامير والمغنّين بانواع الأغاني المطربة فعجبنا من شأنهم، وبتنا بها ليلة. 43/2

ومررنا بالغد بقرية يقال لها نَبْلان (98) وهي كبيرة على نهر عظيم وإلى جانبه مسجد في النهاية من الحسن يصعد إليه في درج وتحفّه البساتين، وسرنا يومنا فيما بين البساتين والمياه والقرى الحسان، الكثيرة أبراج الحمام، ووصلنا بعد العصر إلى مدينة إصفهان (99) من عراق العجم، واسمها يقال بالفاء الخالصة ويقال بالفاء المعقودة المفخّمة، ومدينة إصفهان من كبار المدن وحسانها إلاّ أنها الآن قد خرب أكثرها بسبب الفتنة التي بها بين أهل السنّة والروافض (100)، وهي متّصلة بينهم حتى الآن، فلا يزالون في ‖ قتال، وبها الفواكه الكثيرة، ومنها المشمش الذي لا نظير له، يسمّونه بقمر الدّين وهم ييبّسونه ويدّخرونه، ونواه ينكسر عن لوز حلو، ومنها السفرجل الذي لا مثل له في طيب المطعم وعظم الجرم والأعناب الطيبة 44/2

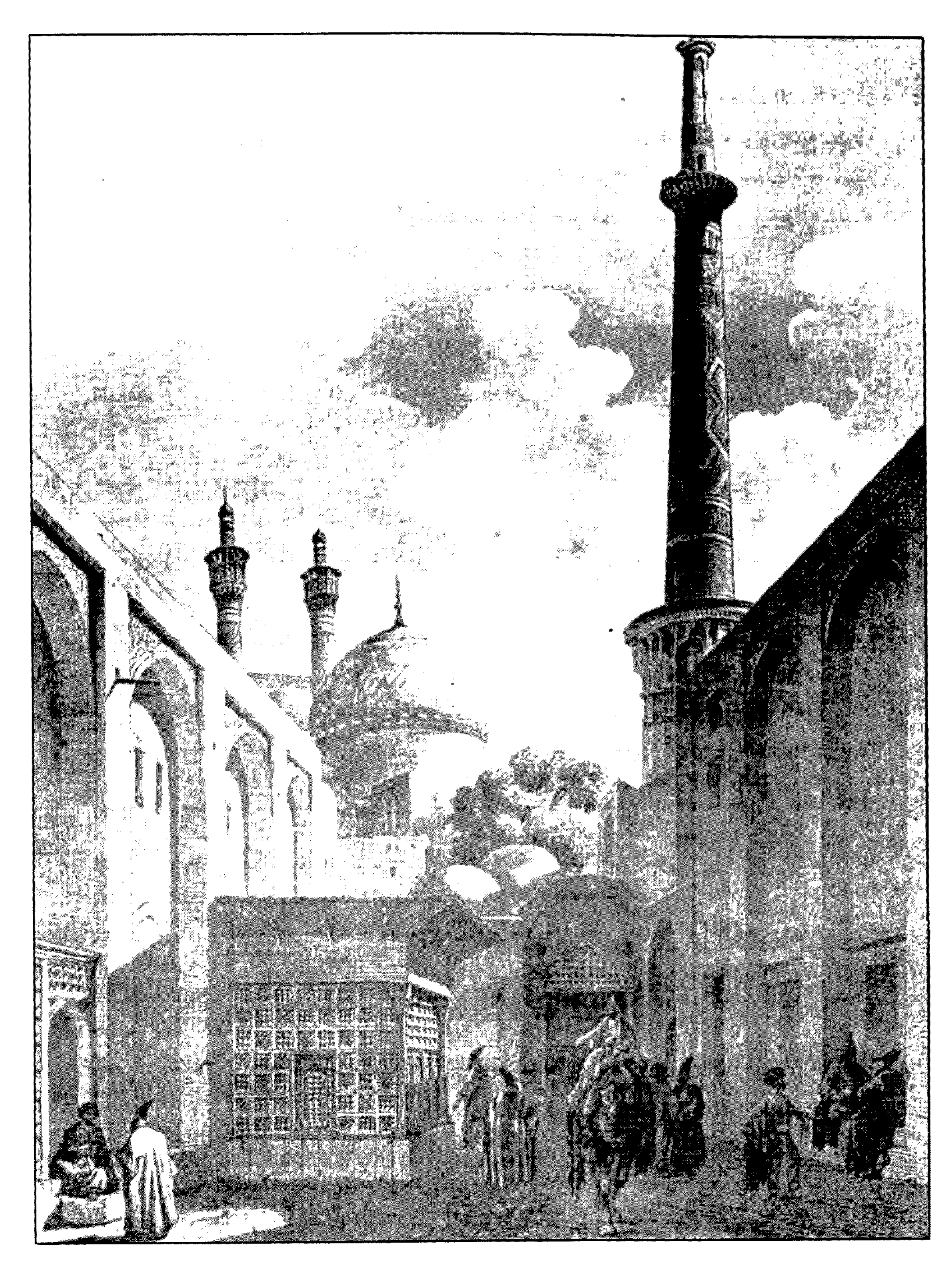
(96) تقع مدينة أشتُرجان (Ostorjan) عند الكيلوميتر 36 غربي إصفهان، وقد بنى المسجد المذكور أيام سلطنة خُدَابَنْدَه حيث يوجد منقوشًا ما يلي : "أمر ببناء هذا المسجد المبارك الصاحب الاعظم ملك الوزراء في العالم فخر الدنيا والدّين محمد ابن محمود بن علي الاشتُرجاني، ومما يوجد منقوشا على الباب الشرقي : "بسم الله الرحمن الرحيم وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً... بني في سنة خمس عشرة وسبعمائة". هذا وقد أصبح النهر الذي كان يشق المسجد، أصبح خارجه... ويذكر كيب أن أشتركان – ويعني مبرك الناقة – لم يرد في غير رحلة ابن بطوطة – د. التازي : إيران بين الأمس واليوم ص 44 تعليق 55.

(97) فيروزان : مدينة تقع على بعد ستة فراسخ عن إصفهان وقد كتب عنها حمد الله مستوفى في كتابه نزهة القلوب ص 56/52 طبع تهران...

(98) نَبْلان أو (لونبان) قرية كبيرة وهي تحمل اليوم اسم شهر فيروزان – لطف الله : تاريخ أصفهان ص 303/251.

(99) مركز إصفهان أو نصف جهان، أو نصف الدنيا يقع في ذلك العهد شرقي المركز الذي بني في القرن السابع عَشر من لدن الشاه عباس الاول...

(100) لقد هال ابنَ بطوطة ما بدا على المدينة من خراب ضرب أكثر معالمها قبل أن يفتحها المغول ! وغدا يبحث عمن كان وراء ذلك الخراب، هناك دعاة الشيعة وهناك دعاة السنة، كلٌ يريد أن يحتفظ بحريته فيما يسلكه على ما يؤكده المؤرخ القزويني حمد الله مستوفى ...
– د. موحد : سفر نامة ابن بطوطة ج 1، ص 211 تعليق 1.
– د. التازي : إيران بين الأمس واليوم، ص 63/45. مصدر سابق.



جامع الإمام علي باصفهان

والبطيخ العجيب الشأن الذي ليس في الدنيا مثله إلاّ ما كان من بطيخ بخاري وخوارزم وقشره أخضر وداخله أحمر، ويدخر كما تدخر الشريحة بالمغرب وله حلاوة شديدة (101)، ومن لم يكن ألف أكله فإنه في أول أمره يسهله، وكذلك اتّفق لي لمّا أكلته بإصفهان.

وأهل إصفهان حسان الصور وألوانهم بيض زاهرة مشوبة بالحمرة، والغالب عليهم الشجاعة والنجدة وفيهم كرمٌ وتنافس عظيم فيما بينهم ‖ في الأطعمة تؤثر عنهم فيه أخبار غريبة، وربما دعا أحدُهم صاحبَه فيقول له : اذهب معي لتأكل نان وماس، والنان بلسانهم الخبز، والماس اللبن (102)، فإذا ذهب معه أطعمه أنواع الطعام العجيب مباهيا له بذلك، وأهل كل صناعةٍ يقدّمون على أنفسهم كبيرًا منهم يسمونه الكُلُو (103)، وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات وتكون الجماعة من الشبّان الأعزاب، وتتفاخر تلك الجماعات ويضيف بعضهم بعضًا مظهرين لما قدروا عليه من الإمكان مختلفين في الأطعمة وسواها الاحتفال العظيم.

45/2

ولقد ذكر لي أن طائفة منهم أضافت طائفة أخرى فطبخوا طعامهم بنار الشمع ثم اضافتها الأخرى فطبخوا طعامهم بالحرير ! وكان ‖ نزولي بإصفهان في زاوية تنسب للشيخ على ابن سهل (104) تلميذ الجُنَيد (105) وهي معظمة يقصدها أهل تلك الآفاق ويتبركون بزيارتها وفيها الطعام للوارد والصادر، وبها حمّام عجيب مفروش بالرخام وحيطانه بالقاشاني وهو موقوفٌ في السبيل لا يلزم أحدًا في دخوله شيء، وشيخ هذه الزاوية الصالح العابد الورع قطب الدين حسين بن الشيخ الصالح ولى الله شمس الدين محمد بن محمود بن

46/2

---

(101) يعزون السر في وفرة الفواكه وطيب نكهتها في إصفهان إلى الماء الزلال الذي ينعم به الاقليم...
- اعتماد السلطنة : مرآة البلدان ص 56.

(102) ما يزال (الماسط) إلى الآن يكوّن المادة الاساسة في المائدة إلى جانب الارز والبصل النّيء وقد تعودت على تناول الماسط الغنيّ بمادّته أيام سفارتي في تِهران...

(103) الكُلُو (Kulu) : أمين السوق وقد يطلق لقب كُولُو على أيّ الناس تحبّـبًا ومؤانسة.

(104) يقع ضريحُ علي بن سهل (تـ 308=920) في نهاية محلة تسمى طوقتجى حيث يوجد الجدار القديم لإصفهان الذي لم تبق منه إلا قطعة تقرب قليلا من خندق المدينة المسمَّى في عهد السلجوفيين فلفاجي ... ويلاحظ أن الضريح والقبة لم يَبق منهما أثر الآن، ويُعزى ذلك لكون علي بن سهل كان من أهل السنة، وجل سكان المدينة شيعة... وهذا هو الضريح الذي تمنى استاذنا المرحوم علال الفاسي عند زيارته - أن يقوم أحدٌ بتقفي خطوات ابن بطوطة في إيران.
- د. التازي : إيران بين الأمس واليوم، ص 49/5 - ملف الأبحاث : مؤسسة علال الفاسي - الرباط

(105) هو الجُنَيد بن محمد بن الجنيد البغدادي أبو القاسم ... أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، من كلامه : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به)، أدركه أجله سنة 297=910 في بغداد...

علي المعروف بالرّجاء وأخوه العالم المفتى شهاب الدّين أحمد، أقمت عند الشيخ قطب الدين بهذه الزاوية أربعة عشر يومًا فرأيت من اجتهاده في العبادة وحبّه في الفقراء والمساكين وتواضعِهِ لهم ما قضيت منه العجب، وبالغ في ‖ اكرامي وأحسن ضيافتي وكساني كسوةً حسنة وساعة وصولي الزاوية بعث اليّ بالطعام وبثلاث بطيخات من البطيخ الذي وصفناه أنفًا ولم أكن رأيته قبل ولا أكلته. 47/2

كرامة لهذا الشيخ

دخل عليّ يومًا بموضع نزولي من الزاوية وكان ذلك الموضع يشرف على بستان للشيخ، وكانت ثيابه قد غسلت في ذلك اليوم ونشرت في البستان، ورأيت في جملتها جبّةً بيضاء مبطنة تدعى عندهم هَزَرميخي (106)، فأعجبتني، وقلت في نفسي : مثل هذه كنت أريد، فلما دخل عليّ الشيخ نظر في ناحية البستان، وقال لبعض خدّامه ايئتني بذلك الثوب الهَزَرميخي فأتوا به، فكساني إياه فأهويت إلى قدميه أقبّلهما ‖ وطلبت منه أن يلبسني طاقيةً من رأسه، ويجيزني في ذلك بما أجازه والده عن شيوخه، فألبسني إياها في الرابع عشر لجمادى الأخيرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة (107) بزاويته المذكورة كما لبس من والده شمسِ الدين ولبس والدُه من أبيه تاج الدّين محمود من أبيه شهاب الدّين على الرجاء، ولبس علي من الإمام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي (108) ولبس عمر من الشيخ الكبير ضياء الدين أبي النجيب السَّهروردي، ولبس أبو النجيب من عمّه الامام وحيد الدين عمر ولبس عمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمَوَيْه، ولبس محمد من الشيخ أخي فرج الزنجاني ولبس أخو فرج من الشيخ أحمد الدينَوري، ولبس أحمد من الإمام ‖ ممشاد الدينوري، ولبس ممشاد من الشيخ المحقّق علي ابن سهل الصوفي ولبس علي من أبي القاسم الجُنيد ولبس الجنيد من سَرِيّ السقطي ولبس سريّ السقطيّ من داوود الطائي، 48/2 49/2

---

(106) الكلمة تعني حرفياً "ألف مسمار" وهي عبارة عن جبة مرقّعة مؤلفة من قطع من قماش مختلفة الألوان.

(107) هذا يوافق 7 مايه 1327، ويبدو أنه ينبغي أن يُعدَّل إلى تاريخ 7 أبريل (جمادى الأولى بدل الثانية) إذا ما قبلنا أن ابن بطوطة وصل بغداد عبْر شيراز يوم 21 يونيه 1327 وهو الامر الذي يعني 40 يوماً للسير. تلك ملاحظة إفان هربيك الذي اهتمّ كما هو معلوم بيومية الرحالة المغربي ... راجع التعليق رقم 81.

(108) عمر بن محمد بن عبد الله ابن عَمَوَيْه السُّهْرَ وردي الفقيه الشافعي من كبار الصوفية، كان شيخ الشيوخ ببغداد أوفده الخليفة العباسي إلى عدة جهات رسولاً، أقعد في آخر عمره فكان يحمل إلى الجامع في محفة، وقد أدركه أجله عام 632=1234.

ولبس داوود من الحسن بن أبي الحسن البصري ولبس الحسن بن أبي الحسن البصري من أمير المومنين علي بن أبي طالب.

قال ابن جزي : هكذا أورد الشيخ أبو عبد الله هذا السند، والمعروف فيه أنّ سَرِيًّا السقطي صحب معروفًا الكرخي (109) وصحب معروف داوود الطائي، وكذلك داوود الطائي بينه وبين الحسن حبيب العجمي، وأخو فرج الزنجاني إنما المعروف أنه صحب أبا العباس النّها وندى، وصحب النّها وندى أبا عبد الله بن خفيف، وصحب ابن خفيف أبا محمد رُوَيمًا. وصحب رُوَيْم أبا القاسم الجُنَيد، وأما محمد بن عبد ‖ الله عَمَويه فهو الذي صحب الشيخ أحمد الدينورى الأسود وليس بينهما أحد والله أعلم، والذي صحب أخا فرج الزنجاني هو عبد الله بن محمد بن عبد الله والد أبي النَّجيب. 50/2

رجع، ثم سافرْنا من إصفهان (110) بقصد زيارة الشيخ مجد الدين بشيراز (111) وبينهما مسيرة عشرة أيام فوصلنا إلى بلدة كَلِيل، وضبطها بفتح الكاف وكسر اللام وياء مدّ، وبينها وبين إصفهان مسيرة ثلاث وهي بلدة صغيرة ذات أنهار وبساتين وفواكه، ورأيت التّفاح يباع في سوقها خمسة عشر رطلا عراقية بدرهم، ودرهمهم ثلث النقرة، ونزلنا منها بزاوية عمرها كبير هذه البلدة المعروف بخواجه كافي، وله مالٌ عريض قد أعانه الله على إنفاقه في سبيل الخيرات من الصدقة وعمارة الزوايا واطعام الطعام لابناء السبيل ‖، ثم سرنا من كليل 51/2

(109) معروف بن فيروز الكرخي، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، كان من موالي الامام علي الرضى بن موسى الكاظم، اشتهر بالصلاح، أدركه أجله عام 200=885.

(110) وجد المهتمون بآثار إصفهان ومعالمها الأثرية في عدم نص ابن بطوطة على المئذنة المتحركة (منار جنبان) دليلاً على أنه أيَّ المنار لم يكن موجودًا أيام الرحالة المغربي للمدينة عام 727=1327 سيما وهو لم يهمل الحديث عن المنار المتحرك بالبصرة على ما أسلفنا في التعليق رقم 46.

(111) اسمه الصحيح هو اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل، ولد عام 671=3-1272 وتوفي سنة 755=1355 كان جده ووالدُه كلاهما قاضيًا بشيراز، انظر السبكي : طبقات الشافعية، 6، 83-84 القاهرة
Gibb, T. 2 P. 300 Note 99

هذا ولم نقف على تحديد لبلدة كليل.

(112) يلاحظ أن معظم المخطوطات ترسم يومين، باستثناء مخطوطة باريز رقم 908=2290 التي تكتب عوض يومين : يومئذ، وهي الصواب أما النسخة الملكية التي نعتمدها فقد بترت فيها هذه الصفحات، وقد اقتصر كيب على هذه المخطوطات البارسية في الترجمة هكذا (On The Same Day).

(113) موقع صرماء (Surme) قرية قبل منطقة قُلي كوش (Qoli Kosh) على بُعد يومين جنوب يزد خْواسَت
BROWNE, A Year among the Persians 254 - GIBB T. 2, 298 N°90

(114) هكذا تكتب لكنها تكتب في الخريطة بالسين هكذا، (يَزْدُ خْوَاست) وقد شيّدتْ على صخرة شديدة الانحدار وُصفت من لدن ثيفنو (Thevenot) في القرن الحادي عشر الهجري = السابع عشر الميلادي وهي الآن خراب. – د. موحد : سفر نامه ج 1، ص 216.

يومئذ (112) ووصلنا إلى قرية كبيرة تعرف (113) بصرْماء وبها زاوية فيها الطعام للوارد والصادر عمرها خواجه كافي المذكور ثم سرنا منها إلى يَزْدُ خاص (114)، وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان الزاي وضم الدال المهمل وخاء معجم والف وصاد مهمل، بلدةٌ صغيرة متقنة العمارة حسنة السوق، والمسجد الجامع بها عجيب مبني بالحجارة مسقّف بها، والبلدة على ضفّة خندق، فيه بساتينها ومياهها وبخارجها رباط ينزل به المسافرون عليه باب حديد وهو في النهاية من الحصانة والمنعة، وبداخله حوانيت يباع فيها كلُّ ما يحتاجه المسافرون.

وهذا الرباط عمّره الأمير محمد شاه ينْجو والد السلطان أبي إسحاق ملك شيراز، وفي يزْدُ خاص يصنع الجبن اليزدُ خاصي ‖ ولا نظير له في طيبه ووزن الجبْنة منه من أوقيتين إلى أربع. 52/2

تم سرنا (115) منها على طريق دشْت الروم (116)، وهي صحراء يسكنها الأتراك، ثم سافرنا إلى مايين (117) واسمها بيائين مسفولتين أولاهما مكسورة، وهي بلدة صغيرة كثيرة الأنهار والبساتين حسنة الأسواق، وأكثر أشجارها الجوز.

ثم سافرنا منها إلى مدينة شيراز وهي مدينة أصليّةُ البناء، فسيحة الأرجاء، شهيرة الذكر، منيفة القدر، لها البساتين المونقة، والأنهار المتدفقة، والأسواق البديعة، والشوارع الرفيعة، وهي كثيرة العمارة متقنة المباني، عجيبة الترتيب، وأهل كل صناعة في سوقها لا يخالطهم غيرهم، وأهلها حسان الصور نظاف الملابس، وليس في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن أسواقها وبساتينها وأنهارها ‖ وحسن صور ساكنيها إلآشيراز، وهي في بسيط من الأرض تحفّ بها البساتين من جميع الجهات وتشقّها خمسة أنهار : أحدها النهر المعروف بركن آباد (118) وهو عذْب الماء شديد البرودة في الصيف سخن في الشتاء فينبعث من عينٍ في سفح جبل هنالك يسمى القُلَيْعَة (119)، ومسجدها الأعظم يسمى بالمسجد 53/2

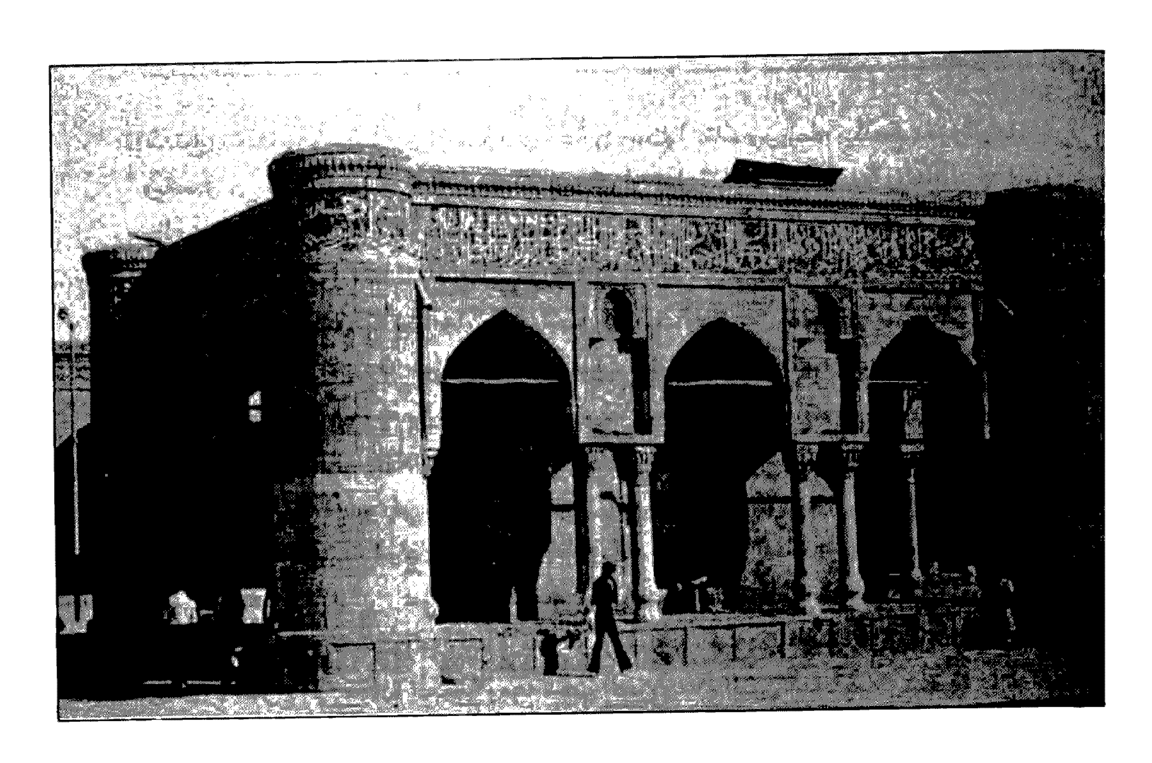
(115) تزن الأوقية (Ocque) 250، 1 غرام.

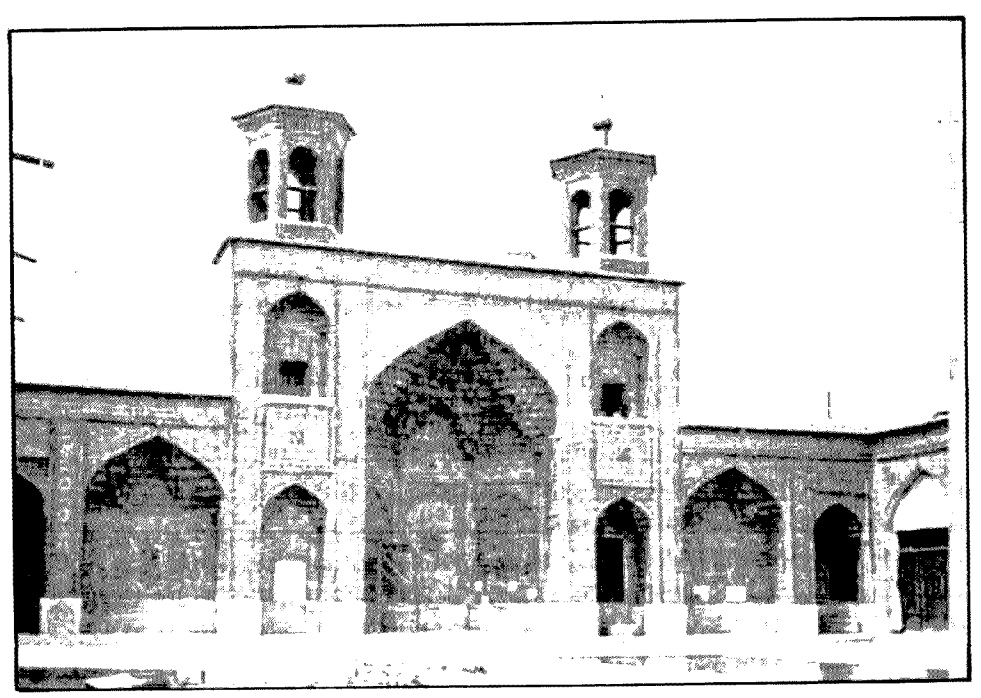
(116) دشت الروم (Dasht Run) أي صحراء الأتراك، والقصد إلى الطوائف القشقائية التي تتكلم التركية. د- التازي : إيران بين الأمس واليوم ص 56.

(117) تقع مايين على بعد ١٤ فرسخا شمال شيراز، وقد ورد تحديدها في كتاب "مسالك وممالك" لأبي إسحاق إبراهيم أصطخرى الذي حققه الاستاذ إيرَج أفشار ص 115 على نحو ما ذكره ابن بطوطة.

(118) ركن آباد نهر مشهور على لسان الشاعر المعروف حافظ، وله اسمان : ركن آباد، أو ركني : إسم على أحد أمراء شيراز الذي هو ركن الدولة حسن بن بُوَيه الديلمي ويستمد ماءَه من عينٍ توجد على بضعة كيلوميترات شمال المدينة. - د. موحد : سفر نامه ج 1، ص 216.

(119) القُلَيْعة : حصن صغير لم يرد ذكره، على ما نعلم، في مصدر آخر.





شیراز

العتيق (120) وهو من أكبر المساجد ساحةً وأحسنِها بناءً، وصحنه متّسع مفروش بالمرمر، ويغسل في أوان الحرّ كل ليلة ويجتمع فيه كبار أهل المدينة كلّ عشية ويصلّون به المغرب والعشاء وبشماله باب يعرف بباب حسن (121) يفضي إلى سوق الفاكهة، وهي من أبدع الأسواق، وأنا أقول بتفضيلها على سوق باب البريد من دمشق ‖ وأهل شيراز أهل صلاح 54/2 ودين وعفاف وخصوصًا نساءها، وهنّ يلبسن الخفاف ويخرجن متلحّفات متبرقعات، فلا يظهر منهن شيء ولهن الصّدقات والإيثار، ومن غريب حالهن أنهن يجتمعن لسماع الواعظ في كلّ يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع الأعظم، فربّما اجتمع منهن الألف والألفان بايديهن المراوح يروّحن بها على أنفسهنّ من شدّة الحرّ، ولم أر اجتماع النساء في مثل عددهنّ في بلدةٍ من البلاد ! وعند (122) دخولي إلى مدينة شيراز لم يكن لي همّ الا قصد الشيخ القاضي الامام قطب الأولياء فريد الدهر ذي الكرمات الظاهرة مجد الدين إسماعيل بن محمد بن خُذاداد (123)، ومعنى خذاداد : عطيّة الله فوصلت إلى مدرسته المَجْديّة المنسوبة اليه، وبها سكناه وهي من عمارته ‖ فدخلتُ إليه رابع أربعة من أصحابي، ووجدت الفقهاء وكبار أهل المدينة في 55/2 انتظاره فخرج إلى صلاة العصر ومعه محبّ الدين وعلاء الدين ابنا أخيه : شقيقه روح الدين (124) أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهما نائباه في القضاء لضعف بصره وكبر سنّه فسلمتُ عليه، وعانقني وأخذ بيدي إلى أنْ وصل إلى مصلاّه فأرسل يدي، وأوما إليّ أن أصلّي

---

(120) أسس هذا المسجد العتيق من لدن ملك سيجستان عمرو بن ليث الصفّار (تـ 289=920) الذي كان يملك أيضا إقليم فارس الذي يقع جنوب إيران شرقي اقليم بوشهر وغربي اقليم هرمز وهو ثاني أمراء الدولة الصفّارية، ولي بعد وفاة مؤسس الدولة أخيه يعقوب بن الليث وأقره المعتمد العباسي على أعمال أخيه كلها ... له ترجمة حافلة...

(121) لم نقف على باب حسن هذا في مصدر آخر من المصادر التي تحدثت عن شيراز... وممّا يذكر هنا أن جامع دمشق يحتوي على باب يحمل نفس الإسم وينفتح على سوق.

(122) من الطريف أن نجد المؤرخ الإيراني حمد الله مستوفي الذي كان قريبًا من عصر ابن بطوطة يعجب هو الآخر بظاهرة تثقيف نساء شيراز ... وبينما يتحدث ابن بطوطة عن مسجد شيراز بانه تحفة يتحدث حمد الله على أنه كان متآكلاً صائراً إلى الخراب.

(123) سلفت ترجمة مجد الدين اسماعيل في التعليق رقم 111.

(124) في سنة 727=1327 كان عُمْر مجد الدّين نحو 50 سنة وكان النائبان الإثنان له أخويه : شرف الدين وروح الدين اللذين توفيا على التتابع عام 732=1332 و 735=1335، وهكذا فإن أبناء هذا الأخير هم الذين خلفوه، الامر الذي يجعل لقاء ابن بطوطة تمَّ عام 747=1347 عند عودته إلى المغرب...، والإشارة إلى السن العالي للقاضي الذي لم يكن له عام 727=1327 إلا خمسا وخمسين سنة، يشهد أيضا لهذا التعقيب والجدير بالذكر أن الأخوين اللذين كانا يساعدان مجد الدّين هما على ما يبدو، سراج الدين مُكران (ت 1332) وروح الدّين إسحاق (ت 1355) وفي تاريخ لاحق وجدنا محبّ الدّين محمد ابن مكران وعلاء الدّين محمد ابن اسحاق هما اللذان يساعدان مجد الدين لما تقدَّم سنَّه.

إلى جانبه، ففعلت وصلّى صلاة العصر، ثم قُرِىء بين يديه من كتاب المصابيح (125)، وشوارق الأنوار للصاغاني (126)، وطالعاه نائباه بما جرى لديهما من القضايا، وتقدّم كبار المدينة للسلام عليه، وكذلك عادتهم معه صباحًا ومساءً ثم سألني عن حالي وكيفية قدومي وسألني عن المغرب ومصر والشام والحجاز فأخبرته بذلك، وأمر خدّامه فأنزلوني بدويرةٍ صغيرة بالمدرسة (127). 56/

وفي غد ذلك اليوم وصل إليه رسول ملك العراق السلطان أبي سعيد وهو ناصر الدين الدُّرقُندي (128) من كبار الأمراء خراساني الأصل فعند وصوله اليه نَزَعَ شاشيته عن رأسه وهم يسمّونها الكُلا، وقبّل رجل القاضي وقعد بين يديه ممسكًا أذن نفسه بيده، وهكذا فعلُ أمراء التتر عند ملوكهم، وكان هذا الأمير قد قدم في نحو خمسمائة فارس من مماليكه وخدامه وأصحابه، ونزل خارج المدينة ودخل إلى القاضي في خمسة نفر ودخل مجلسه وحده منفردًا تأدبًا. 57/

حكاية هي السبب في تعظيم هذا الشيخ وهي من الكرامات الباهرة(129)

كان ملك العراق السلطان محمد خُذَا بَنْده قد صحبه في حال كفره فقيهٌ من الرَّوافض الإمامية يسمى جمال الدين بن مطهر (130)، فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت باسلامه

(125) القصد إلى كتاب (مصابيح السُّنّة) للمحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي نسبة إلى بَغَا من قرى خراسان، من كتبه أيضا شرح السنة ومعالم التنزيل والجمع بين الصحيحين، أدركه أجله عام 510=1117.

(126) مشارق الأنوار، وليس شوارق الأنوار، من الكتب الجليلة التي ألفها رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني المولود في لاهور والمتوفّى ببغداد عام 650=1252، وقد ألف (المشارق) برسم الخليفة المستنصر العباسي.

(127) عندما كان ابن بطوطة يتحدث عن "الأخية الفتيان، الموجودين بجميع البلاد التركمانية الرومية والمرصودين لخدمة الغريب والاحتفاء بالوارد، شبَّههم في أفعالهم بأهل شيراز وإصفهان مؤكدًا أن كرم هؤلاء أعظم وعطفهم أكثر...

(128) لعل القصد إلى عماد الدين ناصر محمد الدّر قندي المتوفى سنة 745=1345 فقد كان أميراً وسيداً كذلك... ويلاحظ مرة أخرى أنّ ابن بطوطة سجل هنا حدثًا دوليًا دبلوماسيًا لم نجد صداه في المصادر التي تحدثت عن علاقات العراق بهذه الأقاليم... وعن ابن بطوطة نقل زميلنا الراحل عباس العَزَّاوي في كتابه : (تاريخ العراق بين احتلالين)، بغداد 1936 ج II، 51 وهناك أمير آخر درقندي : علي بن طالب كان حاكمًا للكوفة عام 733-1333، ص 35 المصدر السابق - كيب ج II ص 301 تعليق 102.

(129) توجد لهذه الإفادات مراجع تؤكد ما وقع لمولانا مجْد الدين إسماعيل مما يتعلق بنجاته من الكلاب الضّارية، وخاصة كتاب شد الإزار في حط الأوزار لمحيي الدين أبي القاسم جُنَيد شيرازي في شرحه لحياة مولانا مجد الدين إسماعيل. وفي الرواة من يبدل الكلاب بالأسود...

(130) يعتبر جمال الدين الحسين أو الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلِّي من العلماء المتبحرين في علوم المعقول والمنقول، وهو أحد تلامذة خواجة نصير الدين، من كتبه (نهج الحق) و (كشف الغُمّة) و(منهاج الكرامة)... وكان يمتاز في بحوثه ومناقشاته بعدم التعصب، كانت وفاته في شهر المحرم سنة 726=1325-26 ابن حجر : الدرر ج 2، صفحة 135 والصفحة 158-159.

التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزيّن له مذهب الروافض (131) وفضله على غيره، وشرح له حال الصحابة والخلافة، وقرر لديه أنّ أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله وان عليًا ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ومثّل له ذلك بما هو مألوف عنده من أن الملك الذي بيده إنما

58/2 هو إرث عن أجداده وأقاربه مع حِدْثان عهد السلطان بالكفر، وعدم معرفته بقواعد الدّين، فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وأذربيجان وإصفهان وكرمان وخراسان، وبعث الرسل إلى البلاد، فكان أول بلاد وصل إليها ذلك بغداد وشيراز وإصفهان، فأما أهل بغداد فامتنع أهل باب الأزج (132) منهم وهم أهل السنّة واكثرهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل وقالوا : لا سمْعَ ولا طاعة ! وأتو المسجد الجامع يوم الجمعة في السلاح وبه رسول السلطان فلما صعد الخطيب المنبر قاموا إليه، وهم نحو اثني عشر ألفًا في سلاحهم وهم حُماة بغداد والمشار اليهم فيها، فحلفوا له : إنه إنْ غيَّر

59/2 الخطبة المعتادة أو زاد فيها أو نقص منها فانهم قاتلوه وقاتلوا رسول الملك ومستسلمون بعد ذلك لما شاءه الله !

وكان السلطان أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء وساير الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا اسم علي ومن تبعه كعمّار رضي الله عنهم فخاف الخطيب من القتل، وخطب الخطبة المعتادة، وفعل أهل شيراز وإصفهان كفعل أهل بغداد، فرجعت الرسل إلى الملك فاخبروه بما جرى في ذلك، فأمر أن يوتي بقضاة المدن الثلاث فكان أول من أوتي به منهم القاضي مجد الدين قاضي شيراز والسلطان إذ ذاك في موضع يعرف بقراباغ (133)، وهو موضع مصيفه، فلّما وصل القاضي أمران يُرمى به إلى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في اعناقها السلاسل

60/2 معدّة لأكل بني آدم، فإذا أوتي بمن يسلّط عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة ! مطلقًا غير مقيّد ثم بعثت تلك الكلاب عليه فيفرَ أمامها ولا مفرّ له فتدركه فتمزّقه وتأكل لحمه ! فلما أرسلت

(131) من أهم المقاطع التاريخية عند ابن بطوطة حول الصّراع على المذهب الرسمي للدولة : هل التشيُّع أو التسنّن؟ وقد عشتُ الجمعة تاسع رمضان 1399 = 3 غشت 1979 في إيران يوم انتخاب مجلس الخبراء الذي يفصل في الدستور الإيراني الذي ينص على هُوية المذهب الرسمي للدولة الجديدة ...
– د. التازي : إيران بين الأمس واليوم، ص 64 وما بعدها ...

(132) باب الأزج من محالّ بغداد الجنوبية. هذا و لا بدّ أن تلفت نظرنا هذه الحركة الدبلوماسيّة التي جرت عام 710=1310 بما تتضمنه من سفارات ورسائل الأمر الذي تميَّزت به رحلة ابن بطوطة.
– ابن الكازروني : مختصر التاريخ، تحقيق د. مصطفى جواد، فهرست سالم الالوسي، بغداد 1970، ص 226
Gibl. The Travels T. 2, P. 302 Note 108

(133) يقع قره باغ على قمم الجبال شمال وادي اراس (ARAS) ومن خلال هذا نعرف عن تمسك المغول الايلْخان بعادتهم في التنقل وقصدهم لأعالي الجبال عند الصيف – عمّار الذي ورد ذكره هنا أدركه أجله في معركة صفين عام 37 = 657
P.CLAVIJO, EMBASSY TO TAMERLANE London 1928

الكلاب على قاضي مجد الدين ووصلت اليه بصبْبَصَت إليه وحركت أذنابها بين يديه ولم تهجم عليه بشيء فبلغ ذلك السلطان، فخرج من داره حافي القدمين، فأكبّ على رجلَيْ القاضي يقبّلهما، وأخذ بيده وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب، وهي أعظم كرامات السلطان عندهم. وإذا خلع ثيابه كذلك على أحدٍ كانت شرفا له ولبنيه وأعقابه يتوارثونه ما دامت تلك الثياب أو شيء منها وأعظمها في ذلك السراويل (134)، ولما خلع السلطان ثيابه على القاضي مجد الدين أخذ بيده ‖ وأدخله إلى داره وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب الرفض، وكتب إلى بلاده أن يقرّ الناس على مذهب أهل السنة والجماعة (135) واجزل العطاء للقاضي وصرفه إلى بلاده مكرمًا معظمًا، وأعطاه في جملة عطاياه مائة قرية من قرى جَمْكَان (136)، وهو خندق بين جبلين طوله أربعة وعشرون فرسخا يشقّه نهر عظيم والقرى منتظمة بجانبيه، وهو أحسن موضع بشيراز، ومن قراه العظيمة التي تضاهي المدن قرية مَيْمَن وهي للقاضي المذكور. 61/2

ومن عجائب هذا الموضع المعروف بجَمْكان أن نصفه ممّا يلي شيراز، وذلك مسافة اثنى عشر فرسخا شديد البرد وينزل فيه الثلج وأكثر شجره الجوز، والنصف الآخر ممّا يلي بلاد هُنْج وبال وبلاد اللاّر في طريق هرمز، شديد الحرّ وفيه شجر النخيل. 62/2

---

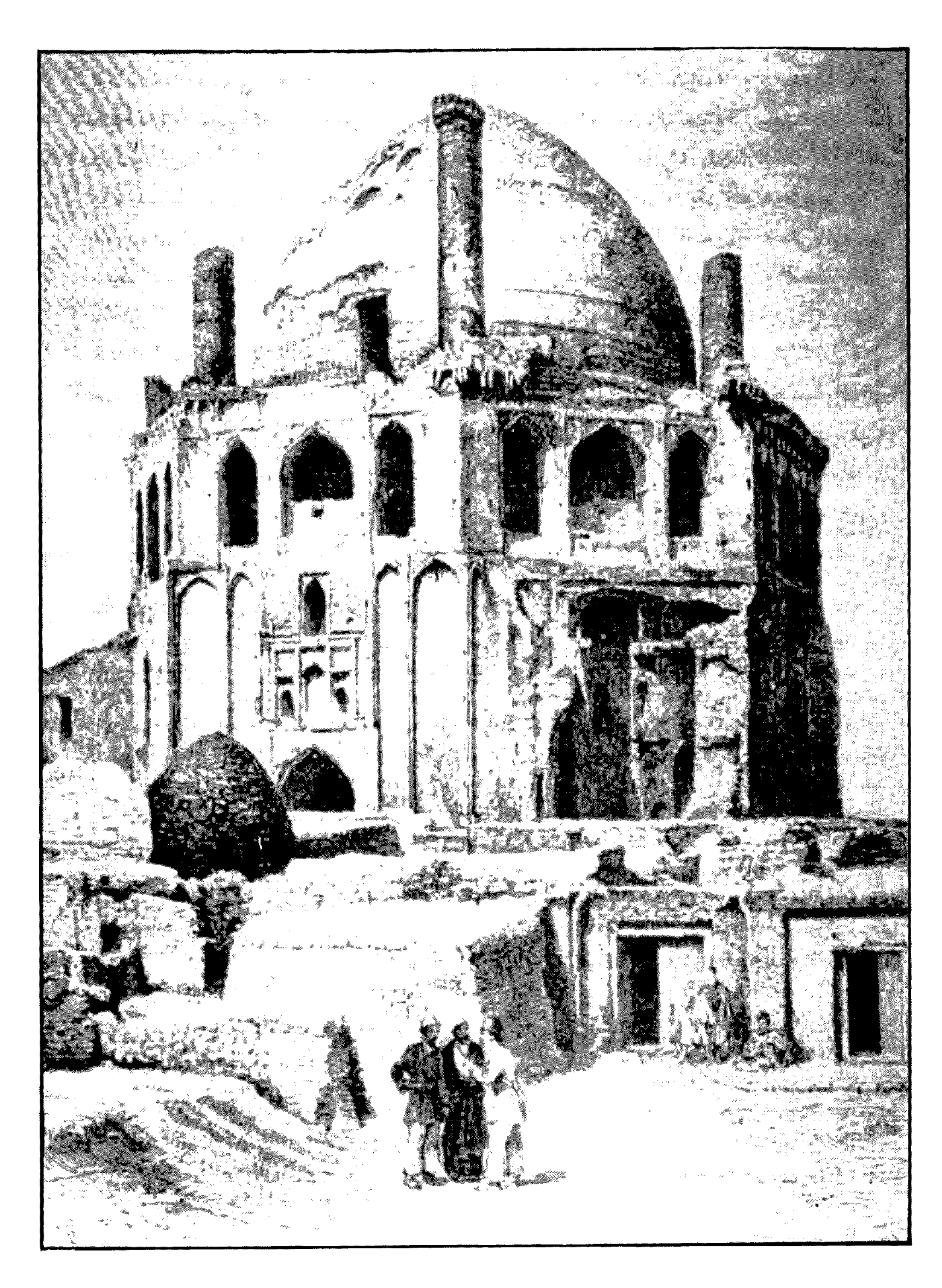
(134) عادة خلع السَّراويل من أعظم الدلالات على التقدير والمحبة ! والجدير بالذّكر أن هذه العادة كانت معروفةً في تاريخ علاقات ملوك المغرب بأمراء شنقيط، وهكذا ففي الوقت الذي كنا نقرأ فيه عن تبادل الهدايا بين هؤلاء وأولئك، قرأنا في أحد الهوامش على كتاب (التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة) أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله أهدى السّروال الأبيض إلى المختار بن أعمر لما وفد عليه في تيشّيت... – يراجع محمد فال بن بابه العلوي : التكملة، ص 44 تحقيق الزميل الأستاذ أحمد ولد الحسن = بيت الحكمة – تونس 1986.

(135) يلاحظ أن السلطان أولجايتو لم يقلع عن مذهبه الشيعي ولكنه أظهر نوعًا من التسامح مع أهل السنة... ولم يمكن للمذهب السنّي أن يصبح رسميًا إلاّ عند تنصيب ولده السلطان أبي سعيد عام 716=1316.

SUPLER : DIE Mongolen in IRAN

د. التازي : ايران بين الأمس واليوم ص 64 و ما بعدها.

(136) يضع مستوفي جمكان علي بعد خمسه فراسخ جنوب كَوَر (CAVAR) وعلى ستة فراسخ شمال ميمند على مقربة من زنْجيران الحالية.
ويظهر أن ابن بطوطة اختلط عليه اسم جمكان باسم شيمكان (Sim-kan) التي على منتصف الطريق بين ميمن وكارزي– ابن بطوطة عند عودته عام 747=1347 وضع جمكان بين هذين المكانين. على ما سنرى في السفر الثاني (IV، 311) – ميمند التي تقع شرق فيروز أباد هي ميمن ابن بطوطة، ونذكر أن لتقسيم ابن بطوطة الاقليم إلى منطقتين أصلاً في تاريخ البلاد.... وحسب المعلومات التي يقدمها "دليل شيراز" فإن دائرة ميمند كانت اسست من لدن خاتون كوقف على مسجد به قبر يدعى شاه شيراغ...



ضريح السلطان محمد خُذابنده عن مجلة الموسم 1993

وقد تكرّر لي لقاء القاضي مجد الدين ثانية حين خروجي من الهند، قصدته من هرمز متبركًا بلقائه، وذلك سنة ثمان وأربعين، وبين (137) هرمز وشيراز مسيرة خمسة وثلاثين يوما، فدخلت عليه وهو قد ضعف عن الحركة فسلّمت عليه فعرفني، وقام إليّ فعانقني ووقعتْ يدي على مرفقه، وجلده لاصقٌ بالعظم لا لحم بينهما، وأنزلني بالمدرسة حيث أنزلني أول مرة وزرته يومًا فوجدت ملك شيراز السلطان أبا اسحاق، وسيقع ذكره، قاعدًا بين يديه ممسكا بأُذُن نفسه، وذلك هو غاية الادب عندهم، ويفعله الناس إذا قعدوا بين يدي الملك، وأتيتُه 63/2 مرة أخرى إلى المدرسة فوجدت بابها مسدودًا، فسألت عن سبب ذلك فأخبرت أن أمّ السلطان واخته نشأت بينهما خصومة في ميراث فصرفهما إلى القاضي مجْد الدين فوصلتا اليه إلى المدرسة وتحاكمتا عنده، وفصل بينهما بواجب الشرع.

وأهل شيراز لا يدعونه بالقاضي، وانما يقولون له مولانا أعظم وكذلك يكتبون في التسجيلات والعقود التي تفتقر إلى ذكر اسمه فيها، وكان آخر عهدي به في شهر ربيع الثاني من عام ثمانية وأربعين ولاحت عليَّ أنواره وظهرت لي بركاته نفع الله به وبامثاله.

ذكر سلطان شيراز

وسلطان شيراز في عهد قدومي عليها 64/2 الملك الفاضل أبو اسحاق بن محمد شاه ينجو (138) سمّاه أبوه باسم الشيخ أبي اسحاق الكازروني (139)، نفع الله به، وهو من خيار السلاطين، حسن الصورة والسيرة والهيئة، كريم النفس، جميل الأخلاق ومتواضع، صاحب قوّة، وملك كبير، وعسكره ينيف على خمسين ألفًا من الترك والأعاجم وبطانته الأدْنون إليه أهل إصفهان، وهو لا يأتمن أهل شيراز على نفسه ولا يستخدمهم ولا يقرّبهم ولا يبيح لأحد منهم حمل السلاح لأنهم أهل نجدة وبأس شديد وجرءة على الملوك ومن وجد بيده السلاح منهم عوقب.

---

(137) هذا العام الهجري 748 يبتدئ في 13 أبريل 1347. اللقاء يؤرخ بشهر يوليه (ربيع الثاني 748) كما سيدققه ابن بطوطة.

(138) لقب ينجو (إينجو) يعني بالمغولية مدير الأملاك، هذا وتتضافر الدلائل على أن المعلومات المقدمة هنا كانت مما يتعلق بزيارة ابن بطوطة الخامسة إلى إيران عام 1347، ذاك أن أبا إسحاق محمود محمد شاه انما أصبح واليًا على شيراز ابتداءً عام 743=1343.

Gibb, Travel T. 2 P. 306 Note 118.

(139) هو إبراهيم الكازروني المتوفى سنة 426=1035 مؤسس طريقة تدعوا للإسلام، قام بدور نشيط في الأناضول إلى جنوب الهند، وفي الصين كذلك، قبره يوجد إلى الآن في كازرون، - تراجع مقدمة كتاب مختصر التاريخ لظهير الدين ابن الكازروني - بغداد، 1970.

ولقد شاهدت مرّةً رجلاً تجرّه الجنادرة وهم الشُرَط إلى الحاكم وقد ربطوه في عنقه، فسألت عن شأنه فأُخبرت أنه وجدت في 65/2 يده قوسٌ بالليل فذهب السلطان المذكور إلى قهر أهل شيراز وتفضيل الأصفهانيّين عليهم لأنه يخافهم على نفسه وكان أبوه محمد شاه ينْجوا واليًا على شيراز من قبل ملك العراق، وكان حسن السيرة محبّبا إلى أهلها فلما توفّى ولّى السلطان أبو سعيد مكانه الشيخ حُسينا، وهو ابن الجوبان أمير الأمراء، وسياتي ذكره، وبعث معه العساكر الكثيرة فوصل إلى شيراز وملَكها وضبط مجابيها، وهي من أعظم بلاد الله مجبى.

ذكر لي الحاج قوام الدين الطَّمْغَجي (140)، وهو والي المجْبى بها، أنه ضمنها بعشرة آلاف دينار دراهم في كلِّ يوم، وصرفها من ذهب المغرب الفا وخمسمائة دينار ذهبًا، واقام بها الأمير حسين مدّة، ثم أراد 66/2 القدوم على ملك العراق فقبض على أبي اسحاق بن محمد شاه ينجوا وعلى أخويه ركن الدين ومسعود بك وعلى والدته طاش خاتون (141)، وأراد حملهم إلى العراق ليطْلَبُوا بأموال أبيهم، فلما توسّطوا السوق بشيراز كشفت طاش خاتون وجهها وكانت متبرقعةً حياءً أنْ ترى في تلك الحال فإنّ عادة نساء الأتراك ألاّ يغطين وجوههن، واستغاثت باهل شيراز وقالت : أهكذا يا أهل شيراز أُخْرَج من بينكم وأنا فلانة زوجة فلان ؟ فقام رجل من النَّجارين يسمى بهلوان محمود قد رأيته بالسوق حين قدومي على شيراز فقال : لا نتركها تخرج من بلدنا ولا نرضى بذلك فتابعه الناس على قوله وثارت عامّتهم ودخلوا في السلاح، وقتلوا 67/2 كثيراً من العسكر وأخذوا الأموال وخلَّصوا المرأة وأولادها، وفرّ الأمير حسين ومن معه وقدم على السلطان أبي سعيد مهزومًا فأعطاه العساكر الكثيفة وأمره بالعود إلى شيراز والتحكّم في أهلها بما شاء.

فلما بلغ أهلها ذلك علموا أنهم لا طاقة لهم به فقصدوا القاضي مجد الدين، وطلبوا منه أن يحقن دماء الفريقين، ويقع الصلح، فخرج إلى الأمير حسين فترجّل له الامير عن فرسه وسلم عليه ووقع الصلح ونزل الامير حسين ذلك اليوم خارج المدينة.

---

(140) أسهم الحاج قوام الدّين كثيرًا في أن يتبوأ أبو إسحاق، الحكم، كان كاتبَ سرٍّ ووزير للسلطان... ولقب الطمْغجي لقب سياسي يعني صاحب الطابع (الطَّمغة) وقد أدركه أجله عام 753=1353، وكان الشاعر حافظ هو الذي كتب شاهد قبره – يقدر مستوفى كدخل لشيراز 450،000 دينار كما كان دخل بغداد 800،000– والقصد بالحسين إلى ابن الحسن بن الجوبان.

(141) اشتهرت هذه السيدة باهدائها نسخةً رفيعة من المصحف إلى شيراز. هذا وإن الحجاب بالنسبة للسيدة المسلمة لم يكن في وقت من الأوقات شاملاً ومن المعلوم أنه شرع لعلة ذُكرها القرآن الكريم، وللمالكية رأي يعبر عنه ابن أبي زيد القيرواني : "ولا يلبس النّساء من رقيق الثياب ما يصفهن اذا خرجن" د. التازي المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، نشر الفنك الدار البيضاء، 1992.

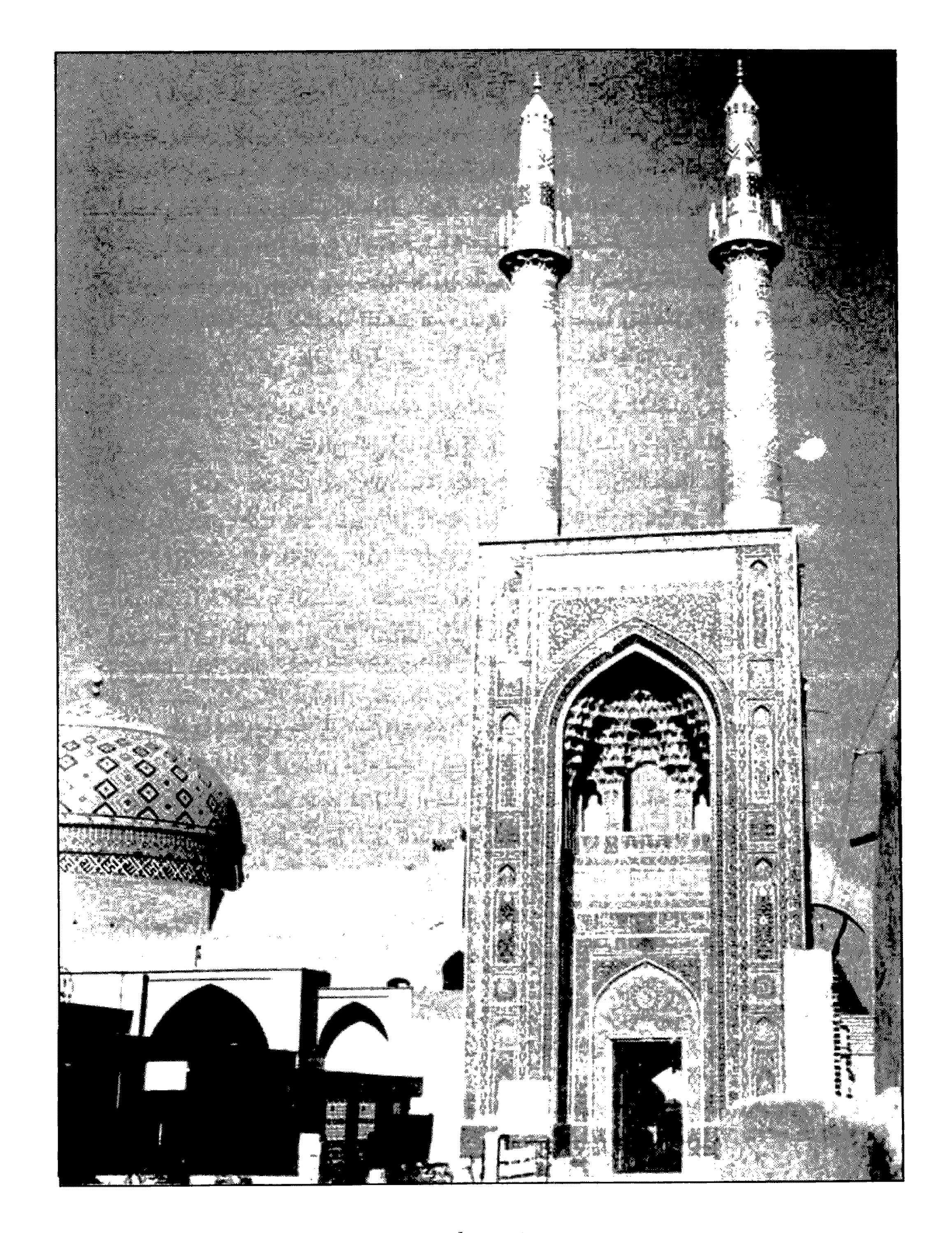
فلما كان من الغد برز أهلها للقائه في أجمل ترتيب وزيّنوا البلد، وأوقدوا الشمع الكثير ودخل الأمير حسين في أبَّهة وحفل عظيم، وسار فيهم بأحسن سيرة، فلما مات 68/2 السلطان أبو سعيد وانقرض عقبه وتغلَّب كل أمير ‖ على ما بيده خافهم الامير حسين على نفسه وخرج عنهم، وتغلَّب السلطان أبو اسحاق عليها، وعلى إصفهان وبلاد فارس وذلك مسيرة شهر ونصف شهر، واشتدّت شوكته وطمحت همّته إلى تملك ما يليه من البلاد فبدأ بالأقرب منها وهي مدينة يزد، مدينة حسنة نظيفة عجيبة الأسواق ذات أنهار مطّردة وأشجار نضيرة، وأهلها تجار شافعيّة المذهب فحاصرها وتغلب عليها وتحصن الأمير مظفَّر شاه ابن الامير محمد شاه بن مظفر بقلعةٍ على ستة أميال منها منيعة تحدق بها الرمال فحاصره بها.

فظهر (142) من الأمير مظفَّر من الشجاعة ما خرق المعتاد ولم يسمع بمثله فكان 69/2 يضرب على عسكر السلطان أبي إسحاق ‖ ليلاً ويقتل ما شاء ويخرق المضارب والفساطيط ويعود إلى قلْعته فلا يقدر على النيل منه، وضرب ليلة على دوَّار السلطان، وقتل هنالك جماعة، وأخذ من عتاق خيله عشرة وعاد إلى قلعته، فأمر السلطان أن تركب في كل ليلة خمسة آلاف فارس ويصنعون له الكمائن، ففعلوا ذلك وخرج على عادته في مائة من أصحابه فضرب على العسكر واحاطت به الكمائن وتلاحقت العساكر فقاتلهم وخلص إلى قلعته ولم يصب من أصحابه إلا واحد أوتي به إلى السلطان أبي إسحاق فخلع عليه وأطلقه وبعث معه امانًا لمظفر لينزل اليه فأبى ذلك.

ثم وقعت بينهما المراسلة ووقعت له محبّة في قلب السلطان أبي إسحاق لما رأى من 70/2 شجاعته، فقال ‖ أريد أن أراه فإذا رأيته انصرفت عنه فوقف السلطان في خارج القلعة ووقف هو ببابها وسلّم عليه، فقال له السلطان إنزل على الأمان، فقال له مظفر : إني عاهدت الله ألا أنزل إليك حتى تدخل انت قلعتي، وحينئذ أنزل اليك فقال له : أفعل ذلك، فدخل اليه السلطان في عشرة من أصحابه الخوّاص، فلما وصل باب القلعة ترجَّل مظفر وقبَّل ركابه، ومشى بين يديه مترجّلا، فأدخله داره وأكل من طعامه ونزل معه إلى المحلّة راكبًا فاجلسه السلطان إلى جانبه وخلع عليه ثيابه وأعطاه مالاً عظيمًا ووقع الاتّفاق بينهما أن تكون الخطبة باسم السلطان أبي إسحاق (143)، وتكون البلاد لمظفر وأبيه وعاد السلطان إلى بلاده

(142) مبارز الدين محمد 714-758=1314-1358 ابن مظفر مؤسس الدولة المظفرية، استولى على يزد سنة 718=1318 وعلى كرمان عام 740=1340. أبو إسحاق أغارفي ثلاث مرات عام 747=1347 و 750=1350 و 752=1352 ضد كرمان ويزد ولكنه غلب. وقد رأينا كذلك مبرز الدين محمد يهاجم شيراز عام 754=1353 ويستولي على المدينة وبعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ وجدنا أبا إسحاق يستسلم في إصبهان ويلقى حتفه وهكذا انتهت دولة ينجوا ...

(143) ذكر اسم السلطان على منبر يعني الاعتراف بالسيادة له كما هو معروف...



جامع مدينة يزد

71/2 وكان السلطان أبو إسحاق طَمَحَ ذات مرّة إلى بناء ايوان كإيوان كسرى (144)، وأمر اهل شيراز أنْ يتولّوا حفر أساسه فأخذوا في ذلك وكان أهل كلّ صناعة يباهون كلّ من عداهم فانتهوا في المباهاة إلى أن صنعوا القفاف لنقل التراب من الجلد، وكسوها ثياب الحرير المزركش وفعلوا نحو ذلك في برادع الدوّاب وأخراجها وصنع بعضهم الفؤوس من الفضّة، وأوقدوا الشمع الكثير وكانوا حين الحفر يلبسون أجمل ثيابهم ويربطون فوط الحرير على أوساطهم، والسلطان يشاهد أفعالهم في منظرةٍ له، وقد شاهدتُ هذا المبنى وقد ارتفع عن الأرض نحو ثلاثة أذرع، ولمّا بُني أساسه رُفع عن أهل المدينة التخديم فيه وصارت الفعلة

72/2 تخدم فيه بالأجرة، ويحشر لذلك آلاف منهم وسمعت والي المدينة يقول : إن معظم مجباها ينفق في ذلك البناء، وقد كان الموكّل به الأمير جلال الدين بن الفلكي التُّوريزي، وهو من الكبار، كان أبوه نائبًا عن وزير السلطان أبي سعيد المسمّى علي شاه جيلان (145)، ولهذا الأمير جلال الدين الفلكي أخٌ فاضل اسمه هبة الله ويلقّب بهاء الملك، وفد على ملك الهند حين وفودي عليه، ووفد معنا شرف الملك أمير بخْتَ فخلع ملك الهند علينا جميعا، وقدّم كل واحد في شغل يليق به، وعيّن لنا المرتّب والاحسان، وسنذكر ذلك، وهذا السلطان أبو اسحاق يريد التشبّه بملك الهند المذكور في الإيثار واجزال العطايا، ولكن اين الثريّا من الثرى ! واعظم ما

73/2 تعرّفناه من عطيّات أبي اسحاق أنه اعطى الشيخ زادة الخراساني الذي أتاه رسولا عن ملك هرات سبعين الف دينار وأمّا ملك الهند فلم يزل يعطي أضعاف ذلك لمن لا يحصى كثرة من أهل خراسان وغيرهم.

حكاية [ملك الهند وكرمه]

ومن عجيب فعل ملك الهند مع الخراسانيّين أنّه قدم عليه رجل من فقهاء خراسان هروى الدار من سكّان خوارزم يسمّى بالأمير عبد الله بعثته الخاتون تُرابك زوج الامير قُطْلُو دُمُور صاحب خوارزم بهدية إلى ملك الهند (146) المذكور فقبلها وكافى عنها بأضعافها وبعث

(144) إيوان كسرى إسم يطلق اليوم على أطلال سلمان باك التي توجد على مقربة من بغداد وقد كان هناك القصر العظيم الذي بناه الساسانيون في سُطِسيفون CTESIPHON وهذه معلومات في منتهى الطرافة والأهمية يقدمها لنا الرحالة المغربي عن ذلك المشروع العملاق الذي لو تمَّ إنجازه لأصبح في عداد عجائب الدنيا ...

(145) التُّوريزي : نسبة إلى توريز، وهو التعبير الشعبي الذي يطلق على مدينة تبريز التي سيؤدى ابن بطوطة وصفًا ممتعًا لها ولأسواقها التي استمتعتُ بزيارتها عام 1996 - الهروي : كتاب الزيارات، ص 79/75 هذا وينبغي أن نقف هنا مع تعبير "الشيخ زادة" الذي يعني "ولد الشيخ".

(146) سيأتي الحديث عن قطلو دمور وزوجته تُرابك في آخر هذا السفر الأول.

ذلك إليها واختار رسولُها المذكور الإقامة عنده فصيّره في ندمائه، فلما كان ذات يوم قال له ادخل إلى الخزانة فارفع منها قدر ما تستطيع أن تحمله من الذهب فذهب إلى داره فأتى بثلاث عشرة خريطة، وجعل في كل خريطة قدر ما وسعته وربط كل خريطة بعضو من اعضائه، وكان صاحب قوة وقام بها فلما خرج عن الخزانة وقع ولم يستطع النهوض ! فأمر السلطان بوزن ما خرج به فكان جملته ثلاثة عشر منّا بمنّ دهلي (147) والمنّ الواحد منها خمسة وعشرون رطلا مصرية، فأمره أن ياخذ جميع ذلك فأخذه وذهب به !!.

74/2

حكاية تناسبها

اشتكى مرة أمير بخت الملقّب بشرف الملك الخراساني وهو الذي تقدم ذكره آنفا بحضرة ملك الهند فأتاه الملك عائدًا ولما دخل عليه أراد القيام فحلف له الملك أن لا ينزل عن كتّه والكتُّ هو السرير، ووُضع للسلطان متّكَأةٌ يسمّونها المورة فقعد عليها ثم عاد بالذهب والميزان فجيئ بذلك وأمر المريض أن يقعد في احدى كفّتي الميزان فقال يا خَوَنْد عالَم، لو علمت أنك تفعل هذا للبست عليّ ثياباً كثيرة، فقال له البس الآن جميع ما عندك من الثياب، فلبس ثيابه المعدّة للبرد المحشوّة بالقطن، وقعد في كفّة الميزان ووضع الذهب في الكفّة الاخرى حتى رجحه الذهب، وقال له خذ هذا فتصدّق به عن رأسك، وخرج عنه !

75/2

حكاية تناسبهما

وفد عليه الفقيه عبد العزيز الأرْدَوِيلي، وكان قد قرأ علم الحديث بدمشق وتفقّه فيه فجعل مرتّبه ماية دينار دراهم في اليوم، وصرف ذلك خمسة وعشرون دينار ذهبا، وحضر مجلسه يومًا فسأله السلطان عن حديث فسرد له أحاديث كثيرةً في ذلك المعنى فأعجبه حفظه وحلف له براسه إنه لا يزول من مجلسه حتّى يفعل معه ما يراه، ثم نزل الملك عن مجلسه فقبّل قدميه وأمر باحضار صينيّة ذهب وهي مثل الطيفور الصغير وأمر أن يلقى فيها الف دينار من الذهب واخذها السلطان بيده فصبّها عليه وقال هي لك مع الصينيّة.

76/2

ووفد عليه مرة رجلٌ خراساني يعرف بابن الشيخ عبد الرحمن الاسفرايني (148) وكان

(147) الرطل المصري يتراوح بين 450 و 500 گرام وحيث إن المن الهندي يقدر ب 15,284 كيلو گرام فإن ابن بطوطة يعني التقدير الأخير أي أن المنّ يعادل 25 رطلاً فيكون مجموع المحمول : 162 كيلو تقريبًا وليس على تقدير أن المنّ يعادل 15,284 والا فيكون المحمول حوالي الفي كيلو وهذا غير ممكن !

(148) هذا الشيخ هو الذي كان السبب في اعتناق أول عاهل إيلخاني للإسلام (تَكُودار الذي سمى نفسه أحمد) 680=1282، وقد كتب السلطان أحمد بذلك لسائر الأقطار، وبعث بالشيخ الاسفرايني إلى مصر ليحيطهم علما بذلك، بيد أنه لما وصل إلى دمشق أُلقي عليه القبض إلى أن توفي عام 684=1285 - ابن العماد : شذرات الذهب، القاهرة ج 5 ص 381. Gibb-Travel 2, P. 333 N°34.

أبوه نزل بغداد فاعطاه خمسين الف دينار دراهم وخيلاً وعبيداً وخلعًا.

وسنذكر كثيرًا من أخبار هذا الملك عند ذكر بلاد الهند، وانما ذكرنا هذا لما قدّمناه من

77/2 أن السلطان أبا اسحاق يريد التشبّه به في العطايا، وهو وان كان كريمًا فاضلاً فلا يلحق بطبقة ملك الهند في الكرم والسخاء.

ذكر بعض المشاهد بشيراز

فمنها مشهد أحمد بن موسى أخي الرضا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب رضي الله (149) عنهم، وهو مشهد معظم عند أهل شيراز يتبركون به ويتوسلون إلى الله بفضله.

وبنت عليه طاش خاتون أم السلطان أبى اسحاق مدرسةً كبيرة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر والقراء يقرءون القرآن على التربة دائما.

78/2 ومن عادة الخاتون أنها تاتي إلى هذا المشهد في كل ليلة اثنين ويجتمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء والشرفاء وشيراز من أكثر بلاد الله شُرفاء سمعت من الثقات أن الذين لهم بها المرتّبات من الشرفاء ألف واربعمائة ونيف بين صغير وكبير، ونقيبهم عضد الدين الحسيني فإذا حضر القوم بالمشهد المبارك المذكور ختموا القرآن قراءةً في المصاحف، وقرأ القُراء بالأصوات الحسنة وأوتي بالطعام والفواكه والحلواء فإذا أكل القوم وعظ الواعظ ويكون ذلك كلّه من بعد صلاة الظهر إلى العشى، والخاتون في غرفة مطلّة على المسجد لها شباك، ثم تضرب الطبول والأنفار والبوقات على باب التربة كما يفعل عند أبواب الملوك.

79/2 ومن المشاهد بها مشهد الامام القطب الولي أبي عبد الله ابن خفيف المعروف عندهم بالشيخ (150) وهو قدوة بلاد فارس كلها ومشهده معظم عندهم ياتون اليه بكرةً وعشيًا فيتمسّحون به، وقد رأيت القاضي مجد الدين أتاه زائرًا واستلمه، وتأتى الخاتون إلى هذا المسجد في كل ليلة جمعة، وعليه زاوية ومدرسة ويجتمع به القضاة والفقهاء ويفعلون به

---

(149) أحمد بن موسى هو أخ للامام الثامن من الائمة الاثنى عشر، المدفون في مدينة مشهد وقد شيد قبر احمد هذا ومسجده عام 744=1343 وأعيد بناؤه عام 912=1506 ثم في سنة 1259=1843، وهو معروف تحت إسم شاه جراغ (Shah Tcheragh) بيد أن المدرسة والزاوية المتحدث عنهما ذهب أثرهما ... - د. التازي : إيران بين الأمس واليوم... مصدر سابق.

(150) ولد هذا الشيخ ابن خفيف عام 268=882، وهو ابن لضابطٍ عسكري كان تحت قيادة عمرو بن ليث الامير الصفّار وهو الذي أسس الطريقة الصوفية السنية بشيراز وقد توفي سنة 372=982...

كفعلهم في مشهد أحمد بن موسى، وقد حضرت الموضعين جميعًا، وتربة الامير محمد شاه ينجوا والد السلطان أبي اسحاق متّصلة بهذه التربة والشيخ أبو عبد الله بن خفيف كبير القدر في الأولياء شهير الذكر، وهو الذي أظهر طريق جبل سَرَنْديب بجزيرة سيلان من أرض الهند (151). ‖ 80/2

كرامة لهذا الشيخ

يحكى أنه قصد مرةً جبل سَرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء فأصابتهم مجاعة في طريق الجبل حيث لا عمارة وتاهوا عن الطريق وطلبوا من الشيخ أن ياذن لهم في القبض على بعض الفيلة الصغار، وهي في ذلك المحلّ كثيرةٌ جدًا، ومنه تحمل إلى حضرة ملك الهند فنهاهم الشيخ عن ذلك فغلب عليهم الجوع فتعدّوا قول الشيخ وقبضوا على فيل صغير منها وذكّوه وأكلوا لحمه (152)، وامتنع الشيخ من أكله فلما ناموا تلك الليلة اجتمعت الفيلة من كل ناحية وأتت اليهم فكانت تشمّ الرجل منهم وتقتله حتى أتت على جميعهم وشمّت الشيخ ولم تتعرّض له، وأخذه فيلٌ منها ولفّ عليه خرطومه ورمى به ‖ على ظهره وأتى به الموضع الذي فيه العمارة فلما رءاه اهل تلك الناحية عجبوا منه واستقبلوه ليتعرّفوا أمره، فلما قرب منهم أمسكه الفيل بخرطومه ووضعه عن ظهره إلى الأرض بحيث يرونه فجاءوا اليه وتمسّحوا به وذهبوا به إلى ملكهم فعرّفوه خبره وهم كفّار، وأقام عندهم أيّاما. 81/2

وذلك الموضع على خوريسمّى خور الخيزران (153)، والخُور هو النّهر، وبذلك الموضع مغاص الجوهر، ويذكر أن الشيخ غاص في بعض تلك الأيام بمحضر ملِكهم وخرج وقد ضمّ يديه معًا، وقال للملك : اختر ما في احداهما فاختار ما في اليمنى فرمى إليه بما فيها، وكانت ثلاثة أحجار من ‖ الياقوت لا مثل لها وهي عند ملوكهم في التاج يتوارثونها. 82/2

وقد دخلتُ جزيرة سيلان هذه، وهم مقيمون على الكفر إلا أنّهم يعظمون فقراء المسلمين ويؤوونهم إلى دورهم ويطعمونهم الطعام ويكونون في بيوتهم بين أهليهم واولادهم خلافًا لساير كفار الهند فانهم لا يقربون المسلمين ولا يطعمونهم في آنيتهم ولا يسقونهم فيها، مع أنهم لا يؤذونهم ولا يهجونهم، ولقد كنّا نضطرّ إلى أن يطبخ لنا بعضهم اللحم فياتون به

---

(151) لم نجد لهذه للأسطورة التالية مسندًا في جهة أخرى وربما كانت من حكايات البحارة الفرس في الخليج على ما يفترضه كيب الذي يتحدث عن نقيشة وجدت في سيلان تحمل تاريخ 337هـ (949) تردد صدى شخصية مجهولة : باسم خالد برابي ثعلبة... – أنظر II ص 314 التعليق 138 كيب ...

(153) خور الخيزران هو نهر بامبوس ؟ (Bambus) وسيأتي مرة أخرى في السفر الثاني.

في قدورهم ويقعدون على بُعدٍ منّا ويأتون باوراق الموز فيجعلون عليها الارز وهو طعامهم ويصبّون عليه الكُوشان (154) وهو الإدام ويذهبون فنأكل منه وما فضل علينا تاكله الكلاب والطير، وان اكل منه 83/2 الولد الصغير الذي لا يعقل ضربوه واطعموه روث البقر، وهو الذي يطهّر ذلك في زعمهم !

ومن المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح القطب روزجهان البقلى (155) من كبار الأولياء، وقبره في مسجد جامع يُخْطب فيه، وبذلك المسجد يصلّي القاضي مجد الدين الذي تقدم ذكره، رضي الله عنه، وبهذا المسجد سمعت عليه كتاب مسند الإمام أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعي، قال : أخبرتْنا به وزيرة بنت عمر بن المنْجا، قالت اخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أبى بكر بن المبارك الزبيدى، قال : اخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدّسى، قال أخبرنا أبو الحسن المكّي بن محمد بن منصور بن علال العرضي، قال 84/2 : أخبرنا القاضي أبو بكر احمد بن الحسن الحرشي، عن ابى العباس ابن يعقوب الأصم عن الربيع بن سليمان المرادي عن الامام ابى بعد الله الشافعي، وسمعت أيضًا عن القاضي مجد الدين بهذا المسجد المذكور كتاب (مشارق الأنوار) للإمام رضي الدي أبى الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغانى بحقّ سماعه له من الشيخ جلال الدين أبى هاشم محمد بن محمد بن أحمد الهاشمي الكوفى بروايته عن الامام نظام الدين محمود بن محمد بن عمر الهروي عن المصنّف.

ومن المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح زَرْكوب (156) وعليه زاوية لإطعام الطعام، وهاذه المشاهد كلها بداخل المدينة وكذلك معظم قبور أهلها فإن 85/2 الرجل منهم يموت ولده أو زوجته فيتّخذ له تربة من بعض بيوت داره ويدفنه هناك ويفرش البيت بالحصر والبسط ويجعل الشمع الكثير عند رأس الميت ورجليه ويصنع للبيت بابًا إلى ناحية الزقاق وشباك حديد

(154) تقابله كلمة كاري (Kurry) المستعملة اليوم في منطقة الخليج ... وأتساءل عن صلة كلمة كوشان بالكُوشَري الأكلة الشعبية المحبّبة لنا عندما نزور القاهرة ونصل إلى منطقة الأزهر الشريف !

(155) وقع تحريف في سائر النسخ المخطوطة حيث رسمت المغلى أو القبلي عوض البقلي الذي هو الصحيح، ويتعلق الامر برزبهان بن أبي نصر البقلي (522-606=1128-1209) صوفي مشهور بتجلّياته، خلف ترجمة بقلمه، وقد اختفى قبره ولكنه اكتشف علم 1347=1928.

Luis Massignon : La vie et les oeuvres de Rusbehân Baqli, copenhaque 1953.

(156) زركوب هذا تلميذ من تلامذة الشيخ الرفاعي وروزجهان البَقلى، وهو عز الدين مودود ابن محمد الذهَبي ... ويلقب بزركوب : لفظ فارسي يعني صائغ الذهب وقد أدركه أجله عام 663=1265...

فيدخل منه القرّاء يقرأون بالأصوات الحسان وليس في معمور الارض أحسن أصواتا بالقرآن من أهل شيراز ويقوم أهل الدار بالتُّربة ويفرشونها ويوقدون السُّرج بها فكأنَّ الميت لم يبرح، وذكر لي أنهم يطبخون في كلّ يوم نصيب الميت مَنَ الطعام ويتصدّقون به عنه.

حكاية [الفقيه الجواد]

مررت يومًا ببعض أسواق مدينة شيراز، فرأيت بها مسجدًا متقن البناء جميل الفرش، 86/2 وفيه مصاحف موضوعة في ‖ خرايط حرير موضوعة فوق كرسي، وفي الجهة الشمالية من المسجد زاوية فيها شباك مفتّح إلى جهة السوق، وهنالك شيخ جميل الهيئة واللّباس، وبين يديه مصحف يقرأ فيه، فسلمت عليه وجلست إليه فسألني عن مقْدمي، فاخبرته، وسألته عن شأن هذا المسجد، فأخبرني أنه هو الذي عمّره ووقف عليه أوقافاً كثيرة للقرّاء وسواهم وان تلك الزاوية التي جلستُ إليه فيها هي موضع قبره إن قضى الله موته بتلك المدينة، ثم رفع بساطًا كان تحته والقبر مغطًى عليه الواح خشبٍ، وأراني صندوقًا كان بازائه، فقال : في هذا الصندوق كفَنِي وحنوطي ودراهم كنتُ استاجرت بها نفسي في حفْر بئرٍ لرجل صالحٍ فدفع 87/2 لي هذه ‖ الدراهم فتركتها لتكون نفقة مواراتي، وما فضل منها يتصدّق بها، فعجبت من شانه وأردت الانصراف فحلف عليّ وأضافني بذلك الموضع.

ومن المشاهد بخارج شيراز قبر الشيخ الصالح المعروف بالسعدي (157) وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي، وربّما ألمع في كلامه بالعربي، وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع حسنةٌ، بداخلها بستانٌ مليح، وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف بركن آباد، وقد صنع الشيخ هنالك أحواضًا صغارًا من المرمر لغسل الثياب، فيخرج الناس من المدينة 88/2 لزيارته ويأكلون من سماطه ويغسلون ثيابهم بذلك النهر وينصرفون، وكذلك ‖ فعلت عنده رحمه الله، وبمقربة من هذه الزاوية زاوية أخرى تتّصل بها مدرسة مبنيتان على قبْر شمس الدين السَّمناني (158) وكان من الامراء الفقهاء، ودفن هنالك بوصيّةٍ منه بذلك.

---

(157) ولد سعدي حوالي سنة 580=1184، وقد توفي عن سن يجاوز المائة 691=1292، وقد فقد أباه في سن مبكرة كما تدل على ذلك قصيدة يقول فيها من جملة ما يقول :
"إذا رأيت يتيماً قد خفض رأسَه في ذلةٍ وإنكسار فحذارِ أن تقبِّل أمامه واحدًا من أولادك الصغار فلقد كانت رأسي يعلوها تاج ذهبي عندما كنت أعيش هانئاً في كنف أبي وكانت إذا حطّت ذبابة واحدة على جسدي إضطربت أذهان جملة من الناس خوفًا من غضبي...!" وهو صاحب الشّعر الآتي IV 290,
– أدوارد براون : تاريخ الادب في إيران، تعريب : د. ابراهيم الشواربي، مصر، ص 669 سنة 1954.

(158) هو محمد بن الحسن بن عبد الكريم قاضي سِمنان في خراسان، رسائل رشيد الدين 27-29.



ضريح الشيخ سعدى بشيراز

وبمدينة شيراز من كبار الفقهاء الشريف مجيد الدين وأمره في الكرم عجيب، وربّما جاد بكلّ ما عنده وبالثياب التي كانت عليه ويلبس مرقّعة له، فيدخل عليه كبراء المدينة فيجدونه على تلك الحال فيكسونه، مرتّبه في كل يوم من السلطان خمسون دينارًا دراهم.

ثم كان خروجي من شيراز برسم زيارة قبر الشيخ الصالح أبي اسحاق الكازروني بكازرون وهي على مسيرة يومين من شيراز (159)، فنزلنا أول يومٍ ببلاد الشّول، وهم طائفة من الاعاجم يسكنون البريّة وفيهم الصالحون ║ .

89/2

كرامة لبعضهم.

كنت يومًا ببعض المساجد بشيراز وقد قعدت أتلو كتاب الله عز وجل إثر صلاة الظهر فخطر بخاطري أنه لو كان لي مصحف كريم لتلوتُ فيه، فدخل عليّ في أثناء ذلك شابّ وقال لي بكلام قويّ : خُذْ ! فرفعت رأسي إليه فألقى في حجري مصحفًا كريمًا، وذهب عنّي فختمته ذلك اليوم قراءةً، وانتظرته لا ردّه له فلم يعد إليّ، فسألت عنه، فقيل لي : ذلك بُهلول الشَّوْلى ولم أره بعد.

ووصلنا في عشّى اليوم الثاني إلى كازرون فقصدنا زاوية الشيخ أبي اسحاق، (160) نفع الله به، وبتنا بها تلك الليلة، ومن عادتهم أن يطعموا الوارد كائنًا من كان الهريسة (161) المصنوعة من اللحم والقمح والسمن وتؤكل بالرقاق ولا يتركون الوارد عليهم ║ للسّفر حتى يقيم في الضيافة ثلاثة أيام، ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجه ويذكرها الشيخ للفقراء الملازمين للزاوية، وهم يزيدون على مائة منهم المتزوّجون، ومنهم الأعزب المتجرّدون، فيختمون القرآن ويذكرون الذكر، ويدعون له عند ضريح الشيخ أبي إسحاق فتقضى حاجته بإذن الله.

90/2

---

(159) تقع كازرون على بعد 55 ميلاً (20 فرسخًا) غربي شيراز، أما بلاد الشول فهي شولستان، وهي التي وردت في مذكرات ماركو بولو تحت اسم (Cielstan) كواحدة من "إمارات" فارس، وتقع شمال غربي شيراز، وعمرت في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي من طرف قبائل من أصل كردي أبعدت من لورستان ... يحتفظ بهذا الاسم اليوم في المدينة الصغيرة التي تحمل إسم شول. وتقع على بعد 33 ميلاً شمال غربيّ شيراز ومنطقة شولستان.

(160) هو أبو اسحاق ابراهيم بن شهريار الكازروني المولود سنة 352=963 والمتوفى عام 426=1035 وهو من تلامذة ابن خفيف سالف الذكر (التعليق (150) وهو مؤسس الطريقة التي تنسب اليه والمنتشرة من انطاكية إلى الهند والصين، وقبره ما يزال موجودا في كازارون.

(161) الهريسة في بلاد المشرق تتألف من خليط من الحنطة بإضافة اللحم المفرم، طعام يتناوله الصوفية، وهي غير الهريسة في تونس التي تعني معجون الفلفل الحار، وهي غير الدشيشة : الصحن الذي كان يقدّمه نبيّ الله ابراهيم إلى ضيوفه !! وتتألف كذلك من القمح المدعوس، يراجع سفرنامه لخسرو علوي ص 87 ت. ا. د. التازي : القدس والخليل عند الرحالة المغاربة – عمان 1996.

وهذا الشيخ أبو اسحاق معظم عند أهل الهند والصين، ومن عادة ركّاب بحر الصين أنهم إذا تغيّر عليهم الهواء وخافوا اللّصوص نذروا لأبي اسحاق نذورًا وكتب كل منهم على نفسه ما نذره فإذا وصلوا برّ السلامة صعد خدّام الزاوية إلى المركب واخذوا الزمام وقبضوا من كل ناذرٍ نذْره، وما من مركب ياتي من الصين أو الهند إلا وفيه آلاف من الدّنانير فياتي الوكلاء من جهة خادم الزاوية فيقبضون ذلك، ومن الفقراء من ياتي طالبًا صدقة الشيخ فيُكتب له أمرٌ بها، وفيه علامة الشيخ منقوشة في قالب من الفضّة، فيضعون القالب في صبغ أحمر ويلصقونه بالأمر فيبقى أثر الطابع فيه ويكون مضمّنه أنه من عنده نذر للشيخ أبي إسحاق فليعط منه لفلان، فيكون الأمر بالألف والمائة وما بين ذلك ودونه على قدْر الفقير، فإذا وجد مَن عنده شيء من النذر قبض منه وكتب له رسْما في ظهر الأمر بما قبضه.

91/2

ولقد نذر ملك الهند مرّة للشيخ أبي اسحاق بعشرة آلاف دينار فبلغ خبرها إلى فقراء الزاوية فأتى أحدهم إلى الهند وقبضها وانصرفَ بها إلى الزاوية.

92/2

ثم سافرنا من كازرون إلى مدينة الزّيدَين (162)، وسمّيت بذلك لان فيها قبرَ زيد بن ثابت وقبرَ زيد بن أرقم الانصاريّين صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما، ورضى الله عنهما، وهي مدينة حسنة كثيرة البساتين والمياه مليحة الاسواق عجيبة المساجد ولأهلها صلاح وأمانة وديانة، ومن أهلها القاضي نور الدين الزيداني، وكان ورد على أهل الهند، فولى القضاء منها بذيبة المهل (163)، وهي جزائر كثيرة ملكها جلال الدين بن صلاح الدين صالح، وتزوج باخت هذا الملك، وسياتي ذكره، وذكر بنته خديجة التي تولت الملك بعده بهذه الجزائر، وبها توفى القاضي نور الدين المذكور.

93/2

ثم سافرنا منها إلى الحُويزاء بالزاي (164)، وهي مدينة صغيرة يسكنها العَجَم، بينها وبين البصرة مسيرة أربع، وبينها وبين الكوفة مسيرة خمس، ومن أهلها الشيخ الصالح

---

(162) زيدان مدينة تقع بين أرّجان وبين دروق، مسافة مسيرة من دورق، وأقل من ثلاثة أيام من أرَّجان.

وحديث ابن بطوطة عن دلالة تثنية زيد خطأ لأن زيد بن ثابت توفى بالمدينة عام 48=668 وبها دفن كما يقول الهروي، وكذلك فإن زيد بن الارقم توفي بالكوفة عام 63=683... والذي يظهر أن حرفي (أن) استعمال خليجي ذكره ياقوت في معجم البلدان في مادة (البصْرة) عند ما قال : وفي اصطلاح أهل البصرة أن يزيدو في اسم الرجل الذي تنسب اليه القرية ألفًا ونونًا نحو قولهم طلحتان وخيرتان وعبد الرحمانان...

(163) القصد إلى مالديف وسياتي الحديث عنها في السفر الثاني مفصَّلاً.

(164) الحُويزة تصغير الحوزة : قرية تقع على بعد 70 ميلاً من المحمّرة شمالها، نشأ بها عدد من المحدثين والعلماء. وقد يغير اسمها في الفارسية إلى (هويزة) بالهاء، (الأهواز) واليها ينتسب الشيخ عبد علي الحويزي الذي فسَّر القرآن بعنوان (نور الثقلين)، وهو تفسير للقرآن بالأحاديث، كان يقيم بها الناس من مختلف الأجناس، - نعمة الله الجزائري : زهر الربيع، ص 59.

العابد جمال الدين الحويزاي شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة.

ثم سافرنا منها قاصدين الكوفة في برّيّة لا ماء بها إلاّ في موضع واحد يسمى الطرفاوي (165) وردْناه في اليوم الثالث من سفرنا، ثم وصلنا بعد اليوم الثاني من ورودنا عليه إلى مدينة الكوفة (166).

مدينة الكوفة

وهي إحدى أمّهات البلاد العراقيّة، المتميّزة فيها بفضل المزيّة، مثوى الصحابة والتابعين، ومنزل العلماء والصالحين، وحضْرة عليّ بن أبي طالب أمير المومنين، الاّ أن 94/2 الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدّت اليها وفسادها من عرب خَفَاجة المجاورين لها، فانّهم يقطعون طريقها، ولا سور عليها، وبناؤها بالآجر، واسواقها حِسانٌ وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك، وجامعها الأعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبْعة قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة، قد صنعت قِطعًا، ووضع بعضها على بعض وافرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول. وبهذا المسجد آثار كريمة فمنها بيت إزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال : إن الخليل، صلوات الله عليه، كان له مصلّى بذلك الموضع، وعلى مقربة منه محراب محلّق عليه بأعواد الساج مرتفع وهو محراب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهنالك ضربه الشقّي ابن مُلجم (167) والناس يقصدون الصلاة به، وفي الزاوية من آخر 95/2 هذا البلاط مسجد صغير محلّق عليه ايضًا بأعواد الساج يذكر أنه الموضع الذي فار منه التنّور حين طوفان نوح عليه السلام (168)، وفي ظهره خارج المسجد بيتٌ يزعمون أنّه بيت

(165) كان على ابن بطوطة أن يقطع نهر دجلة في بعض النقاط الواقعة بين الحُوَيزاء، وبين الكوفة وعن الاسم (الطرفاوي) لم يكن في الاستطاعة تحديده...

(166) أسست مدينة الكوفة كحامية عام 17=638 من قبل العرب بعد فتح العراق، كما هو الامر بالنسبة للبصرة، وقد اختارها الامام علي كعاصمة للخلافة عوض المدينة 35=656، وفيها اغتيل عام 41=661 وقد بُني سورها من لدن المنصور العباسي، كانت المنطقة تنتج القطن والحبوب، وسكانها كانوا حسب مستوفي، شيعة ... وإن معظم ما ورد في وصفها من قبل الرحالة المغربي مستمد من ابن جبير الذي زارها عام 580=1184 ...

(167) كان الامام علي رضي الله عنه قضى في النهروان عام 38=658 على عدد كبير من الخوارج الذين امْتنعوا عن مناصرته في الصراع الذي دار بينه وبين معاوية والذي سيصبح أصل الخلاف بين السنة والشيعة، ومن هنا وجدنا أحد الخوارج . ابن ملجم يغتال عليًا في جامع الكوفة سنة 40=661. الذي يقول ابن جبير (ص 168) "إن عدد أبْلِطَته في الجانب القبلي خمسة وفي سائر الجوانب بلاطان ويضيف ابن جبير : "إن الناس يصلون فيه باكين داعين"...

(168) القرآن الكريم، السورة 11، الآية 40 : حتى إذا جاء أمرنا وفار التنّور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك.

نوح عليه السلام (169)، وازاءه بيت يزعمون انه متعبّد إدريس عليه السلام، ويتّصل بذلك فضاء متّصل بالجدار القبليّ من المسجد يقال : إنّه موضع إنشاء سفينة نوح عليه السلام.

وفي آخر هذا الفضاء دار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والبيت الذي غسل فيه، ويتّصل به بيتٌ يقال أيضا : إنه بيت نوح عليه السلام، والله أعلم بصحّة ذلك كلّه.

وفي الجهة الشرقيّة من الجامع بيتٌ مرتفع يصعد إليه، فيه قبْر مُسْلِم بن عَقيل بن أبي طالب رضي الله عنه (170)، وبمقربة منه خارج المسجد 96/2 قبْر عاتكة (171)، وسُكينة (172) بنتي الحسين عليه السلام. وامّا قصر الإمارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه فلم يبق إلا أساسه !

والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقيّ منها، وهو منتظم بحدائق النّخل الملتفة المتّصل بعضها ببعض، ورأيت بغربيّ جبّانة الكوفة موضعًا مسودًا شديد السواد في بسيط أبيض فأُخبرت انّه قبر الشقيّ ابن مُلجم، وان أهل الكوفة يأتون في كلّ سنة بالحطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبْره سبعة أيّام (173) وعلى قربٍ منه قبّة أخبرت أنها على قبر المختار بن أبي عُبَيد.

ثمّ رحلنا (174) ونزلنا بئر ملاّحة (175)، وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل ونزلتُ

(169) يقول ابن جبير "بيت لابنة نوح، ويقول الهروي : "وبالجامع دار نوح ورحًى ذكر أهل الكوفة أنها كانت لابنة نوح تطحن بها ..." ص 78

(170) هذا تابعي من ذوي الرأي والشجاعة كان مقيمًا بمكة وانتدبه الحسن (السّبط) بن علي ليتعرف له على أحوال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونه ويبايعون له ... فشعر به عبيد الله بن زياد أمير الكوفة فطلبه ... وتفرق الناس عنه، فأوى إلى دار امرأة ولم يلبث أن اكتشف الأمير مكانه فقتله عام 680=60.

(171) عاتكة بنت الحسين ... معلومات ينفرد بها ابن بطوطة عن عاتكة.

(172) سلف الحديث حول قبر السيدة سُكينة عندما كان ابن بطوطة في دمشق...

(173) تتم عملية إيقاد النيران أيام عاشوراء على ما أُخبرت به عند زياراتي المتعددة للكوفة، وبالمناسبة نذكر أن المغاربة اعتادوا في كل عاشوراء أن يوقدوا ناراً ليتفرجوا عليها، وأغلب الناس لا يعرفون أن لهذه العادة صلةً بتعلق الناس بالامام علي رضي الله عنه...

(174) المختار بن أبي عُبيد بن مسعود الثقفي من زعماء الثائرين علي بني أمية بالكوفة عام 65 هـ = 685، وقد أدركه أجله أثناء معركةٍ ضد قوات عبد الله ابن الزبير سنة 67=687...

(175) ملاّحة هي (الكِفْل) حاليًا وتقع بين الكوفة والحِلّة... ويقول الهروي : "وبها لليهود من الزيارات هناك قبْرُ ذي الكِفْل وهو النّبي حَزقيل عليه السلام في موضع يقال له بئر ملاحة ... وقد ذكر مستوفي أن الأمير الايلخاني أو لجَايتو هو الذي سحب حراسة هذا القبر، وكانت من اختصاص اليهود، وأسندها للمسلمين وبنى هناك مسجدًا ...

بخارجها وكرهت دخولها لأن أهلها روافض، ورحلنا منها الصبح، فنزلنا مدينة الحِلّة (176) وهي 97/2 مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقيّها، ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات وهي كثيرة العمارة، وحدائق النخل منتظمة بها داخلاً وخارجًا، ودُورها بين الحدائق، ولها جسرٌ عظيم معقودٌ على مراكب متّصلة منتظمة فيما بين الشطّين تحفّ بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطّين إلى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل.

وأهل هذه المدينة كلّها إماميّة اثنا عشريّة، وهم طائفتان إحداهما تعرف بالأكراد والأخرى تعرف بأهل الجامعين، والفتنة بينهم متّصلة، والقتال قائم أبدًا.

وبمقربة من السوق الأعظم بهذه المدينة مسجد على بابه ستر حرير مسدول وهم يسمّونه مشهد صاحب 98/2 الزمان (177)، ومن عادتهم أنّه يخرج في كلّ ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم السيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرسًا مسرّجا ملجمًا أو بغلة كذلك ويضربون الطبول والأنفار والبوقات أمام تلك الدابّة ويتقدّمها خمسون منهم ويتبعها مثلُهم، ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون : باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله أخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم، وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل (178). ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنفار إلى صلاة المغرب، وهم يقولون، إن محمد بن الحسن 99/2 العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وأنّه سيخرج : وهو الإمام المنتظر عندهم.

وقد كان غلب على مدينة الحلّة بعد موت السلطان أبي سعيد الامير أحمد بن رُمَيثة بن أبي نُمي أمير مكّة (179) وحكمها أعوامًا وكان حسن السيرة يحمده أهل العراق إلى أن غلب

(176) الحلة أسست عام 496=1102 من لدن شيخ عربي شيعي : صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي كمقر لامارة عربية صغيرة، وقد أصبحت أفخر بلاد العراق، وبفضل جسرها أصبحت محطة هامة في الطريق المؤدية من بغداد إلى الحجاز.

(177) هو الامام الثاني عشر من أئمة الشيعة : المهدي المنتظر.

(178) ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذين عملوا لعلهم يرجعون : السورة 30، الآية 41. هذا وتوجد عوض (ليفرق) كلمة (ليعرف) في النسخ المنشورة تقليدًا لما في الطبعة الباريسية.

(179) أحمد بن رُمَيثة أمير مكة سمى حوالي سنة 730=1330 من لدن العاهل المغولي الايلْخان أبي سعيد أميراً للعرب بالعراق، واغتنامًا لفرصة تفجير المملكة الإيلْخانية عام 736=1336 أعلن الأمير أحمد استقلاله واحتل مدينة الكوفة بيد أنه غُلب على أمره وقتل عام 739=1339 من لدن الشيخ حسن مؤسس دولة الجلائريين في بغداد...

عليه الشيخ حَسَن سلطان العراق فعذّبه وقتله، وأخذ الاموال والذخاير التي كانت عنده.

ثمّ سافرنا منها إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن عليّ عليهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفّها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات. والروضة المقدّسة داخلها، وعليها مدرسة عظيمة، وزاوية كريمة، فيها الطعام للوارد والصادر، وعلى باب الروضة الحجّاب والقَوَمة لا يدخل أحد إلاّ عن إذنهم فيقبّل العتبة الشريفة وهي من الفضّة وعلى ‖ الضريح المقدّس قناديل الذهب والفضّة وعلى الأبواب أستار الحرير وأهل هذه المدينة طائفتان : أولاد رَخيك وأولاد فايز، وبينهما القتال أبدًا، وهم جميعا إماميّة يرجعون إلى أبٍ واحد(180) ولأجل فتنهم تخرّبت هذه المدينة. ثم سافرنا منها إلى بغداد.

100/2

مدينة بغداد

مدينة دار السلام (181)، وحضرةُ الاسلام، ذات القدر الشريف، والفضل المنيف، مثوى الخلفاء، ومقرّ العلماء، قال أبو الحسين بن جُبير رضي الله عنه، وهاذه المدينة العتيقة وان لم تزل حضرة الخلافة العبّاسية، ومثابة الدعوة الإماميّة القرشيّة، فقد ذهب رسمها، ولم يبق الاّ اسمها، وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل إنحاء الحوادث عليها، والتفات أعين ‖ النوائب إليها، كالطلل الدارس، أو تمثال الخيال الشاخص، فلا حُسن فيها يستوقف البصر، ويستدعي من المستوفز الغفلة والنظر، إلاّ دجلتها التي هي بين شرقيّها وغربيّها كالمرآة المجلوّة بين صفحتين، أو العقد المنتظم بين لبّتين، فهي تردها ولا تظمأ، وتتطلّع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ، والحُسن الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ.

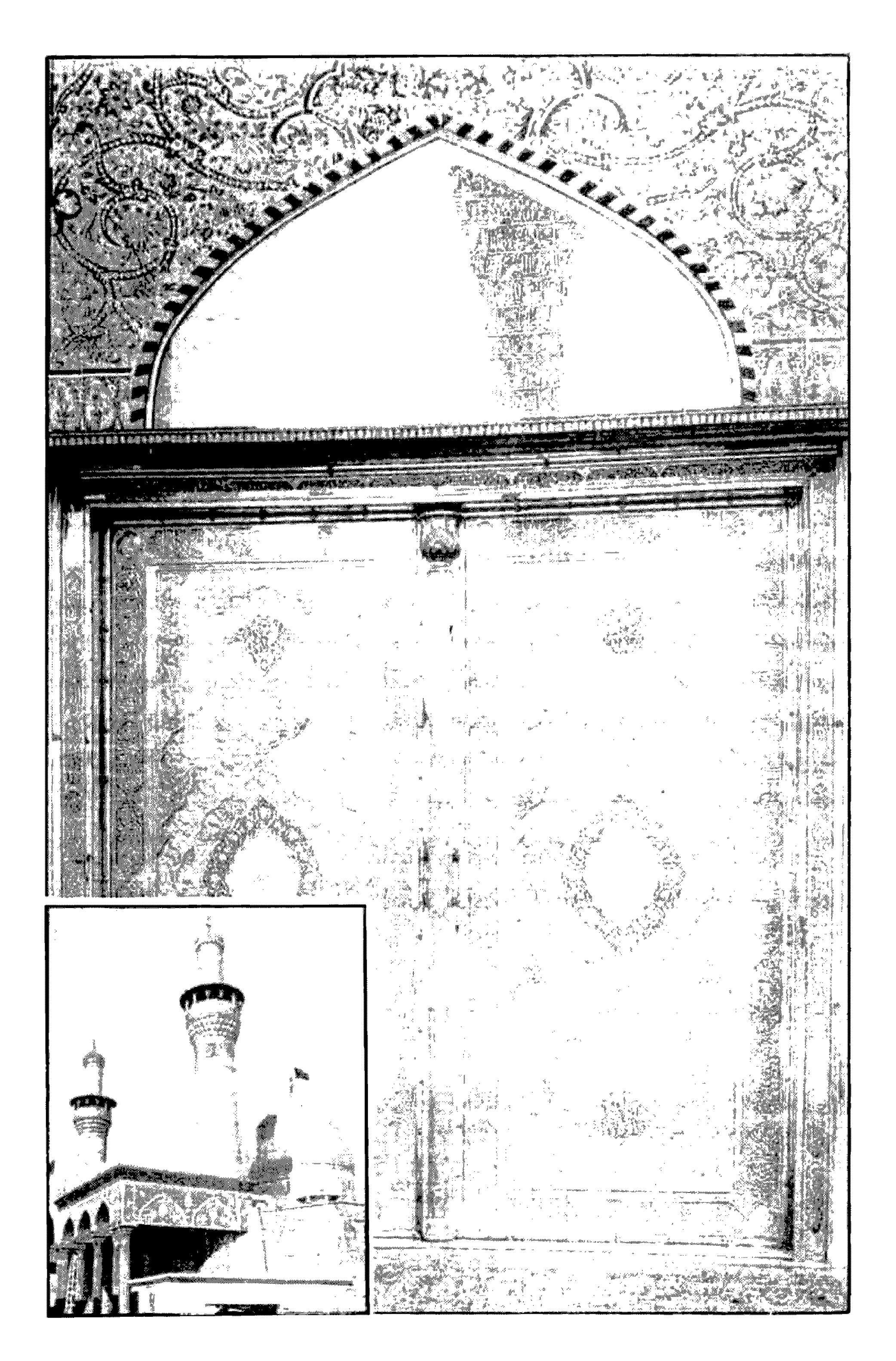
101/2

قال ابن جُزَي : وكأن أبا تمّام حبيب بن أوس (182) اطّلع على ماآل إليه أمرها حين قال فيها :

(180) كربلاء الموقع الذي جرت فيه المعركة التي استشهد فيها الإمام الحسين رضي الله عنه... هذا ولا يوجد مصدر غير ابن بطوطة حول هاتين الطائفتين على نحو ما لا يوجد مصدر للطائفتين سالفتي الذكر عند الكلام على الحلة...

(181) يستوحي ابن بطوطة كذلك من وصف ابن جبير لبغداد، ولكن من غير أن يماشيه كثيرًا لان هناك بين تاريخ الرحالتين حدثاً بارزاً يعرفه التاريخ وهو اجتياحُ بغداد من قبل المغول عام 656=1258، علاوة على انتهاء عصر الخلافة الذي غيَّر من معالم المدينة...

(182) هو حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام ... استقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته، ثم ولي بريد الموصل وبها توفي، ويحفظ أربعة عشر الف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطع ...من كتبه المشهورة ديوان الحماسة، أدركه أجله عام 231=846.



باب ضريح الحسين بن علي في كربلاء

لقد أقام على بغداد ناعيها — فلْيَبْكِها لخَرابِ الدَّهر بَاكِيها !

كَانَتْ على مَا نها والحرْبُ موقدةٌ — والنَّارُ تُطفأ حُسْنًا فِي نَوَاحِيها

102/2

تُرجَى لَهَا عودةٌ في الدَّهر صالِحةٌ — فالآنَ أَضْمَر منها اليأسَ راجِيها

مثْلُ العَجُوز التي ولّت شبيبَتُها — وبانَ عنها جَمَالٌ كَان يُحظيهَا !!

وقد نظم الناسُ في مدْحها وذكر محاسنها فأطنبوا، ووجدوا مكان القول ذا سعةٍ فاطالوا وأطابوا وفيها قال الإمام القاضي أبو محمد عبد الوهّاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي (183)، وأنشدنيه والدي، رحمه الله، مرّات

طِيب الهواء ببغداد يُشوّقني — قُرْبًا إليها وان عاقتْ مَقَادِيرُ

وكيف أرحلُ عنها اليوم اذْ جَمَعت — طيب الهَوَائين ممدُودٌ ومقْصورُ

103/2

وفيها يقول أيضا رحمه الله تعالى ورضي عنه :

سَلاَمٌ عَلَى بَغْدادَ في كلّ موطنٍ — وحُقّ لها منّي السَّلام المضاعفُ

فوالله ما فارقتُها عَنْ قِلًى لَهَا — وإنّي بشطّيْ جانبَيهَا لعَارفُ

ولا كنّها ضاقَتْ عليّ برحْبِها — ولم تكن الأقْدَارُ فيها تُسَاعِفُ

وكَانتْ كخِلٍّ كنت أهْوَى دُنُوَّهُ — وأخلاقُهُ تَنْأى بِهِ وتُخَالف !

وفيها يقول أيضا مغاضبًا لها، وأنشدنيه والدي رحمه الله غير ما مرّة :

بغدادُ دارٌ لأهل المالِ واسعة — وللصّعاليك دارُ الضّنْك والضيقِ

ظلَلتُ أمشي مُضاعًا في أزقّتِها — كأنّني مُصْحفٌ في بيتِ زنديق (184) !!

(183) هذا هو القاضي عبد الوهاب، ولد ببغداد 362=973... ورحل إلى الشام فاجتمع بأبي العلاء، وتوجه إلى مصر فعلت شهرته وبها توفي عام 422=1031، له عدد من المؤلفات في الفقه...

(184) اشتهر البيتان على ألسنة الناس ببعض تغيير : عوض واسعة طيبة، وعوض الصعاليك : المفاليس، وعوض أمشي مضاعا : حيران أمشي ... غير أن كل الروايات اتفقت على : "كأنني مصحف في بيت زنديق" !!

104/2 وفيها يقول القاضي أبو الحسن عليّ بن النبيه من (185) قصيدة ▐ :

أنسَتْ بالعِـــراق بدرًا منيـــرًا … فَطوتْ غيْهبًا، وخَاضتْ هَجيرا
واســتطابَتْ ريّا نســائِم بغْـدا … دَ فكادَتْ لولا البُـرَى أنْ تَطِيـرا
ذَكَرتْ مِن مَسَارِح الكرْخ رَوْضًا … لم يزلْ ناضِـرًا ومَــاءً نميـرَا
واجــتَنَتْ من رُبَى المحَــوَّل نَوْرًا … واجــتلَتْ من مطالِع التَّـاج نُورَا

ولبعض نساء بغداد في ذكرها (186) :

آهًا على بغــدادها وعــراقــهــا … وظبــائها والسّحـر في أحداقـها
ومــجــالها عند الفُــرَات بأوْجُـهٍ … تبـدو أهلّتُـهـا على أطواقــهـا
105/2 مُـتَبـخْـتِـراتُ في النعـيم كـأنّمـا … خُلُقَ الهوى العذريّ من أخلاقها ▐
نفسي الفداء لَها، فأي مـحـاسنٍ … في الدَّهر تُشرق من سنا إشراقها

رجْع، ولبغداد جسْران اثنان (187) معقودان على نحو الصّفة التي ذكرناها في جسر مدينة الحلّة، والناس يعبرونهما ليلاً ونهارًا رجالاً ونساءً، فهم في ذلك في نزهة متّصلة (188)، وببغداد من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدًا، منها بالجانب الغربيّ ثمانية وبالجانب الشرقيّ ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدًا وكذلك المدارس إلا أنها

---

(185) علي بن محمد بن النبيه شاعر منشيء من أهل مصر مدح الايوبيين وتولى ديوان الانشاء الذي يعني وزارة الخارجية (وليس ديوان القضاء كما عند ابن بطوطة) للملك الأشرف موسى، ورحل إلى نصيبين فسكنها وتوفي بها عام 619 = 1222 – الأبيات تصف رحلة ناقته. والبُرَى ج بُرة : حلقة توضع في أنف الناقة، يقول : لولا أنها ناقة لطارت إلى بغداد من شوقها إليها ...! والكرخ : الحي الرئيسي ببغداد يقع على الشط الغربي، والمُحوَّل : اسم مكان كان ناديًا للّهو في ضواحي بغداد غربيّها. والتاج إسم لقصر من قصور الخلفاء على الشط الشرقي...

(186) من إسهام ابن بطوطة في التعريف بالأدب النسوي في بغداد على ذلك العهد، ويلاحظ أن معظم النسخ تحرّك حرف اللاّم من كلمة (خلِق) بالكسرة بينما بعضها يضبط اللام بالضم : خلُق.

(187) الجسران اللذان يتحدث عنهما على ذلك العهد هما اللذان كانا يقعان على التوالي : الأول في الطرف الشمالي لسوق الثلاثاء، والثاني في جوار قصر التاج إلى ضاحية القُريَة . هذا وينبغي إن نرجع إلى الجزء الأول من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي لنعرف عن عدد الجسور في بغداد، وقد كان أولها جسر أبي جعفر عام 157=774، وقد كان هناك جسر خاص بالنساء...

(188) ينبغي أن نقف قليلا مع هذا التعبير الجميل الذي اقتبسه ابن بطوطة من سابقه ابن جبير (صفحة 180)، هذا التعبير هو : .. "في نزهة متصلة" أي أن الناس في تحركاتهم عبر الزوارق على تقدير ابن جبيرا وعبر الجسور في تقدير ابن بطوطة كانما هم في (نزهة متصلة) الأمر الذي كنا نشعر به طوال مقامنا السعيد الرغيد في عاصمة الرافدين !!

خربت وحمّامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمّامات وأكثرها، مطليّة بالقار مسطّحة به فخُيّل لرائيه أنه رخام أسود. 106/2

وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة (189) تنبع أبدًا به ويصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف منها، ويجلب إلى بغداد، وفي كلّ حمّام منها خلوات كثيرة كلّ خلوةٍ منها مفروشة بالقار، مطلّى نصف حائطها ممّا يلي الارض به والنصف الأعلى مطلّى بالجصّ الأبيض الناصع، فالضدّان بها مجتمعان متقابلٌ حسنهما. وفي داخل كلّ خلوة حوضٌ من الرخام فيه أنبوبان، أحدهما يجرى بالماء الحارّ والآخر بالماء البارد فيدخل الإنسان الخلوة منها منفردًا لا يشاركه أحد إلاّ إن أراد ذلك، وفي زاوية كلّ خلوة أيضا حوض آخر للاغتسال، فيه أيضا أنبوبان يجريان بالحارّ والبارد، وكلّ داخل يُعطَى ثلاثا من الفوط : إحداها يتّزر بها عند دخوله والأخرى يتّزر بها عند خروجه، والأخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الاتقان كلّه في مدينة سوى بغداد، وبعض البلاد تقاربها في ذلك. 107/2

ذكر الجانب الغربي من بغداد

الجانب الغربي منها هو الذي عمر أولاً (190) وهو الآن خراب أكثره، وعلى ذلك فقد بقى منه ثلاث عشرة محلّة، كلّ محلة كأنها مدينة، بها الحمّامان والثلاثة، وفي ثمان منها المساجد الجامعة.

ومن هذه المحلاّت محلّة باب البصرة (191) وبها جامع الخليفة أبى جعفر المنصور رحمه الله، والمارستان فيما بين محلّة باب البصرة (192) ومحلّة الشارع على الدّجلة، وهو قصرٌ كبير خرِب بقيت منه الآثار.

(189) لا توجد عين للقار بين الكوفة والبصرة ... القار ياتي عادة من (هيت) على الفرات في الشمال الشرقي لبغداد، ومن (كيارة) على دجلة جنوب الموصل، هذا وقد تحدث ابن جبير قبل ابن بطوطة عن أن القار يجلب من عين بين البصرة والكوفة ص 183 - يراجع التعليق الآتي 226.

(190) العاصمة الجديدة : بغداد المؤسسة من قبل الخليفة المنصور عام 139=756 هي "المدينة المدوّرة" كانت توجد على الشط الغربي بين القَربية وباب البصرة ... وعلى عهد ابن بطوطة لم يصمد إلا الجامع الكبير المنسوب للمنصور. ويلاحظ مرة أخرى اقتباس ابن بطوطة من أبن جبير مع محاولته تحديث أو تبويم المعلومات بالنسبة لما ذكر ابن جبير وخاصة بعد احتياج المغول لبغداد سنة 656=1256.

(191) هو الحي الذي كان يقع جنوب باب البصرة.

(192) بني هذا الباب عام 368=979 من طرف الأمير البُويهي عضد الدّولة ووصّى الخليفة، على مقربة من المكان الذي يقع فيه قصر الخلد الذي يرجع للخلفاء العباسيين الأوائل وقد ورد ذكر هذا الباب عند ابن جبير.

وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبْر معروف الكرخي (193) رضي الله عنه، وهو في محلّة باب 108/2 البصْرة وبطريق باب البصرة مشهدٌ حافل البناء في داخله قبرٌ متّسع السّنام عليه مكتوب : هذا قبرعون من أولاد علي بن أبي طالب (194)، وفي هذا الجانب قبْر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا (195) وإلى جانبه قبْر الجواد (195) والقبران داخل الروضة، عليهما دُكّانة ملبّسة بالخشب عليه الواح الفضّة.

ذكر الجانب الشرقي منها

وهذه الجهة الشرقية من بغداد (197) حافلة الأسواق عظيمة الترتيب، وأعظم اسواقها سوق تُعرف بسوق الثلاثاء (198) كلّ صناعة فيها على حدة، وفي وسط هذا السوق المدرسة النّظاميّة (199) العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها، وفي آخره المدرسة المستنصرية (200)، ونسبتها إلى أمير المومنين 109/2 المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المومنين الظاهر بن

(193) قبر معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ من رجال التصوف المشهورين، وكان من موالي الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم، مقصود إلى اليوم توفي عام 200-815، وقد سلف الحديث عنه ص49 ت 109

(194) يتحدث ابن سعد في الطبقات عن (عون) على أنه ابن للإمام علي بينما يتحدث ابن جبير عن ولد آخر لعلي هو معين مدفون مع أخيه هنا – الهروي لم يتحدث عن القبر ... ويفترض لوسطرانج في كتابه عن بغداد أنه من الممكن أن تكون المعلمة المعروفة الآن بقبر السيدة زبيدة هي مقبرة عون ومعين ... ومن المعلوم أن الستّ زبيدة دفنت في الكاظمين، بغداد

(195) موسى الكاظم بن جعفر الصادق ... سابع الائمة الاثني عشر، كان من سادات بني هاشم ... أقدمه المهدي العباسي إلى بغداد ثم رده إلى المدينة... توفي سجينًا ببغداد عام 183=799.

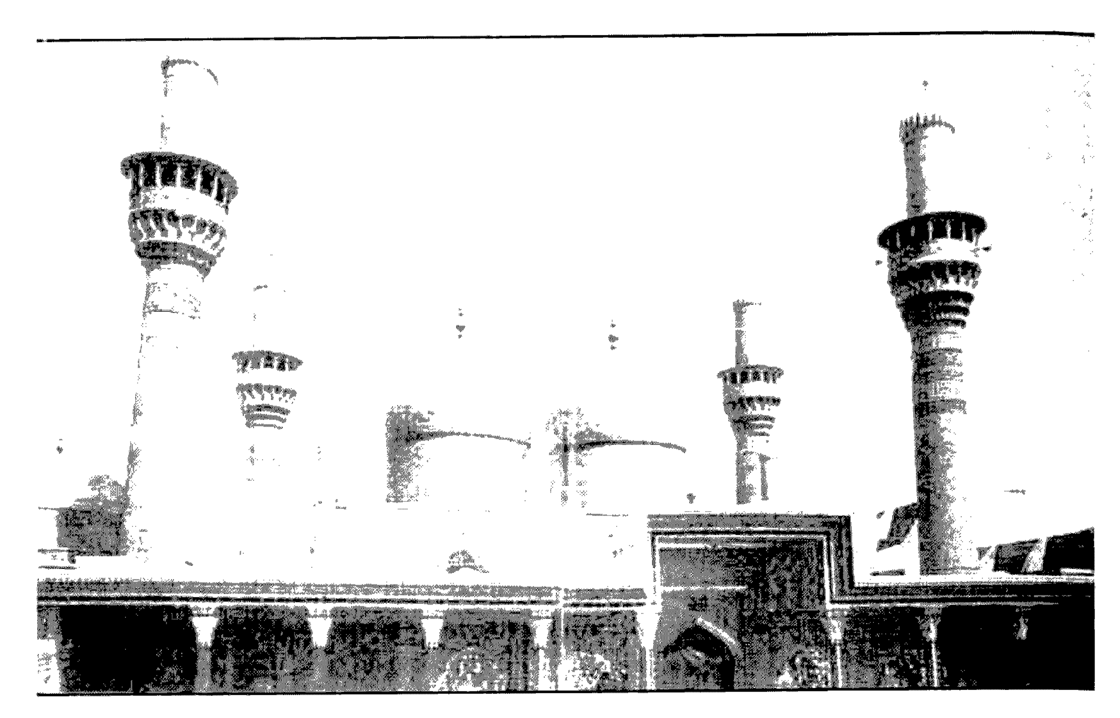
(196) محمد الجواد التَّقِي الامام التاسع، وبسبب وجود القبرين معا في هذا الحي الذي يوجد على الشط الغربي لبغداد، عُرفت المحلَّة تحت إسم (الكاظمين).

(197) على نحو ما كان في الجانب الغربي الذي شيد في قرية تحمل اسم الكرخ، فقد نشأ الجانب الشرقي، في الاصل، حول قرية تحمل إسم الرصافة، وقد استسلمت الرصافة للخراب نتيجة للحروب والفيضانات، وفي سنة 488=1095 قام الخليفة المستظهر بإحاطة الأحياء الموجودة حول قصور الخلفاء بأسوار جديدة، وهذه هي المدينة التي صمدت – بعد الاجتياح المغولي– وبقيت معروفة باسم مدينة بغداد إلى المرحلة العثمانية ...

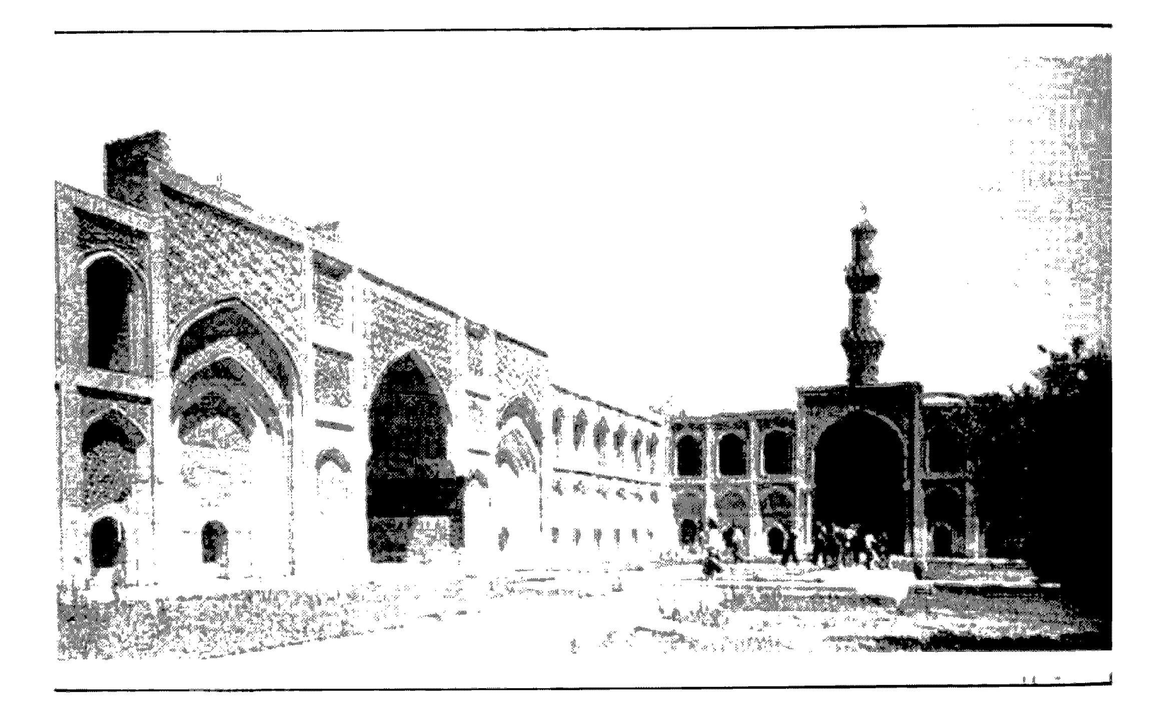
(198) سوق الثلاثاء على خط موازٍ للنَّهر بين الجسر الرئيسي وبين الحي الذي تقع فيه قصور الخلفاء ...

(199) أسست المدرسة النظامية عام 457=1065 من طرف الحسن بن علي نظام الملك وزير الملكَيْن السلجوقيين : ألب أرسلان وملك شاه والمتوفى سنة 485=1092، كانت أيامه دولة أهل العلم ... مدفون في إصفهان، وتعتبر مدرسته من أشهر المدارس في العصر الوسيط على نحو مَا تمَّ بمدينة فاس (المغرب) بعد ثلاث سنوات من تأسيس عددٍ من المَدارس والفرق بين مدارس فاس وبغداد أن مدرسة بغداد كانت تلقّن المذهب الشافعي بينما تخصصت مدارس فاس بالمذهب المالكي ...– د. التازي جامع القرَويين ج I ص 121-22 مصدر سابق.

(200) أسست المدرسة المستنصرية عام 631=1234 من لدن الخليفة المستنصر وهو الأول الذي اذن بنشر الدراسات الفقهية على مقتضى المذاهب الأربعة السنية...



المشهد الكاظمي ببغداد



المدرسة المستنصرية ببغداد

أمير المومنين الناصر، وبها المذاهب الاربعة، لكلّ مذهب إيوان (201) فيه المسجد، وموضع التدريس وجلوس المدرّس في قبّة خشب صغيرة على كرسيّ عليه البُسُط، ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لا بسًا ثياب السواد معتّما، وعلى يمينه ويساره مُعيدان يعيدان كلّ ما يمليه، وهكذا ترتيب كلّ مجلس من هذه المجالس الاربعة، وفي داخل هذه المدرسة الحمّام للطلبة ودار الوضوء.

وبهذه الجهة الشرقيّة من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة : أحدها جامع الخليفة وهو متّصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة للوضوء والغسيل، لقيت بهذا المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مُسنِد العراق سراج الدين أبا حفص عمر بن علي بن عمر القزويني (202)، وسمعت عليه فيه جميعَ مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدّارمي (203)، وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعماية قال : أخبرتنا (204) به الشيخة الصالحة المسندة ستّ الملوك فاطمة بنت العدل تاج الدين أبي الحسن علي بن علي بن أبي البدر (205)، قالت اخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود ابن بهروز الطّبيب المارستانّي، قال أخبرنا أبو الوقت عبد الأوّل ابن شعيب السنجريّ الصوفّي قال : أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفّر الداوديّ، قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السَّرَخْسيّ، عن أبي عمران عيسى ابن عمر بن العبّاس السمر قنديّ عن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي.

110/2

111/2

---

(201) الإيوان : لفظ فارسي الأصل يعني رواقًا يقع في نهاية الصحن أو جانبيه هذا وتكوّن قصُور الخلفاء على شط دجلة مدينةً داخل المدينة الكبرى Le Strange : Baghdad - Oxford 1900

(202) هو عمر بن علي بن عمر القزويني، أبو حفص، سراج الدين، محدث العراق في عصره، ولد بقزوين ونشأ بواسط، واشتهر أمره، له تصانيف منها كتابه : "الفهرست"، أدركه أجله ببغداد عام 750=1349 – الدرر الكامنة ج 3، ص 256.

(203) يكنى الدارمي بأبي محمد، سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وخراسان، واستقضى على سمرقند فحكم في قضية واحدة واستعفى فأعفى ! له المسند وكتاب التفسير والجامع الصحيح، أدركه أجله عام 255=869.

(204) هذا التاريخ يوافق 23، مايه = 21 يونيه 1327.

(205) فاطمة الواسطية البغدادية محدثة سمعت من عدد من المشايخ وأجاز لها كذلك عدد منهم، وحدثت وسمع منها طائفة من الناس وأجازت لأبي العباس الكازروني وقرئ عليها مسند الدارمي وجميع مصنفات البغوي باجازتها من عمر السهروردي... أدركها أجلها ببغداد عام 710=1310.
– منتخب المختار لابن رافع السلامي – شذرات الذهب لابن العماد – مرآة الجنان لليافعي – كحالة : أعلام النساء 14 83/82.

والجـامـع الثـاني جـامـع السلطان وهو خـارج البلد (206) وتتّـصل به قـصـور تنسب للسلطان، والجامع الثالث جامع الرصافة (207) وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل.

ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها

وقبور الخلفاء العبّاسيين رضى الله عنهم بالرُّصافة، وعلى قبرٍ كلٍّ منها إسم صاحبه، فمنها قبر المهدي وقبر الهادي وقبر الأمين ‖ وقبر المعتصم، وقبر الواثق، وقبر المنتصر، وقبر المستعين، وقبر المعتزّ، وقبر المهتدى، وقبر المعتمد، وقبر المعتضد، وقبر المكتفي، وقبر المقتدر، وقبر القاهر، وقبر الراضي، وقبر المستكفي، وقبر المطيع، وقبر الطايع، وقبر القايم، وقبر القادر، وقبر المستظهر، وقبر المسترشد، وقبر الراشد، وقبر المقتفى، وقبر المستنجد، وقبر المستضي، وقبر الناصر، وقبر الظاهر، وقبر المستنصر، وقبر المستعصم، وهو آخرهم وعليه داخل التّتر ببغداد بالسيف وذبحوه بعد أيّام من دخولهم، وانقطع من بغداد اسم الخلافة العبّاسية، وذلك في سنة أربع وخمسين وستماية، وبقرب (209) الرُّصافة قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه (210)، فيها قبّة عظيمة وزاوية فيها الطّعام للوارد والصادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية ‖ يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزّاوية، فسبحان مُبيد الأشياء ومغيّرها، وبالقرب منها قبر الامام أبى عبد الله أحمد بن حنبل (211) رضي الله عنه ولا قبّة عليه،

112/2

113/2

(206) يعني في شمال حرم المستنصر داخل المدينة القديمة التي تقع على الشاطئ الشرقي – قصور الخلفاء كانت تقع بين هذا المسجد وبين الشاطئ.

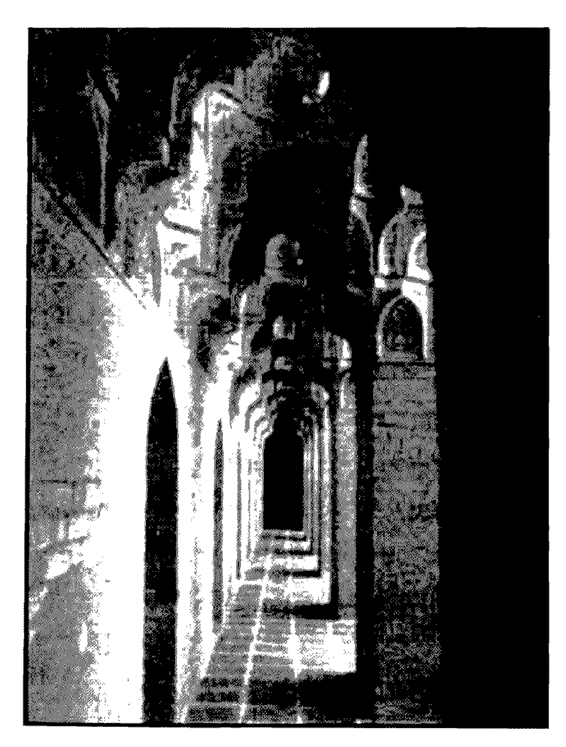
(207) كانت الرصافة قريةً تقع حول قصر المهدي الخليفة العباسي الثالث على مسار الشاطئ مقابلة للمدينة المدوّرة التي كانت لولده المنصور وحول هذه النواة ستتطور، فيما بعد، مدينة بغداد على ما قدمنا...

(208) يعطي ابن بطوطة هنا لائحة مرتبة تقريبا للخلفاء العباسيين، من سنة 158 775 إلى 656=1258 أي ابتداء من المهدي إلى المستعصم ويلاحظ حذف هارون الرشيد والمامون والمقتدي الذي خلف القائم ويبدو ان هذه اللائحة تحتاج إلى مقارنة مع اللائحة التي وردت عند الهروي في كتابه الإشارات حول المقابر العشرة التي توجد في محلة الرصافة والأربعة بالجانب الغربي – الإشارات ص 73.

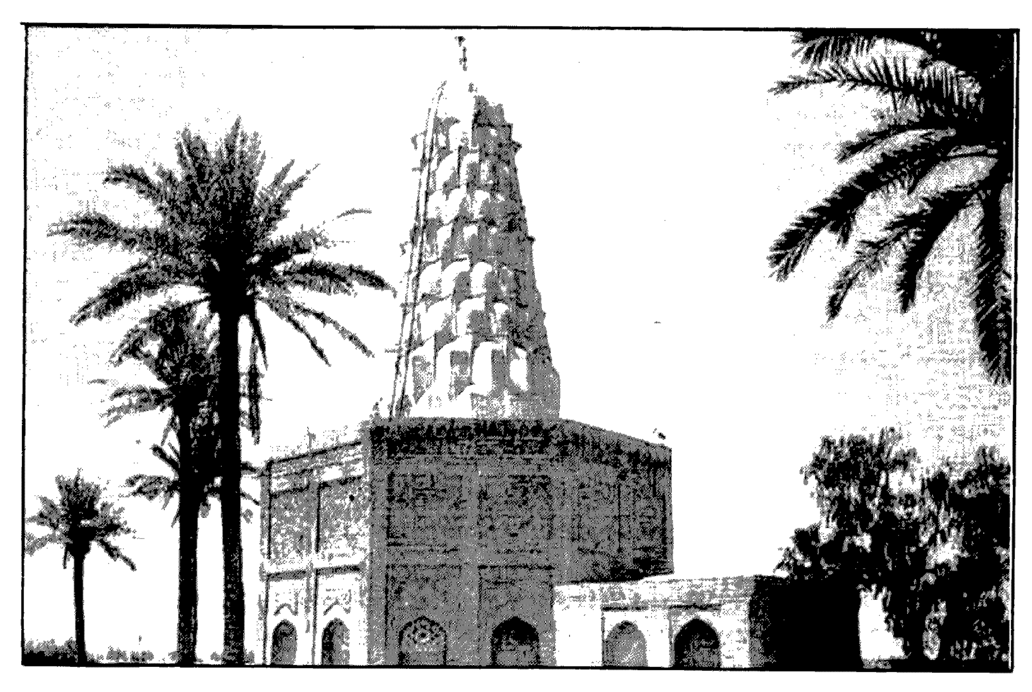
(209) ينبغي أن نقرأ 656 – (1258) عوض 654... مختصر التاريخ لابن الكازروني، تحقيق د. مصطفى جواد ص 270-271.

(210) هوالنعمان بن ثابت إمام الحنفية، وأحد الائمة الأربعة عند أهل السنة، قيل إن أصله من فارس ... اراده المنصور العباسي على القضاء ببغداد فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنفية إنه لا يفعل، فحبّسه إلى أن مات ... له عدة مؤلفات وأخباره كثيرة والمؤلفات عنه لا تكاد تحصى، أدركه أجله عام 150=767... وقد سمي الحي الذي يحتضن قبره بالمعظم على شرفه...

(211) أحمد محمد بن حنبل الشيباني إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الاربعة، أصله من مرو وولد ببغداد، سافر في طلب العلم إلى مختلف الجهات مشرقًا ومغربًا، وله مصنفات تتناول مختلف المواضيع، تعرض لالوان من الامتحان، عندما دعا المامون الى القول بخلق القرآن الذي كان ابن حنبل يعارضه، أدركه أجله عام 241=855، قبره الذي كان على الساحل الغربي طغى عليه الطوفان ونقل في تاريخ لا نعلمه إلى الساحل الشرقي.



رواق القصر العباسي



تربة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بامر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة 599 هـ

ويذكر أنّها بنيت على قبره مرارًا فتهدّمت بقدرة الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظّم واكثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر ابي بكر الشِّبليّ (212) من ائمة المتصوّفة رحمه الله، وقبر سريّ السقطيّ (213) وقبر بشْر الحافي (214)، وقبر داود الطاءي (215)، وقبر أبي القاسم الجُنيد رضي الله عنهم أجمعين.

واهل بغداد لهم يومٌ في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ (216)، ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع، وببغداد كثيرٌ من قبور الصالحين والعلماء رضي الله تعالى عنهم،(217) وهذه الجهة الشرقيّة من بغداد ليس بها فواكه وانّما تجلب اليها من الجهة الغربيّة لان فيها البساتين والحدائق، ووافق وصولي إلى بغداد كونُ ملك العراق بها فلْنذكره هاهنا. 114/2

ذكر سلطان العراقين وخراسان

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بَهَادُرخان ، وخان عندهم : الملك وبَهَادُر بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهمل وآخره راء ابن السلطان الجليل محمد خُذَابَنْدَه (218) وهو الذي

(212) الشلبي هودُلَف بن جحدر، ناسك متصوف من تلامذة أبي حنيفة ولي الحجابة للموفق العباسي ... ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، أصله من خراسان، ومولده سَرَّ من رأى (سامراء)، وقد أدركه أجله ببغداد عام 334=946.

(213) سَرَى بن مغلس السَّقَطي أبو الحسن من كبار الصوفية، كان إمام البغداديين في وقته، وهو خال الجُنَيد وأستاذه، قال الجنيد : ما رأيت أعبد من السرّى، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ماروُى مضطجعًا إلا في علة الموت... توفي سنة 253=867، قبره يوجد على الشط الغربي – وقد سبق ذكر ترجمة الجُنيد في التعليق 105 عندما ذكره ابن بطوطة في إصفهان.

(214) بشْر بن الحارث بن علي المروزي، أبو نصر المعروف بالحافي له في الزهد والورع أخبار، من ثقات رجال الحديث... أدركه أجله عام 227=841 وقد نقل قبره إلى الساحل الشرقي.

(215) هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي من أئمة المتصوفين كان في أيام المهدي العباسي، أصله من خراسان ومولده بالكوفة، رحل إلى بغداد وأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس، قال أحد معاصريه : لو كان داود في الامم الماضية لقصَّ الله تعالى شيئا من خبره ! أدركه أجله –قيل– بالكوفة سنة 165=781، وقد ذكر أن قبره يوجد على الساحل الغربي.

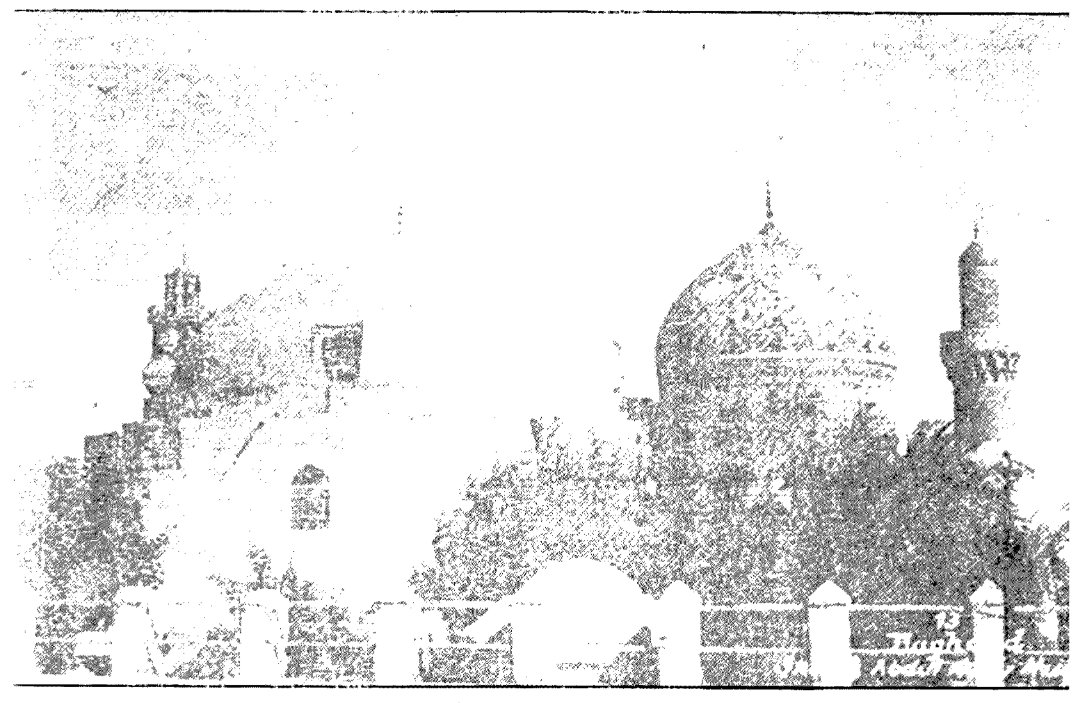
(216) من الملاحظ أن ابن بطوطة لم يتحدث عن مزارة الشيخ عبد القادر الكيلاني (تـ 561=1253) ومع أنه يتمتع بذكر جيد عند المغاربة بالخصوص، وقد عُلل هذا الاهمال من طرف المعلقين بأن الضريح ربما كان أنذاك خرابًا بفعل مداهمة التتر لرباطه المعروف ببرج العجمي. – د. التازي : خطاب الترحيب بالسيد أبو بكر القادري عضوًا في أكاديمية المملكة – مطبوعات الاكاديمية 1400-1406هـ = 1980-1986، ص 94.

(217) تظلّ بغداد شامخةً في ذاكرة التاريخ بما عرفته من رجال تهافت الناس على أخْذ الزاد منهم. وتكفي الإشارة إلى مقولة أبي القاسم الدينوري جوابا لأبي علي السّنجي وقد سأله عمّا يميّز أبا حامد الإسفرايني عنه مع أنهما معاً عالمان جمعا بين رياسة الدّين والدنيا ؟ فكانت المقولة : «ذاك رفعتْه بغداد وحطّتْني الدينور»!!

(218) اسمه التتري أو لجايتو (Oljaitu) ولد عام 681=1282 وتملك من عام 703=1304 إلى عام 716=1316، وحسب تاريخ حافظ أبرو، فإن اسمه تغير إلى تيمور ثم تغير إلى خُدَابنده حسب العادة المغولية التي تغير أسماء الصغار لحفظهم من العين ! لم يكن الايلخاني الاول الذي اعتنق الاسلام فقد كان أخوه السابق غازان 694 = 704 (1295=1304)وعمه تكودارخان 681-683=1282-1284 كانا معًا مسلمين على ما ذكرنا آنفًا حول أبي سعيد انظر ج I ص 325 وحول والده خذابنده انظر I ، 170.



مسجد الإمام أبي حنيفة



مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني

أسلم من ملوك التتر، وضبط اسمه مختلف فيه، فمنهم من قال إن اسمه خُذَابَنْدَه بخاء معجمة مضمومة وذال معجم مفتوح وبَنْدَه لم يختلف فيه وهو بباء موحدة مفتوحة ونون مسكنة ودال مهمل مفتوح وهاء استراحة، وتفسيره على هذا القول عبد الله لأن خُذَا بالفارسيّة اسم الله عزّ وجلّ، وبَنْده غلام أو عبد أو مافي معناهما، وقيل انّما هو خَرْبَنْدَه بفتح الخاء المعجم وضمّ الراء المهمل وتفسير خَرُ بالفارسيّة الحِمار، فمعناه على هذا غلام الحمار فشتّان ما بين القولين من الخلاف ! على أن هذا الأخير هو المشهور، وكأنّ الأوّل غيّره إليه مَن تعصّب، وقيل إن سبب تسميته بهذا الاخير هو أن التتر يسمّون المولود باسم أول داخلٍ على البيت عند ولادته، فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزُّمال، وهم يسمونه خَرْبَنْدَه فسمّى به، وأخو خَرْبَنْده هو قازغان الذي يقول فيه الناس قازان وقازغان هو القِدر، وقيل سُمّي بذلك لأنه لما وُلد دخلت الجارية ومعها القدر.

115/2

116/2

وخُذَابَنْدَه هو الذي أسلم وقدّمنا قصّته، وكيف أراد أن يحمل الناس لمّا أسلم على الرفض وقصّة القاضي مجْد الدين معه، ولمّا مات ولي الملك ولدُه أبو سعيد بَهادُر خان، وكان ملكًا فاضلاً كريمًا، ملك وهو صغير السنّ، ورايته ببغداد وهو شابّ أجمل خلق الله صورةً لانبات بعارضيه، ووزيره إذ ذاك الأمير غياث الدين محمد بن خُوَاجه رشيد (219)، وكان أبوه من مهاجرة اليهود واستوزره السلطان محمد خُذَابَنْدَه والد أبي سعيد رأيتهما يوماً بحرّاقة في الدجلة وتسمّى عندهم الشبّارة (220)، وهي شبه سلَورة وبين يديه دمشق خُوجه ابن الامير الجوبان المتغلّب على أبي سعيد، وعن يمينه وشماله شبّارتان فيهما أهل الطرب والغناء ورايت من مكارمه في ذلك اليوم أنّه تعرّض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم، فأمر لكلّ واحد منهم بكسوة وغلام يقوده، ونفقته تجرى عليه.

(219) رشيد الدين فضل الله أو رشيد الدولة المنعوت عند بعض المؤرخين بالهَمداني وزير من المشتغلين بالتاريخ وبالطب والفلسفة .. اتصل بمحمود غازان ملك التتار وخدمه بطبه إلى أن ولي الوزارة له ثم لأخيه خُذَا بنده من بعده .. أُحترقت كتبه بعد قتله عام 716=1316 وبقي منها كتاب هامّ يعتبر مرجعًا هامًا لهذه الفترة ولهذه المنطقة (جامع التواريخ) أربع مجلدات بالعربية والفارسية طبعت النسخة الفارسية باسم (تاريخ غازاني) ونحن نعتمده مرارًا في بعض المعلومات، ولده غياث الدين لم يلتحق بالوزارة إلا بعد اغتيال دمشق خوجه أو خواجا في شوال 727 = غشت 1327 وكان وزيرًا أيضا لخلف أبي سعيد أرْبَاخان وقتل بعد سقوط حكم هذا الملك الأخير يراجع فهرس المصادر حرف الهاء...

(220) الحرّاقة ضرب من القوارب على نحو الشَّبارة بالباء وليس بالياء تحتوي على جناح خاص بالأمراء والكبار هذا وحسب النسخ المعتمدة فإن (خوجه) يكتب بدون الف بعد الواو وترسمه "الدرر" احيانا خُجَا واحيانا خواجا 2، 78-192.

ولمّا ولَي السلطان أبو سعيد، وهو صغير كما ذكرناه استولى على أمره أمير الامراء الجوبان (221) وحجّر عليه التصرّفات حتّى لم يكن بيده من الملك الاّ الاسم، ويذكر أنّه احتاج في بعض الاعياد إلى نفقةٍ ينفقها فلم يكن له سبيل إليه فبعث إلى أحد التجار فاعطاه من المال ما أحبّ، ولم يزل كذلك إلى أن دخلت عليه يوما زوجة أبيه دنيا خاتون، فقالت له لو كنّا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ما هما عليه، فاستفهمها عن مرادها بهذا الكلام، فقالت له : لقد انتهى أمر دِمشق خواجه بن الجوبان أن يفتك بحُرَم أبيك، وأنه بَاتَ البارحة عند طُغَى خاتون ! وقد بعث إليّ وقال لي : الليلة أبيت عندك، (223) وما الرأي إلاّ أن تجمع الأمراء والعساكر، فإذا صعد إلى القلعة مختفيًا برسم المبيت أمكنك القبض عليه، وأبوه يكفي الله أمره.

118/2

وكان الجوبان إذ ذاك غائبًا بخرَاسان (224)، فغلبته الغيرة وبات يدبّر أمره، فلما علم أن دِمشق خواجه بالقلعة أمر الأمراء والعساكر أن يطيفوا بها من كلّ ناحية فلما كان بالغُدُوّ خرج دمشق ومعه جنديّ يُعرف بالحاجّ المصريّ فوجد سلسلةً معرضةً على باب القلعة وعليها قفل، فلم يمكنه الخروج راكبًا فضرب الحاجّ المصري السلسلة بسيفه فقطعها وخرجا معًا فأحاطت بهما العساكر، ولحق أمير من الأمراء الخاصَكيّة يعرف بمصر خواجه وفتى يعرف بلؤلؤ دمشق خواجه فقتلاه وأتيا الملك أبا سعيد برأسه، فرموا به بين يدي فرسه، وتلك عادتهم أن يفعلوا برؤوس كبار أعدائهم، وأمر السلطان بنهب داره، وقتل من قاتل من خدّامه ومماليكه.

119/2

واتّصل الخبر بأبيه الجوبان وهو بخراسان ومعه أولاده أمير حسن، وهو الأكبر، وطالش وجلوخان وهو أصغرهم وهو ابن أخت السلطان أبي سعيد من أمّه ساطي بك، بنت

(221) كان الجوبان رئيسا للقوات المسلحة، وكان صهرًا في مرتين متواليتين للسلطان أبي سعيد، أولاً كان متزوجًا باخته دَوْلاَنْدي، وبعد موته تزوج باخته له ثانية تحمل اسم سَاطي بك التي ستجلس على العرش الإيلخاني فيما بعد 737 = (1338-1339) على ما سبقت الإشارة اليه ينبغي قراءة (ونفقةٍ عوض (ونفقته) الموجودة في الطبعة الفرنسية والتي سار عليه الناشرون اللاحقون ...

(223) يتحدث حافظي أبْرو مؤرخ هذه الفترة عن علاقات دِمَشق خْواجه مع إحدى الجواري المحظيات القديمات لأولْجايتُو تحمل إسم قونْقُوطاي الأمر الذي أثار حنق الحريم السلطاني.

(224) الجوبان كان على رأس الحملة الموجهة ضد الفريق من التتر المنحدر من تْشَاغَاطاي (Tchaghatay) ابن جنكيز الذي كان يحكم آسيا الوسطى هذا وان الحكاية عن مقتل دمشق خواجة التي تؤرخ بيوم 4 شوال 727=24 غشت 1397 مؤكدة من لدن المؤرخين – ويلاحظ أن ابن بطوطة كان أثناء صيف 727=1327 خارج المنطقة...

السلطان خُذَابنْده (225) ومعه عساكر التتر وحاميتها فاتّفقوا على قتال السلطان أبي سعيد، وزحفوا إليه، فلما التقى الجمعان هرب التتر إلى سلطانهم وأفردوا الجوبان، فلما رأى ذلك نكص على عَقِبَيْه، وفرّ إلى صحراء سجستان، وأوغل فيها وأجمع على اللحاق بملك هراة غياث الدين (226) مستجيرًا به وتحصنًّا بمدينته وكانت له عليه أياد سابقة، فلم يوافقه والده حسن وطالش على ذلك، وقالا له : إنّه لا يفي بالعهد، وقد غدر فيروزشاه (227) بعد أن لجأ اليه وقتله، فأبى الجوبان إلاّ أن يلحق به ففارقه ولداه وتوجه ومعه ابنه الأصغر جلوخان، فخرج غياث الدين لاستقباله وترجّل له وأدخله المدينة على الأمان ثم غدره بعد أيّام، وقتل ولده وبعث برأسيهما إلى السلطان أبي سعيد.

120/2

وأمّا (228) حسن وطالش فانهما قصدا خوارزم وتوجّها إلى السلطان محمد أوزبك فاكرم مثواهما وانزلهما إلى أن صدر منهما ما أوجب قتلهما، فقتلهما، وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدّمُرطاش (229)، فهرب إلى ديار مصر فاكرمه الملك الناصر واعطاه الإسكندرية فأبى من قبولها، وقال : إنما أريد العساكر لأقاتل أبا سعيد، وكان متى بعث إليه الملك الناصر بكسوة أعطى هو للّذي يوصلها اليه أحسن منها، إزراءً على الملك الناصر، وأظهر أمورًا أوجبت قتله فقتله وبعَثَ برأسه إلى أبي سعيد، وقد ذكرنا قصّته وقصّة قراسنقور فيما تقدّم، ولّما قتل الجوبان جيء به وبولده ميّتين فوُقِفَ بهما على عَرَفات وحُملا إلى المدينة ليدفنا

121/2

(225) حسب حافظي أبْرو فإن هؤلاء الأبناء الثلاثة هم للاميرة دَوْلاَندي وليسوا للاميرة ساطي بك.

(226) غياث الدين كورت سلطان لهراة خلف والده فخر الدين كورت 728=1310-1328 – 29.

(227) وْرَات نوروز (OIRAT Nawruz) ابن أرْغون حاكم خراسان عيّن عام 694-1295 قائدًا عامًا من لدن غازان وساعد فخر الدين كورت الذي أمسى سلطانًا على هراة، بيد أن نُوروز نفسه لما ذهبت حظوته عام 696=1297 لجأ إلى هراة. لكن فخر الدين كان مضطرًا لتسليمه إلى غازان ... ابن بطوطة هنا يخلط بين كرت الامير وبين ضحيته، Gibb, Travels II, P 319.

(228) يذكر حافظي أبْرو معلومات تفصيلية عن القرار الذي اتخذه غياث الدين بتصفية الولد ووالده وأنه كان نتيجةً لمداولات مجلس الشورى. ونذكّر في هذه المناسبة بما ورد في ترجمة القائد التتري إيرَنجن خال القان أبي سعيد، وأنه كان اتفق مع أبي سعيد على امساك جوبان وقتله، وان جوبان تمكن من الهرب إلى حيث أبو سعيد الذي انكر كل اتصال له بالمؤامرة الأمر الذي أدّى بالقائد إيرَنجن إلى مجابهة القان الذي وجدناه يجهز على إيرنجن على مرأى من مجلس شورى عُقِد حول الموضوع !! الدرر 1، 459-460.

(229) سمّي تيمورطاش (Timurtash) (دمرطاش عند ابن بطوطة) سمي حاكما على أنطاكية عام 716=1316 ولم يلبث أن أعلن نفسه مستقلا عام 721=1321، وامتدت سلطاته حتى جنوب غرب انطاكية ... وقد سبقت الاشارة اليه.

في التربة التي اتّخذها الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنع من ذلك، ودفن بالبقيع. والجوبان هو الذي جلب الماء إلى مكّة شرفها الله تعالى (230).

122/2 ولمّا استقلَّ السلطان أبو سعيد بالمُلك أراد أن يتزوَّج بنت الجوبان، وكانت تسمى بغداد خاتون (231) وهي من أجمل النساء وكانت تحت الشيخ حسن الذي تغلَّب بعد موت أبي سعيد على الملك وهو ابن عمّته، فأمره فنزل عنها وتزوَّجها أبو سعيد، وكانت أحظى النساء لديه، والنساء لدى الأتراك والتتر لهنَّ حظٌ عظيم وهم إذا كتبوا أمرًا يقولون فيه : عن أمر السلطان والخواتين، ولكل خاتونٍ البلادُ والولايات والمجابي العظيمة، وإذا سافرت مع السلطان تكون في محلّةٍ على حدة.

وغلبت هذه الخاتون على أبي سعيد وفضّلها على سواها، وأقامت على ذلك مدّة أيّامه 123/2 ثم إنه تزوّج امرأةً تسمى دِلْشَاد (232) فأحبّها حبًّا شديدًا وهجر بغداد خاتون فغارت لذلك وسمّته في منديل مسّحته به بعد الجماع (233) ! فمات وانقرض عقبه، وغلبت امراؤه على الجهات كما سنذكره، ولما عرف الامراء أن بغداد خاتون هي التي سمّته أجمعوا على قتلها وبدر لذلك الفتى الرومي خوارجه لؤلؤ، وهو من كبار الأمراء وقُدَمائهم، فأتاها وهي في الحمّام فضربها بدبّوسه وقتلها (234)، وطُرحت هنالك أيّاماً مستورة العورة بقطعة تلّيس، واستقلّ الشيخ حَسَن بمُلك عراق العرب، وتزوج دلشادَ امرأة السلطان أبي سعيد كمثل ما كان أبو سعيد فعله من تزوَّج امرأته.

(230) الجوبان هذا فعلا هو الذي أصلح قنوات عين زبيدة وأجرى الماء إلى مكة عام 725=1325، حتى لم يكن الماء يباع بها وهو الأمر الذي مكن كذلك من زراعة البقول في المدينة ولا ننسى أن جوبان هذا هو الذي كان أعظم الاسباب في تقرير الصلح بين الامبراطورية الايلخانية ممثلة في السلطان أبي سعيد ملك فارس والعراق ودولة المماليك ممثلة في الناصر ملك مصر، وهو الذي أنشأ مدرسة بالمدينة مجاورة للحرم الشريف، وقد ترجم له ابن حجر في الدرر ج 2 ص 78-79.

(231) حسبما يرويه ابن حجر في كتابه (الدرر) فإن الأمير جوبان النّوين، كان يعرف أن أبا سعيد يعشق بنته بغداد... فلا يمكنها من دخول القصر فلما هرب جوبان وقتل أخوها وهرب الآخر إلى مصر اغتصبها أبو سعيد من زوجها وصارت عنده في أعلى مكانة وكانت تركب في مركب حافل من الخواتين وتشدّ في وسطها السيف فلم تزل على علوّ منزلتها إلى أن مات أبو سعيد فقُتلت بعده عام 736=1336 الدرر 2، 13.

(232) دِلشاد بنتٌ لدمشق خْوَاجَة، وحفيدة للجوبان ويرسُمُها ابن حجر دلهياد، و هي زوج الشيخ حسن تزوجها بعد عمتها بغداد فحظيت عنده وكان أمرها نافذًا في المماليك توفيت في ذي القعدة 752 = دجنبر 1351 يناير 1352 - الدرر 2، 192.

(233) حسب حافظي أبرو، فإن أبا سعيد أدركته الوفاة أثناء الحملة التي شنها ضد السلطان أوزبك في أعقاب مرضٍ مُعدٍ...

(234) كان أربَاخان يرتاب في نوايا الأميرة بغداد ،التي كانت أقوى امرأةٍ في القصر إزاءه، وكان يشك في أنها تدبّر أمرًا ضده مع أوزبك خان فاتهمت نتيجةً لذلك بالتجسس وأعدمت، معلومات عن حافظي أبَرو...

ذكر المتغلّبين على الملك بعد موت السلطان أبي سعيد.

124/2 فمنهم الشيخ حَسَن (235) ابن عمّته الذي ذكرناه آنفا، تغلّب على عراق العرب جميعًا، ومنهم إبراهيم شاه ابن الامير سُنَيْته (236)، تغلب على الموصل وديار بكر، ومنهم الأمير أرْتنا (237) تغلب على بلاد التركمان المعروفة أيضا ببلاد الروم، ومنهم حسن خواجه (238) بن الدَّمُرطاش بن الجوبان تغلب على تَبْريز والسلطانيّة، وهمدان، وقُمّ وقاشان والريّ ورامين وفرغان والكَرَج (239)، ومنهم الأمير طُغَتِيمور تغلّب على بعض بلاد الفخراسان، ومنهم الأمير حُسين ابن الامير غياث الدين (241)، تغلّب على هراة ومعظم بلاد خُرسان

---

(235) حسن الكبير ينتمي إلى القبيلة الجلايرية المغولية حاكم لأنطاكية في الأيام الأخيرة لملكة أبي سعيد، احتل تبريز عام 736=1336 وبعد ترك هذه لحسن بن تيمورطاش احتل بغداد عام 739=1339 وبسط نفوذه على العراق إلى أن توفي عام 757=1356 وقد اهمل ابن بطوطة ذكر فترة حكم قصيرة للأمير ارْباخان سالف الذكر في التعليق السابق، وبعض الأمراء المنحدرين من هولاكو أو جنكيز خان من الذين اعترف بهم كسلاطين لأمدٍ قصير... وحتى يتجنب المرء أي ارتباك في التاريخ لهذه المرحلة ينبغي أن يرجع إلى :كتاب Spuler : Diemongolen in IRAN

(236) إبراهيم شاه ابن سوتاي هكذا يرسمه ابن حجر في كتابه الدرر، التتري النوين حكم الموصل عام 743=1342-1343، كانت هذه الاسرة قد أسست إمارةً حول ديار بكر استمرت إلى وفاة ابراهيم شاه عام 751=1350. الدرر 2، 275-333.

(237) هو علاء الدين أرْتَنا الذي خلف تيمورطاش (دمُرداش) بن الجوبان كحاكم على أنطاكية ... واستقل عام 738=1338 وأسس إمارة اختار لها كمركز سيواس (Sivas) ثم القُيصرية، وقد توفي أرتنا عام 753=1352، ولكنَّ الامارة ثبتت في شخص ولده محمد باك إلى عام 781=1380... - الدرر 1،371.

(238) حسن الصغير المترجم في الدرر تحت اسم الحسن بن تمرتاش بن جوبان، تأمّر بسيواس بعد قتل أبيه عام 728=1328، وقد كان من مبادراته أنه أرسل رسولا إلى الناصر يقال له قاضي شيراز تاج الدين ثار ضد الشيخ حسن الجلايري عام 738=1338 وأعلن أخت السلطان أبي سعيد ساطي بك سلطانة واحتل المنطقة المشار إليها إلى أن اغتيل عام 744=1343 من طرف زوجته، الدرر 2، ص 96-97.

(239) ينبغي، على ما يبدوا أن نقرأ فَرَهان (Farahan) وليس فرغان، وحسب مستوفى فإن الامر يتعلق بموقع يوجد على بعد 50 أو 60 ميلاً جنوب شرقي هَمَدان الكرج : القسم الاعلى من نفس الموقع، أما إقليم رامين (Varamin) فإنه يوجد شرقيّ طهران.

(240) طُغَيْتِيمُور (Togha-Timur) ينحدر من أخ لجنكيز خان، وقد لقب بخان من لدن أمراء خراسان بعد وفاة أرْبَاخان عام 736=1336، وبما أنها استُرجعت من لدن حسن الكبير، فقد أصبح أحد محميّيه المنعوتين بخان 739=1338-1339، وقد تكونت فيها بعد ذلك مملكة في شرق مَزاندران. وقد قتل من قبل السَّربِدار الذين سنعرف عنهم في آخر السفر الأول.

(241) حسين ابنٌ ثالث لغياث الدين كورت، وخلفه كذلك من 732 إلى 771 = 1331-1332-1369-70.
SPULER : Die Mongloen in IRAN

ومنهم ملك (242) دينار تغلّب على بلاد مكران وبلاد كيج، ومنهم محمّد شاه ابن مظفر تغلّب على يزد وكرمان (243) وورْقُو، ومنهم الملك قطب الدين تمتهن (244) تغلب على هرمز وكيش والقطيف والبحرين وقلهات، ومنهم السلطان أبو اسحاق الذي تقدّم ذكره (245)، تغلب على شيراز وإصفهان وملك فارس وذلك مسيرة خمس وأربعين، ومنهم السلطان أفراسياب اتابك (246) تغلّب على إيذج وغيرها من البلاد وقد تقدم ذكره.

125/2

ولنعد إلى ما كنّا بسبيله : ثم خرجت من بغداد (247) في محلّة السلطان أبي سعيد وغرضي أن أشاهد ترتيب ملك العراق في رحيله ونزوله وكيفيّة تنقّله وسفره وعادتهم، انّهم يرحلون عند طلوع الفجر وينزلون عند الضحى، وترتيبهم أنّه يأتي كلّ امير من الأمراء بعسكره وطبوله وأعلامه فيقف في موضع لا يتعدّاه قد عيّن له، إمّا في الميمنة أو الميسرة، فإذا توافوا جميعًا وتكاملت صفوفهم، ركب الملك وضربتْ طبول الرحيل وبُوقاته وأتى كلّ أمير منهم فسلّم على الملك وعاد إلى موقفه، ثم يتقدّم أمام الملك الحجّاب والنقباء، ثم يليهم أهل الطرب وهم نحو ماية رجل عليهم الثياب الحسنة، وتحتهم مراكب السلطان، وأمام أهل الطرب عشرة من الفرسان قد تقلّدوا عشرة من الطبول وخمسة من الفرسان لديهم خمس صُرْنايات وهي تسمّى عندنا بالغيطات، فيضربون تلك الأطبال والصُرْنايات ثم يمسكون

126/2

(242) من المحتمل أن يكون القصد إلى غياث الدين دينار الذي ينتسب لأسرة نبيلة في مَكران. والذي تردد ذكره عند ذكر زواج من أمراء هرمز وليست له علاقة بملك دينار السابق الذكر (تعليق 37) - كيج ومكران موقعان يأتي ذكرهما متصلين يكوّنان الاقليم الغربي للباكستان الحالية متاخمان لبلوشتان وكانت على ذلك العهد تعني الحدود بين الممتلكات الايلخانية وممتلكات سلطنة دهلي.

(243) وَرْقُو (WARQU) هي بالذات أبار رقوه (ABARQUH) أو ابار قويا على بعد 80 ميلا جنوب غرب يزد على الطريق الرئيسي لمدينة شيراز، وقد تقدمت الاشارة إلى محمد شاه بن مظفر وحول تاريخ بني المظفر في يزد راجع دائرة المعارف الإسلامية.

(244) سياتي الحديث عن قطب الدين هذا عندما يصل ابن بطوطة إلى هرمز حيث يخصص فصلا هامًا لتَمَهتن أو تَهمتَن على ماهو الصواب.

(245) راجع حديث ابن بطوطة عن سلطان شيراز ابتداءً من التعليق 138.

(246) تقدم الحديث عن الاتابك أفراسياب بمناسبة كلام ابن بطوطة عن عاصمة لورستان : التعليق 82.

(247) قدّم ابن بطوطة هنا وصفًا جميلاً ودقيقًا لمراسيم تحرك موكب ملك العراق مما ينبغي أن نقف عنده طويلا لنعرف عن بعض مظاهر الحضارة التي كانت معروفة آنذاك، ولنعرف مقارنة مواكب التتر بالمشرق ومواكب الدّولة في المغرب على ما أورده ابن صاحب الصلاة في تاريخه وبمواكب الفاطميين والأيوبيين والمماليك بمصر كما أوردها القلقشندي في الجزئين الثالث والرابع من صبح الأعشى. هذا وحسب ما ذكر حافظ ابرو فإن أبا سعيد غادر بغداد في فصل الربيع من هذه السنة ومن المحتمل أن يكون ذلك تم في شهر مايه ونعتقد أن المحلّة اتجهت إلى تبريز من بغداد شمالاً إلى خانقين، ومن هذه إلى تبريز عبر همدان (انظر الخريطة).

ويغنّي عشرة من أهل الطرب نوبتهم، فإذا قضوها ضربت تلك الأطبال والصُّرْنَايَات ثم امسكوا وغنّى عشرة آخرون نوبتهم هكذا إلى أن تتمّ عشر نوبات، فعند ذلك يكون النزول
127/2 ويكون عن يمين السلطان وشماله حين سيْره كبار الامراء وهم نحو خمسين ومن ‖ ورائه أصحاب الأعلام والأطْبال والأنفار والبوقات ثم مماليك السلطان ثم الأمراء على مراتبهم وكل أميرٍ له أعلام وطبول وبوقات، ويتولّى ترتيب ذلك كلّه أمير جَنْدَر وله جماعة كبيرة، وعقوبةُ مَن تخلّفٍ عن فوجه وجماعته أن يُؤخذ تماقه فيملأ رملاً ويعلّق في عنقه ويمشي على قدمَيْه حتّى يبلغ المنزل ! فيوتى به إلى الأمير فيبطح على الأرض ويضرب خمسا وعشرين مقرعة على ظهره سواء كان رفيعًا ووضيعًا لا يحاشون من ذلك أحدًا، وإذا نزلوا ينزل السلطان ومماليكه
128/2 في محلّة على حدة وتنزل كلّ خاتون من خواتينه في محلة على حدة، ولكل واحدة ‖ منهن الإمام والمؤذِّنون والقرّاء والسُّوق.

وينزل الوزراء والكتّاب وأهل الأشغال على حدة، ويأتون جميعًا إلى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة، والمشاعل بين أيديهم، فإذا كان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم ضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي المَلِكة، ثم أطبال سائر الخواتين، ثم طبل الوزير ثم أطبال الأمراء دفعةً واحدة، ثم يركب أمير المقدّمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين، ثم أثقال السلطان وزاملته وأثقال الخواتين ثم أمير ثان في عسكرٍ له يمنع الناس من الدخول فيما بين الأثقال والخواتين، ثم سائر الناس !

وسافرت في هذه المحلّة عشرة أيام، ثم صحبت الأمير علاء الدين (248) محمد إلى
129/2 بلدة تبريز وكان من الأمراء الكبار الفضلاء ‖ فوصلنا بعد عشرة أيام إلى مدينة تبريز ونزلنا

(248) هذا الامير علاء الدين بن محمد سيعيَّن في هذه السنة، بعد اغتيال دمشق خواجه (أو خوجا) وزيرًا ومفتشا للمالية – أبو سعيد كان في طريقه نحو السلطانية "العاصمة الجديدة التي بناها أولجايتو – وتقع على بعد 65 غربي قزوين وبعد 190، جنوب غربي تبريز" – السلطانية تقع على بعد حوالي 400 ميل عن بغداد على طريق هَمَدَان – كانت السلطانية النقطة التي غادر فيها ابن بطوطة "المحلة" مارًا على مقربة من همَدان "280 من بغداد" – الصّرناي : آلة موسيقية تشبه النّاي، مزمار مغلف بعُود – جنْدَر : كلمة فارسية تعني الحرس الخاص بالملك – أهل الأشغال : المشرفون على الإدارة – حول دلالات نقرات الطبول في المغرب يراجع تاريخ ابن صاحِب الصّلاة (مصدر سابق) ص 404.

بخارجها في موضع يعرف بالشّام (249)، وهنالك قبر قازان ملك العراق، وعليه مدْرسة حسنة وزاوية فيـهـا الطعـام للوارد والصـادر من الخبـز واللحم والأرز المطبـوخ بالسـمن والحلواء، وانزلني الامير بتلك الزاوية، وهي ما بين أنهار متدفّقة، وأشجار مورقة، وفي غدِ ذلك اليوم دخلتُ المدينة على (250) باب يعرف بباب بغداد، ووصلنا إلى سوقٍ عظيمة تعرف بسوق قازان من أحسن سوقٍ رأيتها في بلاد الدنيا، كلّ صناعةٍ فيها على حدة لا تخالطها أخرى، واجتزت بسوق الجوهريّين فحَارَ بَصَري ممّا رايتُـه من أنواع الجـواهر وهي بأيدي مماليك حسـان

130/2

الصّور عليهم الثياب الفاخرة وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير، وهم بين أيدي التجار يعرضون الجواهر على نساء الاتراك وهنّ يشترينه كثيرًا ويتنافسْن فيه، فرأيت من ذلك كلّه فتنةً يستعاذ بالله منها !

ودخلنا سوق العنبر والمسك فرأينا مثل ذلك أو أعظم، ثم وصلنا إلى المسجد الجامع الذي عمّره الوزير على شاه المعروف بجيلان (251)، وبخارجه عن يمين مستقبل القبلة مدرسة

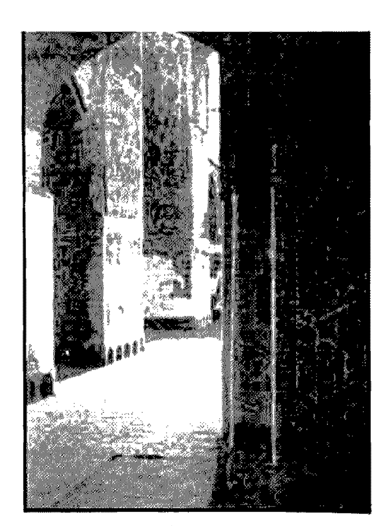
---

(249) الشام موقع جديد بناه غازان خان خارج السور الثاني للمدنية يسمى بالفارسية في التاريخ باسم الغازانية وقد سمّاها رشيد الدّين شام غازان - قبر قازان خان الذي كان يتّخذ شكل صومعة كبيرة وُصف من لدن عددٍ من الرَّحالة في القرن الحادي عشر الهجري = السابع عشر الميلادي، وقد اختفت معالم القبر اليوم ولكن اسم القرية ما يزال موجودًا... هذا ولنا وقفة هنا مع ابن بطوطة الذي سافر من بغداد إلى تبريز وكأنه أخذ طائرة !! فلاذكر للمراحل التي قطعها صحبة (المحلة) ولا إشارة للمواقع التي سلكها طوال عشرة أيام من شمال بغداد ومرورا بشرقي العراق إلى همَدان ذهابًا وايابًا ! فهل كان هذا من اختصار الرحّالة ؟ ام انه كان في وضع لا يسمح له بتسجيل مذكراته؟ مهما يكن فإن هذه المسافة الطويلة لا تسمح بتركها دون وصف...!

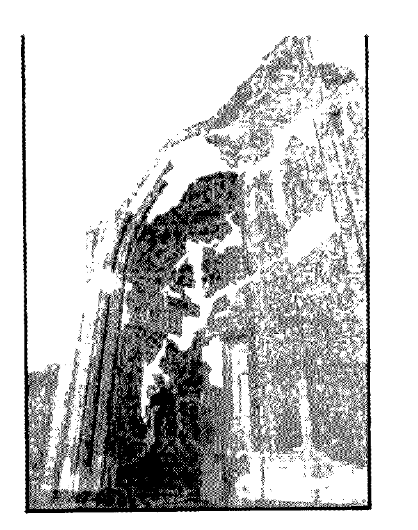
(250) تبريز عاصمة الايلخانيين كانت على ذلك العهد في قمة إزدهارها وحضارتها، وقد قدم لنا مستوفي لائحةً بأسماء أبواب المدينة وأفرد اعتماد السلطنة في كتابه (مرآة البلدان) فصلاً مسهبًا للحديث عن تبريز أو تُوْريز وعرض لتاريخ بناء المدينة من طرف زبيدة زوجة هارون الرشيد سنة 175=792 كما عرض للزلازل التي ضربتها والاصلاحات والترميمات التي أعقبتها وكذا للمشايخ والعلماء الذين ينتسبون إليها : وإذا كان ابن بطوطة الطنجي قد أخِذ بمفاتن أسواق تبريز فإن مواطنا مغربيا آخر من فاس هو ابن الوزان المعروف عند الأوربيين (بليون الإفريقي) يفضل سوق العطارين بفاس قائلا لقد رأيت سوقًا عظيمة جدًا للعطارين في تبريز أو توريز غير أن الدكاكين فيها عبارة عن أروقة شبه مظلمة مع أنها مبنية بأناقة وبأعمدةٍ من الرخام. إني أفضل كثيرا - يقول ابن الوزان- سوق فاس المشرق على سوق تبريز المظلم !! ولعلَّ ابن الوزَّان يعني بازاراً قديماً !! أما اليوم فقد تغيرت الأحوال كما وقفنا عليه Jean Léon l'Africain. discription de l'Afrique traduit par A. EPAULARD - PARIS .1956 T.1 P.200

مرآة البلدان، 395 – د. التازي : إيران بين الأمس واليوم ص 81.

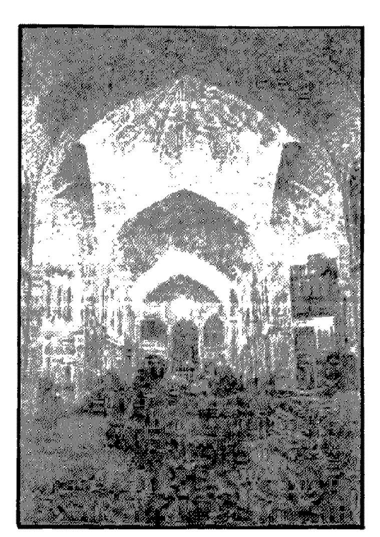
(251) تاج الدين علي شاه جيلان الذي سمي وزيرا مساعدًا للوزير رشيد الدين المؤرخ المعروف سالف الذكر عام 610=1312، عاش بعد تصفية هذا الأخير وكان الوزير الإيلخاني الوحيد الذي مات على فراشه عام 718=1318، ورد في وصف أقسرائي لهذا الجامع : لم أر نظيرًا له في سائر أطراف العالم الاسلامي باستثناء مسجد دمشق. أطلاله شاخصةٌ إلى اليوم تحت إسم أرْگ (arg) يعني الحصن. وقد زرتُ الجامع يوم 1996/6/5 بدعوة كريمة من الخارجية الإيرانية وهو غير الجامع الأزرق (كُبود) الذي يوجد تحت الترميم.



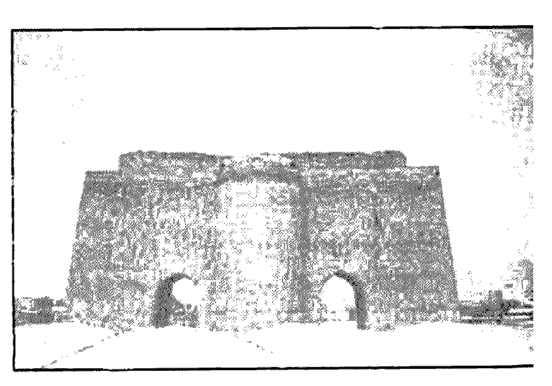
المسجد الأزرق



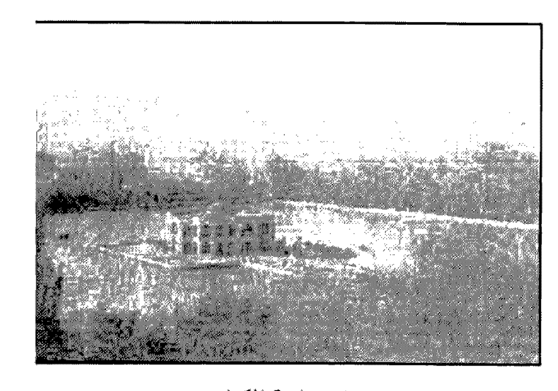
الجامع الأزرق كذلك



البازار في تبريز اليوم



مسجد علي شاه



استراحة إلكولي

لقطات من تبريز

وعن يساره زاوية، وصحنه مفروش بالمرمر وحيطانه بالقاشاني، وهو شبه الزليج، ويشقه نهر ماء، وبه أنواع الأشجار ودوالي العنب وشجر الياسمين، ومن عادتهم أن يقرءوا به كلّ يوم سورة يس وسورة الفتح وسورة عمّ (252) بعد صلاة العصر في صحن المسجد، ويجتمع

131/2 لذلك أهل المدينة وبتنا ليلةً بتبريز، ثم وَصَل بالغد أمر السلطان أبي سعيد إلى الامير علاء الدين بأن يصل إليه فعدت معه، ولم ألق بتبريز أحدًا من العلماء، ثم سافرنا إلى أن وصلنا محلّة السلطان فاعلمه الامير المذكور بمكاني وأدخلني عليه فسألني عن بلادي وكساني وأركبني، واعلمه الأمير أنّي أريد السفر إلى الحجاز الشريف فأمر لي بالزاد والركوب في السبيل مع المحمل. وكتب لي بذلك إلى أمير بغداد خواجه معروف (253)، فعدت إلى مدينة بغداد واستوفيت ما امر لي به السلطان.

وكان قد بقي لأوان سفر الركب أزيد من شهرين، فظهر لي أن أسافر إلى الموصل

132/2 وديار بكر لأشاهد تلك البلاد وأعود الى بغداد في حين سفر الركب فاتوجّه إلى الحجاز الشريف، فخرجت من بغداد إلى منزل على نهر دُجَيل (254)، وهو يتفرّع عن دجلة فيسقى قرى كثيرة، ثم نزلنا بعد يومين بقرية كبيرة تعرف بِحَرْبة (255) مخصبة فسيحة، ثم رحلنا فنزلنا موضعًا على شطّ دجلة بالقرب من حصنٍ يسمّى المعشوق (256)، وهو مبنّى على الدجلة وفي العدوة الشرقيّة من هذا الحصن مدينة سرّ من رأى وتسمى أيضا سامرّا، ويقال لها سامْ رَاه، ومعناه بالفارسيّة طريق سام وراه هو الطريق (257)، وقد استولى الخَرَابُ على

(252) السورة رقم 46 ورقم 48 ورقم 78.

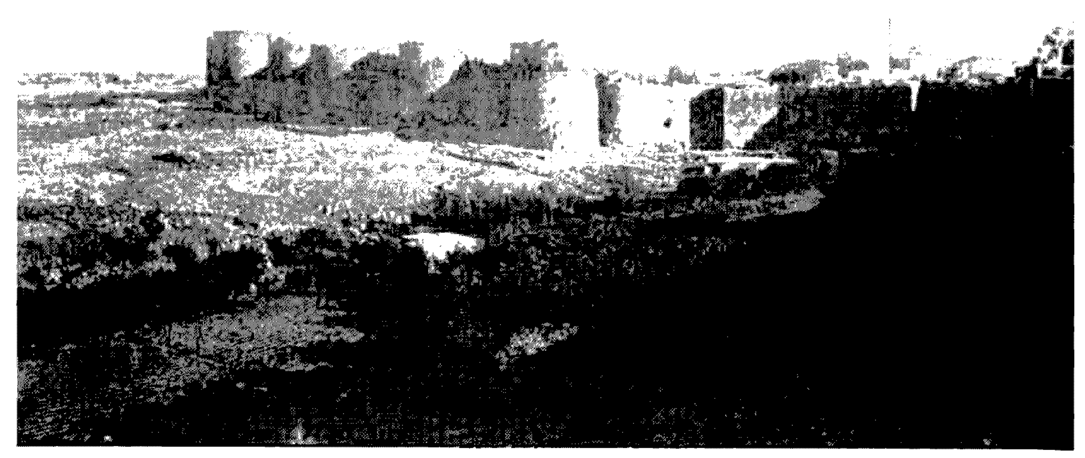
(253) هو عزّ الدّين حاكم لبغداد عام 736=1336 – العزّاوي : العراق بين احتلالين هذا وكلمة (السبيل) تعني الوقف أي السَّفَر المجاني مع ركب الحاج الذي يصحب المحمل..
ويظهر من كلام ابن بطوطة أنه عاد إلى بغداد أول شعبان 727 عند نهاية يونيه 1327 ومرة أخرى نلاحظ أن ابن بطوطة يختصر ذكر مراحله في هذه الزيارة السياحية إلى ومن تبريز... تعليق 249.

(254) يبتدئ نهر دجيل (دجلة الصغير) جنوب سامراء ويتبع الساحل الأيمن لدجلة. يلاحظ أن هذه الفقرات التالية مختصرة من رحلة ابن جبير مع بعض الخصوصيات كالإشارة إلى معالم الشيعة في سامراء وكالفقرتين الأخيرتين المتعلقتين بالموصل ويلاحظ أنه يبتدئ رحلة في الجزيرة الفراتية ذات التاريخ الطويل...

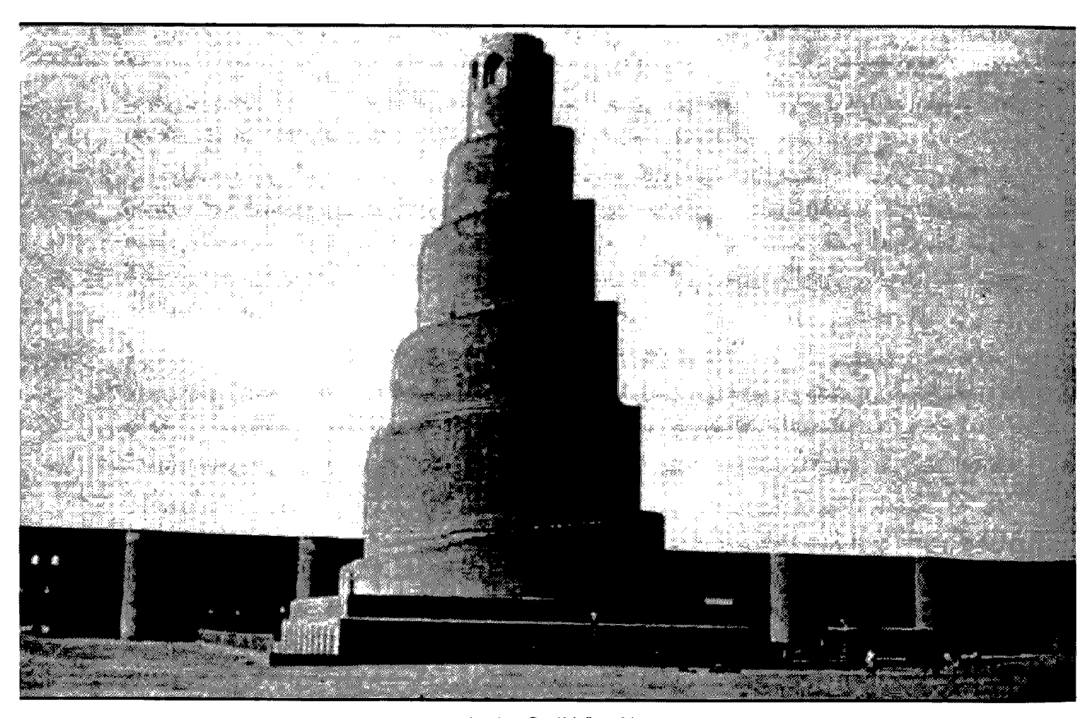
(255) حَرْبة تقع على بعد 75 كيلومترا شمال بغداد عرفت بخصبها الممتاز ...

(256) المعشوق في الأصل، بنى من لدن الخليفة المُعْتمد (ت 279=892) قال اليعقوبي في كتابه البلدان ص 268 : ... أقام بسرَّ مَن رأى فبنى قصرًا موصوفًا بالحسن سماه المعشوق فاقام به حتى اضطربت الامور فانتقل إلى بغداد ..." وقد تحول هذا القصر إلى حصن ويحمل اليوم إسم العاشق...

(257) عندما تُذكر سامراء أو سُرَّ مَن رأى يذكر اسم المعتصم الولد الثالث لهارون الرشيد وخليفته "فله الآثار الحسنة والأبنية العظيمة بها (221=836)... وهو الذي بنى الجامع وأنفق على ذلك خمسمائة الف دينار – ثمانية خلفاء عَرَفوا في سامراء لكنها لم تلبث أن تُركت من قبل المعتمد... وهنا استسلمت للإهمال والخراب ويظهر أن لهذا الاسم سرّ من رأى، أصلاً من الإسم القديم (SURMARRATE) أو (Sumara). و (سام) بالفارسية تعنى أحد الأبطال لمشهد ملحمي ...



اسوار ديار بكر



المئذنة الملوية سامراء

هذه المدينة فلم يبق منها إلا القليل وهي معتدلة الهواء رائقة الحُسن على بلائها، ودروس معالمها، وفيها أيضا مشهد صاحب الزمان (258) كما بالحلّة ‖ ثم سرنا منها مرحلة ووصلنا إلى مدينة تكريت (259) وهي مدينة كبيرة فسيحة الارجاء مليحة الأسواق، كثيرة المساجد، وأهلها موصوفون بحسن الاخلاق، والدجلة في الجهة الشمالية (260) منها، ولها قلعة حصينة على شطّ الدجلة، والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها، ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا إلى قريةٍ تعرف بالعَقر (261) على شطّ الدجلة، وبأعلاها ربْوة كان بها حصن وبأسفلها الخان المعروف بخان الحديد، له أبراج وبناؤه حافل والقرى والعمارة متّصلة من هنالك إلى الموصل، ثم رحلنا ونزلنا موضعًا يعرف بالقيّارة (262) بمقربة من دجلة، وهنالك ‖ أرض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض يجتمع فيها فتراه شبه الصلصال على وجه الارض حالك اللون صقيلاً رطبا، وله رائحة طيّبة، وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه إلى جوانبها فيصير أيضا قارًا، وبمقربةٍ من هذا الموضع عين كبيرة فإذا أرادوا نقل القار منها أوقدوا عليها النار فَتَنْشُق النارُ ما هنالك من رطوبة مائيّة، ثم يقطعونه قطعًا وينقلونه وقد تقدّم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو، ثم سافرنا من هذه العيون مرحلتين ووصلنا بعدهما إلى الموصل (263).

133/2

134/2

---

(258) توجد في سامراء قبور الامام العاشر : علي الهادي التَّقِي 220-254=835-868، والامام الحادي عشر : حسن العسكري 260-254=874-868. هذا ويعتقد بعضهم أنّه في حُجرة هنا داخل المسجد، اختفى عام 264=878 الامام الثاني عشر : صاحب الزمان ... ويعتبر المكان مزارة يتردد عليها الناس وقد كنّا من بين هؤلاء الذين كانو يترددون عليها أثناء سفارتَيْنا بالعراق...

(259) تكريت تقع على الساحل الغربي لدجلة على بعد خمسين كيلوميترا شمال سامراء. يذكر بن حوقل أن تكريت قديمة البناء وأنها تجمع سائر فرق النصارى، وبها من البيع والاديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى والحواريين. لم تتغير أبنيتها وثاقةً وجلدًا... وتعتبر الدرع الذي يحمي قلب العراق من غارات الشمال – وقد احتفظت لأهلها النُّشامَى بذكريات جميلة أيامي مقامي بالعراق... ومازالت أهازيج أطفالهم ترن في أذني وأنا أزور تكريت صحبة أهلي وأبنائي :

يابْن المغرب أهلاً بك   شعب تكريت يحييك !!

(260) من المهم أن نلاحظ هنا أن الرحالة المغربي وهو يستوحي من ابن جبير لم يفته أن يصلّح بعض ما جاء فيه : فهو يصلح "الجهة الجوفية "الجنوبية" الواردة عند ابن جبير بالجهة الشمالية...

(261) بُنيت العَقْر على موقع للمدينة الأشورية : كَرْتُوكُلْتِي نِينُورْتَا (Kartukulti-Ninurta) على بعد 64 ميلا شمال تكريت.

(262) القيارة أو الكيارة مكان يقع على بعد خمسين كيلوميترا جنوب الموصل ومنه يستخرج القار والقطران على ما عرفنا – يراجع التعليق رقم 189 من هذا الفصل.

(263) أسست مدينة الموصل عام 40=660 من قبل العرب كحامية في مكان كان به رباط محصن موجود على الشاطئ الغربي لدجلة، كانت عاصمة للجزيرة الفراتية : (LA ESOPOTAMIE) إبتداء من نهاية الفترة الأموية، وابن بطوطة يقتبس كذلك هنا بعض المقاطع من ابن جبير الذي سبق له أن زار الموصل عام 580=1184 وقد سميت تلك المنطقة بالجزيرة لأنها تقع بني دجلة والفرات، وقد تسمى أقور أنظر معجم البلدان- سعيد الدِّيوَه جي : بحث في تراث الموصل، 1982.

مدينة الموصل

135/2 وهي مدينةٌ عتيقة كثيرة الخصب، وقلعتها المعروفة بالحدْباء عظيمة الشأن شهيرة الامتناع عليها سور محكم البناء مشيّد البروج (264)، وتتّصل بها دور السلطان وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متّسع مستطيل من أعلى البلد إلى أسفله وعلى البلد سوران اثنان وثيقان (265) أبراجهما كثيرة متقاربة، وفي باطن السور بيوتٌ بعضُها على بعض مستديرة بجَداره قد تمكّن فتْحُها فيه لسعته، ولم أرَ في اسوار البلاد مثله، إلاّ السور الذي على مدينة دهلى حضرة ملك الهند.

وللموصل ربضٌ كبير فيه المساجد والحمّامات والفنادق والاسواق، وبه مسجدٌ جامعٌ عَلَى شطّ الدجلة تدور به شبابيك حديد وتتّصل به مصاطب تشرف على دجلة، في نهاية من الحُسن والاتقان (266)، وأمامه مارستان وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر 136/2 حديث (267)، وفي صحْن الحديث منهما قبّة داخلها خصّة رخام مثمّنة مرتفعة على سارية رخام يخرج منها الماء بقوّة وانزعاج، فيرتفع مقدار القامة ثم ينعكس فيكون له مرأى حسن. وقيساريّة الموصل مليحة (268) لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين، وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء.

---

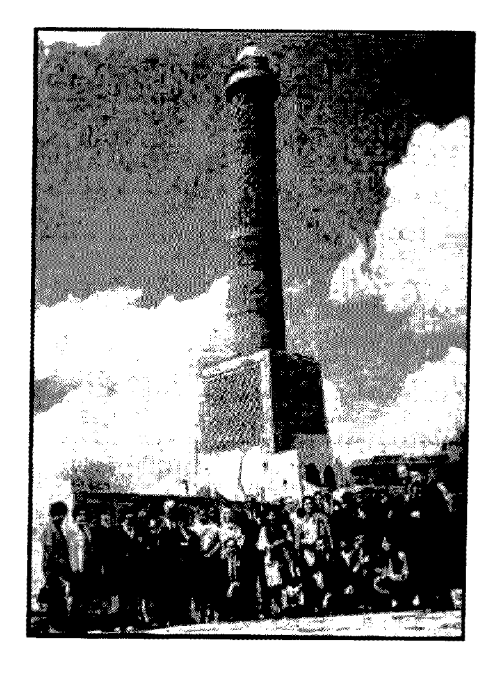
(264) شيدت القلعة من جديد من طرف الأتابك عماد الدين زَنْكي 521-541=1127-1146 مؤسس الدولة التي خلفت السلاجقة .. واستمرت القلعة صامدة إلى أن وصل التتر عام 554=1259. ولم يخربوها... اسم الحدْباء هو إسم شاعري استعمل في مقابلة الشهباء على قلعة حلب عاصمة نور الدين زنكى ابن عماد الدين...

(265) يتعلق الامر بالقلعة القديمة المبنية شمال القلعة التركية التي شيدت فيما بعد على حدبة، منها أخذت إسمَها منارةُ الحدباء...

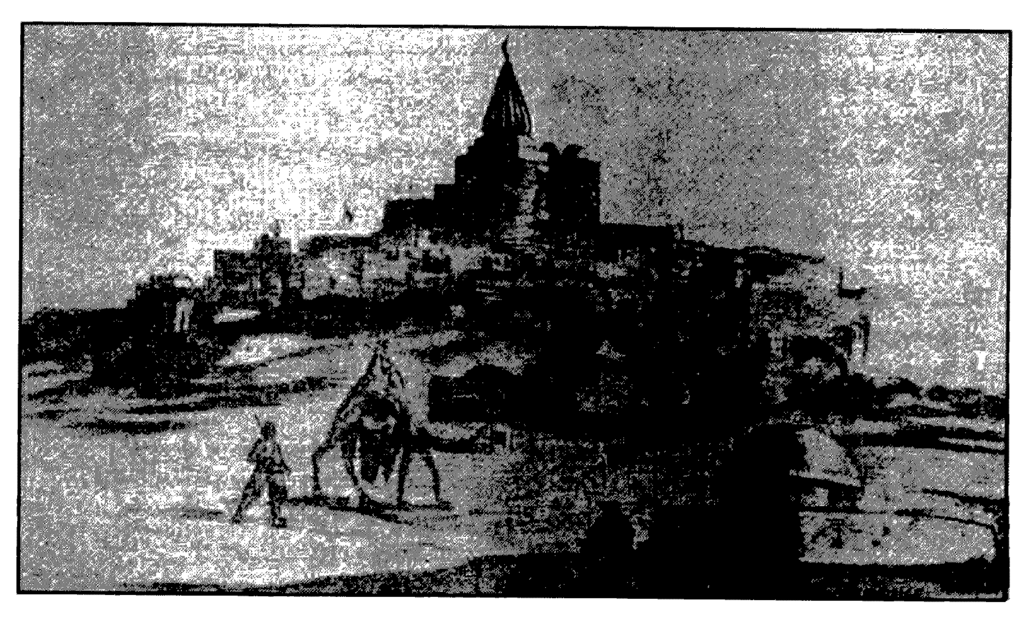
(266) يذكر أن أحد الأمراء الذين حكموا المدينة ويحمل إسم مجاهد الدين بنى فيها عام 576=180 مسجدًا أساسيًا على ساحل دجلة، لم يرَ مثله أبدا أناقة وروعة، وقُبَالة هذا المسجد يرتفع "مارستان حفيل" بنى كذلك من قبل الامير مجاهد الدين. هكذا يقول ابن جبير - صفحة 188 - سعيد الديوه جي : بحث في تراث الموصل، 1982.

(267) الجامع القديم كان هو المسجد الأموي الذي وسع من قبل مروان الثاني 126-133=744-750، والجامع الثاني بنى عام 565-567=1170-1172 من طرف نور الدين وهو المعروف بالجامع الكبير وقد صلح حديثًا، وابن بطوطة هنا يصلح خطأ وقع فيه ابن جبير عندما قال ان القبة والخصة كانتا في الجامع القديم ص 189 رحلة ابن جبير.

(268) بنى نفس الأمير مجاهد الدين بمدينة الموصل وفي داخل سوقها قيساريةً للتجار كأنها الخان العظيم على ما ورد في رحلة ابن جبير ...



المئذنة الحدباء



تلّ النبيّ يونس بالموصل

وبهذه المدينة مشهد جرجيس (269) النّبي عليه السلام وعليه مسجد والقبر في زاوية منه عن يمين الداخل اليه وهو فيما بين الجامع الجديد وباب الجسر وقد حصلت لنا زيارته والصلاة بمسجده والحمد لله تعالى.

137/2 وهنالك تلّ يونس (270) عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة اليه، يقال : إنه امر قومه بالتّطهير فيها ثم صعدوا التلّ ودعا ودعوا فكشف الله عنهم العذاب، وبمقربة منه قرية كبيرة يقرب منها خراب، يقال : إنه موضع المدينة المعروفة بنينَوَى مدينة يونس عليه السلام، وأثر السور المحيط بها ظاهر، ومواضع الأبواب التي بها مُتبيّنة. وفي التلّ بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقّايات يضمّ الجميع باب واحد، وفي وسط الرباط بيتٌ عليه ستر حرير وله باب مرصّع يقال : إنه الموضع الذي به موقف يونس عليه السلام، 138/2 ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال إنه كان بيت متعبّده عليه السلام، وأهل الموصل يخرجون في كلّ ليلة جمعة إلى هذا الرباط يتعبّدون فيه، وأهل الموصل لهم مكارم أخلاق ولين كلام وفضيلة ومحبّة في الغريب واقبال عليه، وكان أميرها حين قدومي عليها السيّد الشريف الفاضل علاء الدين علي بن شمس الدين محمّد الملقّب (271) بحيدر، وهو من الكرماَء الفضلاء، أنزلني بداره وأجرى عليّ الانفاق مدّة مقامي عنده، وله الصدقات والايثار المعروف، وكان السلطان أبو سعيد يعظمه وفوّض اليه في هذه المدينة وما إليها، ويركب في موكبٍ عظيم من مماليكه وأجناده، ووجوهُ أهل المدينة وكبراؤها يأتون للسلام عليه غدوّا وعشيّا، وله شجاعة ومهابة، وولده يوجد في حين كتب هذا، في حضرة فاس مستقرّ الغرباء(272) ومأوى 139/2 الفَرِق ومحطّ رحال الوفود زادها الله بسعادة أيام مولانا أمير المومنين بهجةً واشراقًا وحرس ارجاءها ونواحيها.

---

(269) يحتفظ بهذا المشهد إلى اليوم القديس جورج في الحي الذي يحمل إسم (باب النبي) وقد عرف عند بعضهم على أنه الخضر...

(270) مشهد نبيّ الله يونس يُوجد فوق أكمة شرقيُّ دجلة في المكان الذي كانت فيه نينوى (Ninive) والعين موجودة كذلك. وتنبغي العودة إلى قصص الأنبياء لنعرف عن قصة يونس والسمكة التي ابتلعتْه... وقد زرت المشهد عدة مرات أثناء سفارتي بالعراق.

(271) ربما كان هو ملك على بن محمد شاه بن ملك بهلوان من الاسرة الكردية (روّادي) التي تنتسب إلى ميملان : أتابك تبرير. أنظر رسائل رشيد الدّين فضل الله 128-129.

(272) لقطة فريدة وهامّة في مذكرات ابن بطوطة تعبر عن مركز فاس عاصمة بني مرين كما تكشف عن معلومة أصيلة فيما يتصل بالتاريخ الدولي للمغرب أثناء تحرير ابن بطوطة لرحلته (فاس ملاذٌ للأجنين ومأمن للخائفين.) فماذا عن مهمة الأمير الصّلاوي لدى السلطان أبي عنان ؟ وهل إن الأمر يتعلق ببعثة دبلوماسية من الجزيرة الفراتية إلى المملكة المغربية عام 756-1355 أم إن الأمر يتعلق بلجوء سياسي إلى فاس التي نعتها ابن جزي بأنها ملجأ الخائفين...

ثم رحلنا من الموصل ونزلنا قرية تعرف بعين (273) الرّصد وهي على نهرٍ عليه جسر مبنيّ، وبها خان كبير، ثم رحلنا ونزلنا قرية تعرف بالمُوَيْلحة (274) ثم رحلنا منها ونزلنا جزيرة ابن عمر (275) وهي مدينة كبيرة حسنة محيط بها الوادي، ولذلك سميّت جزيرة، وأكثرها خراب، ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبنّى بالحجارة محكم العمل، وسورُها مبنىّ بالحجارة أيضا واهلها فضلاء لهم محبّةٌ في الغرباء، ويوم نزولنا بها رأينا جبل الجودى المذكور في كتاب الله عزّ وجلّ (276) الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام، وهو جبل عال مستطيل.

140/2 ثم رحلنا منها مرحلتين ‖ ووصلنا إلى مدينة نصيبين (277)، وهي مدينة عتيقة متوسّطة قد خرب أكثرها وهي في بسيط أفيح فسيح فيه المياه الجارية، والبساتين الملتفّة، والأشجار المنتظمة، والفواكه الكثيرة، وبها يصنع ماء الورد الذي لا نظير له في العطارة والطيب، ويدور بها نهر يعطف عليها انعطاف السوار منبعه من عيون في جبل قريب منها، وينقسم انقساما فيتخلّل بساتينَها، ويدخل منه نهرٌ إلى المدينة فيجرى في شوارعِها ودورها ويخترق صحن مسجدها الأعظم وينصبّ في صهريجين أحدهما في وسط الصحن والآخر عند الباب الشرقي.

---

(273) عين الرَّصد وصفها ابن جبير (ص 191) بأنه "رَحَل من قريةٍ من قرى الموصل صباح السبت وأدرك القيلولة بعين الرصد" وربما كانت هي الموقع المعروف باسم كيزليك كوبرو Kizlek Köprü على بعد 25 ميلا شمال غربي الموصل.

(274) المويلحة رُبما كانت على مقربةٍ من (تل عوينات) الحالي على بعد 22 ميلاً شمال غربي كيزليك كوبرو.

(275) هي شِزر (Cizre) التي تقع في خريطة تركيا الحالية على بعد 90 ميلا شمال غربيّ الموصل... وعوض أن يذكرها ابن جبير بهذا الإسم ذكر اسم جُدال التي قال إن لها حصنا عتيقا (ص 191) محطة موالية للمويلحة وعلى مسافة يوم من نصيبين، ويذكر ابن حوقل "أن بها تجارةً دائمة على مر الأوقات، ويذكر مستوفي أنه كان بها مئات القرى، وكانت المدينة القديمة تكوّن جزيرة على دجلة وكانت محكومةً في تلك الفترة من قبل أسرة كردية متنفذة استمرت إلى عام 1004=1596 - يراجع التعليق 67.

(276) ورد في القرآن الكريم السورة 11، الآية 44 : "وقيل : يأرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى ... والجبل المذكور ذو علوّ 6000 قدم...، يوجد على أربعين كيلوميترا شرقي جزيرة ابن عمر المذكورة والموجودة اليوم كما قلنا ضمن الأراضي التركية – وقد زرنا هذه المنطقة حيث كنا ضيوفا على أهلها أمام الجبل الذي يحمل إلى الآن عندهم إسم الجودي، والإقليم غني بجماله وخصبه وشهامة أهله وهم من الأكراد، يراجع التعليق السابق.

(277) نصيبين المعروفة عند الرومان ب (La Nisibis) توجد اليوم ضمن الأراضي التركية على بعد نحو مائة كيلوميترا غربي جزيرة ابن عمر، ويستفاد من ابن حوقل أن نصيبين كانت أكثر أهمية من الموصل وقد زارها عام 358=969 فاطنب في وصفها ... وقد حكى ياقوت عن ظروف فتحها على يد عياض بن غنم الذي فتحها صلحًا على مثل فعله مع أهل الرُّها والذي يعتبر من طلائع الدبلوماسية الإسلامية الناجحة.

وبهذه المدينة مارستان ومدرستان، وأهلها أهل صلاح ودين وصدق وأمانة، ولقد صدق أبو نواس في قوله 141/2

طابَتْ نَصيبينُ لي يومًا وطبتُ لها   ياليت حظّي من الدنيا نَصيبَيْن !

قال ابن جزي : والناس يصفون مدينة نصيبين بفساد الماء والوخامة، وفيها يقول بعض الشعراء .

لنَصيبين قدْ عجبْتُ وَما في   دَارِهَا داعٍ إلى العِلاّتِ

يُعْدمُ الوردُ أحمرًا في ذرَاها   لسَقَامٍ حتّى مِنَ الوَجَناتِ (279)

ثمّ رحلنا إلى مدينة سِنْجار (280)، وهي مدينةٌ كبيرة كثيرة الفواكه والأشجار، والعيون المطرّدة والأنهار، مبنيّة في سفح جبلٍ، تُشَبّهُ بدمشقَ في كثرة أنهارها وبساتينها، ومسجدها الجامع مشهور البركة، يذكر أن الدعاء به مستجاب، ويدور به نهر ماء ويشقّه، وأهل سنجار أكراد، ولهم شجاعة وكرم وممّن لقيتُه بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكرديّ 141/2 أحد المشايخ الكِبار صاحب كرامات، يذكر عنه أنّه لا يفطر الاّ بعد أربعين يومًا، ويكون إفطاره على نصف قرص من الشّعير لقيته برابطةٍ بأعلى جبل سنجار (281)، ودعا لي وزوّدني بدراهم لم تزل عندي إلى أن سلبني كفّار الهنود.

(278) أبو نواس الحسين بن هاني بن عبد الأول، شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز من بلاد خوزستان، ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ... فمدحهم ... ورحل لمصر فمدح أميرها الخصيب سالف الذكر وعاد إلى بغداد وهناك أدركه أجله عام 198=814 ولا يخفى ما في البيت من تورية...

(279) حسب أبي الفدا فإنه لا يوجد في نصيبين الا الوَرْد الأبيض.. وبعض المؤلفين المعاصرين يتحدثون كذلك عن مناخها الوخيم...

(280) سنْجار التي توجد على بعد مائة وعشرين كيلو ميتراً غرب الموصل هي في الواقع خارج خط سير ابن بطوطة الذي كان يتجه نحو ماردين، ويظهر أن هناك سهوا وقع فيه ابن بطوطة الذي كان عليه أن يذكر(سنجار) كمرحلة قبل الوصول إلى نصيبين (انظر الخريطة)..

(281) يذكر الهروي أن بمدينة سنجار مشهداً للإمام علي رضي الله عنه على الجبل وقد زرتها أثناء سفارتي الثانية للتعرف على اليزيدية الذين يقال عنهم مايقال، وهم كما قال ابن بطوطة ذووا شجاعة واستقامة، ويكفي أن الرحالة المغربي تتلمذ على أحد مشايخهم !

ثم سافرنا إلى مدينة دَارَا (282) وهي عتيقةٌ كبيرةٌ بيضاء المنظر لها قلعة مُشرفة وهي الآن خراب لا عمارة بها وفي خارجها قرية معمورة بها كان نزولنا، ثم رحلْنا منها فوصلنا إلى مدينة ماردين (283)، وهي مدينة عظيمة في سفح جبل من أحسن مدن الإسلام وأبدعها وأتقنها ‖ وأحسنها أسواقًا وبها تصنع الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمِرْعِزْ (284)، ولها قلعة شمّاء من مشاهير القِلاع في قنّة جبلها.

143/2

قال ابن جزي : قلعة ماردين هذه تسمّى الشهباء وايّاها عنى شاعر العراق صفّي الدين عبد العزيز بن سَرَايا الحِلّي (185) بقوله في سِمْطه :

فـدَعْ رُبوع الحلّة الفيحاء وازوَرّ بالعيس عن الزَّوراء

ولا تقِفْ بالموصل الحدْباء انّ شهاب القلعة الشَّهباء

مُحْرِقُ شيطانِ صُروف الدّهر ‖

144/2

وقلعة حلب تسمّى الشَّهباء ايضا، وهذه المُسمّطةُ بديعةٌ مدح بها الملك المنصور سلطان ماردين (286) وكان كريمًا شهير الصّيت، ولي الملك بها نحو خمسين سنة، وأدرك أيّام قازان ملكِ التتر وصاهر السلطان خُذَابَنْدَه بابنته دُنْيا خاتون.

---

(282) كانت دارا من أعظم الحصون الحدودية لبيزنطة ضد الساسانيين في فارس. وقد أصاب ابن بطوطة عندما تحدث عن خرابها كلية، انظرالهروي... ثم يظهر أن وصف منظرها بالبياض سواء من ابن جبير وابن بطوطة، مع وجود نصوص تتحدث عن السواد، يحتاج إلى تاويل... ويتحدث ابن حوقل عن دارا على أنها كثيرة الخيرات وأنها تحتوي على جميع المطاعم والمآكل...

(283) ماردين من أشهر القلاع في غرب آسيا من المناطق الكردية جنوب تركيا الحالية، قاومت وتمكنت من انشاء إمارة محلية هي الدولة الأرتُقية التي استمرت متماسكة من عام 497 إلى 810 هـ = 1104-1407 م أكثر من ثلاثة قرون على ما سنرى في التعليق 286.

(284) المرعز أي شعر المعز.

(285) صفي الدين : عبد العزيز بن سرايا بن علي الطائي الحلّي نشأ في الحلة... تعاني الأدب فمهر فيه وتعانى التجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها تقرب من ملوك "الامارة الأرتُقية" ومدحهم ... ومدح السلطان الناصر والملك الصالح صاحبا القاهرة... أدركه أجله عام 750=1349. - الدرر الكامنة ج 2 ص 479-480. جواهر الأدب للهاشمي - الطبعة 4 عام 1347=1928 مصر.

(286) القصد إلى غازي بن قرا أرسلان بن أرتُق بن غازي : وهو الملقب الملك المنصور بن المظفر بن السعيد بن المنصور صاحب ماردين "كان سمينا لا يتحرك إلا فوق المحفّة ! دامت سلطنته لماردين عشرين سنة وقد توفى في ربيع الآخر 712=1312 فاستقر ولده الصالح بعد وفاة أخيه فدامت مملكته أربعًا وخمسين سنة، وبقتله انقرضت دولتهم بماردين وكان ابتداؤها أيام تتش أخي ملك شاه السلجوقي بعد ستة وتسعين وأربعمائة، فكانت المدة ثلاثمائة سنة وبضع عشرة سنة !
- الدرر 3، ص 296 ENCY. ISLAM : ARTOKIDS

ذكر سلطان ماردين في عهد دخولي اليها

وهو الملك الصالح (287) ابن الملك المنصور الذي ذكرناه آنفا ورث الملك عن أبيه وله المكارم الشهيرة، وليس بأرض العراق والشام ومصر أكرم منه، يقصده الشعراء والفقراء فيجزل لهم العطايا جريًا على سَنَن أبيه، قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسيّ المرويّ الكفيف مادحًا فأعطاه عشرين ألف درهم، وله الصدقات ‖ والمدارس والزوايا لإطعام الطعام، 145/2
وله وزير كبير القدر وهو الإمام العالم وحيدُ الدهر، وفريد العصر، جمال الدين السِّنْجاريّ قرأ بمدينة تبريز، وأدرك العلماء الكبار، وقاضي قضاته الإمام الكامل برهان الدّين الموصلّي، وهو ينتسب إلى الشيخ الوليّ فتح الموصلّي، وهذا القاضي من أهل الدين والورع والفضل يلبس الخشن من ثياب الصوف الذي لا تبلغ قيمته عشرة دراهم ويَعتَمّ بنحو ذلك، وكثيرًا ما يجلس للأحكام بصحن مسجدٍ خارج المدرسة كان يتعبّد فيه، فإذا رءاه من لا يعرفه ظنّه بعض خدّام القاضي واعوانه !

حكاية [صلح بين زوجين]

146/2 ذُكر لي أنّ امرأةً أتت هذا القاضي وهو خارج ‖ من المسجد ولم تكن تعرفه، فقالت له يا شيخ أين يجلس القاضي ؟ فقال لها : وما تريدين منه؟ فقالت له : إنّ زوجي ضربني، وله زوجة ثانية وهو لا يعدل بيننا في القَسم، وقد دعوته إلى القاضي فأبى وأنا فقيرة ليس عندي ما أعطيه لرجال القاضي حتّى يحضروه بمجلسه، فقال لها : وأين منزل زوجك؟ فقالت بقرية الملاّحين خارج المدينة، فقال لها : أنا أذهب معك إليه : فقالت : والله ما عندي شيء أعطيك ايّاه، فقال لها : وأنا لا آخذ منك شيئا.

ثم قال لها : اذهبي إلى القرية وانتظريني خارجها فإني على إثرك، فذهبت كما أمرها وانتظرتْه فوصل إليها وليس معه أحد، وكانت عادتُه أن لا يدع أحدًا يتبعه، فجاءتْ به إلى منزل زوجها، فلمّا رءاه قال لها : ما هذا الشيخ النّحْس ‖ الذي معك؟ فقال له : نعم والله أنا 147/2
كذالك، ولاكن أرضِ زوجتك !

فلمّا طال الكلام جاء الناس فعرفوا القاضي وسلّموا عليه، وخاف ذالك الرجل وخجِل، فقال له القاضي : لا عليك أصلح ما بينك وبين زوجتك، فأرضاها الرجل من نفسه وأعطاهما القاضي نفقة ذلك اليوم، وانصرف.

---

(287) الملك الصالح شمس الدين الخلف الثاني للملك المنصور 712-763=1312-1362.

ولقيت هذا القاضي وأضافني بداره ثمّ رحلتُ عائدًا إلى بغداد فوصلتُ إلى مدينة الموصل التي ذكرناها، فوجدت ركْبها بخارجها متوجّهين إلى بغداد، وفيهم امرأة صالحة عابدة تسمّى بالسّت زاهدة وهي من ذريّة الخلفاء، حجّت مرارًا وهي ملازمة الصوم سلّمتُ عليها، وكنت في جوارها، ومعها جملة من الفقراء يخدمونها، وفي هذه الوجهة توفّيتْ رحمة الله عليها وكانت وفاتها بزَرُود، ودفنت هنالك. 148/2

ثمّ وصلنا إلى مدينة بغداد فوجدت الحاجّ في أهبةِ الرحيل فقصدت أميرها معروف خواجه فطلبت منه ما أمر لي به السلطان فعيّن لي شِقَّة محارة (288) وزاد أربعة من الرجال وماءهم، وكتب لي بذالك، ووجّه عن أمير الركب وهو البهلوان محمد الحُويح (289) فأوصاه بي وكانت المعرفة بيني وبينه متقدّمة فزادها تأكيدً ولم أزل في جواره وهو يُحسن إليّ ويزيد لي على ما أُمِر لي به.

وأصابني عند خروجنا من الكوفة إسهال فكانوا ينزلونني من أعلى المحمل مرّات كثيرة في اليوم، والأمير يتفقّد حالي ويوصي بي، ولم أزل مريضا حتّى وصلت مكّة حَرَم الله تعالى زادها الله شرفًا وتعظيمًا، وطفت بالبيت الحرام كرّمه الله تعالى طواف القدوم، وكنت ضعيفًا بحيث أُؤدّي المكتوبة قاعدًا فطفت وسعيتُ بين الصّفا والمروة راكبًا على فرس الأمير الحُويح المذكور. 149/2

ووقفنا تلك السنة يوم الاثنين (290)، فلمّا نزلنا منًى أخذتُ في الراحة والاستقلال من مرضي، ولمّا انقضى الحجّ أقمت مجاورًا بمكّة تلك السّنة وكان بها الأمير علاء الدين بن هلال مشيِّد الدَّواوين مقيماً لعمارة دار الوضوء بظاهر العطّارين من باب بني شيبة، وجاور في تلك السنة من المصريّين جماعة من كبراء كبرائهم منهم تاج الدّين بن الكويك (291)، ونور الدين القاضي (292)، وزين الدين بن الاصيل، وابن الخليلّي (293)، وناصر الدين الأسيوطيّ، 150/2

(288) المحارة تعني الهودج، وشقة المحارة يقصد بها جانبًا منها وهذا من التعابير الغريبة التي وردت في الرحلة... راجع التعليق 238 ج 1 ص 404.

(289) كان البهلوان الحويح هذا أميراً للركب عند العودة من مكة في شهر ذي الحجة 725 نونبر 1326.

(290) يوافق 26 أكتوبر 1327.

(291) لعل لتاج الدين هذا صلةً بسراج الدّين عبد اللطيف بن أحمد التكريتي(ج 4،ص 431 تعليق 104) والمتوفى في بلاد التكرور في جمادى الأولى 734-1334 - ابن حجر : الدرر 3، 18-19.

(292) القاضي نور الدين هو علي بن عبد النّاصر بن علي بن عبد الخالق السخاوي حج عدداً من المرات... دخل دمشق وناب فيها عن القاضي فخر الدين أحمد بن سلامة ثم دخل القاهرة في آخر عمره وولى القضاء... أدركه أجله عام 756=1355. - الدرر الكامنة ج 3، ص 151/150.

(293) القصد إلى عبد الله بن محمد بن أبى بكر عبد الله بن خليل ... المكي نزيل القاهرة سمع من ستّ الوزراء... حسن المذاكرة... وقد توفي سنة ثالث جمادى الأولى 777=1375 - الدرر الكامنة 2، 397-398.

وسكنت تلك السنة بالمدرسة المظفّرية، وعافاني الله من مرضي فكنت في أنعم عيش وتفرّغت للطواف والعبادة والاعتمار.

وأتى في أثناء تلك السنة حجّاج الصعيد وقدم معهم الشيخ الصالح نجم الدين الأصفونيّ (294)، وهي أوّل حجّة حجّها، والاخوان علاء الدين عليّ، وسراج الدين عمر ابنا القاضي الصالح نجم الدين البالسيّ قاضي (295) مصر، وجماعة غيرهم وفي منتصف ذي القعدة وصل الامير سيف الدين يَلمَلَك، وهو من الفضلاء، ووصل في صحبته جماعة من أهل 151/2 طنجة بلدي حرسها الله، منهم الفقيه أبو عبد الله محمد ابن القاضي أبي العبّاس ابن القاضي الخطيب أبي القاسم الجُرَاوي، والفقيه أبو عبد الله بن عطاء الله، والفقيه أبو محمد عبد الله الحَضرَميّ، والفقيه أبو عبد الله المرسى، وأبو العبّاس ابن الفقيه أبي عليّ البلنسيّ، وأبو محمد بن القَابِلة وأبو الحسن البِياريّ وأبو العبّاس ابن تافُوت وأبو الصبر أيّوب الفخّار، وأحمد ابن حكّامَة، ومن أهل قصر المجاز (296) الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي أبي 152/2 العبّاس ابن خلُوف، ومن أهل القصر الكبير (297) الفقيه أبو محمد بن مُسْلِم وأبو اسحاق ابراهيم بن يحيى وولده.

ووصل في تلك السنة الامير سيف الدين تُقُزدَمُور من الخاصّكية (298)، والأمير

---

(294) نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن ابراهيم بن علي تفقه على البهاء القفْطي وبرع في الفقه حج مرارا وجاور واتّفق أنه مات بمنى في 13 ذي الحجة سنة 750=1350.

(295) هو محمد بن عُقَيل بن أبى الحسن البالسى المصري ولد 660-1262 وتوفي 729=1329 سمع من ابن دقيق العيد وكان نائبا لقاضي الجماعة بالقاهرة انتفع به طلبة مصر، أما ولده عمر الذي توفي سنة 731=1331 فقد كان أستاذا باحدى المدارس وأخوه علي هو الذي عوضه في هذا الوظيف... الدرر 4، ص 169.

(296) قصر المجاز هو قصر مصمودة لا يبعد عن طنجة، تقابله جزيرة طريف من الأندلس، أسسه أمير مصمودة أيام ولاية طارق بن زياد ومنه كان الجواز عام تسعين، ومنه كان يتم غالبًا عُبور الجيش المغربي إلى الأندلس، باعتباره أقرب نقطة، وهو المسمى أيضا بالقصر الصغير. - ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة، تحقيق د. التازي، طبعة ثالثة، بيروت 1987 ص 128 - تعليق رقم 1.

(297) القصر الكبير يقع جنوب طنجة وربما سمي قصر كتامة أو قصر صنهاجة أو قصر عبد الكريم المن بالإمامة - المصدر السابق : ص 232 تعليق 1.

(298) تُقُزدَمُور يرسمها ابن حجر في الدرر هكذا : (طُقزتَمُر) قدّمه الناصر وأمّره وزوج ابنتيْه لولديه المنصور والصالح.. وقد أكدت أخبار حج هذا الأمير عام 728=1328 من قبل المصادر المصرية، وقد جاءت هذه الحجة بعد ثلاث سنوات من إرسال جماعة من البنائين إلى مكة بأمر من سلطان مصر حيث أجريت بها عين ماء وهي المعروفة بعين بازان أدركه أجله بمصر في جمادى الأخيرة 746=1348. - ابن إياس : بدائع الزهور، ص 457 - الدرر الكامنة 2، 326.

مـوسى بن قرمـان (299)، والقـاضي فـخر الدين ناظر (300) الجـيش كاتب المـاليك، والتـاج اسحاق، والسّت حدَق مربية (301) الملك الناصر، وكانت لهم صدقاتٌ عميمة بالحرم الشريف واكثرهم صدقة القاضي فخر الدين.

وكانت وقْفتنا في تلك السنة في يوم الجمعة من عام ثمانية وعشرين (302)، وفي هذه السنة وَصَل أحمد بن الأمير رُمَيثة (303) ومبارك بن الأمير عُطَيْفة (304) من العراق صحبة الأمير محمد الحويح والشيخ زاده الحَرْباويّ، والشيخ دانيال (305)، وأتوا بصدقاتٍ عظيمة للمجاورين وأهل مكّة، من قبل السلطان أبي سعيد ملِك العراق، وفي تلك السنة ذكر اسمه في الخُطبة بعد ذكر الملك الناصر ودعوا له بأعلى قبّة زمزم وذكروا بعده سلطان اليَمَن الملك المجاهد نور الدين (306)، ولم يُوافق الامير عُطيفة على ذلك، وبعث شقيقه منصورًا ليُعلم الملك الناصر بذلك، فأمر رُميثة بردّه فردّ، فبعثَه ثانيةً على طريق جدّة حتى أعلم الملك الناصر بذلك، ووقفنا تلك السنة وهي سنة تسع وعشرين يوم الثلاثاء (307).

153/2

(299) بهاء الدين موسى أخو بدر الدين محمود، سلطان إمارة قَرَمان 700-708=1300-1308 الذي عوض في وسط آسيا الصغرى سلاجقة أنطاكية.

(300) هو عبد الله بن محمد بن عبد العظيم بن علي، فخر الدين أبو محمد بن السُّقطي ابن أخي القاضي جمال الدين، كان شاهداً بالخزانة وتشهد على العمارة بمكة عام 728. أدركه أجله بالقاهرة يوم 18 رمضان سنة 733=1333 الدرر 2، 401.

(301) ظل حج الست حَدَق القهرمانية الناصرية حديث المجالس ومثلاً يروي ردحًا من الزمان بسبب العطاءات التي أغدقت بها على الناس في البقاع المقدسة، وقد عمرت جامعًا بظاهر القاهرة وتوفيت وهي بكر عذراء. صودرت مرةً أيام الصالح صالح بن التنكزية ثم أفرج لها عن موجودها وكان شيئا كثيراً.. - إبن حجر : الدرر الكامنة 2 ص 87-88.

(302) كان ذلك يوافق الجمعة 14 أكتوبر 1328.

(303) الأمير رُمَيثة بن أبي نُمى محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ولي أمرة مكة مع أخيه حُميضة، توفي بمكة عام 746=1346... - الدرر 2، 204.

(304) الأمير عطيفة بن محمد بن حسن بن علي بن قتاده الحسني توفي بالإسكندرية عام 743=1342 حيث كان مع ولده مبارك وللأميرين الشريفين أخبارٌ مع الملك الناصر تراجع في مظانّها - الدرر الكامنة ج 3، ص 70.

(305) دانيال بن علي بن يحيى اللوريستاني كان من ابرز شيوخ أهل فارس بمكة وكان أميراً على البعثة التي عهد اليها الجوبان بترميم واصلاح مجاري الماء التي كانت السيدة زبيدة قد انشأتها بمكة المكرمة... أما عن الأمير محمد الحُويْح فقد تَقَدّم أنه البهلوان الذي رافقه ابن بطوطة أثناء سَفَره من مكة ج 1، 404.

(306) يلاحظ التنافس بين قادة المنطقة على أن تذكر أسماؤهم على منابر المسجد الحرام، وهكذا نجد ذكر ملك مصر وملك العراق وملك اليمن في حين اختفى فيه اسم شريف مكة ! الأمر الذي لم يوافق عليه عطيفة الذي وجدناه يقرر ارسال أخيه إلى الملك الناصر ليرفع الأمر أمامه لكن أخاه رميثة أمر برد الرسول بيد أن عطيفة أصرّ على ابلاغ الحادث إلى الملك الناصر عن طريق جدّة... هذا ومن الطريف أن نقرأ أن حجاج اليمن هذا العام عادوا يتحدثون بأن الوقفة كانت الجمعة ! الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج 2، ص 21.

(307) كان ذلك يوافق ثالث أكتوبر 1329.

ولمّا انقضى الحجّ أقمت مجاورًا بمكّة حرسها الله سنة ثلاثين، وفي موسمها وقعت الفتنة بين أمير ‖ مكّة عُطيفة وبين أيدمور أمير جندار الناصريّ (308) وسبب ذلك أنّ تجارًا من أهل اليمن سُرقوا، فتشكّوا إلى أيد مور بذلك، فقال ايدموز أمير لمبارك بن الامير عُطيفة أيت بهؤلاء السرّاق ! فقال : لا أعرفهم فكيف نأتي بهم ؟ وبَعْدُ فأهل اليمن تحت حكمنا، ولا حُكم عليهم لك، إن سُرق لأهل مصر والشام شيء فاطلبْني به، فشتمه أيدمور وقال له : يا قوّاد ! تقول لي هكذا ! وضربه على صدره، فسقط ووقعت عمامته عن رأسه، وغضب له عبيده، وركب أيدمور يريد عسكره، فلحقه مبارك وعبيدُه فقتلوه وقتلوا ولده، ووقعت الفتنة بالحرم، وكان به أمير أحمد ابن عمّ الملك الناصر. 154/2

ورمى التركُ بالنشّاب فقتلوا امرأةً قيل ‖ إنها كانت تحرّض أهل مكّة على القتال، وركب مَن بالركب من الأتراك واميرُهم خَاصّ ترك، فخرج إليهم القاضي والأئمة والمجاورون وفوق رؤوسهم المصاحف وحاولوا الصلح ودخل الحجّاج مكّة فأخذوا مالهم بها، وانصرفوا إلى مصر. 155/2

وبلغ الخبر إلى الملك الناصر فشقّ عليه وبعث العساكر إلى مكّة ففَرّ الأمير عُطيفة وابنُه مبارك وخرج أخوه رُميثة وأولاده إلى وادي نخلة فلما وصل العسكر إلى مكّة بعث الامير رميثة أحد أولاده يطلب له الأمان ولولده فأمنوا وأتى رميثة وكَفَنهُ في يده إلى الامير فخلع عليه، وسلّمت إليه مكّة وعاد العسكر إلى مصر. وكان الملك الناصر رحمه الله حليمًا فاضلاً.

(308) هذا هو سيْف الدّين الذي يرسم عند ابن حجر هكذا الدَمُر، أحد الأمراء بالقاهرة في أيام الناصر وكان أمير جنداراً وحج بالناس كما يؤكد ابن حجر فثارت بمنًى فتنة قتل فيها هو وولده خليل في يوم عيد النحر 730. ومن العجب أن الناس تحدثوا في القاهرة بما جرى له يوم العيد، وحسب المقريزي فإن أصل الخلاف يكمن في الأوامر التي اعطيت سراً من الملك الناصر إلى الأمير عطيفة والتي تقتضي تصفية رئيس القافلة العراقية الذي ينتسب لتبريز ويسمّى المثمن محمد الحجيج الذي يعتقد گيب أنه هو نفسه الذي يحمل عند ابن بطوطة اسم محمد الحويج والذي تردد ذكره. راجع التعليق السابق رقم 305.

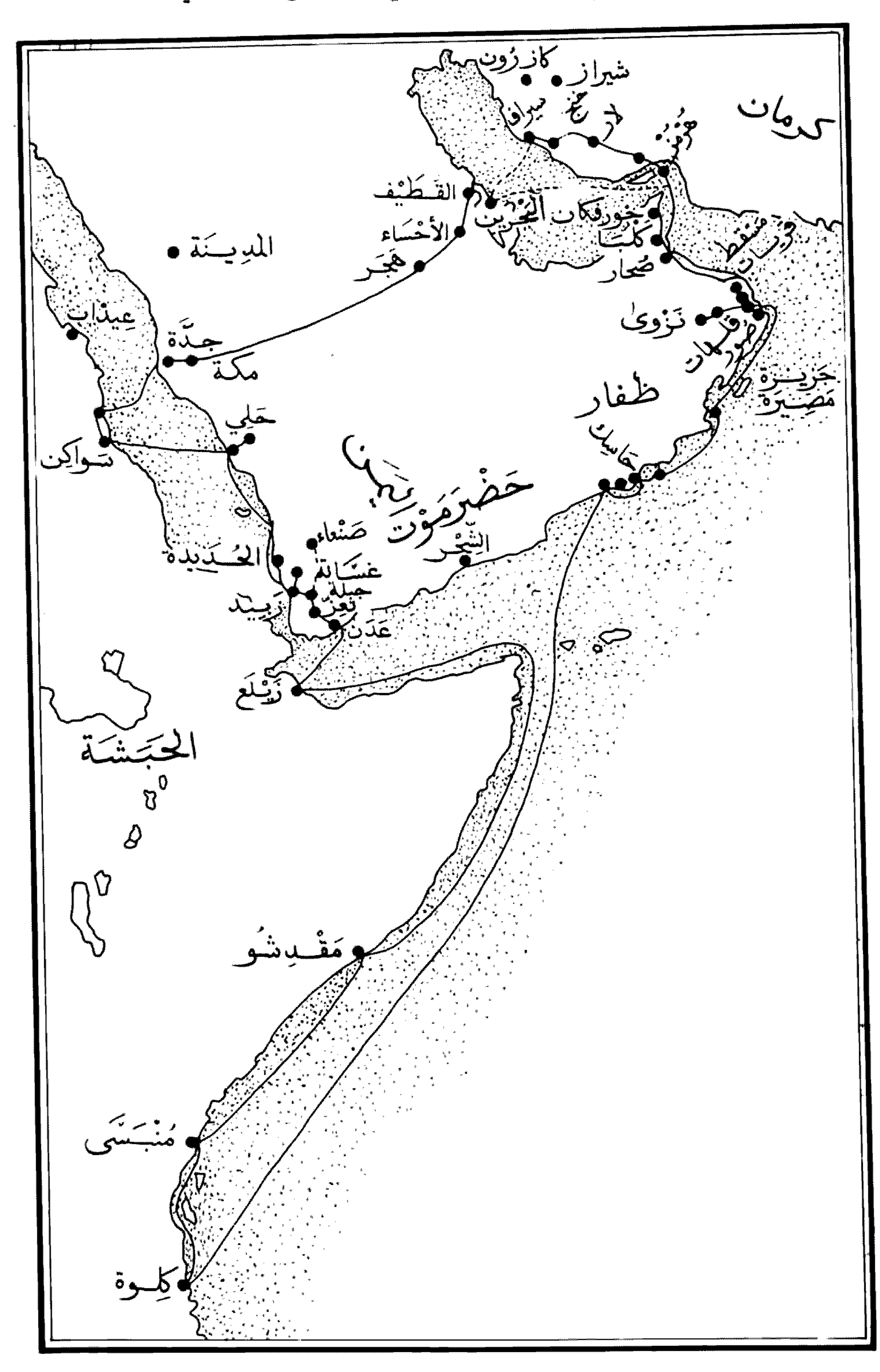
(309) حسب مصادر تاريخ المماليك فإن هذه التجريدة العسكرية غادرت القاهرة في منتصف صفر 731 = أواخر نونبر 1330، وهكذا فإنها وصلت إلى مكة بعد ذهاب إبن بطوطة... - الدرر 1، 452-453.

الفصل السادس

بين المحيط الهندي والخليج الفارسي

- مغادرة جَدَّة في اتجاه اليمن
- من جزيرة سواكن إلى مدينة حَلِي
- في زبيد عاصمة الجمال والكمال
- التقاليد بين الهند واليمن
- صهاريج عدن التاريخية
- إلى زيلع ومَقْدَشَوْ – جزيرة مَنْبَسَي – كُلْوَا
- حضرموت – وشبه سكان المنطقة بصنهاجة المغاربة
- عُمان الكبرى – بين قلهات وهرمز...
- مغاصات اللؤلؤ وبلاد البحرين
- من البحرين إلى القطيف
- أداؤه مناسك الحج لعام 732

خريطة بين المحيط الهندي والخليج الفارسي



[جنوب الجزيرة – شرق افريقيا – الخليج]

156/2 فخرجت في تلك الأيّام من مكّة شرفها الله تعالى قاصدًا بلاد اليمن فوصلتُ إلى حَدّة (1)، بالحاء المهمل المفتوح، وهي نصف الطريف ما بين مكّة وجُدّة بالجيم المضموم، ثمّ وصلت إلى جُدّة (2) وهي بلدة قديمة على ساحل البحر يقال إنها من عمارة (3) الفرس وبخارجها مصانع قديمة وبها جِبابٌ للماء منقورة في الحجر الصلد، يتّصل بعضها ببعض تفوت الإحصاء كثرة (4) وكانت هذه السنة قليلة المطر وكان الماء يجلب إلى جُدّة على مسيرة يوم وكان الحجّاج يسألون الماء من أصحاب البيوت.

حكاية [الأعمى والخاتم]

ومن غريب ما اتّفق لي بجُدّة انّه وقف على بابي سائل أعمى يطلب الماء يقوده غلامٌ فسلّم عليّ وسمّاني باسمي وأخذ بيدي ولم أكن عرفته قطّ ولا عرفني، فعجبتُ من شأنه ثم أمسك إصبعي بيده، وقال اين الفتْخة؟ وهي الخاتم، وكنت حين خروجي من مكّة قد لقِيني بعض الفقراء وسألني، ولم يكن عندي في ذلك الحين شيء، فدفعت له خاتمي، فلما سألني عنه 157/2

---

(1) حدة أو حدّاء كما يقول ياقوت : وادٍ فيه حصن ونخل بين مكة وجدة على بعد 18 ميلاً غرب مكة، ما يسمى اليوم بوادي فاطمة. ويذكر ابن المجاور أنها إنما عرفت حدة بهذا الإسم لأنها آخر حدود وادي نخلة ... كانت تحت ملك الأشراف إلى عام 622 حيث ملك الأمير طنبغا الملك الكامل ولاية الحجاز وملك نخل الأشراف... وكان الأمير يوقف في الموضع رتبة خيل يجيزون القوافل في الطرق وكان لهم على كلّ حمل دينار علوية...- ابن المجاور : صفة اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمّاة تاريخ المستبصر. تصحيح أوُسكار لوفكرين O.Lofgren الطبعة الثانية 1407-1986 ص 42 منشورات المدينة.

(2) يقول ناصر خسرو علوي عن جدّة التي زارها في جمادى الثانية 442 أكتوبر1050 : إنها مدينة كبيرة لها سور حصين وبها خمسة آلاف رجل، وليس بخارجها عمارات أبدا عدا مسجدها الجامع المعروف بمسجد رسول الله، ولها بابان أحدهما شرقي يؤدي لمكة والثاني غربي يؤدي للبحر ... وليس بجدة شجر ولا زرع وبينها وبين مكة إثنا عشر فرسخا، وأمير جدة تابع لأمير مكة تاج المعالي ابن أبي الفتوح الذي هو أمير المدينة أيضا، وقد كتب إلى أمير مكة يقول عن خسرو : هذا رجل عالم لا يجوز أن يوخذ منه شيء ..."!

ويروي الهروي (تـ 611) في كتابه (الإشارات) أن حواء هبطت بجدة..." ويصفها ابن جبير بأنها قرية وأنها تحتوي على آثار تدل على أنها مدينة قديمة، ويذكر ياقوت (تـ 626) أنها على ساحل بحر اليمن وأنها فُرْضة مكة، ويؤدى عنها ابن المجاور وصفا جيّدًا وتاريخًا حافلا ص 43-45 راويًا أنه لما خربت سيراف انتقل أهلها إلى سواحل البحر فسكنوا جدة وادارو عليها السور...

(3) يتحدث المؤرخ يوسف ابن المجاور (تـ 690=1291) في مؤلفه "تاريخ المستبصر" عن احتلال جدة من قبل الفرس بعد خراب سيراف عام 633=977 في أعقاب زلزال - راجع التعليق السابق.

(4) ابن بطوطة يقتبس هنا كذلك من رحلة ابن جبير الذي يتحدث عن "الجباب المنقورة في الحجر الصلد..." ويقدم لنا ابن المجاور هنا لائحة بأعداد الجباب.

هذا الأعمى قلت له أعطيته لفقير، فقال : إرجع في طلبه فإنّ فيه أسماءً مكتوبةً فيها سرّ من الأسرار، فطال تعجّبي منه ومن معرفته بذلك كلّه، والله أعلم بحاله.

وبجُدّه جامع يعرف بجامع الآبْنوس (5) معروف البركة يستجاب فيه الدعاء، وكان الامير بها أبا يعقوب بن عبد الرزّاق وقاضيها وخطيبها الفقيه عبد الله من أهل مكّة شافعيّ المذهب، وإذا كان يوم الجمعة ‖ واجتمع الناس للصلاة أتى المؤذّن وعدّ أهل جُدّة المقيمين بها، فإن كملوا أربعين خطب وصلّى بهم الجمعة وان لم يبلغ عددهم أربعين صلّى ظهرًا أربعًا، ولا يعتبر من ليس من أهلها وان كانوا عدداً كثيرًا (6). 158/2

ثم ركبنا من جُدّة في مركب يسمّونه الجَلْبة (7) وكان لرشيد الدين الألفي اليمنيّ الحبشيّ الأصل، وركب الشريف منصور بن أبى نُمَّى (8) في جَلْبَةٍ أخرى ورغب منّي أن أكون معه فلم أفعل لكونه كان معه في جلْبته الجِمَالُ فخِفْتُ من ذلك، ولم أكن ركبت البحر قبلها وكان هنالك جملةٌ من أهل اليمن قد جعلوا ازوادهم وامتعتهم في الجِلَب وهم متأهبون للسفر ‖ . 159/2

حكاية [الدّراهم المخبوءة بالعديلة]

ولمّا ركبنا البحر أمر الشريف منصور أحد غلمانه أن يأتيه بعديلةٍ دقيق، وهي نصف حمل، وبطّة سمن يأخذهما من جلَب أهل اليمن، فأخذهما وأتى بهما إليه فأتاني التُّجار باكين، وذكروا لي أن في جوف تلك العديلة عشرةَ آلاف درهم نُقرة، ورغبوا منّي أن أكلّمه في ردّها وأن يأخذ سواها، فأتيتُه وكلّمته في ذلك وقلت له : إنّ للتجار في جوف هذه العديلة شيئاً، فقال : إن كان سَكَراً فلا أردّه اليهم، وان كان سوى ذلك فهو لهم، ففتحوها فوجدوا

---

(5) يقول ابن جبير : "وفيها مسجد مبارك منسوب إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ومسجد آخر له ساريتان من خشب الآبنوس ينسب أيضا إليه ومنهم من ينسبه إلى هرون الرشيد." الرحلة ص 47.

(6) حسب المذهب الشافعي نجد أن صلاة الجمعة لا تتم إلا إذا حضرها أربعون شخصًا على الأقل ويفهم من هذا أن سكان جدة كانوا قلّة على ذلك العهد.

(7) الجَلْبة تجمع على جلَب، نوع من المراكب وقد عرّف بها ابن جبير فذكر "أنها ملفقة الإنشاء لا يُستعمل فيها مسمار ألبتة، وأنما هي مخيطة بأمراس من القنبار وهو قِشْرجوز النارجيل يدرسونه إلى أن يتخيّط ويفتلون منه أمراسًا يخيطون بها المراكب ويخللونها بدُسُر من عيدان النخل... ومن أعجب أمر هذه الجلاب أن شُرُعَهَا منسوجة من خوص المُقل فمجموعها متناسب في اختلال البنْية ووَهَنها" !! تراجع (المَراكب العربية) لحَسَن صالح شهاب (مصدر سابق).

(8) حول أسرة أبى نُمَى المنحدرة من الأشراف القتاديين الذي كانوا يحكمون مكة منذ 27 رجب 598=23 أبريل 1202، أنظر تعليقنا عند الزيارة الأولى لابن بطوطة للحرم الشريف. ج 1 ص 344.



نموذج من الفن التصويري عند العرب يذكرنا في الكثير من المشاهد التي يصفها ابن بطوطة في رحلته..
الصورة تُمثل مركبا من إحدى مقامات الحريري : المقامة 39 لينينغراد المعهد الشرقي لأكاديمية العلوم.

الدراهم فردّها عليهم، وقال لي : لو كان عجْلان ماردّها، وعجْلان هو ابن أخيه رُميثة، وكان قد دخل في تلك الأيام دارَ تاجرٍ من أهل دمشق قاصدًا لليمن فذهب بمعظم ما كان فيها، وعجلان هو أمير مكّة على هذا العهد، وقد صلُح حاله واظهر العدل والفضل. 160/2

ثم سافرنا في هذا البحر بالرّيح الطّيبة يومين وتغيّرت الرّيح بعد ذالك وصدّتْنا عن السبيل التي قصدناها ودخلت أمواج البحر معنا في المركب واشتدّ الميدُ بالناس ولم نزل في أهوال حتى خرجْنا في مرسى يعرف برأس دوائر، فيما بين عيذاب وسواكن (9)، فنزلنا به ووجدانا بساحله عريش قصب على هيئة مسجد، وفيه كثير من قشور بيض النّعام مملوّة ماء فشربنا منه وطبخْنا.

ورأيتُ بذلك المرسى عجبًا وهو خُوْر مثل الوادي يخرج من البحر، فكان الناس يأخذون الثوب ويمسكون بأطرافه ويخرجون به وقد امتلأ سمكًا. كلّ سمكة منها قدْر الذراع ويعرفونه بالبوريّ، فطبخ منه الناس كثيرًا واشتووا وقصدتْ إلينا طائفة من البُجاة، وهم سكّان تلك الأرض سودُ الألوان لباسهم الملاحف الصفر ويشدّون على رءوسهم عصائبَ حُمرًا في عرض الإصبع (10)، وهم أهل نجدة وشجاعة وسلاحهم الرّماح والسيوف ولهم جِمال يسمونها الصّهب يركبونها بالسروج، فاكترينا منهم الجمال وسافرنا معهم في برّيّة كثيرة الغزلان، والبُجاةُ لا يأكلونها فهي تأنس بالآدميّ ولا تنفر منه. 161/2

وبعد يومين من مسيرنا وصلنا إلى حيّ من العرب يعرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبُجاة عارفين بلسانهم، وفي ذلك اليوم وصلنا إلى جزيرة سواكن وهي على نحو ستّة اميال من البرّ (11) ولا ماء بها ولا زرع ولا شجر، والماء يجلب اليها في القوارب، وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر وهي جزيرةٌ كبيرة وبها لحوم النّعام والغزلان وحمر الوحش، والمعزَى 162/2

(9) حيث إن هذا الموقع : (رأس دوائر) كان فقط على بعد مسافة يومين فمن الممكن أن يكون هو مرسى دَرُور (DARUR) على خط 19°.50 شمالا، على بعد 43 ميلا من سواكن، هكذا يقول گيب ويرى موني وجماعته أن رأس دوائر اليوم هو رأس أبو شگرة ...

R. MAUNY-V. Monteil, DJENIDI, Robert, et Devisse : Textes et Documents relatifs à l'histoire de l'AFRIQUE, Extraits tirès des voyages d'IBN Battuta - Université de DAKAR 1966 P.20 Note 3.

(10) يكرّر ابن بطوطة هنا ما قاله بالحرف عن البُجاة سابقا – وانظر حولهم كذلك : سفرنامه تأليف خسرُو: صفحة 134– الكواهل يقولون : إنهم أبناء كاهل ابن أسد بن خزيمة بن مدركة ... ابن عدنان ...

(11) يوجد هذا الميناء (سواكن) جنوب عيذاب، وقد اكتسب أهميته بعد أن خربت عيذاب في القرن التاسع الهجري = وقد كانت المنطقة محكومةً من قبل الحَدرْبي كما سلف له القول ...

أنظر التعليق Léon l'Africain : Descrip.. de l'Afrique II, P 484 - MAUNY : Textes - 9

عندهم كثير والألبان والسمن ومنها يجلب إلى مكّة وحبُوبهم الجرجور وهو نوعٌ من الذرة كبير الحبّ يجلب منها ايضا إلى مكّة.

ذكر سلطانها

وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي اليها الشريف زيد بن أبي نُمَى (12) وأبوه أمير مكّة وأخواه أميراها بعده، وهُما عطيفة ورُميثة اللذان تقدّم ذكرهما، وصارت إليه من قبل البُجَاة فانّهم أخواله، ومعه عسكر من البُجاة وأولاد كاهل وعربِ جُهَينة.

وركبنا (13) البحر من جزيرة سواكن نريد أرض اليمن، وهذا البحرُ لا يسافَر فيه بالليل لكثرة أحجاره 163/2 وانّما يسافرون فيه من طلوع الشمس إلى غروبها ويرسون وينزلون إلى البرّ، فإذا كان الصباح صعدوا إلى المركب وهم يسمّون رئيس المركب الرّبان (14)، ولا يزال أبدًا في مقدم المركب ينبّه صاحب السُكّان(15) على الأحجار، وهم يسمّونها النّبات .

وبعد ستّة أيّام من خروجنا عن جزيرة سواكن وصلنا إلى مدينة حَلِي (16)، وضبط اسمها بفتح الحاء المهمل وكسر اللام وتخفيفها، وتعرف باسم ابن يعقوب وكان من سلاطين

(12) لم نجد أثرًا لهذه الشخصية ضمن أمراء أسرة أبي نُمَى... فهو إذن من المعلومات التي استأثر بها ابن بطوطة. - العصامي المالكي (تـ 1049 هـ) : سمط النّجوم العوالي ج 4، 187 - المطبعة السلفية القاهرة 1980.

(13) جُهينة قبيلة في جنوب الجزيرة العربية ينتمي إليها عدد من القبائل الحميرية الساكنة بالسودان، كحالة: معجم قبائل العرب. - أنظر دائرة المعارف

Mac Michael : History of the Arabs in the sudan, Cambridge 1922

(14) الرُبان يعني السائق وليس صاحب المركب الذي يحمل إسم ناخوذا فإن بينهما فرقًا يلاحظ من خلال النصوص Hourani : ARAB Seafaring, Prinston 1951.

(15) السّكّان : (La proue)، مقدّم السفينة الذي به يتحكم في سيرها، ومنه قول طرفة ابن العبد :

وأتلع نهاضٌ إذا صعّدت به
كسُكّان بُوصيّ بدجلة مصعد

حسن صالح شهاب : المراكب العربية ص 166 مصدر سابق.

(16) حَلي يضبطها ابن بطوطة كما رأينا بينما يضبطها ياقوت بتسكين اللام على وزن ظَبْي، ويقتفي ابن المجاور الخزرجي معجم البلدان في هذا، وهي مدينة كبيرة على الطريق الذي يربط مكة بصنعاء وقول ابن بطوطة إنها تعرف باسم ابن يعقوب يعني أنها تسمى حلية ابن يعقوب وبهذا وردت عند الخزرجي كثيرًا عند ما يتحدث عن الطريق الذاهبة إلى مكة... - الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج 1، 137 ص 53.
- أما عن يعقوب فنظن أن القصد إلى محمد بن يوسف بن يعقوب الأبناوي الذي ولى قضاء صنعاء من قبل المنصور وتوفي 153هـ المقحفي معجم البلدان والقبائل اليمنية - دار الكلمة صنعاء 1406= 1985 ص 9. ومرسى حَلي هذا عبارة عن ميناء محمي يوجد الآن في إقليم عسير على الخط 31°18 شمالا وخط 19°41 شرقا...

اليمن ساكنًا بها قديمًا وهي كبيرة حسنة العمارة يسكنها طائفتان من العرب وهم بنو حَرام وبنو كنانة (17)، وجامع هذه المدينة من أحسن الجوامع وفيه جماعةُ من الفقراء المنقطعين إلى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد قبولة الهنديَ من كبار الصالحين. لباسه مرقّعة وقلنوسة لبد، وله خلوة متّصلةُ بالمسجد فرشُها الرمل، لا حصير بها ولا بساط، ولمْ أرَ بهَا حِينَ لقاءي له شيئًا الا إبريق الوضوء، وسُفْرة من خوص النخيل فيها كِسَرُ شعير يابسة، وصُحَيْفة فيها ملْح وصعتر، فإذا جاءه أحد قدّم بين يديه ذلك، ويسمع به أصحابه فيأتي كلّ واحد منهم بما حضره من غير تكلّف شيء وإذا صلّوا العصر اجتمعوا للذِّكر بين يدي الشيخ إلى صلاة المغرب وإذا صلّوا المغرب أخذ كلُ واحد منهم موقفه للتنفُّل فلا يزالون كذلك إلى صلاة العشاء الآخرة فإذا صلوا العشاء الآخرة أقاموا على الذّكر إلى ثلث الليل ثم انصرفوا ويعودون في أوّل الثلث الثالث إلى المسجد، فيتهجّدون إلى الصبح ثم يذكرون إلى أن تحين صلاة الإشراق فينصرفون بعد صلاتها .منهم من يقيم إلى أن يصلّي صلاة الضُحى بالمسجد، وهذا دأبهم أبدًا ولقد كنت أردت الاقامة معهم باقي عمري فلم أوفق لذلك والله تعالى يتداركنا بلطفه وتوفيقه !

164/2 — 165/2

ذكر سلطان حلِي

وسلطانها عامرُ بن ذؤيب من بني كنانة (18) وهو من الفضلاء الأدباء الشعراء صحبتُه من مكّة إلى جدّة وكان حجّ في سنة ثلاثين، ولمّا قدمت مدينته أنزلني وأكرمني وأقمت في ضيافته أيّاماً وركبت البحر في مركبٍ له فوصلت إلى بلدة السرْجة (19)، وضبط اسمها بفتح السين المهمل واسكان الرّاء وفتح الجيم، بلدة صغيرة يسكنها جماعة من أولاد

166/2

(17) بنو حرام والنسبة اليهم حرامي قبيلة من نهد اليمن، وبنو كنانة يرجعون في الأصل إلى شمال الجزيرة - عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب، المطبعة الهاشمية - دمشق 1949 = 1368 م ج I ص 237 - ج III ص 996.

(18) يذكر ابن المجاور ص 53 أن مدينة حلي تعرضت للتخريب أيام دولة سيف الإسلام طغتكين ابن أيوب وبقيْت كذلك إلى أن أعاد بناها موسى بن علي بن عقبة.. ويضيف ابن بطوطة هذه المعلومات الجديدة التي يستأثر بها وخاصة ما يتصل بأميرها عامر بن ذويب الكناني.

(19) السرجة ضبطها ياقوت بفتح الشين المعجمة، وليس بالسين المهمل كما ذكره ناسخ ابن بطوطة، قال ياقوت : بلدة صغيرة تسكنها جماعة من أولاد الهبي من تجار اليمن... وبعد أن أثنى عليهم قال عن البلدة : إنها لا إسم ولا رسم !وهي اليوم محطة استراحة في طريق صنعاء - مكة كما يقول زميلنا الأستاذ الأكوع : عشر محطات قبل حلي - وقد تردد ذكرها عند الخزرجي في العقود اللؤلؤية - انظر معجم البلدان والقبائل اليمنية.

الهِبـي (20)، وهم طائفة من تجار اليمن أكثرهم ساكنون بصَعْداء (21) ولهم فضلٌ وكرم واطعام لابناء السبيل، ويُعينون الحجّاج ويركبونهم في مراكبهم، ويزوّدونهم من أموالهم وقد عرفوا بذلك واشتهروا به، وكثَّر الله أموالهم وزادهم من فضله وأعانهم على فعل الخير.

وليس بالأرض من يماثلهم في ذلك إلاّ الشيخ بدر الدين النقّاس الساكن ببلدة القحْمة (22)، فله مثل ذلك من المآثر والانثار.

وأقمنا بالسَّرْجة ليلةً واحدة في ضيافة المذكورين، ثمّ رحلنا إلى مرسى الحادث (22) ولم ننزل به، ثم إلى مرسى الأبواب (24) ثم إلى مدينة زبيد، (25) مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخًا وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا ‖ أغنى من أهلها، 167/2

(20) ترسمها مخطوطة (الخزانة الملكية) الهِبي، وهو ما يوجد في بعض مخطوطات باريز وهي التي اعتمدها كيب (Gibb) على تقدير أنها نسبة إلى الشَريف عز الدين هبة بن الفضل العلوي الذي كان يسكن أولاده في السرجة (بالسين)، وقد زكّى هذه النسبة زميلنا الشيخ محمد بن علي الأكوع محقق كتاب (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) لنجم الدين عمارة اليمني المتوفى سنة 569هـ = 1174 – الخزرجي . العقود اللؤلؤية في تاريخ الدول الرسولية ... ج أ ص 97-123-130.

(21) صعداء هكذا في بعض النسخ المخطوطة والصواب صَعْدَة : وهي كما في معجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي : مدينة تاريخية في الشمال من صنعاء بمسافة 243 كـ.م. على ارتفاع 2261 مترًا عن سطح البحر، كانت تسمى قديماً باسم جُماع... المعجم ص 390-391.

(22) ليس القصد إلى (القحمة) الموجودة في عسير بن حَلي وجيزان، ولكنها الناحية التي تقع على بعد تسعة أميال شمال مدينة زَبِيد بين الفقيه والمنصورية، وقد تردد ذكرها كثيرًا في المصادر اليمنية ... الخزرجي. العقود اللؤلؤية – معجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي – ص 516.

(23) الحادث لم نجد صدى لهذا العَلَم الجغرافي، في المصادر اليمنية التي نتوفر عليها، ولهذا فإننا نشاطر كيب الرأي في تعذر تحْديد الموقع...

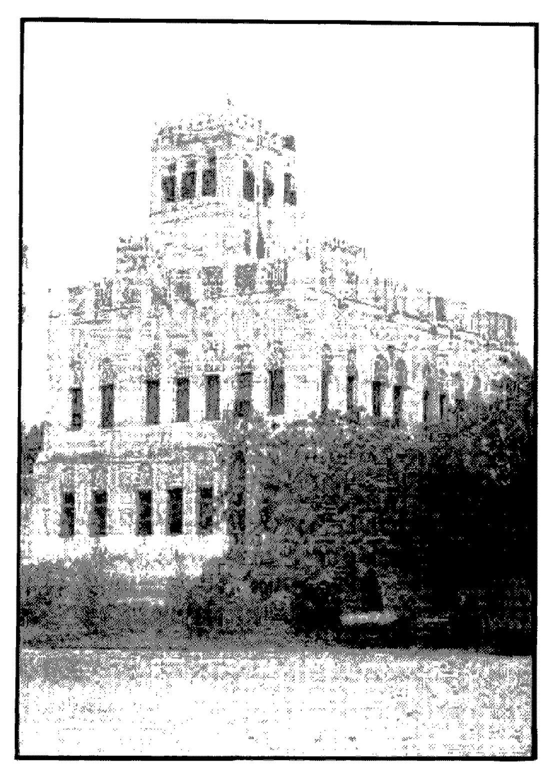
(24) بعض النسخ ترسم (الأهواب) ولكن بعضها : نسخة الخزانة الملكية رقم 8488، ونسخة كايانكوس وبعض نسخ باريز ترسمها الأبواب وهو الصواب، ونعتقد أنها الأبواب الستة التي ذكرها ابن المجاور عندما كان يتحدث عن نزول مركبٍ من المغرب في ميناء عدن : باب الصناعة وباب السكة ... وهما بابان يخرج منهما السيْل إذا نزل الغيثُ بعدن، وباب الفرضة، ومنه تدخل البضائع وتخرج، وباب مشرف... وباب حيق... وباب البر، بيد أن موقعها اليوم مجهول وربما كانت موجودة على مقربة من الميناء الحالي : (الفازة) القريبة من زَبيد ... تاريخ المستبصر لابن المجاور ص 138.

(25) زَبيد، (بفتح الزّاي المدينة، وبضمها القبيلة) ترجع المدينة للعصر الوسيط، أسسها محمد بن عبد الله ابن زياد الأموي بأمر سلطانه عبد الله المأمون بن هارون الرشيد عام 204=821 م وان أهم ميناء زبيد كان هو (غلافقة) على بعد 25 ميلا شمال غرب المدينة، وفي سنة 822 أسس الملك الناصر أحمد الرسول ميناء الفازه فضعفت (غلافقة) ثم تعرضت للدّمار في القرن العاشر الهجري وتعتبر زبيد عاصمة للسهول اليمنية التي تحتضن أهل السنة وتقابل النجود العليا التي يستقر فيها الشيعة الزيدية. والتي تعتبر صنعاء عاصمة لها – معجم البلدان والقبائل اليمنية.

ابن الديْبع : بغية المستفيد في تاريخ مدينة زَبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات اليمانية، صنعاء 1979 – قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، ج 1، ص 23/22، تعليق 2.



أمام قاضي صعدة من مقامة الحريري السابعة والثلاثين



مدينة زبيد

واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره وهي بريّة لا شطّية إحدى قواعد بلاد اليمن، وهي بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة، مدينة كبيرة كثيرة العمارة بها النخل والبساتين والمياه، أملح بلاد اليمن وأجملها ولأهلها لطافة الشمائل وحسن الأخلاق وجمال الصور ولنسائها الحسن الفائق الفائت وهي وادي الحُصَيب الذي يذكر في بعض الآثار أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ في وصيّته : يامعاذ إذا جئت وادي الحُصيب فهَرولْ !! (26)

ولأهل هذه المدينة سبوتُ النخل المشهورة (27)، وذلك انّهم يخرجون في أيّام البُسْر والرُّطبَ ‖ في كلّ سبت إلى حدائق النخل، ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء، ويخرج أهل الطرب وأهل الاسواق لبيع الفواكه والحلاوات، وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل، ولهنّ مع ما ذكرناه من الجمال الفائت الاخلاق الحسنة والمكارم (28)، وللغريب عندهنّ مزيّة ولا يمتنعن من تزوّجه كما يفعله نساء بلادنا، فإذا أراد السفر خرجتْ معه وودّعته وإن كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له إلى أن يرجع أبوه ولا تطالبه في أيّام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها وإذا كان مقيمًا فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لاكنّهنّ لا يخرجن عن بلدهنّ أبدًا ولو أُعطيت إحداهن ما عسى أن تعطاه على أن تخرج ‖ عن بلدها لم تفعل.

168/2

169/2

وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق، ولقيت بمدينة زَبيد الشيخ العالم الصالح أبا محمّد الصنعانّي، والفقيه الصوفي المحقّق أبا العباس الأبيانّي، والفقيه المحدّث أبا عليّ الزَّبيديّ، ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني، ودخلت حدائقهم واجتمعت عند بعضهم بالفقيه القاضي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد

---

(26) يظهر أن ابن المجاور لم يكن متفقا مع ابن بطوطة حول الحُسن الفائق الفائت فقد وجدناه في كتابه صفة اليمن ص 246 يقسم بالله الرحمن الرحيم أنه ما رأى في جميع اليمن سهلها وجبالها وجهاً حسنًا... ما ترى إلا عجائز سوء ...!! وأعتقد أن ظروف الرجلين كانت تختلف فتنوعتْ لذلك الآراء ! هذا ولا يخفى ما في الأثر الشريف من دعابة لطيفة لمبعوثه مُعاذ بن جبل الذي نعرف عن مكانته لدى الرسول عليه الصلوات !

(27) هذا العيد تردد الحديث عنه في كتب التاريخ ويظهر أن أصله يرجع إلى عادة وثنية تضرب في جذور التاريخ القديم ويتحدث الخزرجي في ترجمته لأبي الربيع سليمان الفقيه الحنفي ... عن أنه لما ظهرت السبوت في زَبيد وعُمل فيها المنكر هاجر إلى الحبشة ج I ص 112 – وانظر ابن المجاور ص 78-79 عند حديثه عن النخل...

(28) راجع التعليق السابق رقم 26.

فضلاء اليمن ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الخاشع أحمد بن العُجَيل اليمنيّ (29) وكان من كبار الرجال وأهل الكرامات.

كرامة، ذكروا أنّ فقهاء الزيديّة وكبراءهم أتوا مرّةً إلى زيارة الشيخ أحمد بن العُجَيل فجلس لهم خارج الزاوية واستقبلهم أصحابه ولم يبرح الشيخ عن موضعه فسلّموا عليه وصافحهم ورحّب بهم ووقع بينهم الكلام في مسألة القَدَر (30)، وكانوا يقولون : أنْ لا قَدَر، وان المكلّف يخلق أفعاله، فقال لهم الشيخ : فإن كان الأمر على ما تقولون فقوموا عن مكانكم هذا فأرادوا القيام، فلم يستطيعوا، وتركهم الشيخ على حالهم ودخل الزاوية، وأقاموا كذالك واشتدَّ بهم الحرّ ولحقهم وهج الشمس وضجّوا ممّا نزل بهم، فدخل اصحاب الشيخ إليه وقالوا له إن هؤلاء القوم قد تابوا إلى الله ورجعوا عن مذهبهم الفاسد، فخرج عليهم الشيخ فأخذ بأيديهم وعاهدهم على الرجوع إلى الحقّ وترْك مذهبهم السّيء، وأدخلهم زاويته فاقاموا في ضيافته ثلاثا وانصرفوا إلى بلادهم.

170/2

171/2

وخرجتُ لزيارة قبر هذا الرجل الصالح وهو بقريةٍ يقال لها : غسانة (31) خارج زَبيد، ولقيت ولده الصالح أبا الوليد إسماعيل (32) فأضافني وبتُّ عنده، وزرت ضريح الشيخ وأقمت معه ثلاثًا، وسافرت في صحبته إلى زيارة الفقيه أبي الحسن الزيلعّي (33)، وهو من كبار الصالحين ويَقْدُم حجّاجَ اليمن اذا توجّهوا للحجّ، وأهلُ تلك البلاد وأعرابُها يعظمونه

(29) لم نقف على من ردد صدى لذكر هؤلاء السادة العلماء الصنعاني الذي ينتسب لصنعاء، والأبياني المنتسب لأبيان شرقي عدن، على بعد 30 ميلا منها أما عن العُجَيل فيتأكد لي أنه الفقيه الذي سيرد ذكره عند الخزرجي في كتابه العقود اللؤلؤية والذي يحمل إسم أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عُجَيل المتوفى عام 690.
- الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية تحقيق الزميل محمد بن علي الأكوع الحوالي اليمني، طبعة ثانية 1403 = 1983 مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء.

(30) نظرية المعتزلة التي كان الزيدية يقولون بها...

(31) قرية عرفت أيضا منذ ذلك العهد تحت إسم "بيت الفقية" وما تزال إلى الآن مشهورة بذلك، وهي بالجنوب الشرقي من الجزيرة بمسافة 35ك.م. ونسبت إلى الفقيه العارف أحمد بن موسى بن علي بن عُجَيل سالف الذكر في التعليق 29 - لأنه أول من سكن فيها وأنشأ بها ملاجئ للزَّمنَى والفقراء والمريدين - معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(32) حسب ما ذكره الخزرجي فإن إسماعيل بن أحمد بن عُجَيل توفي عام 717 = 1317. العقود اللؤلؤية ج 1 ص 221 تحقيق محمد الأكوع، مصدر سابق.

(33) القصد إلى أبي الحسن علي بن أبي بكر بن محمد الزيلعي - العُقيلي صاحب قرية السلامة من وادي نخلة و كان أصل بلدهم بطّة، قرية من قرى الحبشة ولذلك يقال لهم بنو الزيلعي، كان أول من قدم منهم إلى قرية السلامة جدّهم محمّد كان كثير الحج أدْركه أجله بمكة أخر شهر ذي الحجة من عام 729 = 1329. الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج 2، ص 53-54 مصدر سابق.

ويحترمونه. فوصلنا إلى جِبْله (34) وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخل وفواكه وأنهار، فلمّا سمع الفقيه أبو الحسن الزيلعيّ بقدوم الشيخ أبي الوليد استقبله وأنزله بزاويته وسلّمت عليه معه، وأقمنا عنده ثلاثة أيّام في خير مقام، ثم انصرفنا وبعث معنا أحد الفقراء فتوجّهنا إلى 172/2 مدينة تعزّ حضرة ملك اليمن، وضبط اسمها بفتح التاء المعلوّة وكسر العين المهملة وزاء، وهي من أحسن مُدُن اليمن واعظمها، وأهلها ذوو تجبّر وتكبّر وفظاظة، وكذلك الغالب على البلاد التي يسكنها الملوك، وهي ثلاث محلاّت إحداها يسكنها السلطان ومماليكه وحاشيته وأرباب دولته وتسمّى باسم لا أذكره، والثانية يسكنها الأمراء والأجناد، وتسمّى عُدَيْنة، والثالثة يسكنها عامّة الناس وبها السوق العظمى، وتسمّى المَحَالب (35).

ذكر سلطان اليمن

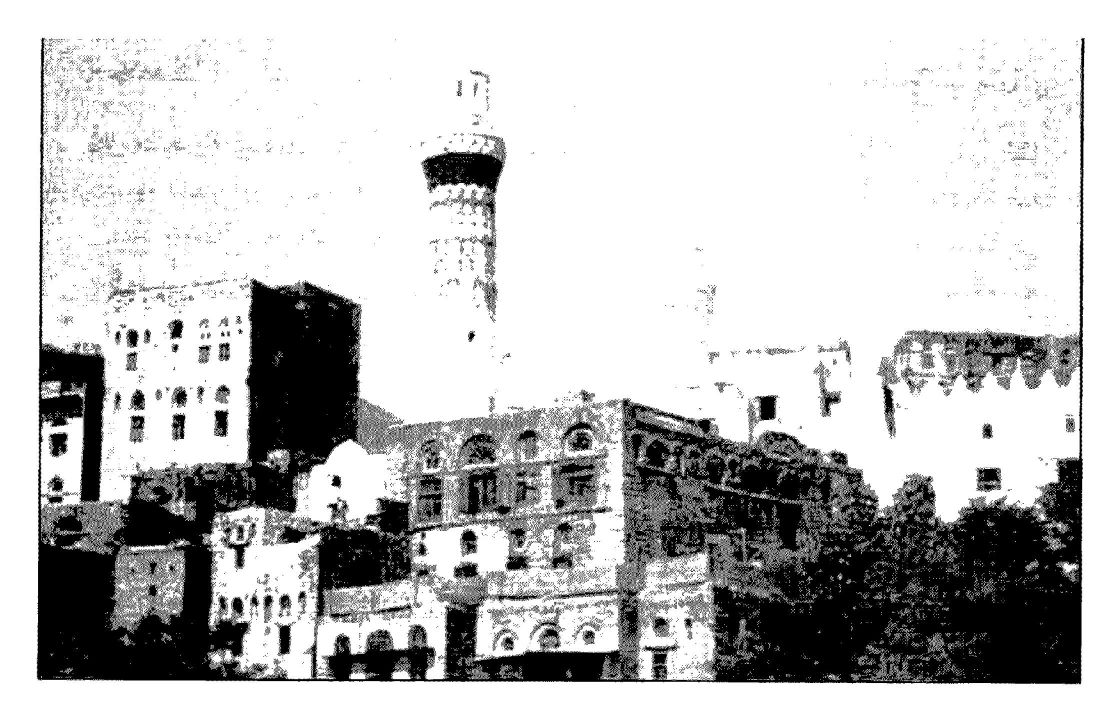
وهو السلطان المجاهد نور الدين (36) عليّ ابن السلطان المؤيد هِزَبْر الدين دَاوود بن السلطان المظفّر يوسف بن عليّ ابن رسول، شُهر جدّه برسول لان أحد خلفاء بني العبّاس أرسله إلى اليمن ليكون بها أميرًا، ثم استقلّ 173/2 اولاده بالملك. وله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه، وكنت لمّا وصلت هذه المدينة مع الفقير الذي بعثه الشيخ الفقيه أبو الحسن الزيلعيّ

---

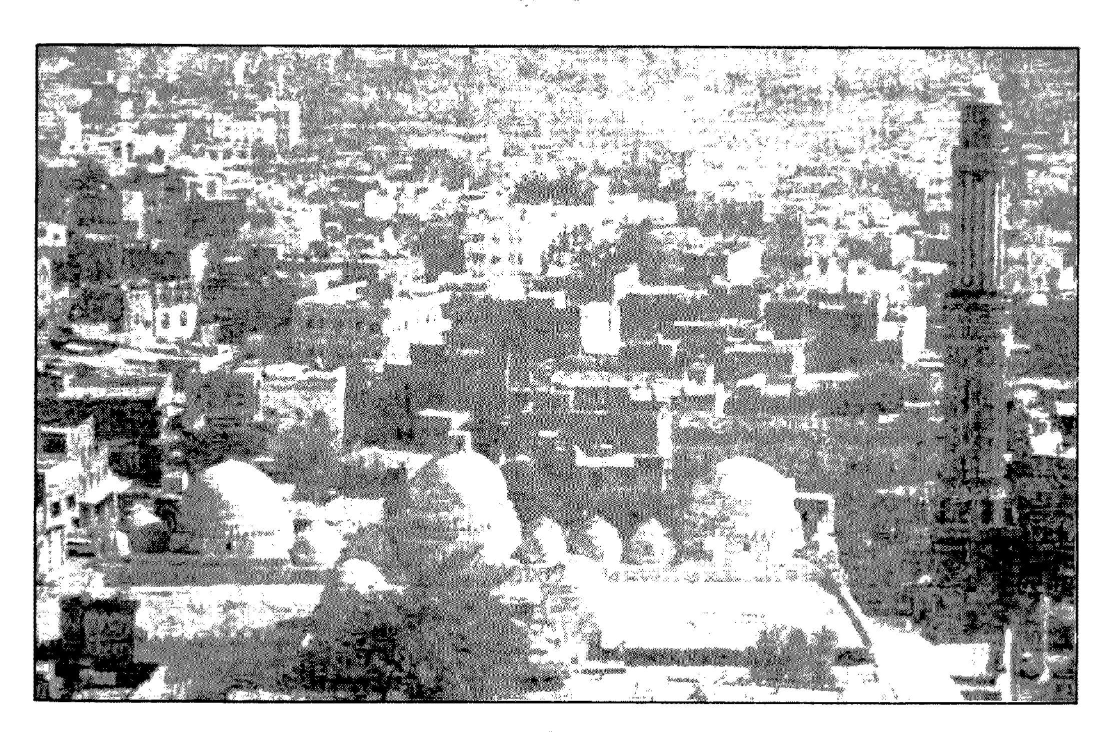
(34) جبْلة هي المدينة التي التقى فيها ابن بطوطة بالشيخ الزيلعي ويلاحظ أنها أي جِبْلة لا توجد على الطريق المباشر الذي يذهب من زَبيد إلى تعز كما يفهم من ابن بطوطة، بل تقع على بعد 75 ميلا شرق جنوب زَبيد، 40 ميلا شمال تعز، بضعة أميال من مدينة إبْ، وتسمى جبلة قديما مدينة النهرين لأنها كانت بين نهرين، ابتناها عبد الله بن علي الصليحي سنة 458 وسماها جبلة باسم يهودي كان يبيع الفخار فيها. ثم انتقل إليها أحمد بن علي ابن محمد الصليحي وزوجته الملكة أرْوَى بنت أحمد الذي فوض أمر المملكة إليها وصارت جبلة بعد ذلك عاصمة للدولة الصليحية... وللسيدة أروى بنت أحمد مآثر كثيرة في جبلة ... معجم البلدان – لياقوت ومعجم البلدان والقبائل اليمنية. ص 122.

(35) ذكرت (تعز) من قبل ياقوت وكذلك ابن المجاور على أنها قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات وقد بلغت أوجها أيام حكم بني رسول. ونذكر هنا أن اسم المحلة الأولى التي نسي ابن بطوطة هي على ما يظهر (المعزية)، وعدينة تقع في لحف الحصن على ما عند ابن المجاور (ص 233) أما المحالب فلم يتردد لها ذكر على ما يبدوا في غير رحلة ابن بطوطة... ويتحدث ابن المجاور (ص 58-63) عن المحالب كموقع جغرافي كان مدينةً على بعد ثلاثة فراسخ شمال وادي سُردود، هذا ويجدر التساؤل حول مانَعَت به ابن بطوطة سكانَ العواصم من التجبر والتكبّر والفظاظة...

(36) هذا هو الملك الخامس من دولة بني رسول الغسانيين وقد خصصت المصادر اليمنية حيزا كبيرا لهذه الدولة التي كان لها أثر كبير في صنع تاريخ اليمن...
الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية تحقيق محمد الأكوع مركز الدراسات والبحوث اليمنى طبعة ثانية 1403=1983 – ابن الديبع : كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، ج 2، ص 75. – بغية المستفيد في تاريخ مدينة زَبيد، تحقيق : عبد الله الحبشي – مركز الدراسات والبحوث اليمني – صنعاء 1979.



مدينة جبله



مدينة تعز

في صحبتي، قصد بي إلى قاضي القُضاة الإمام المحدِّث صفيّ الدين الطبريّ المكّي (37) فسلمْنا عليه ورحّب بنا وأقمنا بداره في ضيافته ثلاثًا. فلمّا كان في اليوم الرابع وهو يوم الخميس، وفيه يجلس السلطان لعامّة الناس دخل بي عليه فسلّمت عليه، وكيفيّةُ السلام عليه أن يمسّ الانسان الأرض بسبّابته، ثمّ يرفعها إلى رأسه، ويقول : أدام الله عزّك. ففعلت كمثل ما فعله القاضي، وقعد القاضي عن يمين الملك، وأمرني فقعدت بين يديه فسألني عن بلادي وعن مولانا أمير المسلمين جواد الأجواد أبي سعيد رضي الله عنه (38)، وعن ملك مصر وملك العراق ‖ وملك اللّور، فأجبته عمّا سأل من أحوالهم وكان وزيره بين يديه فأمره بإكرامي وإنزالي. 174/2

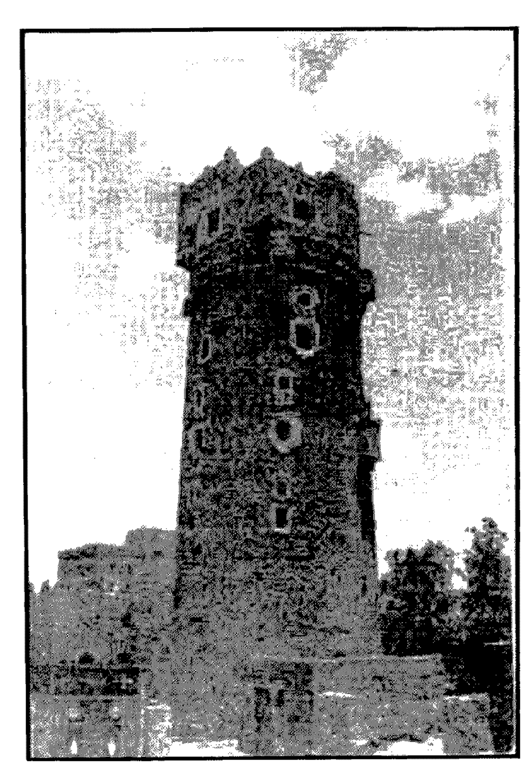
وترتيبُ قعود هذا الملك أنّه يجلس فوق دكّانة مفروشة مزيّنة بثياب الحرير، وعن يمينه ويساره أهل السلاح، ويليه منهم أصحاب السيوف والدَّرَق، ويليهم أصحاب القِسيّ، وبين يديهم في الميمنة والميسرة الحاجب، وأرباب الدولة وكاتب السرّ وأمير جندار على رأسه، والشاوشيّة، وهم من الجنادرة وقوفٌ على بعد، فإذا قَعَد السلطان صاحوا صيحةً واحدة : بسْم الله، فإذا قام فعلوا مثل ذالك، فيعلم جميع من بالمشور وقت قيامه ووقت قعوده، فإذا استوى قاعدًا دخل كلُّ مَن عادته أن يسلّم عليه فسلّم ووقف حيث رسم له في ‖ الميمنة أو المَيْسَرة لا يتعدّى أحدٌ موضعه ولا يقعد إلاّ من أمر بالقعود. ويقول السلطان للأمير جندار مُرْ فلانًا يقْعُدْ، فيتقدّم ذلك المأمور بالقُعود عن موقفه قليلاً، ويقعد على بساطٍ هنالك بين أيدي القائمين في الميمنة والميسرة، ثم يوتي بالطعام، وهو طعامان طعام العامّة وطعام الخاصّة، فأمّا الطعام الخاصّ فيأكل منه السلطان وقاضي القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والضيوف وأمّا الطعام العامّ فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشائخ والأمراء ووجوه الأجناد، ومجلس كلّ انسانٍ للطعام معيّن لا يتعدّاه، ولا يزاحم أحدٌ منهم أحدًا. وعلى هذا الترتيب سواء هو ترتيب ملك الهند في طعامه، فلا أعلم هل أن سلاطين الهند أخذوا ذلك عن سلاطين اليمن أم ‖ سلاطين اليمن أخذوه عن سلاطين الهند. 175/2 176/2

(37) أسرة الطبري اشتهرت بالقضاء في مكة أبا عن جد طوال هذه الفترة، بيد أننا لم نقف على مصدر يتحدث عن هذا الطبري الذي ذكره ابن بطوطة والذي يمكن أن يكون محمد بن يوسف بن علي بن محمد الفزاري قاضي تعز الذي توفي يوم عرفة عام 742 - 16 ماي 1342. وهذه معلومات استأثر بها الرحالة المغربي - الدرر ج 5 ص 76.

(38) إذا ما عرفنا أنّ ابن بطوطة اجتمع بسلطان اليمن أواخر سنة 730-1330 عرفنا اذن أن الرحالة المغربي ظل على صلةٍ بأخبار السلطان أبي سعيد المريني الذي إنّما أدركته الوفاة يوم ذي القعدة 731 - 30 غشت 1331 - جندار يعني رئيس الحرس الخاص - الشاوشية، كلمة تركية تعني الخدم الذين يراقبون الأبواب...



معصرة السمسم في صنعاء



لقد كان لسبأ في مساكنهم آية...

وأقمت في ضيافة سلطان اليمن أيّامًا، وأحسن إليّ وأركبني، وانصرفتُ مسافرًا إلى مدينة صنعاء (39)، وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى، مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها بالآجرّ والجصّ، كثيرة الأشجار والفواكه والزرع معتدلة الهواء طيّبة الماء، ومن الغريب أن المطر ببلاد الهند واليمن والحبشة إنّما ينزل في أيام القيظ، وأكثر ما يكون نزولُه بعد الظهر (40) من كلّ يوم في ذلك الأوان، فالمسافرون يستعجلون عند الزوال لئلاّ يصيبهم المطر، وأهل المدينة ينصرفون إلى منازلهم لأن امطارها وابلة متدفّقة.

177/2 ومدينة صنعاء مفروشة كلّها فإذا نزل المطر غسل جميع أزقّتها وأنقاها. وجامع صنعاء من أحسن الجوامع، وفيه قبر نبيّ من الأنبياء عليهم السلام.

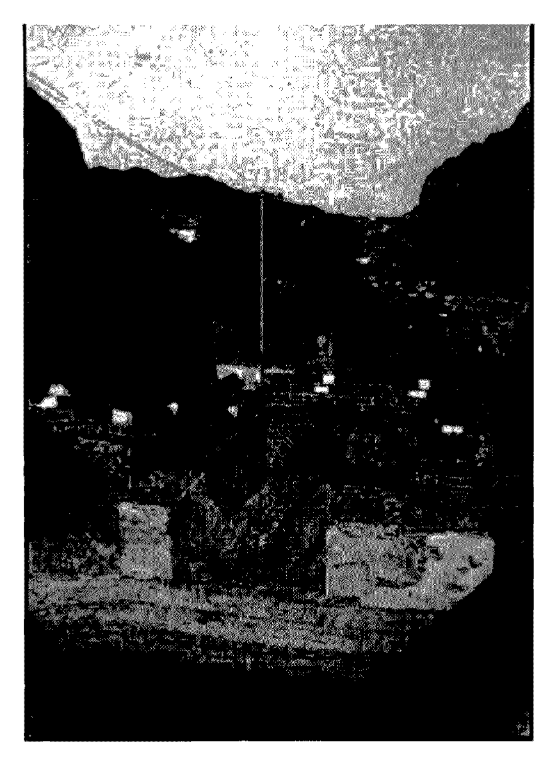
ثمّ سافرت منها إلى مدينة عَدَن (41) مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الاعظم، والجبال تحفّ بها ولا مدخل اليها الاّ من جانب واحد، وهي مدينة كبيرة ولا زرع بها ولا شجر ولا ماء، وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيّام المطر (42) والماء على بعدٍ منها فربّما منعته العرب وحالوا بين أهل المدينة وبينه حتّى يصانعوهم بالمال والثياب، وهي شديدة الحرّ،

(39) تقع صنعاء على بعد 113 ميلا شمال تعز على خط مباشر والتوجه إليها من تعز والعودة إلى عدن يستغرق مسافة هامة، هذا وقد كتب الناس كثيرًا عن صنعاء العاصمة، وقد كان فيمن تحدث عنها ناصر خسرو (444=1052) في مذكراته، سفرنامه (ص 142) قائلاً : ان بها قصرَ غمدان الذي بقي منه ما يشبه التل في وسط صنعاء... وان بها يصنعون العقيق : حجارة تقطع من الجبل وتشوى على النار في بواتق محاطة بالرمل ثم تعرض لحرارة الشمس وبعد هذا يصقلها الحوّاكون... ويذكر ابن المجاور (ص 181) أن القصر بقي إلى أيام خلافة عمر بن الخطاب الذي أمر بهدمه ... وأن بدر الدين حسن بن علي بن رسول بني في موضعه قصرًا عظيم الهيكل سنة 618...

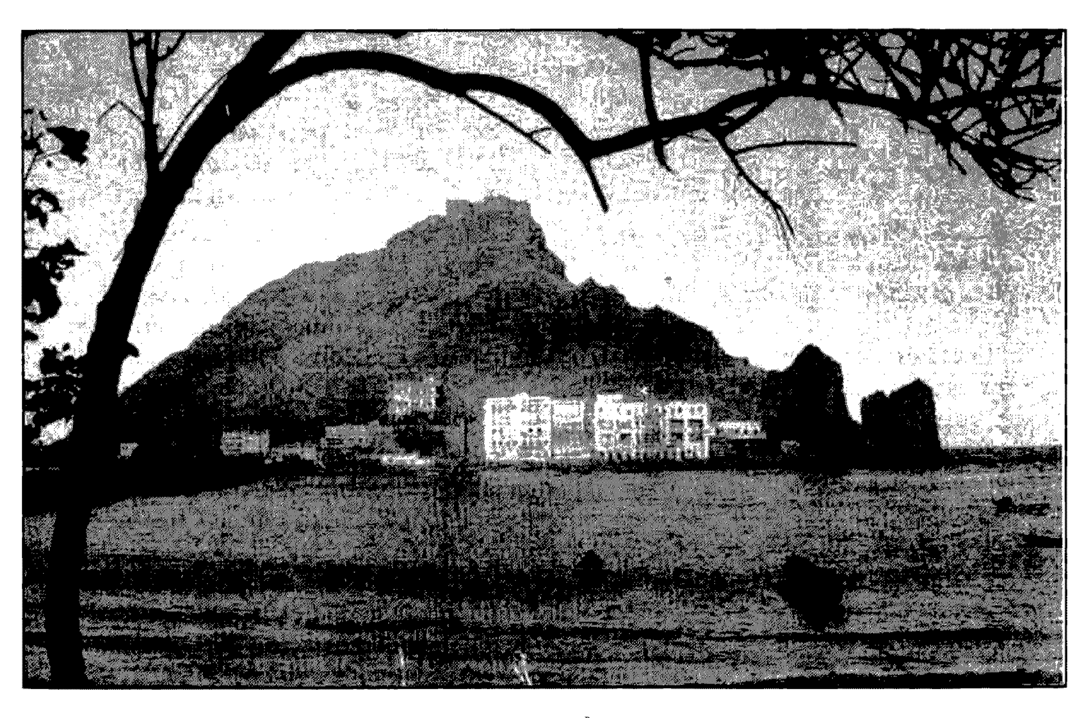
(40) نفس المعلومات التي قدمها الينا ابن المجاور في كتابه "تاريخ المستبصر" : يهب عند كل عصر هواء بارد ... وبعده تكلل الأفق بالغمام وينزل الغيث ساعة زمانية ثم يصحو ص 159.

(41) تقع عدن على بعد نحو 85 ميلا جنوب شرقي تَعِز... وقد تحدث ابن المجاور ص 155 عن محطات الطريق بتفصيل من "الجوة الى عدن والى تعز" ميناء هام عند مضيق باب المندب... محاطة بالجبال من ثلاث جهات : جبل شمسان من الغرب والشمال وجبل صيرة من الجنوب الغربي ... لها تجارة واسعة مع بلاد الهند ومصر وخاصة في التوابل والبهارات فهي فعلا ملتقى التجـ
G. Wiet . Les marchands d'épices sous les sultans mamlouks, in Cahiers d'Histoires egyptienne, Cairo 1955, VII 2,81-147.

(42) لقد تركت تقاليد بناء السدود ومخازن الماء المعروفة في اليمن منذ عهد سبأ، آثارها في منطقة عدن، وقد زرت صهاريج عدن صباح 14 شتنبر 1992 حيث قرأت نقشا فيه ما ياتي : 20-2/1899 (Playfaire Tank)، وقد ذكر بلايفير هذا في تقريره عن صهريج عدن أن البعثة الفرنسية التي زارت المدينة عام 1708 وجدت الصهريج يستعمل من قبل الأهالي – ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ... تصحيح أوسكار لوفگرين : O. Lofgren طبعة ثانية 1407-1986 منشورات المدينة، واغتنم هذه الفرصة لأشكر زميلي الأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري سفير الجمهورية اليمنية في لندن على مساعدته الثمينة. O. Lofgren ADAN ENCY de Islam – حسن صالح شهاب . عدن فرضة اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1410=1990، ص 196، تعليق 12. مُحَيْرِز : صهاريج عدن..



صهاريج عدن ورد ذكرها عند ابن بطوطة وقبله عند ابن المجاور



قلعة صيرة - عدن

وهي مـرسى أهل الهند تأتي إليـهـا المراكب العظيـمـة من كُنْبـاية وتانَة، وكولم، وقـالقـوط، وفندرانيـة، والشـاليـات، ومنجـرور، وفـاكنور، وهِنَورَ، وسِندابور، وغـيـرهـا (43)، وتُجـار الـهند ساكنون بها وتجار مصر ايضا.

178/2 وأهل عَدَن ما بين تجـار ومـا بين حمّـالين وصـيّـادين للسّمك ‖ وللتجـار منهم أمـوالٌ عريضة وربّمـا يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال، ولهم في ذلك تفاخُر ومباهاة.

حكاية [كَبْش يعتق عبْداً!]

ذكر لي أن بعضـهم (44) بعث غلامًا له ليشتـري له كبشا وبعث آخرُ منهم غلامًا له برسم ذلك أيضـا، فاتّفق أنّه لم يكن بالسـوق في ذلك اليوم إلاّ كبشٌ واحد فوقعت المزايدة فيه بين الغلامين، فانتهى ثمنه إلى أربع مائة دينار، فأخذه أحدهما، وقـال: إنّ رأس مـالي أربع ماية دينـار، فإن أعطاني مولاي ثمنه فحسن والاّ دفعتُ فيه رأس مالي ونصرت نفسي وغلبت صـاحبي، وذهب بالكبش إلى سيّده فلمّا عرف سيّده بالقضية أعتقه ‖ وأعطاه الف دينار وعاد الآخر إلى سيّده خائباً فضربه وأخذ ماله ونفاه عنه!

179/2 ونزلتُ في عدَن عند تاجر يعرف بناصر الدين الفأريّ. فكان يحضر طعامه في كلّ ليلة نحو عشرين من التجـار، وله غلمان وخدّام أكثر من ذلك، ومع هذا كلّه فـهم أهل دين وتواضـع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون إلى الغريب ويؤثرون على الفقير، ويعطون حقّ الله من الزكاة على ما يجب، ولقيت بهذه المدينة قاضيَها الصـالح سالم بن عبد الله الهنديّ، وكان والده من العبيد الحمّالين واشتغل ابنه بالعلم فرأس وساد، وهو من خيار القضـاة وفضلائهم، أقمت في ضيافته أيّامًا.

(43) كنباية (CANBAY) في الجزرات، وتانه (TANA) على مقربة من بومبـاي، وكولم (QUILON) في الطريق الجنوبي للهند وقـالقوط (CALICUT) وفندرانيـة (PANDALAYINI) في شـمـال قـالقـوط، وسندابور (BEYPARE) جنوب قاليقوط ومنجرور (MANGALORE) وفاكنور (BACCANORE) وهِنَور (HANAVAR) وكَوا، مجموع هذه المدن موانئ في الساحل الغربي للهند، وسيـأتي وصـفها في السفر الثاني إن شاء الله.

(44) نفس الأسطورة حكاها ابن المجـاور صـفحـة 68 بفـارق: هو جـعل السـمك المسمى الضّيـراك عـوض الكبش، حكاها حول تاجرين من سيراف...

180/2 وسافرتُ من مدينة عدن في البحر أربعة أيّام (45) ووصلت إلى مدينة زَيْلَع (46) وهي مدينة البَرْبرة، وهم طائفة من السودان (47) شافعيّة المذهب وبلادهم مسيرة شهرين أوّلُها زيلع وآخرها مَقْدشَوْ، ومواشيهم الجمال ولهم أغنام مشهورة السِّمن.

وأهل زيلع سودُ الألوان وأكثرهم رافضة، وهي مدينة كبيرة لها سوق عظيمة إلاّ أنّها أقذر مدينة في المعمور وأوحشها وأكثرها نتنًا، وسبب نتْنها كثرة سمكها ودماء الإبل التي ينحرونها في الأزقّة. ولمّا وصلنا إليها اخترنا المبيت بالبحر على شدّة هوله ولم نبت بها لقَذَرِها.

---

(45) ذهاب ابن بطوطة من عَدَن ينبغي أن يكون بتاريخ النصف الثاني من شهر يناير 1331 = النصف الثاني من ربيع الثاني وهو التاريخ الذي يصادف فترة هبوب الرياح الموسمية من الشمال الشرقي التي تجعل السفر ممكنًا، بينما نجد تلك الرياح إنما تساعد في العودة عندما تهب من الجنوب الغربي حوالي نهاية ابريل... يلاحظ انتقال ابن بطّوطة من قارة أسيا إلى افريقيا ...

(46) زيلع ميناء يقع في الصومال الحالية جنوب جيبوتي .. وقد كانت على ذك العهد أحد المعاقل والمنافذ الهامة - وحتى نتصور بعض ما سيشير اليه ابن بطوطة من حقائق تاريخية للمنطقة ينبغي أن نذكر هنا أن العمانيين أول من اتخذوا لهم مستوطنات على الساحل الشرقي لافريقيا بعد انتفاضتهم على حكم عبد الملك ابن مروان.. ثم كانت الموجة الثانية من المهاجرين الملتجئين لشرق افريقيا عندما انهزم زيد بن علي بن أبي طالب على يد انصار الخليفة واضطر انصاره للنجاة فاجتازوا البحر إلى شرق افريقيا حيث امكنهم أن يمارسو السلطة في بنادر المنطقة، ومع النصف الثاني من القرن الرابع الهجري 365=975 قدمت مجموعة أخرى من الاحساء (ناصر خسرو علوي : سفرنامه ص 158-159) حيث ابحر سبعة اخوة في ثلاث سفن.. ورفض الزَّيديون الاعتراف بالقادمين الجدد فتراجعوا إلى الداخل وتزاوجوا مع الوطنيين وكان على رأس السبْعة أخوهم حسن بن علي أحد أبناء حاكم شيراز... واستوطنوا على طول أرض الساحل الشرقي التي يسميها ابن بطوطة بلاد السواحل... حيث توقفت سفينةٌ في جزيرة مَنْبَسى، وتوقفت السفينة التي نُقلَ حُسيناً في كُلْوَة اتية الذكر الخ.
ومن هنا سمعنا عن قبائل زيلع السبع... وسمعنا أن خطبة الجمعة تخطب باسمائهم جميعًا! سمعنا عن وجود عدد كبير هنا من السادة المنحدرين من الرسول عليه الصلوات، هذا ويطلق (جَبَرت) عند المصريين على المسلمين الصوماليين ومعلوم أن للجَبَرته رواقًا خاصًا في الأزهر الشريف إلى جانب رواق المغاربة
.E.PLOCHET : PATROLOGIA ORIENTAL IA, PARIS 1920
أحمد حمود المعمري : عُمان وشرقي الجزيرة، تعريب محمد أمين عبد الله 1979.

(47) البربرة أو بربرا يعدُّهم بعض الجغرافيين العرب من القبائل التي تنسب إلى القبائل الحامية التي ليست حبشية ولا زنجية، وهم الصوماليون بصفة خاصة ونجد ابن بطوطة هنا يتحدث عن عدِّهم من السودان.
وقد ورد ذكر مدينة البربرة عند بطوليمي وعند ابن سعيد ويقول ياقوت إن لهم لغةً برأسها لا يفهمها غيْرهم... وإلى بربرا تنسب الخيول الرفيعة، وقد جاء في شعر امرئ القيس :
على كل مقصوص الذناب معاند يريد السُّرى بالليل من خيل برْبَرا.

ثم سافرنا منها في البحر خمس عشرة ليلة، ووصلنا مَقْدَشَوْ (48)، وضبط اسمها بفتح الميم واسكان القاف وفتح الدال المهمل والشين المعجم واسكان الواو. وهي مدينة متناهية في الكبر، وأهلها لهم جمال كثيرة ‖ ينحرون منها المئين في كل يوم، ولهم أغنام كثيرة وأهلها تُجار أقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها، ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها (49). 181/2

ومن عادة أهل هذه المدينة أنّه متى وصل مركب إلى المرسى تصعد الصنابق، وهي القوارب الصغار إليه، ويكون في كل صنبوق جماعة من شبّان أهلها فيأتي كلّ واحد منهم بطبق مغطّى، فيه الطعام فيقدّمه لتاجرٍ من تجار الركب، ويقول : هذا نزيلي، وكذلك يفعل كلُّ واحد منهم، ولا ينزل التاجر من المركب إلاّ إلى دار نزيله من هؤلاء الشبّان الاّ من كان كثير التردّد إلى البلد وحصلتْ له معرفة أهله فانه ينزل حيث شاء فإذا نزل عند نزيله با ع له ما عنده ‖ واشترى له، ومن اشترى منه ببخس أو با ع منه بغير حضور نزيله فذلك البيع مردود عندهم، ولهم منفعة في ذلك. 182/2

ولمّا صعد الشبان إلى المركب الذي كنت فيه جاء إليّ بعضهم، فقال له أصحابي : ليس هذا بتاجر وإنما هو فقيه ! فصاح بأصحابه وقال لهم : هذا نزيل القاضي، وكان فيهم أحدُ أصحاب القاضي فعرّفه بذلك، فأتى إلى ساحل البحر في جملةٍ من الطلبة، وبعث إليّ أحدهم فنزلت أنا وأصحابي وسلّمت على القاضي وأصحابه، وقال لي : بسم الله نتوجّه للسلام على الشيخ، فقلت : ومن الشيخ ؟ فقال : السلطان، وعادتهم ان يقولوا للسلطان الشيخ، فقلت له : إذا نزلتُ توجّهت إليه، فقال لي : إن العادة إذا جاء الفقيه ‖ أو الشريف أو الرجل الصالح لا ينزل حتّى يرى السلطان، فذهبت معهم إليه كما طلبوا. 183/2

(48) مقدشو (MAGADICHOU) أسس هذا المركز في القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي من لدن بعض المهاجرين العرب، وربما كانوا مسلمين من فارس، وكان أهمّهم من ورد من شيراز ونيسابور ومن الأحساء وقد ظلت محكومة الى القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي من لدن جماعة من القبائل... اعتمد معلومات ابن بطوطة عدد من الباحثين في المنطقة وخاصة منهم كيلان Guillan في كتابه بالفرنسية .

Documents sur ::: l'Afrique orientale - PARIS 1936

(49) كانت تجارة القطن هنا مزدهرة، وقد كان القطن يشحن منها الى مصر والى الجزيرة العربية والخليج، ولكن هذه التجارة أخذت في الانهيار بعد تحطيم المستودعات العربية من قبل البرتغال.

ذكر سلطان مَقْدَشَوْ

وسلطان مَقْدَشَوْ، كما ذكرناه، إنما يقولون له الشيخ واسمُه أبو بكر بن الشيخ (50) عمر، وهو في الأصل من البَرْبَرة وكلامه بالمقْدَشيّ، ويعرف اللسان العربيّ، ومن عوائده أنه متى وصل مركب يصعد إليه صنبوق السلطان، فيسأل عن المركب من أين قدم، ومَن صاحبه، ومَن رُبّانه، وهو الرايس، وما وسقه، ومَن قدم فيه من التجار وغيرهم، فيعرف بذلك كلّه ويعرض على السلطان، فمن استحقّ أن ينزله عنده أنزله.

184/2 ولمّا وصلتُ مع القاضي المذكور، وهو يعرف بابن البرهان المصريّ ‖ الاصل (51)، إلى دار السلطان خرج بعض الفتيان فسلّم على القاضي، فقال له : بلّغ الامانة وعرّف مولانا الشيخ أن هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز، فبلّغ ثم عاد وأتى بطبق فيه أوراق التنبول (52) والفَوْفل، فأعطاني عشرة أوراق مع قليل من الفوفل، وأعطى للقاضي كذلك، وأعطى لأصحابي ولطلبة القاضي ما بقى في الطبق وجاء بقُمقم من ماء الورد الدمشقّي فسكب عليّ وعلى القاضي، وقال : إن مولانا أمر أن ينزل بدار الطلبة وهي دار معدّة لضيافة الطلبة، فأخذ القاضي بيدي، وجئنا إلى تلك الدار وهي بمقربة من دار الشيخ مفروشةٍ مرتّبة بما تحتاج إليه ثمّ أتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو الموكّل بالضيوف، فقال :

185/2 مولانا يسلّم عليكم ويقول لكم : قدمتم خير مقدم، ثم وضع ‖ الطعام، فأكلنا وطعامُهم الأرز المطبوخ بالسّمن يجعلونه في صحفة خشبٍ كبيرة ويجعلون فوقه صحاف الكوشان (53)، وهو الإدام من الدجاج واللحم والحوت والبقول، ويطبخون الموْز قبل نضجه في اللبن الحليب،

(50) يلاحظ أن اطلاق لقب (الشيخ) على حاكم البلاد اصطلاح عرف ايضا في المغرب وخاصة في بداية عهد السعديين كما هو معروف أيضا في منطقة الخليج إلى اليوم. هذا وحول سلاطين مقدشو الى القرن العاشر الهجري = السادس عشر الميلادي، فإنه لا يعرف إلاّ اثنان : الاول مؤسس الدولة في أخر القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي : أبو بكر بن فخر الدين، والثاني : أبو بكر بن الشيخ محمد الذي لم نعرفه إلا عن طريق ابن بطوطة.

(51) يظهر من حديث ابن بطوطة أن السكان في مقديشو امتزجوا إمتزاجاً بالقبائل العربية التي نزلت بساحتهم والتي كان من أكثرها نفوذًا أسرة المُقْري (بضم الميم) التي كان أفرادها ينعتون أنفسهم بالقحطانيين، وكان منهم القضاة والعلماء والمقرئين نذكر منهم اسماعيل بن المُقْري اليمني صاحب كتاب (عنوان الشرف الوافي) المحَّرر بطريقة أكروباتية والمتضمن لخمسة فنون ... تراجع مادة موكاديشو في "الموسوعة الايطالية". Gibb II P. 345 Note 50. في جنوب مقدشو تقع جزر القمر...

(52) يلاحظ تقديم أوراق التنبول هنا أيضا على نحو ما قرأناه أثناء وجود ابن بطوطة ببلاد الشام ... العادة اختفت الآن في هذه الجهات، ولكن آثارها باقية في منطقة المحيط الهندي على ما سنرى ...

(53) تقدم التعليق على الكوشان والكوشَري وعلاقتهما بالكاري (Curry) ...ج II، ص 82.

ويجعلونه في صحفة، ويجعلون اللبن المريّب في صحفة، ويجعلون عليه الليمون المصيّر (64)، وعناقيد الفلفل المصيّر المخلّل والمملوح، والزنجبيل الأخضر، والعنبا، وهي مثل التفّاح، ولكن لها نواة، وهي، إذا نضجت، شديدة الحلاوة، وتؤكل كالفاكهة وقبل نضجها حامضة كالليمون، يصيّرونها في الخلّ، وهم إذا أكلوا لقمةً من الأرز أكلوا بعدها من هذه الموالح والمخلّلات، والواحد من أهل مَقْدَشُو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منّا، عادةً لهم ‖ وهم في نهايةٍ من

186/2 ضخامة الجسوم وسِمِنها، ثم لمّا طعمنا انصرف عنّا القاضي، وأقمنا ثلاثة أيام يوتي إلينا بالطعام ثلاث مرّات في اليوم وتلك عادتهم، فلمّا كان في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة جاءني القاضي والطلبة وأحد وزراء الشيخ وأتوني بكسوة، وكسوتهم فوطة خزّيشدّها الإنسان في وسطه عوض السّراويل فانّهم لا يعرفونها، ودرّاعة من المقطع المصريّ مُعلمة، وفرجيّة (55) من القُدْسي (56) مبطّنة وعمامة مصريّة مُعلمة، وأتو لأصحابي بكُسًى تناسبهم واتينا الجامع فصلّينا خلْف المقصورة (57)، فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلّمت عليه مع القاضي،

187/2 فرحّب وتكلّم بلسانهم مع القاضي، ثم قال باللسان العربيّ : قدمت خيْر ‖ مقدم، وشرّفت بلادنا وآنستنا، وخرج إلى صحن المسجد فوقف على قبْر والده وهو مدفون هنالك فقرأ ودعا ثم جاء الوزراء والأمراء ووجوه الاجناد فسلّموا، وعادتهم في السلام كعادة أهل اليمن : يضع سبّابته في الأرض ثم يجعلها على رأسه ويقول : أدام الله عزّك، ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبِس نعليه وأمر القاضي أن ينتعل وأمرني أن أنتعل، وتوجّه إلى منزله ماشيًا وهو

(54) المُصَيّر (بضم الميم وفتح الياء المفتوحة المشدّدة) تعبير مغربي معروف إلى اليوم، وهو يعني الليمون المرقّد في الماء والملح، ومنه صنعوا الفعل صيَّر يُصيّر الليمون مثلاً، يشبه المخلّلات عند المشارقة والطُّرشي عند أهل العراق يقدم ضمن المقبّلات ويجعل فوق بعض أنواع الطعام...

(55) الفُرَجية وتجمع على الفراجي أو فرجيات : نوع من الثياب معروف إلى الآن بالمغرب، وسميت بذلك لأن بها فُرجًا جهة الصدر أو لان أكمامها طويلة مفرجة، وقد اعتاد المنصور السعدي أن يرتديها فسميت المنصورية، وقد كان الأجانب يلاحظون باهتمام الملابس التي يرتديها السفراء المغاربة، ومن ثمت وجدنا وصفهم للفرجية او (المنصورية) على ما نجده عندما زارت السفارة المغربية امستردام عام 1659... هذا وقد استفاد دوزي من رحلة ابن بطوطة لإثراء معلوماته حول الملابس العربية على ما يقوله في مقدمة كتابه (المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب) ترجمة د. أكرم فاضل وزارة الإعلام – بغداد 1971.
S.I.H.M., Maroc, Hollande T.4 P.605.

(56) يعنى أن نسيج ثوب الفرجية مستورد من القدس، وهذا ما ترجم به الاثنان (D.S) وكذلك كيب، وكلمة القدس قريبة من كلمة القندس آتية الذكر التي تعني حيواناً معروفاً بفرائه الرفيعة. – دوزي : المعجم المفصّل – مصدر سابق – أبو حامد الغرناطي : تحفة الألباب ص 118.

(57) المقصورة في المسجد عبارة عن سياج خشبي يحيط بالمحراب ويخصص للخليفة الذي يؤدي فيه الصلاة صحبة حاشيته بعيدًا عن كل ما قد يهدد حياته...

بالقرب من المسجد ومشى الناس كلّهم حفاةً ورُفعت فوق رأسه أربع قباب (58) من الحرير الملوّن، وعلى كل قبّة صورة طائرٍ من ذهب.

وكان لباسه في ذلك اليوم فرجيّة قدسي (59) أخضر تحتها من ثياب مصر وطروحاتها الحسان، وهو متقلّد بفوطة ‖ حرير معتّمٌ بعمامة كبيرة، وضربت بين يديه الطبول والأبواق والأنفار، وأمراء الأجناد أمامه وخلْفه، والقاضي والفقهاء والشرفاء معه، ودخل إلى مشوره على تلك الهيئة، وقعد الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد في سقيفة هنالك، وفرش للقاضي بساط لا يجلس معه غيره عليه، والفقهاء والشرفاء معه، ولم يزالوا كذلك إلى صلاة العصر، فلمّا صلّو العصر مع الشيخ أتى جميع الأجناد ووقفوا صفوفًا على قدر مراتبهم، ثم ضربت الأطبال والأنفار والصرّنايات وعند ضربها لا يتحرّك أحد ولا يتزحزح عن مقامه، ومن كان ماشيًا وقف فلم يتحرّك إلى خلف ولا إلى أمام (61)، فإذا افرغ من ضرب الطّبلخانة (62) سلّموا بأصابعهم كما ‖ ذكرنا وانصرفوا.

188/2

189/2

وتلك عادة لهم في كل يوم جمعة وإذا كان يوم السبت ياتي الناس إلى باب الشيخ فيقعدون في سقائف خارج الدار، ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشايخ والحجّاج إلى المشور الثاني فيقعدون على دكاكين خشب معدّة لذلك، ويكون القاضي على دكّانة وحده، وكلّ صنف على دكّانة تخصّهم لا يشاركهم فيها سواهم، ثم يجلس الشيخ بمجلسه ويبعث عن القاضي فيجلس عن يساره ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبراؤهم بين يديه وسائرهم يسلّمون وينصرفون، ثم يدخل الشرفاء فيقعد كبراؤهم بين يديه ويسلّم سائرهم وينصرفون، وإن كانوا ضيوفًا جلسوا عن يمينه، ثم يدخل المشايخ والحجّاج فيجلس كبراؤهم ويسلم سائرهم وينصرفون، ثم يدخل ‖ الوزراء ثم الأمراء ثم وجوه الأجناد طائفة بعد طائفة أخرى فيسلّمون وينصرفون ويُؤتى بالطعام فيأكل بين يدي الشيخ القاضي والشرفاء ومَن كان قاعدًا بالمجلس، ويأكل الشيخ معهم، وإن أراد تشريف أحدٍ من كبار أمرائه بعث عنه فأكل

190/2

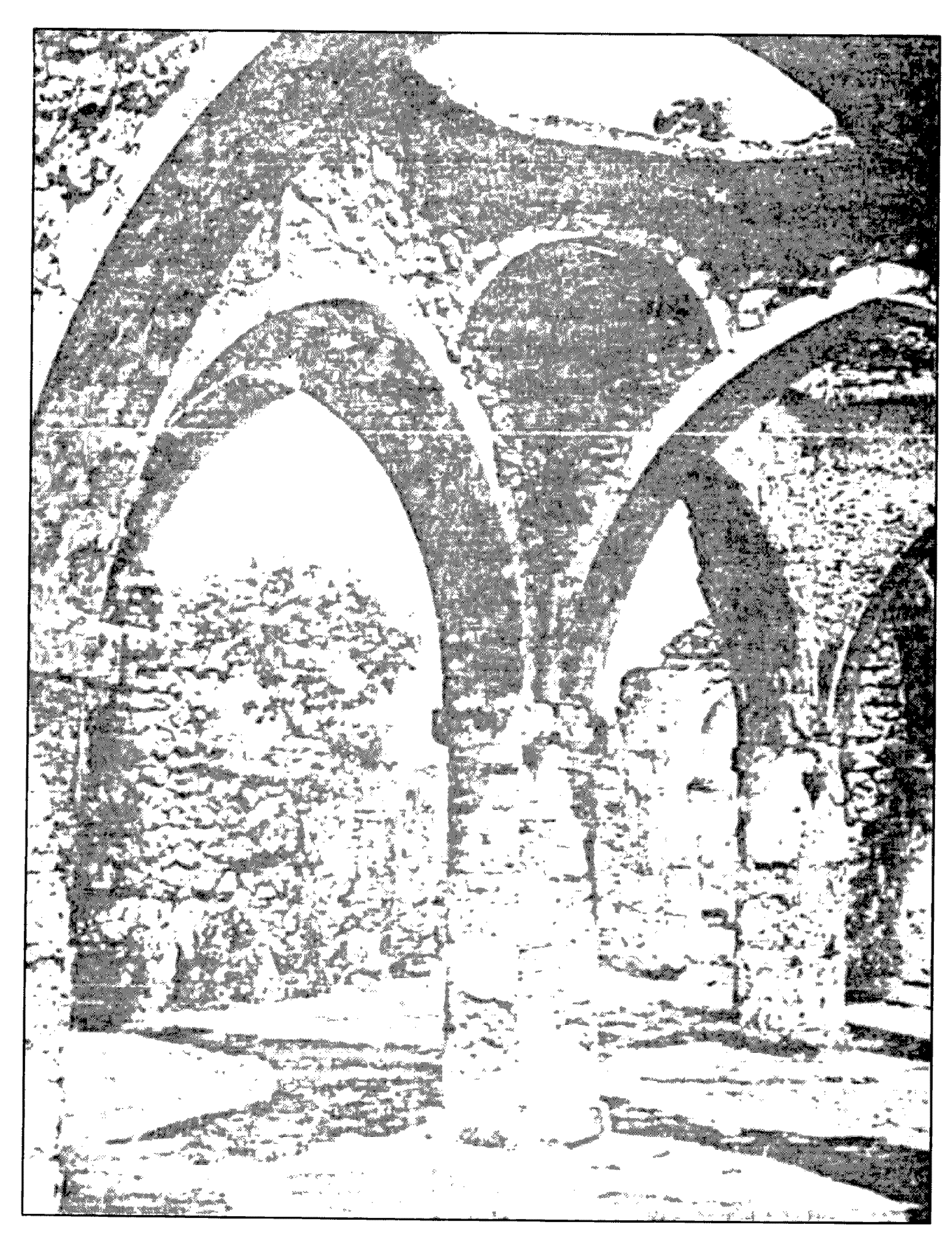
(58) القباب يعني المظلات التي ترفع فوق رأس السلاطين، وكان المظل شعارًا من شعارات الدولة كما نعرف، هذا ويبقى علينا أن نتصور مع انفسنا كيف كان وضع هذه القباب الأربعة مع صورة الطائر الذهبي الذي يعلو تلك المظلات والذي يقوم مقام الجامور بالنسبة للخيام...

(59) راجع التعليق 55 - 56.

(60) الطروحات (ج طرحة) : قطعة من الشاش تطرح على الكتفين وتتدلى على الظهر، تشبه الطيلسان إن لم تكن هو، وجميع المخطوطات ترسمها طروحات باستثناء مخطوطة كايانكوس التي ترسمها طروزات، ولعله من هنا قال كيب إن هناك خطأً من الناسخ في كتابة الكلمة طروحات عوض مطرّزات ...

(61) يظهر أن الأمر كان على نحو ما هو عليه الحال عندما يعزف النشيد الوطني اليوم.

(62 الطّبلخانة : القصد إلى النُّوبة الموسيقية.



اطلال المسجد الأعظم في كلوة (I.B. IN BLACK AFRICA)

معهم ويأكل سائر الناس بدار الطعام وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ ثم يدخل الشيخ إلى داره ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السرّ وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات، فما كان متعلّقا بالأحكام الشرعيّة حكم فيه القاضي وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء، وما كان مفتقرًا إلى مشاورة السلطان كتبوا إليه فيه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما ‖ يقتضيه نظره وتلك عادتهم دائما. 191/2

ثم ركبتُ البحر من مدينة مَقْدَشَوْ متوجّها إلى بلاد السواحل (63) قاصدًا مدينة كُلْوَا من بلاد الزنوج (64)، فوصلنا إلى جزيرة مَنْبَسَى، وضبط اسمها ميم مفتوحة ونون مسكّن وباء موحدة مفتوحة وسين مهمل مفتوح وياء، وهي جزيرة كبيرة (65) بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا برّ ولها أشجار الموز والليمون والأترج، ولهم فاكهة يسمّونها الجمّون (66) وهي شبه الزيتون ولها نوى كنواه إلاّ أنها شديدةُ الحلاوة، ولا زرع عند أهل هذه الجزيرة وانّما يجلب اليهم من السواحل، وأكثر طعامهم الموز والسمك، وهم شافعيّة المذهب أهل دين وعفاف وصلاح، ومساجدهم من الخشب محكمة الإتقان، وعلى كلّ باب من أبواب ‖ المساجد البئر والثنتان، وعمق أبارهم ذراعٌ أو ذراعان، فيستقون منها الماء بقدح خشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الذراع والأرض حول البئر والمسجد مسطّحة، فمن أراد دخول المسجد غسل رجليه، ودخل، ويكون على بابه قطعة حصير غليظ يمسح بها رجليه، ومَن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذيه، وصبّ على يديه، وتوضأ وجميع الناس يمشون حفاة الأقدام. 192/2

---

(63) بلاد السواحل ج ساحل، ويقصد إلى الشواطئ التي كانت تحتوي على بعض المستودعات والمراكز التجارية على طول الساحل الشمالي من افريقيا الشرقية ... مرورا من دولة الصومال الحالية ثم دولة كينيا ثم دولة تانزانيا. وفي جنوب هذه الأقطار توجد جزر القمر...

(64)تعبير قديم أطلقه المسلمون على السود بشرق إفريقيا. وقد أطلق كذلك على السُّود بالجزيرة وقد قرأنا عن ثورة الزنج عام 257=871...

(65)جزيرة مَنْبَسى، تقع في خليج على الدرجة الرابعة من خط العرض الجنوبي، ويصعب تحديد الزمن الذي أصبحت فيه الجزيرة مستودعاً عربيًا ... ويجعل أبو الفدا، من منبسى عاصمةً لملك الزنج هذا ويختلف وصف ابن بطوطة للجزيرة عما ورد في الكتابات البرتغالية - أنظر معجم البلدان والروض المعطار - وانظر كذلك (MAUNY) في تعليقه رقم 7 من : ...Textes.

(66) الكلمة من أصل هندي (Jamun) .(Eugenia jambosa)

وبتنا بهذه الجزيرة ليلةً وركبنا البحر إلى مدينة كُلْوَا (67)، وضبط اسمها بضم الكاف واسكان اللام وفتح الواو، وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر اهلها الزنوج المستحكمو السواد، ولهم شرطات في وجوههم كما هي في وجوه اللِّيميين من جَناوة (68)، وذكر لي بعض التجار أن مدينة سُفالة (69) على مسيرة نصف شهر من مدينة كُلْوَ، وأن بين سُفالة ويُوفي من بلاد اللِّميين مسيرة شهر، ومن يُوفى يوتى بالتبر إلى سفالة (70). 193/2

ومدينة كُلْوَا من أحسن المدن واتقنها عمارة، وكلّها بالخشب وسقف بيوتها الدّيس (71)، والأمطار بها كثيرة وهم أهل جهاد لأنّهم في برّ واحدٍ متّصل مع كفار الزنوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعيّة المذهب.

---

(67) كلوة : ما يعرف في كتب التاريخ البرتغالي تحت اسم (quiloa) هي بالذات كيلْوَاكيزواني (Kilwa Kisiwani) وتقع اليوم في تانزانيا، ويبدو أن كلوة أسست في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي من لدن بعض المسلمين الفرس الزيدية، فكونت مركزًا هامًا لتصدير الذهب. تقع كلوة على الخط 57°8 جنوبا والخط 34°39 شرقا، 340 ميلا جنوب منبسي....

(68) ليمي أو لَمْلَم هو الاسم الذي أعطاه الجغرافيون العرب للقبائل المتوغلة في إفريقيا التي يقال أن سكانها ياكل بعضهم بعضًا (Les Anthropophages) .

DORMANI: the Kilwa civilization in tanganyika - Gibb T II P 379

- Notes 58 Dar es-salam 1938 - MAUNY : Textes ... P. 26 Note 5.

وَجَنَاوة على ما في مخطوطة الخزانة الملكية ومدريد : الإسم الذي أعطى للقبائل الوثنية جنوب الأراضي الاسلامية في غرب افريقيا والذي سيعرف تغييراً عبر اللسان البرتغالي ثم اللسان الانجليزي حيث يصبح غينيا (Guinéa) – ويظل إسم گناوة بالجيم المعقدة حاضراً إلى اليوم على ألسنة المغاربة – ابن خلدون : المقدمة طبعة دار الكتاب اللبنانية 1956 – حوْل الشرطات على الوجه انظر MAUNY.

(69) سُفالة (Sofâla) تقع على الخط 10°20 جنوبا والخط 42°34 شرقا، وكانت المستودعَ الأكثر قِدَما للعرب في افريقيا الشرقية اسسها أحد رجال مقدشو وهي تجتذب الذين يهتمون باستخراج الذهب من داخلها ... وقد خصصها البحار العربي المشهور ابن ماجد بأرجوزة تحمل اسم السُّفالية.

– د. التازي : ابن ملجد والبرتغال، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة. 1406=1986 ص 59/58.

(70) (يوفي) هي مقر مملكة النوبة في افريقيا الغربية وهي التي سيتحدث عنها ابن بطوطة في أخر السفر الثاني عند ختام الرحلة، هذا ويلاحظ أن هناك لبسًا وقع فيه ابن بطوطة حيث وجدناه يخلط بين التبر (غبار الذهب) الذي هو من انتاج النيجر (بلاد اللّيميين) وبين الذهب الذي هو من انتاج سفالة. وإن الادعاء بوجود علاقة بين الاثنين يعود إلى استرواح من جانب ابن بطوطة! والجدير بالذكر أن هناك عددًا ممن وقعوا في هذا الخلط من المؤلفين القدامى من الغرب وغيرهم، وهكذا ففي عام 1658 م 1068 هـ كتب تيفنو Thévenot حول مملكةٍ تقع جنوب شرق السودان (لوناريا) LE NARIA : في هذه البلاد توجد المناجم التي سيُخرج منها الذهب الذي يذهب إلى سواحل سفالة وغينيا ..."

Bilad Al-Sudan, trad par Joseph Cuoq Os C.N.R.S 1985 P. 300 N°4 Mauny : Textes.

(71) الديس : القصد إلى الأسَل : نبات دقيق الأغصان طويلها...

ذكر سلطان كُلْوا

وكان سلطانها في عهد دخولي إليها أبو المظفّر حسن، ويكنّى أيضا أبا المواهب (72) لكثرة مواهبه ومكارمه، وكان كثير الغزْو إلى أرض الزنوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيُخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعيّنة في كتاب الله تعالى (73)، ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حدة (74)، فإذا جاءه ‖ الشرفاء دفعه إليهم. 194/2

وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها، ورأيتُ عنده من شرفاء الحجاز جماعةً منهم محمد بن جَمَّاز، ومنصور بن لُبَيْدة بن أبي نُمَي، ومحمد بن شُمَيلة بن أبي نُمي، ولقيت بمَقْدَشَو تَبْل بن كُبَيْش بن جماز (75)، وهو يريد القدوم عليه، وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظّم أهل الدين والشرف.

حكاية من مكارمه

حضرتُه يوم جمعةٍ وقد خرج من الصلاة قاصدًا إلى داره فتعرّض له أحد الفقراء اليمنيّين، فقال له : أبا المواهب، فقال : لبّيك يا فقير ما حاجتك؟ قال : أعطني هذه الثياب التي عليك، فقال له : نعم أعطيكها، قال : الساعة، قال : نعم الساعة، فرجع إلى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابًا سواها وخلع ‖ تلك الثياب وقال للفقير : ادخل فخُذها فدخل الفقير وأخذها وربطها في منديلٍ وجعلها فوق رأسه وانصرف فعظم شُكر الناس للسلطان على ما ظهر من تواضعه وكرمه، وأخذ ابنُه وليّ عهده تلك الكسوة من الفقير وعوّضه عنها بعشرةٍ من العبيد، وبلغ السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فأمر للفقير أيضا بعشرة رءوس من الرقيق وحِمْلين من العاج، ومعظم عطاياهم العاج (76)، وقلّما يعطون 195/2

(72) دولة جديدة تصل إلى الحكم في كلوة أواخر القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي في شخص حسن بن طالوت 676-693 هـ = 1277-1294. حسن بن سليمان المعروف باسم أبي المواهب كان حفيدًا لحسن بن طالوت (710-732 هـ = 1310-1332م) وقد كتب الناس كثيراً عن تاريخ كلوة :

Gibb T.2 P. 380 - N : 63 - Ency. de l'Islam

(73) في القرآن الكريم سورة 8، الآية 41 : "واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فإن الله خمسه وللرسول ولذي القربى والمساكين وابن السبيل...

(74) ذو القربى هم حسب بعض التفاسير الاشراف المنحدرون من الرسول صلى الله عليه وسلم ...

(75) حول جمّاز وأهله من الأشراف الحسنين، وحول أبناء عمهم الأشراف القتاديين - إنظر سمط النجوم العوالي لعبد الملك العصامي المكي ج 4، ص 187... وانظر تعليقاتنا السابقة. ج I، 344 - ج II، 162.

(76) كان العاج الذي ياتي من بلاد الزنج مطلوبًا جدًا في العصور الوسطى، وكانت السفن العربية تشحنه إلى عُمان، ومن هنا يوسقه التجار الى الهند والصين. وما يزال العاج إلى الآن مادةً ثرية يتنافس عليها التجار ورجال الحكم.

الذهب ولمّا توفّى هذا السلطان الفاضل الكريم رحمة الله عليه ولّى أخوه داوود (77) فكان على الضدّ من ذلك، إذا أتاه سائل، يقول له : مات الذي كان يعطي ولم يترك من بعده ما يعطى ! ويقيم الوفود عنده الشهور الكثيرة وحينئذ يعطيهم القليل حتّى انقطع الوافدون عن بابه.

196/2 وركبنا البحر ‖ من كُلْوَا إلى مدينة ظَفَار (78) الحُمُوض، وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره راء مبنيّة على الكسر، وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهنديّ، ومنها تحمل الخيل العتاق إلى الهند (79)، ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل، وقد قطعتُه مرّة من قالقوط من بلاد الهند إلى ظفار في ثمانية وعشرين يومًا بالريح الطيّبة لم ينقطع لنا جرْي بالليل ولا بالنهار.

وبين ظفار وَعَدَن في البرّ مسيرة شهر في صحراء، وبينها وبين عُمان عشرون يومًا، ومدينة ظفار في صحراء منقطعةٍ لا قرية بها (80) ولا عمالة لها، والسوق خارج المدينة بَرَبَضٍ يعرف بالحرْجَاء (81)، وهي من أقذر الأسواق وأشدّها نتنًا وأكثرها ذبابًا، لكثرة ما يباع

197/2 ‖ بها من الثمرات والسمك، وأكثر سمكها النوع المعروف بالسّردين، وهو بها في النهاية من

(77) داود بن سليمان حكم أولا لفترة سنتين أثناء غياب أخيه حسن في الحج ثم حكم لفترة أربع وعشرين سنة بعد وفاة أخيه 732-757هـ = 1332-1356 نعته المؤرخون بالصلاح والفضل.

The Arabic History of Kilwa ed. Strong in JRAS (1895). Gibb : Travels T 2. P. 382 - Note 66 – ويلاحظ هنا أن ابن بطوطة يحكي في هذه الجولة ما تم فيما بعد...

(78) ظفار مدينة قديمة تقع في إقليم ظفار الحالي في سلطنة عُمان. ونعتُها بالحموض لم نجد له تفسيرا... ويظهر لي أن الكلمة تحريف للفظ : الحبوضي، اسم لأحد الأمراء الذين ينتسبون الى (حبوضة) في حضر موت، وقد كان يملك المدينة قبل احتلالها من لدن بني رسول اليمنيين عام 1279-677=1278 وقد نعتت بذلك تمييزا لها عن ظفار داود – ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص 261 – ابن الدَّيْبع : قرة العيون II تحقيق محمد الأكوع – مطبعة السّعادة 1977 – الخزرجي : العقود اللؤلؤية I، 181 وما ذكر ص 49.

(79) حول تجارة الخيول بين ظفار وبين الهند، تراجع رحلة ماركوبّولو الذي يتحدث عن هذا النوع من التجارة...

(80) القرية المجاورة : مِرْباط (قرضة مدينة ظفار الحبوضى) وقد هدمت من لدن أحمد بن عبد الله الحبوضى مؤسس الدولة (ابن المجاور 270) ولكنها تظهر اليوم مع ذلك على الخرائط بينما نجد أن ظفار اختفت، وهذا الملك نفسه هو الذي يظهر أنه حَوّل ظفار عام 620هـ = 1223 من موقعها في الداخل الى شط البحر وسمّى المدينة الجديدة المنصورة كما يقول ابن المجاور (ص 960)، ربما بناها على انقاض موقع يسمى (البلد) او البلاد على بعد ميلين شرقي صلالة... – تاريخ اليمن لنجم الذين عمارة، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، طبعة ثالثة 1399=1979 – ص 49، تعليق 3.

(81) تقع الحرجاء في غرب المدينة، ويذكر ابن المجاور أنها "مدينة لطيفة بنيت على ساحل البحر بالقرب من البلد" ص 261-262. انظر مادة ظفار في الموسوعة الإسلامية بالفرنسية (ZAFAR)

السمن، ومن العجائب أن دوابّهم إنّما علْفها من هذا السردين وكذلك غنمهم (82) ولم أر ذلك في سواها.

وأكثر باعتها الخدم وهنّ يلبسن السواد، وزرع أهلها الذُّرة وهم يسقونها من أبار بعيدة الماء وكيفيّة سقيهم انّهم يصنعون دلْوًا كبيرة ويجعلون لها حبالا كثيرة، ويتحزّم بكلّ حبل عبدٌ أو خادم، ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر ويصبّونها في صهريج يسقون منه، ولهم قمح يسمّونه العَلَس وهو في الحقيقة نوع من السّلت، والأرز يجلب إليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم، ودَرَاهِمُ هذه المدينة من النحاس والقصدير، ولا تنفق في سواها (83)، وهم أهل تجارة لا ‖ عيش لهم الاّ منها. ومن عادتهم أنّه إذا وصل مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صنبوق إلى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكِيلِهِ وللربّان وهو الرئيس وللكراني. وهو كاتب المركب ويؤتى اليهم بثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلّمون على الوزير وأمير جَندار. وتبعث الضيافة لكلّ من بالمركب ثلاثا وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان وهم يفعلون ذالك استجلابا لأصحاب المراكب، وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبّة للغرباء ولباسهم القطن، وهو يجلب إليهم من ‖ بلاد الهند، ويشدّون الفوط في أوساطهم عوض السراول واكثرهم يشدّ فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدّة الحرّ ويغتسلون مرّاتٍ في اليوم وهي كثيرة المساجد، ولهم في كلّ مسجد مطاهر كثيرة معدّة للاغتسال، ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتّان حسان جدّا.

198/2

199/2

والغالب على أهلها رجالا ونساء المرض المعروف بداء الفيل، وهو انتفاخ القدمين واكثر رجالهم مبتلون بالأدَر والعياذ بالله.

ومن عوائدهم الحسنة التصافح في المسجد إثر صلاة الصبح والعصر، يستند أهل الصفّ الأول إلى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم، وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون أجمعون.

---

(82) نفس المعلومات المتعلقة بتعليف الدواب من السمك يذكرها ابن المجاور... ويلاحظ هنا استعمال كلمة (السردين) التي ليست على كلّ عربية، ربّما من أصل إغريقي.

(83) يتعلق الامر بنوعٍ من العملة الائتمانية (على نحو ما يستعمل الورق اليوم) حتى يُمنع خروج المعدن : الفضة مثلا ...

200/2 ومن خوّاصّ هذه المدينة وعجائبها انّه لا يقصدها أحد بسوء الاّ عاد عليه مكروه وحيل بينه وبينها، وذكر لي أن السلطان قطب الدين تَمْتَهَن بن طوران شاه صاحب هرمز نازلها مرّة في البرّ والبحر فأرسل الله سبحانه عليه ريحًا عاصفًا كسرت مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها (84)، وكذلك ذُكر لي أن الملك المجاهد سلطان اليمن (85) عيّن ابن عمّ له بعسكرٍ كبير برسم انتزاعها من يد ملكها، وهو أيضا ابن عمّه فلمّا خرج ذلك الأمير عن داره سقطَ عليه حائطٌ وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعاً ورجع الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها.

201/2 ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم نزلت بدار الخطيب بمسجدها الاعظم وهو عيسى بن عليّ، كبير القدر، كريم النفس فكان له جوارٍ مسمّيات بأسماء خَدَم المغرب : إحداهنّ اسمها بُخَيْت والأخرى زاد المال ولم أسمع هذه الأسماء في بلد سواها.

وأكثر أهلها رؤوسهم مكشوفة لا يجعلون العمائم، وفي كلّ دارٍ من دورهم سجّادة الخوص معلّقة في البيت يصلّي عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب، وأكلهم الذرة وهذا التشابه كلّه ممّا يقوّي القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حِمْير (86).

202/2 وبقربٍ من هذه المدينة بين بساتينها زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمّد بن أبي بكر (87) عيسى من أهل ظفار، وهذه الزاوية معظمة عندهم يأتون إليها غدوًا وعشيًا، ويستجيرون بها فإذا دخلها المستجير لم يقدر السلطان عليه، رأيت بها شخصًا ذُكر لي أن له بها مدّة سنين مستجيرًا لم يتعرّض له السلطان، وفي الأيّام التي كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حتّى وقع بينهما الصلح.

---

(84) تَهَمْتَن وليس تَمْتَهَن، مرَّ وسيمرُّ بنا أيضا ... وحسب علمنا فإنه لم تكن هناك غير غارة واحدة قامت بها هرمز ضد ظفار، وهي ترجع للعهد الحبوضي عام 660=1262.

(85) تقدمت الاشارة إلى الملك المجاهد وهذه الغارة لم نجد لها ذكرًا فيما بين أيدينا من المصادر اليمنية فهي من إفاداته الجديرة بالمتابعة.

(86) هذا الاعتقادُ مبني على الرواية التي تتحدث عن فتح التبابعة لافريقيا وبلاد البربر قبل الإسلام وهي اطروحة تضافرت على نقلها طائفة من المصادر التاريخية لكن ابن خلدون في مقدمته زيّفهاالمقدمة ص 16 والمجلد 6 ص 191 أنظر المقريزي في كتابه البيان والاعراب عما بمصر من الاعراب د. التازي: الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان ص 18، سلطنة عمان - غشت 1981.

(87) يذكر صطيفان بيرازيموس أن شاهد قبر من الحجر عثر عليه في المكان الذي يحمل اسم أبي محمد بن أبي بكر ... توفي عام 715-714=1315.

II، 98 تعليق Voyages... II, 98 Note 87.

أتيتُ هذه الزاوية فبتُّ بها في ضيافة الشيخين أبي العبّاس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ أبي بكر المذكور وشاهدت لهما فضلاً عظيما، ولمّا غسلنا أيدينا من الطعام أخذ أبو العباس منهما ذلك الماء الذي غسلنا به فشرب منه، وبعث الخادم بباقيه إلى أهله وأولاده فشربوه. وكذلك يفعلون بمن يتوسّمون فيه الخير من الواردين عليهم، وكذلك أضافني قاضيها الصالح أبو هاشم عبد الملك الزَّبيديّ وكان يتولّى خدمتي وغسل يدي بنفسه، ولا يكل ذلك إلى غيره. 203/2

وبمقربة من هذه الزاوية تربة سلف السلطان الملك المُغيث (88)، وهي معظمة عندهم ويستجير بها من طلب حاجةً فتقضى له.

ومن عادة الجند أنّه إذا تمّ الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم استجاروا بهذه التربة وأقاموا في جوارها إلى أن يعطوا أرزاقهم، وعلى مسيرة نصف يومٍ من هذه المدينة الأحقاف (89)، وهي منازل عاد (90)، وهنالك زاوية ومسجد على ساحل البحر وحوله قرية لصيّادي السمك وفي الزاوية قبر مكتوب عليه : هذا قبر هود بن عابر (91) عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد ذكرت أن بمسجد دمشق موضعًا عليه مكتوب هذا قبر هود ابن عابر، والأشبه أن يكون قبره بالأحقاف لأنّها بلاده واللّه أعلم. 204/2

ولهذه المدينة بساتين فيها موز كثير كبير الجرم، وزنت بمحضري حبّة منه فكان وزنها ثنتى عشرة أوقية، وهو طيّب المطعم شديد الحلاوة، وبها أيضا التنبول والنارجيل المعروف

(88) ننتظر الحديث الآتي عن ملك ظفار ...

(89) عند ذكر الأحقاف لا بد أن نتذكر سورة الأحقاف 46 الآية 21. "واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ... ونحن نعلم أن (عاد) شعبٌ يعتقد أنه كان بجنوب الجزيرة العربية، وان "أخاهم" هو هود عليه السلام.
- الأحقاف (التي تعني لغويًا الأكام من الرمل مفردها حقف) اختلف في تحديد مكانها ونعتقد أن (الأحقاف) هي بالذات حضر موت على ما تذكره المصادر اليمنية التي وقفنا عليها في مكتبة الأحقاف بمدينة تريم عند زيارتنا لحضر موت في خريف 1992.

(90) يلاحظ كيف هنا على ابن بطوطة خلطه بين موقعين احدهما يقع على بعد عشرة اميال شمال الموقع الذي يحمل اسم (البلد) وهو مدينة عاد... والثاني يقع على بعد عشرة أميال غرب (البلد) ويقع على الساحل : وهو رَيْسوت Gibb, 2, 386 n° 82. المقحفي : معجم البلدان اليمنية...

(91) يقع قبر هود على بعد 40 ميلا شرقي مدينة تَريم بحضر موت و 300 ميلا غربي ظفار وقد اعتاد أهل تَريم أن ينظموا زيارات لقبر سيدنا هود، وقد استمعت أثناء زيارتي لتَريم بعدد من الحكايات عن تلك المَزارة زوّدوني بطائفة من الصور الفوتوغرافية التي تسجل تلك المهرجانات والتظاهرات. هذا ويلاحظ أن ابن بطوطة عند زيارته لجامع دمشق قال إنه "رأى في حضر موت البناية التي تحتضن قبر سيدنا أيوب" "لكنه هنا - في حضر موت - لم يؤكد ما قاله في "دمشق؟! - راجع حديث ابن بطوطة عن جامع دمشق... ج I، 205 تعليق 193 - التازي : رحلة مغربي إلى حضر موت عام 865هـ = 1460م، مجلة (المورد) البغدادية، المجلد 21 العدد الأول 1431=1993، صفحة 19-40.

بجوز الهند ولا يكونان إلا ببلاد الهند، وبمدينة ظفار هذه، لشبهها بالهند وقربها منها، أللهمّ الاّ في مدينة زَبيد في بستان السلطان شُجَيرات من النارجيل، واذْ قَدْ وقع ذكر التنبول والنارجيل فلنذكرهما ولنذكر خصائصهما.

ذكر التنبول

205/2 والتنبول (92) شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب ‖ ويصنع له معرّشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب أو يُغرس في مجاورة شجر النّارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدَّوالي، وكما يصعد الفلفل، ولا ثمر للتنبول وانّما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العلّيق، وأطيبه الأصفر، وتجتنى أوراقه في كلّ يوم، وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيمًا شديدًا، وإذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقاتٍ منه فكأنّما أعطاه الدنيا وما فيها ! لا سيّما إن كان أميرًا أو كبيرًا، واعطاؤه عندهم أعظم شأنا وأدلّ على كرامة من اعطاء الفضّة والذهب !

وكيفيّة استعماله أن يوخذ قبله الفوفل، وهو شبه جوز الطيب فيكسر حتّى يصير أطرافًا صغارًا ويجعله الإنسان في فمه ويعلكه، ثمّ ‖ يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئا من النّورة ويمضغها مع الفوفل، وخاصّيته أنّه يطيب النكهة ويذهب بروائح الفم ويهضم الطعام ويقطع ضرر شرب الماء على الريق، ويفرح أكله ويعين على الجماع ويجعله الإنسان عند رأسه ليلاً فإذا استيقظ من نومه أو أيقظته زوجته أو جاريته أخذ منه فيذهب بما في فمه من رائحة كريهة، ولقد ذكر لي أن جواري السلطان والأمراء ببلاد الهند لا يأكلن غيره وسنذكره عند ذكر بلاد الهند. 206/2

ذكر النارجيل

وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنًا وأعجبها أمرًا، وشجره شبه شجرة النخل لا فرق بينهما ‖ إلا أنَّ هذه تثمر جوزًا، وتلك تثمر تمرًا، وجوزها يشبه رأس ابن آدم لان فيها شبْه العينين والفم وداخلها شبه الدّماغ إذا كانت خضراء، وعليها ليف شبه 207/2

(92) نلاحظ أن الحديث عن التنبول من لدن ابن بطوطة ابتدأ من يوم وصل الى دمشق حيث وجده يقدم للضيوف... وهو ما كرره فيما بعد وهو يتحدث عن زيارته لمقدشو وأذكر انه قُدِّم الينا خلال زيارتنا لجزر مالديف في صيف 1990 في أعقاب حفلة العشاء التي أقامها السيد رئيس الجمهورية... أوراق مخلوطة بقطع رقيقة من نواة الفوفل: ما نسميه في المغرب جوز الطيب تمضغ فيشعر المرء بنشاط على نحو ما يحكيه ابن بطوطة ! - د. التازي : أقدم نقش عربي في مالديف . البحث الذي قدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، في دورته السابعة والخمسين، يبراير 1991.

الشعر وهم يصنعون منه حبالاً يخيطون بها المراكب عوضًا عن مسامير الحديد، ويصنعون منه الحبال للمراكب، والجوزة منها وخصوصا التي بجزائر ذيبة المهل تكون بمقدار رأس الآدميّ.

ويزعمون أنّ حكيما من حكماء الهند في غابر الزمان كان متّصلا بملك من الملوك ومعظّما لديه، وكان للملك وزيرٌ بينه وبين هذا الحكيم معاداة، فقال الحكيم للملك : إن رأس هذا الوزير إذا قطع ودفن تخرج منه نخلةٌ تثمر بتمر عظيم يعود نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا ‖ فقال له الملك : فإن لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته؟ قال : إن لم يظهر فاصْنع برأسي كما صنعت برأسه ! فأمر الملك برأس الوزير فقُطع وأخذه الحكيم، وغرس نواة تمرٍ في دماغه، وعالجها حتّى صارت شجرة وأثمرت بهذه الجوز ! وهذه الحكاية من الأكاذيب ولاكن ذكرناها لشهرتها عندهم. 208/2

ومن خواصّ هذا الجوز تقوية البدن وإسراع السّمَن والزيادة في حُمْرة الوجه، وأمّا الإعانة على الباءة ففعله فيها عجيب، ومن عجائبه أنّه يكون في ابتداء أمره أخضر فمن قطع بالسّكين قطعة من قشرة وفتح رأس الجوزة شرب منها ماءً في النهاية من الحلاوة والبرودة، ومزاجه حارّ معين ‖ على الباءة فإذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملْعقة وجرّد بها ما في داخل الجوزة من الطّعم، فيكون طعمه كطعم البيْضة إذا شويت ولم يتمّ نضجها كلّ التمام، ويتغذّى به، ومنه كان غذائي أيام إقامتي بجزائر ذيبة المهل مدّةً من عام ونصف عام. 209/2

ومن عجائبه أنه يصنع منه الزيت والحليب والعسل، فامّا كيفيّة صناعة العسل منه فإنّ خدّام النخل منه، ويسمّونه الفازانية (93)، يَصعدون إلى النخلة غدوًّا وعشيّاً إذا ارادوا أخذ مائها الذي يصنعون منه العسل، وهم يسمّونه الأطواق، فيقطعون العذق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقدار إصبعين، ويربطون عليه قِدْرًا صغيرة فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق، فإذا ربطها غدوة ‖ وصعد إليها عشيّا ومعه قَدَحان من قشر الجوز المذكور، احدهما مملوءٌ ماء فيصبّ ما اجتمع من ماء العِذق في أحد القدحين ويغسله بالماء الذي في القدح الآخر، وينْجُر من العذق قليلا، ويربط عليه القِدْر ثانية، ثم يفعل غدوةً كفعله عشيّا، فإذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب إذا صنع منه الرُبّ (94) فيصير 210/2

(93) لم أقف على أصل لهذه الكلمة (الفازانية) وكذا للتي تليها : (الأطواق)...

(94) الرُّب : مشروبٌ كان يحضر عند الحفلات الكبرى في العصر الموحدي (ARROPE) على ما اسلفناه – الطبعة الثالثة بيروت 1987 ص 113 من تاريخ المنّ بالإمامة لابن صاحب الصّلاة.

عسلاً عظيمَ النفع طيّبًا فيشتريه تجار الهند واليمن والصين، ويحملونه إلى بلادهم ويصنعون منه الحلواء.

وأمّا كيفيّة صنع الحليب منه فإنّ بكلّ دارٍ شبهَ الكرسيّ تجلس فوقه المرأة ويكون بيدها عصًا في أحد طرفيها حديدة مشرفة، فيفتحون في الجوزة مقدارَ ما تدخل تلك ‖ الحديدة، ويجرشون ما في باطن الجوزة، وكلّ ما ينزل منها يجتمع في صحفةٍ حتّى لا يبقى في داخل الجوزة شيء، ثمّ يُمْرَسُ ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب بياضًا ويكون طعمه كطعم الحليب، ويأتدم به الناس. وأمّا كيفيّة صنع الزيت فإنّهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره، فيزيلون قشره ويقطعونه قطعًا ويجعل في الشمس فإذا ذبُل طبخوه في القدور واستخرجوا زيته وبه يستصحبون ويأتدمون به ويجعله النساء في شعورهنّ وهو عظيم النفع.

211/2

ذكر سلطان ظفار

212/2

وهو السلطان الملك المغيث ابن الملك الفائز ابن عمّ ملك اليمن (95)، وكان أبوه أميرًا على ظفار من قبل ‖ صاحب اليمن، وله عليه هديّة يبعثها له في كلّ سنة، ثمّ استبدّ الملك المغيث بملكها وامتنع من إرسال الهديّة، وكان من عزم ملك اليمن على محاربته وتعيين ابن عمّه لذلك ووقوع الحائط عليه ما ذكرناه آنفًا.

وللسلطان قصرٌ بداخل المدينة يسمّى (96) الحصن، عظيم فسيح والجامع بإزائه ومن عادته أن تضرب الطبول والبوقات والأنفار والصُّرْنايات على بابه كلّ يومٍ بعد صلاة العصر، وفي كل يوم اثنين وخميس تأتي العساكر إلى بابه فيقفون خارج المشور ساعة، وينصرفون والسلطان لا يخرج ولا يراه أحدٌ إلاّ في يوم الجمعة، فيخرج للصلاة، ثمّ يعود إلى داره ولا يمنع أحدًا من دخول المشور وأمير جَندار قاعدٌ على بابه وإليه ينتهي كلّ ‖ صاحب حاجة أو شكاية، وهو يطالع السلطان ويأتيه الجواب للحين.

213/2

وإذا أراد السلطان الركوبَ خرجت مراكبه من القصر وسلاحُه ومماليكُه إلى خارج المدينة، وأُتي بجَمَلٍ عليه محمل مستور بستر أبيض منقوش بالذهب، فيركب السلطان ونديمه

(95) كان آخر ملك من الحبوضيين ، وهو سالم بن ادريس – أقصي عن الحكم عام 678=1278 من لدن الملك المظفر يوسف، ثاني ملك في الدولة الرسولية، وقد سمّى عام 691-692=1292 ولَده الواثق، فإذا كان الملك الفائز الذي ذكر هنا كوالدٍ للملك المغيث، كان هو (ابن الواثق) لأن المغيث يكون ابن عم في درجة ثانية لسلطان اليمن المجاهد نور الدين... العقود اللؤلؤية للخزرجي.

(96) هذه هي القلعة التي ذكرها بينت (Bent) عندما زار أطلال المدينة أواخر القرن التاسع عشر الميلادي...

في المحمل بحيث لا يرى وإذا خرج إلى بستانه وأحبّ ركوب الفرس ركبه ونزل عن الجمل.

وعادته أن لا يعارضه أحد في طريقه لرؤيته ولا لشكاية ولا غيرها، ومن تعرّض لذلك ضُرب أشدّ الضرب فتجد الناس إذا سمعوا بخروج السلطان فرّوا عن الطريق وتحامَوْها.

ووزير هذا السلطان الفقيه محمّد العَدَنيّ، وكان معلّم صبيان فعلّم هذا السلطان القراءة والكتابة ‖ وعاهده على أن يستوزره إن ملك، فلمّا ملك استوزره فلم يكن يحسنها، فكان الإسم له والحكم لغيره ! ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عُمَان في مركب صغير لرجل يعرف بعليّ بن ادريس المصيريّ، من أهل جزيرة مصيرة، وفي الثاني لركوبنا نزلنا بمرسى حاسك (97)، وبه ناس من العرب صيّادون للسمك ساكنون هنالك، وعندهم شجر الكُنْدُر (98)، وهو رقيق الورق، وإذا شرِّطت الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن، ثم عاد صمْغًا، وذلك الصمغ هو اللُّبان، وهو كثير جدًا هنالك، ولا معيشة لأهل ذلك المرسى الاّ من صيْد السمك، وسمكُهم يعرف باللُّخَم، بخاء معجم مفتوح، وهو شبيه كلْب البحر، يشرح ويقدّد ويقتات به وبيوتهم من ‖ عظام السمك وسقفها من جلود الجمال.

214/2

215/2

وسرنا من مرسى حاسك أربعة أيّام ووصلنا إلى جبل لُمعان (99). بضمّ اللام، وهو في وسط البحر، وبأعلاه رابطة مبنيّة بالحجارة وسقفها من عظام السمك وبخارجها غدير ماء يجتمع من المطر.

---

(97) بندر حاسك يوجد على بعد 80ميلا شرقي ظفار، ونحن نعلم أن الرحالة المغربي أخذ طريقه البحري من صلالة عاصمة ظفار يوم 27 ذي القعدة 731 = أول شتنبر 1331.
– د. التازي : الصلات التاريخية بين المغرب وعمان، مسقط، غشت 1981.

(98) كانت اشارةً هامةً من ابن بطوطة عن اللبان الذي يعطيه شجر الكندر، وهو ممّا اشتهرت به هذه المنطقة وقد أوقفني عليه مشكورًا الزميل الاستاذ الغساني. وما يزال هذا الاسم (حصى لبان) هو المستعمل عند العطارين بالمغرب الأقصى للتعبير عن الكندر... هذا وقد أشاد ماركوپولو بدوره بلبان ظفار ونحن نعلم أنه، على غرار طريق الحرير تحدث المؤرخون عن (طريق البخور) – عبد القادر بن سالم بن أحمد الغساني : ظفار أرض اللبان – رقم الإيداع الحكومي : 47، سلطنة عمان، دكتور ڤكتور سحّاب : إيلاف قريش – 1992 ص 242. وأشكر بهذه المناسبة زميلنا الأستاذ محمد فرج الدكالي سفيرالمملكة المغربية في لبنان – نديم نحاس : اكتشاف طرق قوافل البخور عبر اليمن، الشرق الأوسط 97/1/29 مع شكرنا للسفارة اليمنية بالمغرب.

(99) ان الوصف الذي أعطاه ابن بطوطة لجبل لُمعان يتوافق وجزيرة حَلاَّنية Hallaniya احدى مجموعة جزر خورْيا مُوريا (KHURIYA MURIYA) وهي جزيرة من حجر الگرانيت ينتهي طرفها الشمالي على شكل عمودي على علو 1,645 قدم. بيْدَ أن الجزيرة على بعد 20 ميلاً فقط شرقي حاسك ...



شجرة حصالبان كما وقفت عليها في ظفار - عُمان



بخور اللبان - صناعة تقليدية بعمان لاستخراج أجود أنواع العطور

ذكر وليّ لقيناه بهذه الجَبَل

ولمّا أرسينا تحت هذا الجبل صعدناه إلى هذه الرابطة، فوجدنا بها شيخًا نائما، فسلّمنا عليه فاستيقظ، وأشار بردّ السلام فكلّمناه، فلم يكلّمنا وكان يحرّك رأسه فأتاه أهل المركب بطعام فأبى أن يقبله فطلبنا منه الدعاء فكان يحرّك شفتيه ولا نعلم ما يقول وعليه مرقّعة وقَلَنْسُوَة لبد وليس 216/2 معه ركوة ولا إبريق ولا عكّاز ولا نعل، وقال أهل المركب : إنهم ما رأوه قط بهذا الجبل.

وأقمنا تلك الليلة بساحل هذا الجبل، وصلّينا معه العصر والمغرب، وجئناه بطعام فردّه، وأقام يصلّي إلى العشاء الآخرة ثمّ أذّن وصلينا معه، وكان حسن الصوت بالقراءة مجيدًا لها، ولمّا فَرَغ من صلاة العشاء الآخرة، أو مأ إلينا بالانصراف فودّعناه وانصرفنا ونحن نعجب من أمره، ثم إني أردت الرجوع اليه لمّا انصرفنا، فلمّا دنوت منه هِبْته وغلب عليَ الخوف، ورجع إليَ أصحابي فانصرفتُ معهم وركبنا البحر ووصلنا بعد يومين إلى جزيرة الطير (100) وليست بها عمارة فأرسينا وصعدنا 217/2 إليها فوجدناها ملآنة بطيور تشبه الشقاشق (101)، إلاّ أنها أعظم منها وجاءت الناس ببيض تلك الطيور فطبخوها وأكلوها واصطادوا جملة من تلك الطيور فطبخوها دون ذكاة وأكلوها.

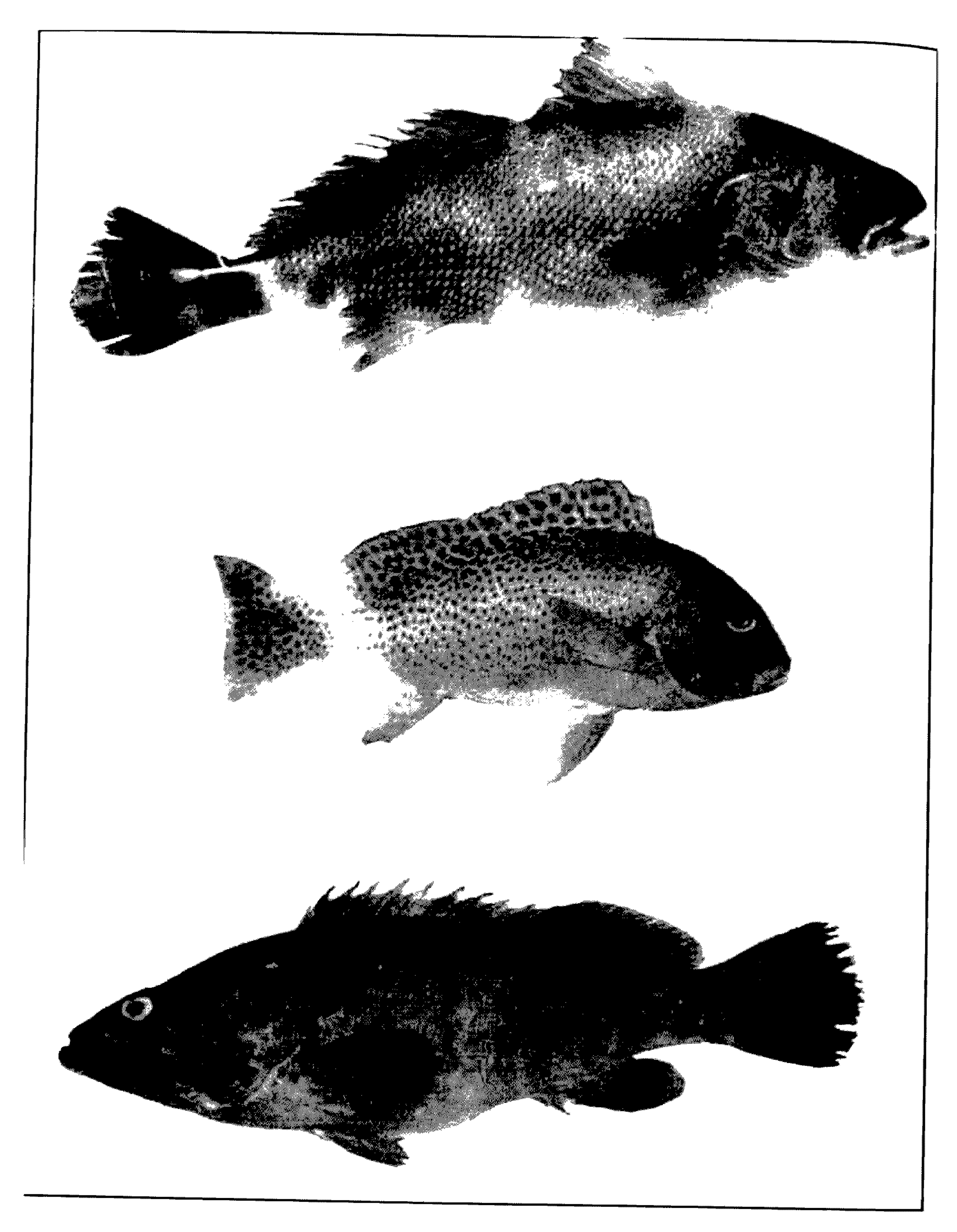
وكان يجالسني تاجر من أهل جزيرة مصيرة ساكن بظفار اسمه مُسْلم فرأيته يأكل معهم تلك الطيور فأنكرت ذلك عليه فاشتدّ خَجَلُه، وقال لي : ظننت أنّهم ذبحوها، وانقطع عنّي بعد ذلك من الخجل فكان لا يقربُني حتى أدْعُوَ به.

وكان طعامي في تلك الأيّام بذلك المركب التمر والسمك، وكانوا يصطادون بالغدّ و والعشيّ سمكا يسمّى بالفارسية شيرَمَاهي (102) ومعناه أسد السمك، لأن شير هو الاسد،

(100) جزيرة صغيرة جدا تقع في خليج مصيرة على مقربة من الساحل تسمى حمار نافور HAMAR NAFUR)، وقد وصفت كجزيرة تغشاها آلاف الطيور على نحو ما نعرف عن جزيرة الطيور على مقربة من مدينة الصويرة بالمغرب الأقصى وهي ذات شهرة عالمية.
- د. التازي : القنص بالصقر بين المشرق والمغرب، المطبعة العصرية بالرباط 1400=1980، ص 40/39/38.

(101) انظر دوزي مادة شرقرق ومادة شقشق ولعله تحريف شقارق واحدها شقراق في حجم الزُّرْزُور أو أكبر قليلا... يلاحظ أن ابن بطوطة يستغرب من تناول السكان للطيور بدون ذكاة!!

(102) (شير ماهي) : حُدّد على أنه سمك ذو حرشفة بيضاء، ولحمه لذيذ حسب ما تقوله القواميس الفارسية ويشبّهه ابن بطوطة بتَازَّارت المعروف بالمغرب، ومعلوم أن هذه الكلمة بربرية الصيغة وهي تعني التِّين، وهم يؤوّلون ذلك بأنّ لون بعض أنواع التّين التي توجد شمال المغرب الذي ينتمي اليه ابن بطوطة، يكون مزركشا يشبه قشْر بعض الأسماك التي تحمل اسم تازارت. وأعتقد أن القصد إلى هامور المنتشر بالمنطقة والذي يوجد في صدر مايقدّمه مطعم (فيش ماركيت) بفندق (إينتيركونتينانتال) في تلك المنطقة يراجع، التعليق الآتي رقم 122.



إلى جانب السردين هناك أنواع للأسماك الأخرى التي تتميز بها المنطقة...

218/2 ومـاهي : السمك وهو يشبه الحوت المسمّى عندنا بتـازَّرْت وهم يقطّعونه قطعًا ويشوونه ويعطون كلّ من في المركب قطعة لا يفضّلون أحدًا على أحد، ولا صاحب المركب ولا سواه. ويأكلونه بالتمر وكان عندي خبز وكعك استصحبتهما من ظفار فلمّا نفدا كنت أقتات من تلك السمك في جملتهم، وعيّدنا عيد الأضحى (103) على ظهر البحر وهبّت علينا في يومه ريح عاصف بعد طلوع الفجر ودامت إلى طلوع الشمس وكادت تُغرّقنا.

كرامة [للحاج خضر]

وكان معنا في المركب حاجّ من أهل الهند يسمّى بخِضر، ويدعى بمولانا لأنّه يحفظ القرآن ويحسن الكتابة، فلمّا رأى هول البحر لفّ رأسه بعباءةٍ كانت له وتناوم، فلمّا فرّج الله

219/2 ما نزل بنا، قلت له يامولانا خِضر، كيف رأيت؟ قال : قد كنت عند الهول أفتح عيني أنظر هل أرى الملائكة الذين يقبضون الأرواح جاءوا فلا أراهم، فأقول : الحمد لله، لو كان الغرق لأتوا لقبض الأرواح، ثمّ اغلق عيني، ثمّ أفتحها فأنظر كذلك إلى أن فرّج الله عنّا !

وكان قد تقدّمنا مركب لبعض التجار فغرق ولم ينج منه الا رجل واحد خرج عومًا بعد جهد شديد، وأكلت في ذلك المركب نوعًا من الطعام لم آكله قبْله ولا بعده، صنعه بعض تجار عُمان وهو من الذرة، طبخها من غير طحن وصبّ عليها السّيلان وهو عسل التمر وأكلناه.

220/2 ثم وصلنا إلى جزيرة مصيرة (104) التي منها صاحبُ المركب الذي كنّا فيه وهي على لفظِ مصير وزيادة تاء التأنيث، جزيرة كبيرة لا عيش لأهلها الاّ من السمك ولم ننزل إليها لبُعد مرساها عن الساحل، وكنت قد كرهتهم لمّا رأيتهم يأكلون الطّير من غير ذكاة، وأقمنا بها يومًا، وتوجّه صاحب المركب فيه إلى داره وعاد إلينا، ثمّ سرنا يومًا وليلةً فوصلنا إلى مرسى قريةٍ كبيرة على ساحل البحر تعرف بصور (105)، ورأينا منها مدينة قلهات في سفح

(103) حسب التسلسل التاريخي لما ذكره ابن بطوطة فإن القصد إلى 10 ذي الحجة من عام 731=14 شتنبر 1331 ويعتقد كيب أن السنة ربما كانت سنة 729، وأن العيد لم يكن الأضحى ولكنه عيد الفطر شوال الموافق 20 يوليه 1329 وينبغي أن نلاحظ أن ابن بطوطة وهو يتحدث بعد قليل عن اتجاهه نحو قلهات، يقول : ان الفصل فصل حرارة !

(104) جزيرة مصيره تقع على مقربةٍ من ساحل عُمان، وقد وصف سكان هذه الجزيرة من لدن الرحالة البحريّين القدماء بانهم آكلو السمك : 40 ميلا طولاً على 10 أميال عرضًا وتحتوي على بعض أشجار النخيل.

(105) صور : ميناء يقع في نهاية جنوب عُمان ونذكر - تعليقاً على قوله إنه رأى قلهات من صور أن قلهات تقع على بعد 13 ميلا على خط مستقيم من الشمال الغربي لصور، هذا وقد حدّد السالمي صاحب تحفة الأعيان حدد الخليج الذي قال عنه إنه يخرج في البحر فيه المد والجزر بأنه هو خور صاغ. - نور الدّين السالمي : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج 1 طبعة خامسة 1394=1974 ص 360.

جبل فخُيل لنا أنها قرية، وكان وصولُنا إلى المرسى وقْت الزوال أو قبله، فلمّا ظهرت لنا المدينة أحببت المشي إليها والمبيت بها، وكنت قد كرهت صحبة أهل المركب، فسألت عن طريقها 221/2 فأُخبرت أنّي أصل اليها عند العصر، فاكتريت أحد البحريّين ليدُلّني عن طريقها، وصحبني خِضْر الهنديّ الذي تقدّم ذكره وتركت أصحابي مع ما كان لي بالمركب ليلحقوا بي في غدِ ذلك اليوم، وأخذْت أثوابًا كانت لي، فدفعتها لذلك الدليل ليكفيني مؤنة حمْلها وحملت في يدي رُمْحا، فإذا ذلك الدليل يحبّ أن يستولي على أثوابي ! فأتى بنا إلى خليج يخرج من البحر فيه المدّ والجزر فاراد عبوره بالثياب، فقلت له : إنّما تعبر وحدك وتترك الثياب عندنا فإن قدرنا على الجواز والاّ صعدنا نطلب المجاز، فرجع ثمّ رأينا رجالاً جاوزوه عومًا فتحقّقنا أنّه كان قصده أن يغرّقنا ويذهب بالثياب فحينئذ أظهرت النشاط وأخذت بالحزم وشددت وسطي، وكنت أهزّ الرمح فهابني ذلك 222/2 الدليل، وصعدنا حتّى وجدنا مجازًا، ثمّ خرجنا إلي صحراء لا ماء بها وعطشنا واشتدّ بنا الأمر فبعث الله لنا فارسًا في جماعة من أصحابه، وبيد أحدهم ركوة ماء، فسقاني وسَقَى صاحبي، وذهبنا نحسب المدينة قريبةً منّا وبيننا وبينها خنادق نمشي فيها الأميال الكثيرة.

فلمّا كان العشيّ أراد الدليل أن يميل بنا إلى ناحية البحر وهو لا طريق له لأن ساحله حجارة فأراد أن ننشب فيها ويذهب بالثياب، فقلت له : إنّما نمشي على هذه الطريق التي نحن عليها وبينها وبين البحر نحو ميل، فلمّا أظلم الليل، قال لنا : إن المدينة قريبة منّا، فتعالوا نمشي حتّى 223/2 نبيت بخارجها إلى الصباح، فخفت أن يتعرّض لنا أحدٌ في طريقنا، ولم أحقّق مقدار ما بقي إليها، فقلت له : إنّما الحقّ أن نخرج عن الطريق فننام، فإذا أصبحنا أتينا المدينة إن شاء الله.

وكنت قد رأيت جملة من الرجال في سفح جبل هنالك، فخفت أن يكونوا لصوصا وقلت التستّر أولى، وغلب العطش على صاحبي فلم يوافق على ذلك، فخرجت عن الطريق وقصدت شجرةً من شجر أمّ غَيلان، وقد أعييت وأدركني الجهد، لاكنّي أظهرتُ قوّة وتجلّدًا خوف الدّليل، وأمّا صاحبي فمريض لا قوّة له، فجعلت الدليل بيني وبين صاحبي، وجعلت الثياب بين ثوبي وجسدي، وأمسكت الرمح بيدي، ورقد صاحبي، ورقد 224/2 الدّليل، وبقيت ساهرًا، فكلّما تحرّك الدّليل كلّمته وأريتُه أنّي مستيقظ ولم نزل كذلك حتّى أصبح، فخرجنا إلى الطّريق فوجدنا الناس ذاهبين بالمرافق إلى المدينة، فبعثتُ الدليل ليأتينا بماء، وأخذ صاحبي الثياب.

وكان بيننا وبين المدينة مهاوٍ وخنادق، فأتانا بالماء فشربنا وذلك أوان الحرّ، ثمّ وصلنا إلى مدينة قَلْهات، وضبط اسمها بفتح القاف واسكان اللام وآخرة تاء مثنّاة، فأتيناها ونحن

في جهد عظيم، وكنت قد ضاقت نعلي على رجلي حتّى كاد الدم أن يخرج من تحت أظفارها، فلمّا وصلنا باب المدينة كان ختام المشقّة أنْ قال لنا الموكّل بالباب : لابدّ لك أن تذهب معي إلى أمير المدينة ليعرف قضيّتك، ومن أين قدمت فذهبت معه إليه فرأيته فاضلاً ‖ حسن الأخلاق، وسألني عن حالي وأنزلني وأقمت عنده ستّة أيّام لا قدرة لي فيها على النّهوض على قدمي لما لحقها من الآلام. 225/2

ومدينة قلهات على الساحل (106)، وهي حسنة الأسواق، ولها مسجد من أحسن المساجد حيطانه بالقاشانيّ وهو شبه الزلّيج وهو مرتفع ينظر منه إلى البحر والمرسى وهو من عمارة الصّالحة بيبي مريم (107)، ومعنى بيبي عندهم الحرّة، وأكلت بهذه المدينة سمكًا لم آكل مثله في إقليم من الأقاليم وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الأرز ويأكلونه.

والأرز يجلب إليهم من أرض الهند، وهم أهل تجارة، ومعيشتُهم ممّا يأتي اليهم في البحر الهنديّ، وإذا وصل إليهم مركب فرحوا به أشدّ الفرح، وكلامُهم ليس بالفَصيح مع أنّهم ‖ عرب، وكلّ كلمة يتكلّمون بها يَصِلُونها بلا، فيقولون مثلا تأكل لا ؟ تمشي لا ؟ تفعل كذا لا؟ (108)، وأكثرهم خوارج لا كنهم لا يقدرون على إظهار مذهبهم لأنهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تَمْتَـهَن ملك (109) هرمز، وهو من أهل السنّة، وبمقربة من قلهات قرية طِيبي(110)، 226/2

(106) علق ماركو پولو قائلا : إن هذه المدينة -ويسميها قالاتو- تتوفر على ميناء جيّد جداً تصله من الهند طائفة من البضائع تباع فيه، حيث يتوزع على سائر البلاد الداخلية... هذا وقد قدَّم لنا الرحالة المغربي مظهرًا جديدًا من مظاهر الحضارة الاصيلة والحفاظ على الأمن في البلاد...

(107) كانت قلهات في فترة من الزمن تابعةً لأمراء هرمز الأمر الذي لم يمنع أيضا أن يصبح حكام قلهات أمراء على هرمز حسب قوة القادة المتواجدين على الحدود ... وهكذا نجد محمود بن أحمد بن أحمد الكوشي القلهاتي يتملك على هرمز من عام 643=1243 إلى 676=1277. وبعد وفاته آل الامر إلى أحد عبيده الاتراك، وكان يحمل إسم أياز (AYAZ) 690-711=1261-1311، وعند وفاة هذا الاخير أصبحت زوجته بيبي مريم ملكة على قلهات إلى حوالي سنة 720=1320 - تعليقا على شرح ابن بطوطة لكلمة (بيبي) قال السالمي في تحفة الأعيان : الكلمة إنما جلبت إلى بعض ساحل عُمان من أرض الزنج. - تاريخ أهل عُمان، تحقيق : د. سعيد عبد الفتاح عاشور، سلطنة عمان، طبعة 1986، ص 196/95.

(108) يؤكد السالمي في تحفة الأعيان هذه العادة ويفيد أنهم كانوا يزيدونها هاء السكت فيقولون لاه؟ هذا وينقل كيب أن هذه العادة توجد أيضاً في دارجة محافظة مسندم شمال عمان.

(109) قطب الدين تَهَمْتَن 718-747=1319-1347، الحفيد اللاحق (لبيط كما يقال بالمغرب) لمحمود القلهاتي كان عليه أن يسترجع هرمز من يد أحد المغتصبين شهاب الدين يوسف الذي سطا عليها من قلهات ...

(110) يشكل ابن بطوطة هذا العلم الجغرافي (طِيبي) كما قال وقد وجدنا أن ابن المجاور (ص 280-284) يرسمها طَيْوَي بفتح الطاء وتسكين الياء وبفتح الواو ويقول انها على بعد ثلاثة فراسخ من قلهات ونرى السالمي تحفة الأعيان يرسمها هكذا : طيوِي بكسر الهاء والواو (وليس الباء) وهذا ما يوجد بالخريطة.

واسمها على نحو اسم الطّيب إذا أضافه المتكلّم لنفسه، وهي من أجمل القُرى وأبدعها حُسْنا ذات أنهار جارية، واشجار ناضرة، وبساتين كثيرة ، ومنها تجلب الفواكه إلى قلهات، وبها الموز المعروف بالمرْوَاري، والمُرواريّ بالفارسية هو الجوهريّ وهو كثيرٌ بها، ويجلب منها إلى هرمز وسواها، وبها أيضا التنبول لا كن ورقته صغيرة والتمر يجلب إلى ‖ هذه الجهات من عُمان(111). 227/2

ثمّ قصدنا بلاد عُمان فسرنا ستّة أيّام في صحراء ثمّ وصلنا بلاد عُمان في اليوم السابع وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق نخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس، ووصلنا إلى قاعدةِ هذه البلاد، وهي مدينة نَزْوَا (112)، وضبط اسمها بنون مفتوح وزاي مسكن وواو مفتوح، مدينة في سفْح جبل تجفّ بها البساتين والأنهار، ولها أسواق حسنة ومساجد معظمة نقيّة، وعادة أهلها انّهم يأكلون في صحون المساجد، ياتي كلّ إنسان بما عنده ويجتمعون للأكل في صحن المسجد، ويأكل معهم الوارد والصادر ولهم نجدة وشجاعة، والحرب قائمة فيما بينهم أبدًا وهم إباضيّة المذهب ويصلّون الجمعة ظهرًا اربعا (113) فإذا فرغوا منها قرأ الإمام آياتٍ من القرآن ونثر كلامًا شبه ‖ الخطبة يُرضّي فيه عن أبي بكر وعُمر ويسكت عن عثمان وعليّ، وهم إذا أرادوا ذكرَ عليّ رضي الله عنه كنُّوا عنه بالرجل فقالوا ذكر عن الرجل أو قال الرجل ويرضّون عن الشقيّ اللعين ابن ملجم، ويقولون فيه العبْد الصالح قامع الفتنة، ونساؤهم يكثرن الفساد ولا غيرة عندهم، ولا إنكار لذلك وسنذكر حكاية إثر هذا ممّا يشهد (114) بذلك. 228/2

---

(111) عُمان الذي نطلق عليها حقيقة عمان هي المناطق المجاورة للجبل الأخضر شمال مدينة عمان العاصمة الحالية للسلطنة.

(112) تقع نزوى في غرب سفح الجانب الغربي للجبل الأخضر، وقد كانت عاصمة أيمة عمان، على بعد 130 ميلاً من قلهات على خط مستقيم...

(113) يعلل السالمي في تحفة الأعيان :إنما كانوا يُصلّون الجمعة ظهرًا لانهم لا إمام لهم يومئذ، ومن شرط صحة الجمعة عندهم وجود المصلى والامام فان اختل احد الشرطين فقد اختلف العلماء في صحة الجمعة... - تحفة الأعيان مصدر سابق جزء 1، ص 363.

(114) تصدى المؤرخ المعاصر لعمان الامام نور الدّين عبد الله حميد السالمي (تـ 1332=1915) سالف الذكر للردّ على الرحالة المغربي حول ما حكاه عن الحالة الاجتماعية في البلاد أثناء فترة زيارته ... كما لاحظ اقتصار الرحالة على زيارة بعض المواقع الجغرافية دون الأخرى التي تمتاز بأهميتها ولكنه أي الشيخ السالمي استدرك رحمه الله، ليذكر بأنه لا لوم على غريب ! فربما كان ابن بطوطة ضحية دليله ! وليقول كذلك أن بعض ما حكاه ابن بطوطة ليس بغريب الوقوع على عهد ملوك بني نبهان الذين اظهروا الفساد في البلاد وقهروا العباد بالعناد ...! وقتلوا من انكر عليهم من العلماء. !!

ذكر سلطان عُمان

وسلطانها عربيّ من قبيلة الأزد بن الغَوث، ويعرف بأبي محمّد بن نبهان (115)، وابو محمّد عندهم سمة لكلّ سلطان يلي عُمان، كما هي أتابك عند ملوك اللور، وعادته أن يجلس خارج باب داره في مجلسه هنالك ولا حاجب له ولا وزير ولا يمنع أحداً من الدخول إليه من غريب أو غيره، ويكرم الضيف على عادة العرب، ويعيّن له الضيّافة ويعطيه على قدره. 229/2

وله أخلاق حسنة ويؤكل على مائدته لحم الحمار الأنسيّ، ويباع بالسوق لأنّهم قائلون بتحليله، ولا كنهم يخفون ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهرونه بمحضره، ومن (116) مدن عُمان مدينة زكى (117)، لم أدخلها، وهي على ما ذكر لي مدينة عظيمة، ومنها القُريّات وشَبّا وكَلْبَا وخَور فكّان وصُحار (118)، وكلّها ذات أنهار وحدائق وأشجار نخل، واكثر هذه البلاد في عمالة هُرمز (119).

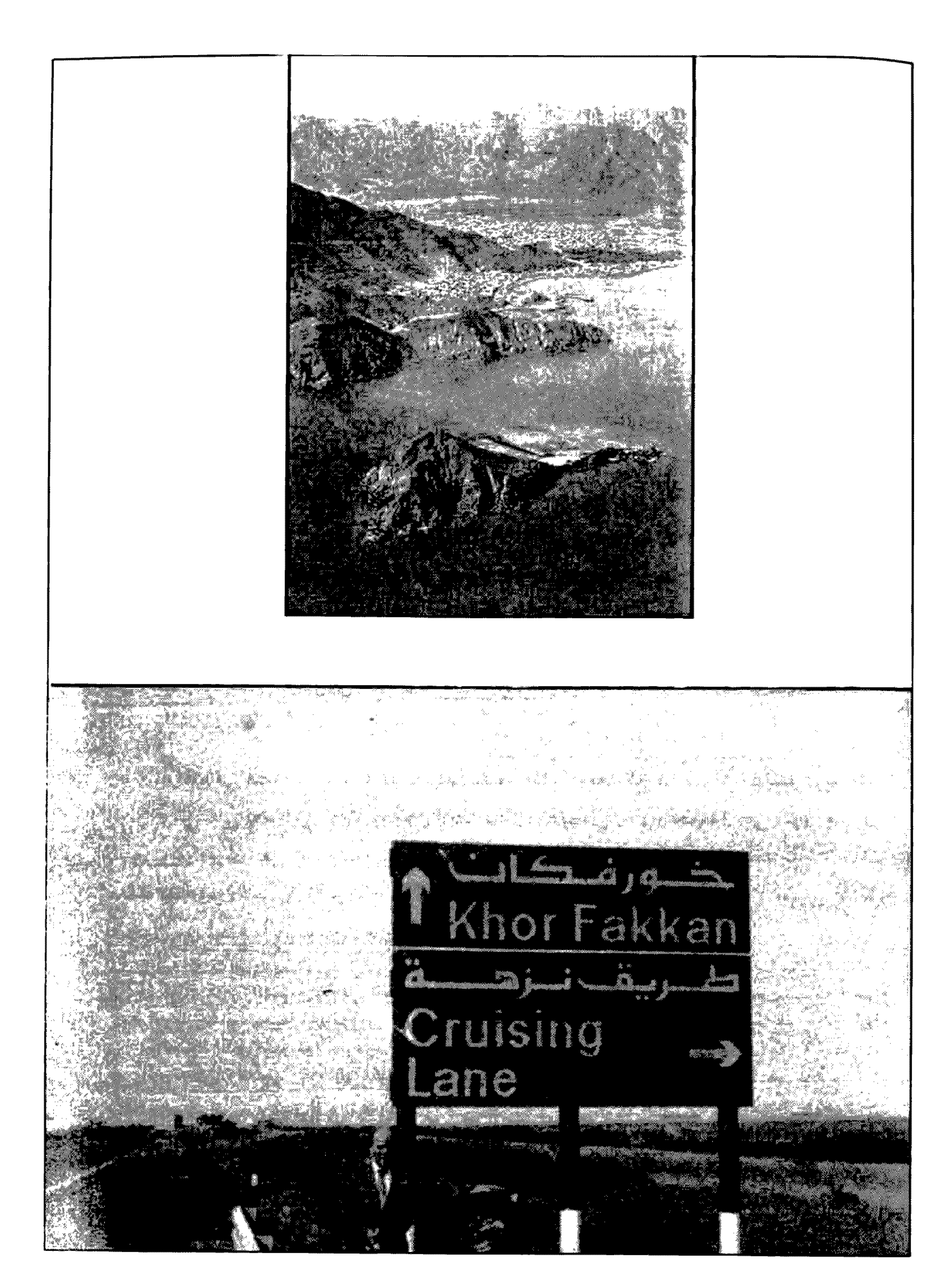
(115) اغتصب بنو نبهان الحكم من يد الأئمة المختارين سنة 557=1162 واستقروا في الحكم إلى سنة 886=1481 أي زهاء ثلاثمائة وعشرين سنة. وعندما عاد الحكم إلى الامامة وجدنا أن سائر آثار ومعالم النبهانيين تمحى عن عمد ! وهكذا فإننا لا نمتلك أية معلومات عن هذه الفترة، ومن هنا فإننا نعتبر أن الافادات التي قدمها ابن بطوطة والتي استطاعت أن تنجو من الإتلاف، ينبغي أن تدرس دراسة موضوعية وأن لا تؤخذ على انها إساءة للأسلاف ولكن تؤخذ على أنها تعبر عن مرحلة تميزت بالقهر والقمع والتسيّب وليس ضروريا إطلاقا أن تتوفر المصادر العُمانية القديمة على ما يؤيد معلومات ابن بطوطة، فإن بعض المعلومات يمكن أن تُغفل في جهاتها الأصلية ولكنها تنقل في جهات أخرى، ولنا على هذا عدد كبير من الأمثلة : ابن البيطار مثلا عرفنا في سوريا أنه توفي فجأة وعرفنا في المصادر الأندلسية أنه توفي بعد تناوله عقارًا يختبر مفعوله ثم عرفنا في مصدر لاحق أنه تناول ذاك العقار عمداً رغبة في أن يجعل حدّا لحياته !

(116) ينكر المؤرخ السالمي ما حكاه ابن بطوطة من أن "أبا محمد سمةٌ لكل سلطان يلي عمان كما في أتابك عند ملوك اللور" قائلا : ما سمعنا بهذا الاصطلاح في زمن من الأزمان وانما الاصطلاح الخاص لملوك عمان هو الجلندي على نحو استعمال تُبّع لكل مَن حَكَم اليمن وحضرموت، وقيصر لمن ملك الروم الخ...كما ينكر مرويات ابن بطوطة عن لحم الحمار الأنسي.

(117) زكي معروفة أكثر تحت إسم أزكي أو إزكى على بعد 30 ميلا شرقي نزوَى. – سالم بن حمود بن شامس : العنوان عن تاريخ عمان ص 87.

(118) هذه كلّها مدن تقع على الساحل تمتد من الجنوب إلى الشمال : القُرَيّات مجموعة قرى على بعد 25 ميلا جنوب شرقي مسقط، صحار على بعد 125 شمال غربي مسقط، وقد اغفل ذكر مسقط في اللائحة لكنه ذكرها عند عودته عام 747=1347. – كلباء (أو كلبة) وخور فكّان (أو فُكّان) على بعد 60 و 75 ميلا شمال صحار وهما يكونان اليوم قسما من إمارة الشارقة الحالية من الامارات العربية المتحدة، هذا ولا يوجدُ موقع يحمل هنا اسم شبا فيظهر أن القصد إلى سيب الواقع جنوبا على بعد 25 ميلا غرب مسقط.- أغتنم هذه الفرصة لأشكر معالي الدكتور الأستاذ سعيد سلْمان رئيس جامعة عجمان.

(119) هرمز القديمة تقع داخل بلاد فارس على بعد ستة إلى ثمانية أميال من خليج مِناب MINAB في الجهة المقابلة، اقصى جنوب إيران، موغستان كانت اسمًا لاقليم منطقة مجاورة للشاطئ، أما هرمز الجديدة فإنها جزيرة على البحر، كان الذي انشأها الحاكم أياز سالف الذكر، تعليق 107 أنشأها في مكان الجزيرة التي تحمل اسم جَرَوْن الواقعة شمال المضيق الذي يحمل نفس الاسم تمتد هرمز الجزيرة حاليا على ستة أميال طولاً...



خورفكان شمال إمارة الفُجَيرة ولكنها تابعة لإمارة الشارقة - البحار والجبال !

حكاية [السلطان المتساهل]

كنت يوما عند هذا السلطان أبي محمّد بن نبهان فأتتْه امرأة صغيرة السّن حسنة الصورة بادية الوجه فوقفت بين يديه، وقالت له يا أبا محمّد ! طَغَى الشيطان في رأسي، فقال لها اذهبي واطردي الشيطان، فقالت له : لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد، فقال لها : اذهبي فافعلي ما شئت، فذُكر لي لمّا انصرفتُ عنه أن هذه ومَن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولاً ذو قَرابتها أن يغيروا عليها، وإن قتلوها قُتلوا بها لأنّها في جوار السلطان !

230/2

ثم سافرت من بلاد عُمان إلى بلاد هرمز، وهرمز بلاد على ساحل البحر، وتسمّى أيضا موغ استان، وتقابلها في البحر هُرمُز الجديدة، وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ (120)، ووصلنا إلى هرمز الجديدة، وهي جزيرة مدينتها تسمى جَرَوْن، بفتح الجيم والراء وآخرها نون، وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي مرسى الهند والسند، ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين، وفارس وخراسان، وبهذه المدينة سكنى السلطان، والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم، وأكثرها سِباخ وجبال ملح، وهو الملح الدّرّاني (121)، ومنه يصنعون الأواني للزينة، والمنارات التي يضعون السرج عليها، وطعامهم السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة، وعُمان، ويقولون بلسانهم (خُرْما وماهي لُوتِ بادشاهي) (122) معناه بالعربي : التَّمر والسمك طعام الملوك !!

231/2

والماء في هذه الجزيرة له قيمة وبها عيون ماءٍ وصهاريج مصنوعة يجتمع فيها ماء المطر، وهي على بعد من المدينة ويأتون إليها بالقرب فيملأونها ويرفعونها على ظهورهم إلى البحر ويوسقونها في القوارب ويأتون بها إلى المدينة، ورأيت من العجائب عند باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كأنّه رابية، وعيناه كأنهما بابان (123)، فترى الناس يدخلون من أحدهما ويخرجون من الأخرى!

232/2

(120) كانت هرمز القديمة تقع في الجزء الرئيسي على بعد ستة أو ثمانية أميال من جون ميناب – موغ استان كانت اسما لمنطقة من إقليم كرمان محاذية للساحل – تجاهل ابن بطوطة هنا ذكر الميناء بالضبط الذي ابحر فيه من هرمز القديمة إلى جرون عاصمة هرمز الجديدة... وربما كان الابحار من موغستان. التعليق 107. عليّ أكبر ولايتي : تاريخ روابط خارجي إيران، تهران 1996 ص 242.

(121) عوض الدَّراني ينبغي أن نقرأ الدارابي على نحو ما في المخطوطة الباريزية رقم 2290، والكلمة آتية من دَرَبْجِرْد DARABDJIRD التي تقع في الجنوب الشرقي لشيراز حيث توجد أكام الملح الملون الذي يصلح لصَنع الأواني. إن ارض جزيرة جَرَوْن هي كذلك تتكون من الملح والماء ياتي اليها من البلاد المجاورة.

(122) هذا من المأثورات الشعبية التي نسيها بعض الشيوخ في الخليج اليوم! وقد ذكر هذا المثل – نقلا عن الرحالة المغربي – د هخدا في (لغة نامَة، حرف اللام)، دائرة المعارف الفارسية. يراجع التعليق رقم 102

(123) يظهر أن القصد إلى (La baleine) وهو الحوت الذي يحمل في اللغة العربية إسم بال أو وال.

ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح السائح أبا الحسن الأقصراني، وأصله من بلاد الروم (124)، فأضافني وزارني وألبسني ثوبًا، وأعطاني كَمَر الصحبة وهو يُحتبى به فيعين الجالس فيكون كأنّه مستند، وأكثر فقراء العجم يتقلّدونه.

وعلى (125) ستّة أميال من هذه المدينة مزارٌ ينسب إلى الخضر وإلياس عليهما السلام، يذكر انهما يصلّيان فيه، وظهرت له بركات وبراهين، وهنالك زاوية يسكنها أحد المشايخ يخدم بها الوارد والصادر، وأقمنا عنده يومًا، وقصدنا من هنالك زيارة 233/2 رجلٍ صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة قد نحت غارًا لسكناه، فيه زاوية ومجلس ودار صغيرة له فيها جارية، وله عبيدٌ خارج الغار يرعون بقرًا له وغنماً وكان هذا الرجل من كبار التّجار فحجّ البيت، وقطع العلائق وانقطع هنالك للعبادة، ودفع ماله لرجلٍ من إخوانه يتجر له به، وبتْنا عنده ليلةً فأحسن القِرى وأجمل، رضي الله تعالى عنه، وسيمة الخير والعبادة لائحة عليه.

ذكر سلطان هرمز

وهو السلطان قطب الدين تمتّهن (126) بن طوران شاه، وضبط اسمه بفتح التاءين المعلوّتين وبينهما ميم مفتوح وهاء مسكنة وآخره نون، وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع، حسن الأخلاق، وعادته أن ياتي لزيارة كلّ من 234/2 يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف ويقوم بحقّه.

ولّما دخلنا جزيرته وجدناه متهيئًا للحرب مشغولاً بها مع ابني أخيه نظام الدين (127)،

---

(124) يعني ببلاد الروم آسيا الصغرى.

(125) كَمَر الصحبة، بالفارسية (Canard-Band) عبارة عن شبه حزام يُحتبى به، فيعين الجالس ويكون بمثابة مستند له على نحو ما نراه إلى الآن مع بعض مُلازمي الحرمين الشريفين يساعدهم على الجلوس الطويل. واعتقد أن كلمة (التّزييق) التي استعملها ابن بطوطة في بداية هذا السفر لها علاقة بكمر الصحبة... ومن اسواق مدينة سيؤون في حضرموت اقتنيت في خريف 1992 بعض النماذج من كمر الصحبة !

(126) قطب الدين تَهَمْتَن (وليس تمتهن) شخصية منحدرة من أسرة كانت متنفِّذةً في المنطقة، احتلَّ هرمز عام 719=1319 بمشاركة أخيه نظام الدّين قَيْقباد، ومن سنة 730=1330 أو 731=1331 أضاف إلى هذا جزيرة قيس التي تقع جنوب فارس كما أضاف البحرين ومراسي القطيف وماشول. وطوال هذه الفترة ولبضع سنوات لاحقة استمر التناسق بين الأخوين المذكورين. انظر تعليق النّاشرين الأولَيْن : D.S. ج 2 ص 455-456 وانظر كذلك كيب ج 2، ص 401 تعليق 123.

(127) حسب ما اعتدناه من الرحالة المغربي ابن بطوطة نجده أحيانا يمزج بين الزيارتين اللتين قام بهما لهرمز : الأولى التي تمت في محرم 732 = أكتوبر / نونبر 1331، والثانية التي جرت في صفر ربيع الاول 748 مايه – يونيه 1347 – وهكذا فإن قطب الدين تَهمتَن استولى على الحكم على ما قدمنا عام 719=1319 بمساعدة أخيه نظام الدين قَيْقُباد بيد أن التمرّد والثوره لم تظهر إلا عام 745هـ /1345 1344، وبما أن موت نظام الدّين كان عام 746-47=1346 فإن ولديه استمرّا في المقاومة انطلاقًا من جزيرة قيس إلى وفاة تَهَمْتَن في ربيع سنة 748-47=1347 بعد مرور ابن بطوطة بقليل حيث توفر على هذه المعلومات عند الزيارة الثانية.

فكان في كل ليلة يتيسّر للقتال، والغلاء مستولٍ على الجزيرة، فأتى إلينا وزيره شمس الدين محمد بن علي وقاضيه عماد الدين الشونكاري وجماعة من الفضلاء فاعتذروا بما هم عليه من مباشرة الحرب.

وأقمنا عنده ستّة عشر يومًا، فلمّا أردنا الانصراف قلت لبعض الأصحاب كيف ننصرف ولا نرى هذا السلطان؟ فجئنا دار الوزير وكانت في جوار الزاوية التي نزلت بها، فقلت له : إنّي أريد السلام على الملك، فقال : بسم الله، وأخذ بيدي، فذهب بي إلى داره وهي 235/2 على ساحل البحر والأجفان || مُجْلَسةٌ عندها، فإذا شيخ عليه أقبية ضيقة دَنِسة، وعلى رأسه عمامة وهو مشدود الوسط بمنديل، فسلم عليه الوزير وسلمتُ عليه، ولم أعرف أنه الملك وكان إلى جانبه ابن اخته وهو علي شاه بن جلال الدين الكيجي (128)، وكانت بيني وبينه معرفة، فأنشأتُ أحادثه وأنا لا أعرف الملك فعرّفني الوزير بذلك، فخجلتُ منه لإقبالي بالحديث على ابن اخته دونه، واعتذرت إليه، ثم قام فدخل داره وتبعه الأمراء والوزراء وأرباب الدولة ودخلت مع الوزير، فوجدناه قاعدًا على سرير ملكه وثيابه عليه لم يبدّلْها، وفي يده سبْحة جوهر لم تر العيون مثلها لأن مغاصات الجوهر تحت حكمه (129)، فجلس أحد الأمراء إلى جانبه وجلست 236/2 || إلى جانب ذلك الأمير، وسألني عن حالي ومقْدمي وعمّن لقيته من الملوك فأخبرته بذلك، وحضر الطعام فأكل الحاضرون ولم يأكل معهم، ثم قام فودعته وانصرفت.

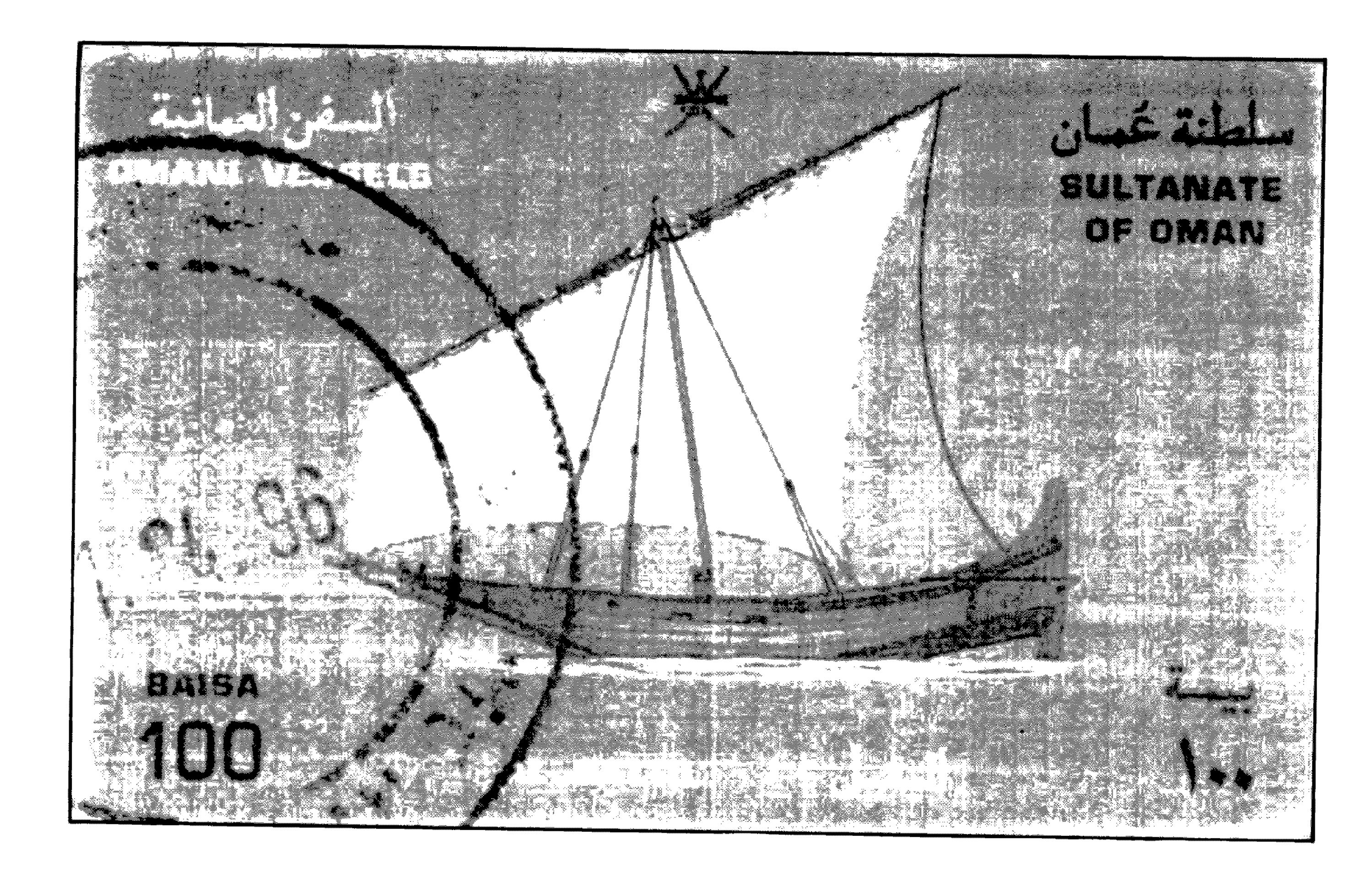
وسبب الحرب التي بينه وبين ابني أخيه أنه ركب البحر مرّة من مدينته الجديدة برسم النزهة في هرمز القديمة وبساتينها، وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ كما قدّمناه، فخالف عليه أخوه نظام الدين، ودعى لنفسه وبايعه أهل الجزيرة، وبايعته العساكر (130)، فخاف قطب

---

(128) الكيجي شخصية تنتمي على ما يظهر، إلى حكام مكران التي نعلم عن صلاتها الوثيقة بأمراء هرمز. هذا والأجفان هنا لا تعني فقط المراكب التجارية ولكنها تعني كذلك السفن الحربية

(129) يلاحظ هنا أن ابن بطوطة يتحدث عن صيد اللؤلؤ في جزيرة قيس، وسيأتي في السفر الثاني وهو يحكي لسلطان سيلان أنه رآه أي الصيد بجزيرة قيس وجزيرة كيش (قشم) التي لابن السواملي ... هذه الافادة منه تحدّد وقت زيارة ابن بطوطة لقيس– (ابن) السواملي : جمال الدّين ابراهيم بن محمد بن سعدي الطيّبي الرحّالة الشهير الذي تَحوّل ابنه محمد إلى بغداد زمن الناصر فتعلم ثقب اللؤلؤ وجمع دراهم ودخل في تجارة إلى الصين فتوغل وتموّل (الدّرر ١، 61) – أولاد هذا الرجل تمكنوا من الجزيرة إلى عام 1329 وتقبض عليهم تهمتن عام 1330-31 – إذا ما كان ابن بطوطة زار جزيرة قيس فإن ذك ينبغي أن يكون أيام حكم اسرة السواملي وقبل الاشتباكات الحربية التي جرت مع تهمتن عام 1930 – Gibb II, 403 – وعن قيس او كيش انظر حمد الله مستوفى، والترجمة الفارسية للرحلة ص 306 تعليق ١، واقرأ جريدة لوموند البارسية عدد17/10 1979.

(130) استولى نظام الدين على جرون عام 745=1344-45 عندما كان تهمتن في رحلة صيد... وفي أثناء معركة هزم تهمتن الذي رأيناه يسترجع هرمز وجرون بعد وفاة نظام الدّين عام 1346، وقد توفى تهمتن عام 1347 وهنا وتحت حكم ولده وخلفه توران شاه تمت السيطرة على قيس والبحرين ...



من أنواع المراكب في المنطقة

الدّين على نفسه وركب البحر إلى مدينة قلهات التي تقدّم ذكرها وهي من جملة بلاده، فأقام بها شهورًا وجهّز المراكب وأتى الجزيرة فقاتله أهلها مع أخيه وهزموه وعاد إلى قلهات، وفعل ذلك 237/2 مرارًا فلم تكن له حيلة الاّ أن راسل بعض نساء أخيه فسمّته ومات! وأتى هو إلى الجزيرة فدخلها وفرّ ابنا أخيه بالخزائن والأموال والعساكر إلى جزيرة قيس حيث مغاص الجوهر وصاروا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند ويغيرون على بلاده البحريّة حتى تخرّب معظمها.

ثم سافرنا من مدينة جَرَوْن برسم لقاء رجلٍ صالح ببلد خُنْج بال فلمّا عدّينا البحر اكترينا دوابّ من التُركمان وهم سكّان تلك البلاد ولا يُسافَر فيها إلاّ معهم لشجاعتهم ومعرفتهم بالطرق، وفيها صحراء مسيرة أربع ويقطع بها لصوص الأعراب، وتهبُّ فيها ريح 238/2 السموم في شهري تمّوز وحَزيران (131)، فمَن صادفته فيها قتلتْه، ولقد ذكر لي أن الرجل إذا قتلتْه تلك الريح وأراد أصحابه غسله ينفصل كلّ عضو منه عن سائر الأعضاء، وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها بهذه الريح وكنّا نسافر فيها باللّيل فإذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الأشجار من أمّ غَيْلان ونرحل بعد العصر إلى طلوع الشمس، وفي هذه الصحراء وما والاها كان يقطع (الطريق)، جمالُ اللّك الشهير الاسم هنالك.

حكاية [فقراء مدينة لار]

كان جمال اللّك من أهل سجستان أعجميّ الاصل (132)، واللّك بضم اللاّم معناه الأقطع، وكانت يده قطعت في بعض حروبه، وكانت له جماعة كثيرة من فرسان الأعراب والأعاجم يقطع بهم 239/2 الطرق، وكان يبنى الزوايا ويطعم الوارد والصادر من الأموال التي يسلبها للنّاس، ويقال : إنه كان يدعو أن لا يسلط إلاّ على من لا يزكّي ماله! وأقام على ذلك

(131) تسمى هذه الريح في عين المكان سمايل (Samyel) تهب على الخصوص بين 15 يونيه و 15 غشت وهي الفترة التي تشتد فيها الحرارة بالخليج ... وقد وصفها شاردان (Chardin) عام 1668 بمثل ما وصفها به الرحالة المغربي، ومن خلال هذا ربما نفهم أن هذه المعلومات اكتسبها ابن بطوطة في الزيارة اللاّحقة التي صادفته في فترة الحرارة وليس في هذه الزيارة التي تمت في شهر نونبر...
هذا ونشير إلى أن كلمة التركمان المذكورة آنفا كانت تعني قوما يتكلمون بالتركية وهم يدعون ب قشْقاي (Qashqâi)، وحديث ابن بطوطة عن اللصوصية في تلك المناطق أكّدته مصادر أخرى تحدثتْ عن تلك الأمكنة ومنها مُستوفي...

(132) يورد ابن حجر (الدرر 4، 260 طبعة أباد) أن هذا الرجل الذي حرّف اسمه إلى الحمّال لوك تعرض لقافلة بين يزد وشيراز ولكنه لم يلبث أن وقع في قبضة محمد بن المظفر الذي اجهز عليه قبل ان يحتل ابن المظفر يزد عام 1318... وتوجد كلمة اللك في القاموس الفارسي وتعني الذي يزحف على يديه وركبته.

Gibb II P 405 Note 131.

دهرًا، وكان يغير هو وفرسانه ويسلكون براريَ لا يعرفها سواهم ويدْفنون بها قرب الماء وروايا، فإذا تبعهم عسكر السلطان دخلوا الصحراء واستخرجوا المياه ويرجع العسكر عنهم خوفًا من الهلاك.

وأقام على هذه الحالة مدّة لا يقدر عليه ملك العراق ولا غيره ثم تاب وتعبّد حتى مات، وقبره يزار ببلاده. وسلكنا هذه الصحراء إلى أن وصلنا إلى كَوْراستان (133)، وضبط اسمه بفتح الكاف واسكان الواو وراء، وهو بلد صغير فيه الأنهار والبساتين وهو شديد الحرّ، ثمّ سرنا منه ‖ ثلاثة أيام في صحراء مثل التي تقدّمت ووصلنا إلى مدينة لار (134)، وآخر اسمها راء، مدينة كبيرة كثيرة العيون والمياه المطّردة والبساتين، ولها أسواق حسان، ونزلنا منها بزاوية الشيخ العابد أبي دُلف محمّد (135)، وهو الذي قصدنا زيارته بخُنْج بال، وبهذه الزاوية ولده أبو زيد عبد الرحمن، ومعه جماعة من الفقراء، ومن عادتهم أنهم يجتمعون بالزاوية بعد صلاة العصر من كل يوم، ثم يطوفون على دور المدينة فيعطاهم من كلّ دار الرغيف والرغيفان فيطعمون منها الوارد والصادر.

240/2

وأهل الدور قد ألفوا ذلك فهم يجعلونه في جملة قوتهم ويعدّونه لهم إعانة على إطعام الطعام، وفي كل ليلة جمعة يجتمع بهذه الزاوية فقراء المدينة وصلحاؤها ويأتي كلٌ منهم بما تيسّر له من الدراهم ‖ فيجمعونها وينفقونها تلك الليلة، ويبيتون في عبادةٍ من الصلاة والذكر والتلاوة وينصرفون بعد صلاة الصبح.

241/2

ذكر سلطان لار

وبهذه المدينة سلطان يسمى بجلال الدين، تركماني الأصل، بعث إلينا بضيافة ولم

(133) هذه قرية تحمل اسم كهورستان في الخريطة الإيرانية الحالية وهي على بعد أربع مراحل من لار... وعلى مرحلة واحدة من بندر عباس يقول طافيرنيي (Tavernier) عام 1665، في كتابه Les six voyages en Turquie, et en Perse.

(134) كانت (لار) تتوفر على إمارة محلية مقيمة هناك منذ عهد ما قبل ظهور الإسلام، وحسب كتب التاريخ نجد أن العاهل الحاكم على ذلك العهد كان يسمى باكًا لينجار الثاني (Bakalindjar) 753-731=1352-1331، انظر Ency. de l'Islam

(135) لا نعرف شيئا عما إذا كانت هناك صلة لهذا بأبي دُلف الذي قال فيه علي ابن جبلة

إنما الدنيا أبو دُلَف — بين مغزاه ومحتضره
وإذا ولّى أبو دُلَف — ولّت الدنيا على إثره ¹

د. التازي، الماء، الغذاء، الانسان، بين التراث الاسلامي والتاريخ المغربي، أكاديمية المملكة المغربية 1982.

نجتمع به ولا رأيناه، ثم سافرنا إلى مدينة خُنْجُ بال (136)، وضبط اسمها بضمّ الخاء المعجم، وقد يعوّض منه هاء واسكان النون وضم الجيم وباء معقودة والف ولام، وبها سكنى الشيخ أبي دُلف الذي قصدنا زيارته وبزاويته نزلنا، ولمّا دخلتُ الزاوية رأيته قاعدًا بناحيةٍ منها على التراب وعليه جبّة صوف خضراء بالية وعلى رأسه عمامة صوفٍ سوداء فسلّمت عليه فأحسن الردّ، وسألني عن مقدمي ‖ وبلادي وأنزلني، وكان يبعث إليّ الطعام والفاكهة مع ولدٍ له من الصالحين كثير الخشوع والتواضع صائم الدّهر كثير الصلاة، ولهذا الشيخ أبي دُلف شأن عجيب، وأمر غريب، فإنّ نفقته في هذه الزاوية عظيمة، وهو يعطي العطاء الجزيل ويكسوا الناس ويُركبهم الخيل، ويحسن لكل وارد وصادر، ولم أر في تلك البلاد مثله ولا يُعلم له جهة إلا ما يصله من الإخوان والأصحاب، حتى زعم كثير من الناس أنه ينفق من الكون ! وفي زاويته المذكورة قبر الشيخ الوليّ الصالح القطب دانيال (137)، وله اسم بتلك البلاد شهير، وشأن في الولاية كبير، وعلى قبره قبّة عظيمة بناها السلطان قطب الدين تَمْتَهَن بن طوران شاه ‖ وأقمت عند الشيخ أبي دُلَف يومًا واحدًا لاستعجال الرفقة التي كنت في صحبتها، وسمعت أن بالمدينة خُنْج بال المذكورة زاويةً فيها جملة من الصالحين المتعبّدين فرحت إليها بالعشيّ وسلّمت على شيخهم وعليهم ورأيتُ جماعةً مباركة قد اثّرت فيهم العبادة، فهم صفْرُ الألوان نِحاف الجسوم كثيرو البكاء غزيرو الدُّموع وعند وصولي إليهم أتوا بالطعام، فقال كبيرهم : أدعوا لي ولدي محمدًا، وكان معتزلاً في بعض نواحي الزاوية فجاء الينا الولد وهو كأنّما خَرَج من قبر ممّا نهكتْه العبادة، فسلّم وقعد، فقال له أبوه : يابنيّ شاركْ هؤلاء الواردين في الأكل تنلْ من بركاتهم، وكان صائمًا فأفطر معنا، وهم شافعيّة ‖ المذهب، فلمّا فرغنا من أكل الطعام دعوا لنا وانصرفنا.

242/2

243/2

244/2

---

(136) خنجُ بَال Khunj-U Pal اسم مزدوج لمدينتين هما : خنج وفَال، خنج تقع على بعد 40 ميلا شمال غرب لار، وكثيراً ما تلتبس مع هونج التي تقع على بعد 50 ميلا جنوب لار، وان اطلال وخرائب فال توجد على أربعة أميال جنوب كالاه دار، نحو 60 ميلاً غرب خُنج على الخط 38-°27 شمالاً و 39°52' شرقا ...يظهر أن ابن بطوطة لم يهتم بتقديم تفسير عن تحديد الموقعين.

(137) قام الشيخ دانيال بدور في استيلاء أياز (AYAZ) على هرمز عام 690=1291 ويتحدث باروس (Barros) في القرن السادس عشر عن مسجد في خنج يحمل إسم هذا الشيخ، وتتوفر هذه المدينة اليوم على مسجد بهذا الاسم.

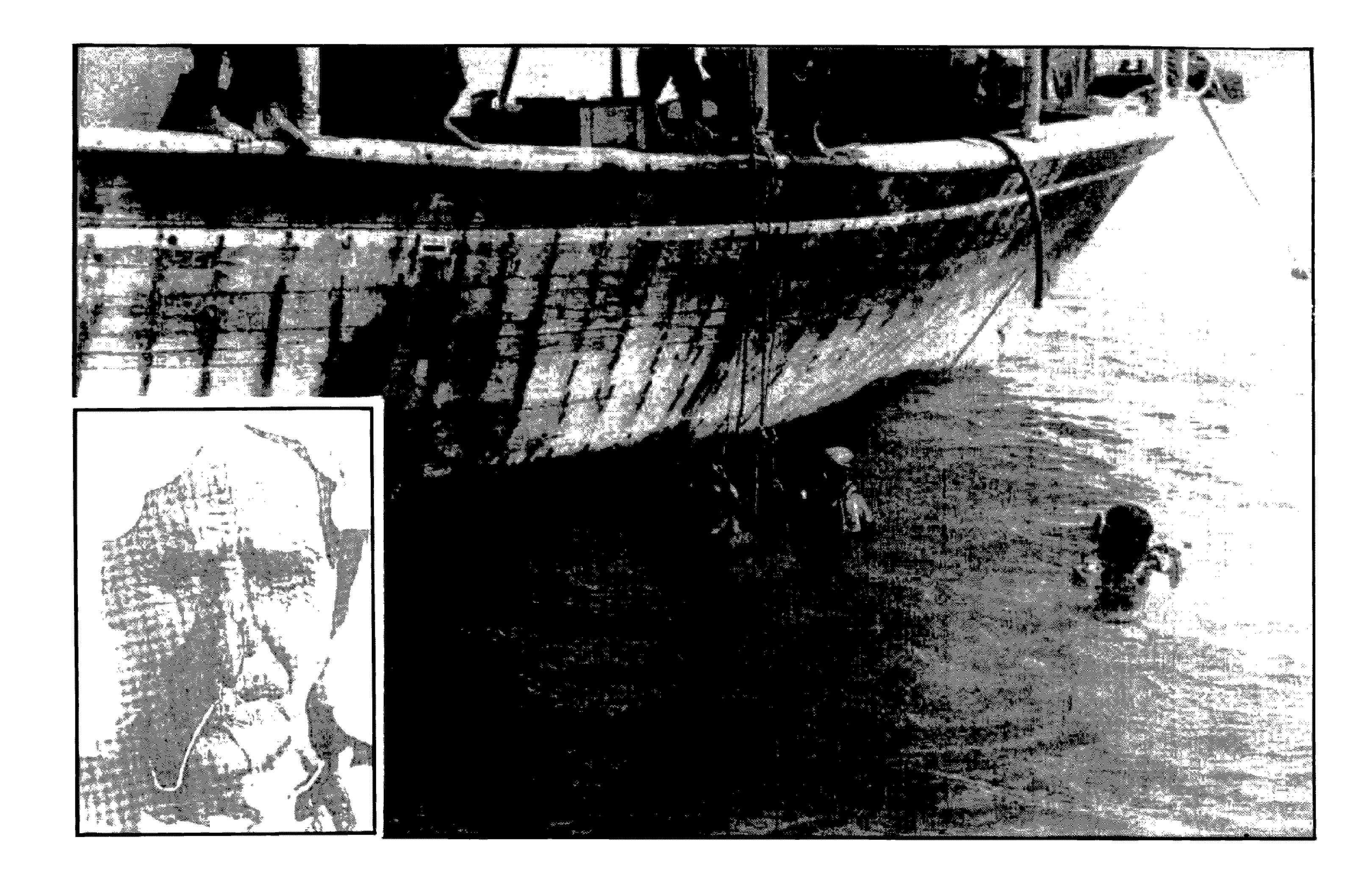
ثم سافرنا منها إلى مدينة قيس وتسمى ايضا بسيراف (138)، وهي على ساحل بحر الهند المتّصل ببحر اليمن وفارس وعدادها في كُوَر فارس، مدينة لها انفساحُ وسعة طيّبة البقعة في دورها بساتين عجيبة فيها الرياحين والأشجار الناضرة، وشرب أهلها من عيون منبعثة من جبالها، وهم عجمٌ من الفرس أشراف، وفيهم طائفة من عرب بني سفّافٍ (139)، وهم الذين يغوصون على الجوهر.

ذكر مغاص الجوهر

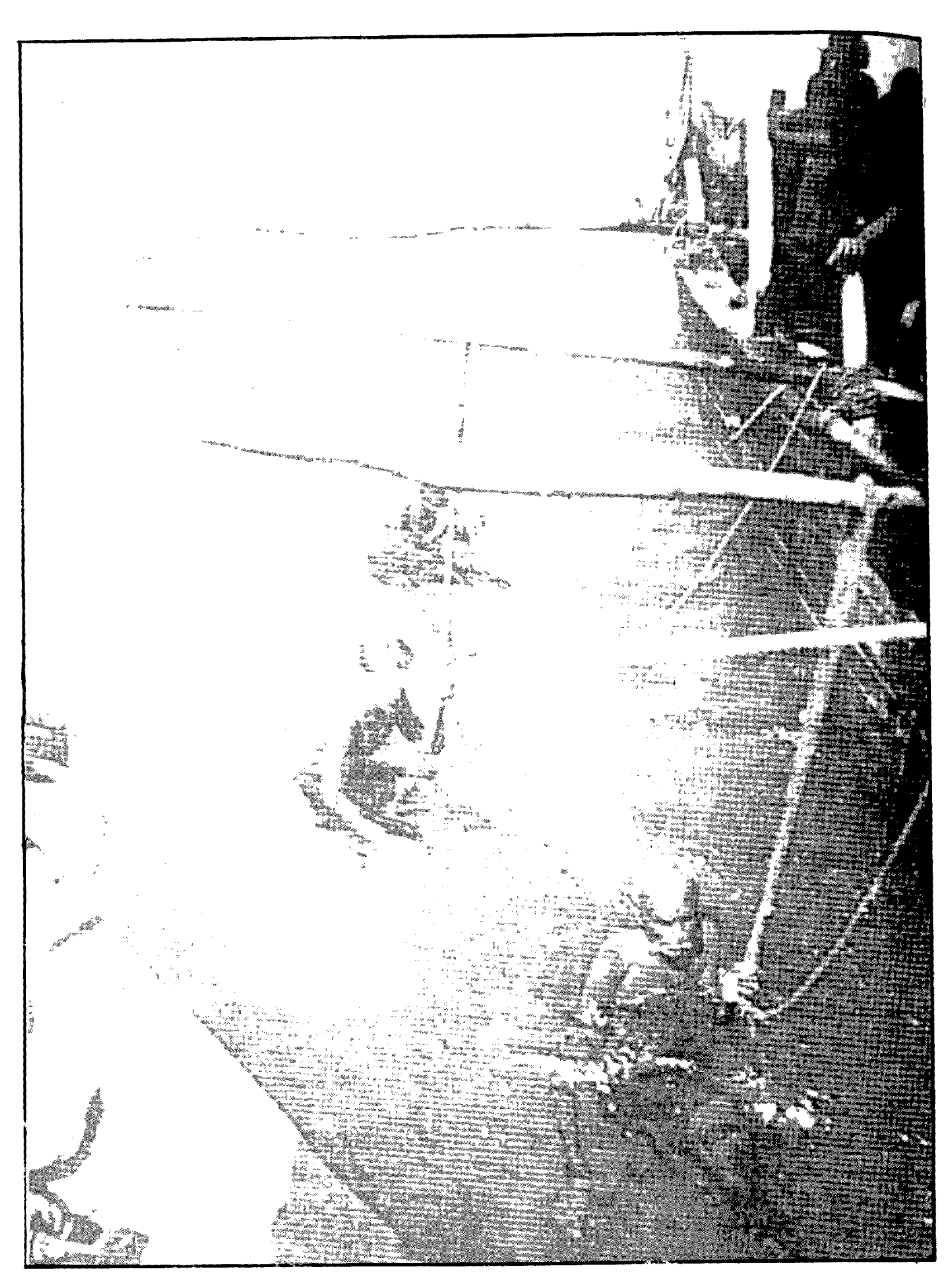
ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين في خور راكدٍ مثل الواردي العظيم، فإذا كان شهر إبريل وشهر مايه تأتي إليه القوارب الكثيرة فيها الغوّاصون وتجار فارس 245/2 والبحرين والقطيف ويجعل الغوّاص على وجهه مهما أراد أن يغوص شيأ يكسوه من عظم الغَيْلم، وهي السلحفاة، ويصنع من هذا العظم أيضا شكلاً شبه المقراض يشدّه على أنفه، ثم

(138) لم تكن سيراف منطقة صغيرة فلقد كانت تمتد نحو ميلين داخل البحر، وهي تقع على الساحل جنوب الموقع الساحلي الحالي (طاهري) كانت الميناءَ الأكثر أهمية بالخليج في القرن العاشر على ما نقرأه عند المسعودي (تـ 346=957) في مروج الذهب، وقد تعرضت لزلزال عام 366=977، وتُركت تدريجيا لفائدة جزيرة قيس : كيش وقد وجدها ياقوت خرابا عندما زارها... وهكذا نلاحظ أن ابن بطوطة ربّما التبست عليه سيراف بجزيرة قيس التي كانت مقرا - ابتداء من نهاية القرن السابع الهجري = الرابع عشر الميلادي لدولة تجارية أنشأها جمال الدين ابراهيم السواملي سالف الذكر (الدّرر أر 61). وقد انتزعت المدينة من المنحدرين من السواملي عام 731=1331، انتزعها منهم تهمتن روبرت جيران لاندن . عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله وزاره التراث القومي والثقافي 1966 - راجع التعليق 129.

(139) بنو سفاف قبيلة عربية يرجع أصلها لعُمان ؟ أقامت على ساحل إقليم فارس Fars الذي كتب عنه بعض الجغرافيين العرب.



الغوص للبحث عن اللؤلؤ - عن مجلة (الوثيقة) البحرينية



الغوص للبحث عن اللؤلؤ - عن مجلة الشراع والمجذاف (أبو ظبي)

يربط حبلاً في وسطه، ويغوص ويتفاوتون في الصبر في الماء، فمنهم من يصبر السّاعة (140) والسّاعتين فما دون ذلك، فإذا وصل إلى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الأحجار الصّغار مثبتا في الرمل فيقتلعه بيده أو يقطعه بحديدةٍ عنده معدّة لذلك ويجعلها في مخلاة جلد منوطة بعنقه فإذا ضاق نفسه حرّك الحبل، فيحسّ به الرجل المسلك للحبل على الساحل فيرفعه إلى القارب فتُوخذ منه المخلاة ويفتح الصّدف فيوجد في أجوافها قطع لحْم تقطع بحديدة، فإذا باشرت الهواء جمدت فصارت ‖ جواهر فيجمع جميعها من صغيرٍ وكبيرٍ فيأخذ السلطان خمسه (141)، والباقي يشتريه التّجار الحاضرون بتلك القوارب وأكثرهم يكون له الدين على الغوّاصين فياخذ الجوهر في دينه أو ما وجب له منه.

246/2

---

(140) هذه القصة تؤكد أن ابن بطوطة ربما كان يعتمد فيها على حكاية للغير فإنه أولاً لم يصادف موسم الغوص... ثم ان موقع مغاص الجوهر لم يقع تحديده بوضوح... ولو أنه على ما يظهر فيما بين ميناء (طاهري) وجزيرة قيس.

هذا وقد أثارت عبارة ابن بطوطة: "منهم من يصبر الساعة والساعتين" حملات على الرحالة المغربي الذي لم يعرف المعلقون ما يقصد إليه من أن عمليات النزول إلى قعْر البحر تستمر الساعة والساعتين.. وينبغي أن نرجع للشريف الإدريسي الذي عندما كان يتحدث عن (اوال) في البحرين يذكر أنه بها يسكن رؤساء الغواصين في البحر والتجار يقصدون اليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة، يقيمون بها حتى يكون وقت الغوص. وزمانه في غشت وشتنبر فيخرجون من المدينة في أزيد من مائتي دونج مركب... ومعهم دليل ماهر... وهم خلفه في مراكبهم صفوفا لا تتعدى جريه... ويقوم هو عند الاقتضاء بالنزول إلى قعر البحر ليعرف عن امكانية نزول الأخرين، وعمق الماء في الأماكن المرشحة للغوص من قامتين إلى ثلاث... ويضع الغواص في انفه (الخنجل)، وهو شمعٌ مذاب بذهن الشيرج يسد به أنفه ويأخذ معه سكينا ومشنة يجمع فيها ما يجده هناك في الصدف، ومع كل غواص منهم حجر من وزن ربع قنطار مربوطا بحبل رقيق وثيق فيدليه في الماء مع جنب الدونج ويمسك الحبل صاحبه بهذه امساكا وثيقًا... فإذا نزل إلى قعر البحر جلس وفتح عينه في الماء... وجمع ما وجد هناك من الصدف في عجل فإن أدركه الغم كثيراً صعد مع الحبل واسترد نفسه حتى يستريح ويرجع إلى غوصه... فإذا اتم الغواصون في البحر مقدار ساعتين صعدوا ولبسوا ثيابهم وتدثروا وناموا إلى الصباح فيتجردون ويغوصون، هكذا كل يوم ... وكلما فرغوا من مكان انتقلوا إلى غيره.... ويقول الادريسي: ان الغوص صنعة تتعلم وينفق عليها الاموال ويتدرّبون في ردّ انفاسهم على آذانهم... وأعلاهم أجرة أصبرهم تحت الماء.

(141) يقدم لنا ابن بطوطة هنا معلومةً جيدة عن الضريبة التي كان يجْبيها السلطان وهي خمس اللؤلؤ المستخرج، وهي النسبة الشرعية لنصيب الدولة من الرّكاز: ما يستخرج من باطن الأرض...وهذا خلاف ما حكاه ناصر خسرو علوي عام 443 من أن سلاطين الحسا كانوا يأخذون نصف ما يستخرجه الغواصون من اللؤلؤ. يراجع البحث القيم الذي صدر بالإنجليزية في مجلة (الوثيقة) البحرينية بهذا العنوان.

PEARL Fishing in BAHRAIN By Dr Ali Ba Hussain and B.K. NARAYAN

مجلة الوثيقة البحرينية العدد 23 السبت 11 محرم 1414 يوليه 993.

ثم سافرنا من سيراف إلى مدينة البحرين (142) وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأشجار وأنهار، وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالأيدي فيوجد (143)، وبها حدائق النخل والرمّان والأترج ويزرع بها القُطن، وهي شديدة الحرّ كثيرة الرمال، وربّما غلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عُمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عُمان اليها الاّ في البحر.

247/2 وبالقرب منها جَبَلان عظيمان، يسمى أحدهما بكسَير، وهو في غربيّها ويسمى الآخر بعُوير وهو في شرقيّها وبهما ضرب المثل فقيل : كُسَير وعُوير، وكلُّ غيرِ خَيْر (144).

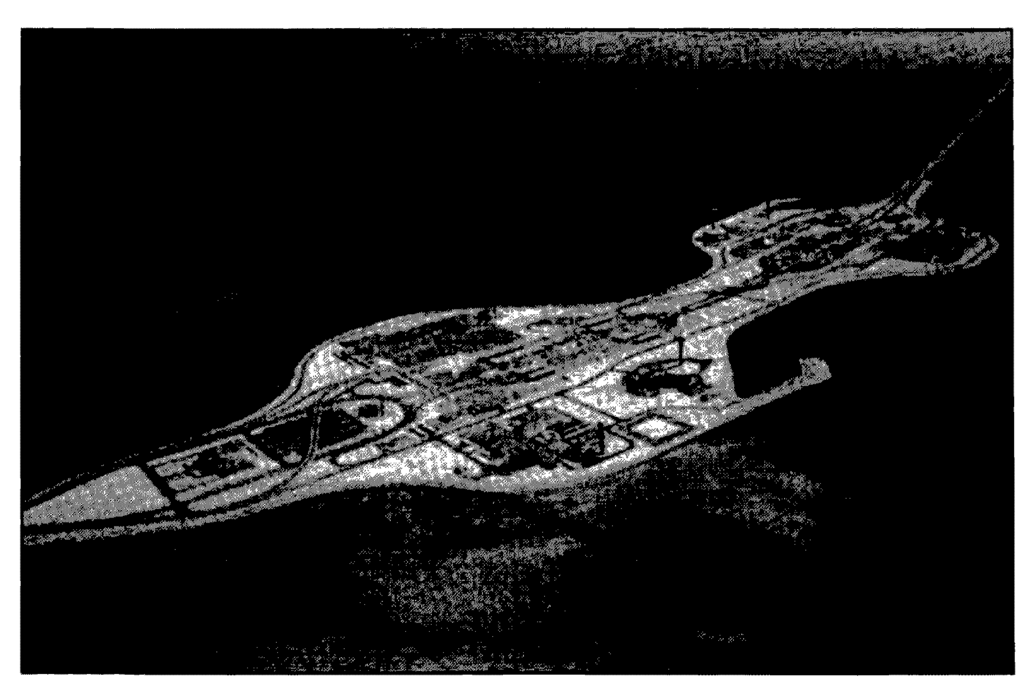
ثم سافرنا إلى مدينة القُطيف (145)، وضبط اسمها بضم القاف كأنّه تصغير قَطْف، وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخلٍ كثير يسكنها طوائف العرب، وهم رافضيّة غلاة يظهرون

(142) اسم البحرين كان يعني في ذلك العهد الساحل الذي يقع في منطقة الاحساء قبالة الجزيرة الحالية للبحرين. الجزيرة نفسها كانت تحمل اسم أوال (Awal) أو آوال، نسبة إلى صنم كانت تعبده قبيلة بكر بن وائل وكانت عاصمتها تسمى البحرين، والمدينتان الاثنتان الرئيسيتان في الساحل هما اللتان سيقع ذكرهما فيما بعد . نشكر بهذه المناسبة معالي الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة لمساعدته القيّمة...

(143) تحدثّ الشريف الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق) عن العيون التي تزخر بها أرض البحرين... وفي أثناء الوجود التركي بالبحرين كان الجنود ينزلون إلى أعماق البحر ليملأوا القِرب بالماء الحلو لرؤسائهم، وكذا أيام الاحتِلال البرتغالي... وهناك أسطورة تحكي عن جَمَل وقع في عين بالأحساء ثم وُجِد بالبحرين... GI BB : SELECTION 1929 P. 353 NOTE 28 أمل ابراهيم الزياني : البحرين، بيروت 1973 ص 19

(144) افادة ابن بطوطة تحتاج إلى تعليق سيّماوان الذين أتاحت لهم الفرصة للتردد على البحرين لا يلاحظون أثراً للجبلين المشار اليهما. و الحقيقة أن المسعودي في مروج الذهب (ج I ص 240) وهو يتحدث عن الجزائر المتناثرة في المنطقة يقول : ويقرب هذه الجزيرة جزيرة هِنجام ومنها يستقي أرباب المراكب الماء ثم الجبال المعروفة بكسير وعوير وثالث ليس فيه خير"... ويذكر ياقوت أن كسير وعوير جبلان عظيمان مشرفان على أقصى بحر عمان ... وبالعودة إلى الإخباريين نجدهم يذكرون غير هذا أو ذاك وان اصل المثل لأمامة بنت نشبة بن مرة كانت عند خالد بن رواحة من غطفان، وكان أعور فنشزت عليه فزوجها أبوها من حارثة بن مرة الشيباني وكان أعرج فنشزت عليه أيضا، وقالت عوير وكسير وكل غير خير» ! فارسلتْها مثلا...

(145) القطيف يضبطها بالتّصغير على خلاف ما عند ياقوت في معجم البلدان تقع شمال غربي جزيرة البحرين على ساحل الجزيرة العربية شمال الظهران وقد ربطت البحرين اليوم بالسعودية بجسر عظيم وكانت آخر معقلٍ للقرامطة، وقد فتحت المنطقة عام 705=1305 من قبل أحد العرب من بطن قريش يحمل إسم جرْوان المالكي حيث أنشأ دولة شيعية محلية، وقد ترجم ابن حَجَر لحفيده ابراهيم بن ناصر بن جروان، وقال أن جدّه جروان انتزع الملك من سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة القرمطي عام 705 وحكم بلاد البحرين كلها ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه ثم قام ابراهيم مقام أبيه وكان موجوداً في العشرين وثمانمائة – الدرر ج I ص 75 – أنظر كتاب القطيف تآليف محمد سعيد المسلم. الرياض 1410=1989 طبعة أولى – مع تقديري لمساعدة الأستاذ محمد سعيد البريكي – الجُبيل السعودية.



لو عاش ابن بطوطة لرأى الجسر العظيم الذي يربط بين البحرين والحجاز



قلعة الرفاع بالبحرين بناها الشيخ سلمان ابن أحمد آل خليفة قبل عام 1816

الرفض جهارًا لا يتّقون أحدًا : ويقول مؤذّنهم في أذانه بعد الشهادتين : أشهد أنّ عليًا ولّى الله، ويزيد بعد الحيعلتَين : حيّ على خيْر العمل ويزيد بعد التكبير الأخير : محمّد وعليٌّ خيْر البشر، مَن خالفهما فقد كَفَر.

248/2 ثم سافرنا منها إلى مدينة هَجَر (146) وتسمّى الآن بالحَسا بفتح الحاء والسين واهمالهما، وهي التي يضرب المثل بها فيقال : كجالب التَّمر إلى هجر، وبها من النخيل ما ليس ببلدٍ سواها، ومنه يعلفون دوابّهم وأهلها عربٌ وأكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أقصَى (147).

ثم سافرنا منها إلى مدينة اليمامة وتسمى أيضًا بحَجْر (148)، بفتح الحاء المهمل واسكان الجيم، مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب من بني حنيفة (149) وهي بلدهم قديمًا، واميرهم طُفَيل بن غانم. ثم سافرتُ منها في صحبة هذا

---

(146) هجر يذكر ياقوت أن اسمها من الهاجرة وهي شدة الحر وسط النهار كانها شبهت لشدة الحر بها بالهاجرة، وقال ابن الحائك : الهجر بلغة حمير والعَرب العاربة : القرية، فمنها هجر البحرين وهجر نجران الخ... وتعرف الحسا اليوم بالهفوف وتوجد داخل القارة، فالهفوف اذن هي هجر القديمة ومعظم المنطقة متشيّع. هذا وقد خصص خُسْرو في كتابه سفرنامه حديثا عن نقل القرامطة للحجر الأسود إلى الحسا : يزعمون أن به مغناطيس يجذب الناس اليه من أطراف الدنيا ! ولم يفقهوا أن شرف النبيّ وجلاله هما اللذان يجذبان الناس، وقد لبث الحجر في الحسا سنينَ عديدة ولم يذهب اليها أحد !! وأخيراً افتدى منهم الحجر بالمال وأعيد إلى مكانه ...! محمد الملا : تاريخ هجر.

(147) قبيلة عبد القيس احدى القبائل الرئيسية شمال شرقي الجزيرة العربية، استقرت بالمنطقة خلال القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي.

(148) حَجْر مدينة اليمامة وامّ قراها كانت عاصمة لقبيلة نجد بمنزلة البصرة والكوفة، تقع على بعد 58 ميلاً، جنوب شرق العاصمة الحالية : الرياض على خط 24°07 شمالاً و 47°25 شرقا... أكثر الشعراء من ذكرها والتشوق اليها، وقد روى عن نفْطوَيه قال : قالت أم موسى الكلابية وكان تزوجها رجلٌ من أهل حَجْر اليمامة ونقلها إلى هناك.

قد كنت أكره حَجْرًا أنْ ألم بها

وأن أعيش بأرض ذاتِ حيطان

إلى آخر المجموعة الشعرية التي أوردها ياقوت... وهكذا نسجل أن ابن بطوطة كان من الزوار الأوائل لموقع (اليمامة – حجْر) الذي لم يلبث أن أصبح منطقة تحتضن عاصمة المملكة العربية السعودية اليوم!!

(149) من المهم أن نعرف أن بني حنيفة كانو مشهورين في التاريخ بانهم كانوا يقاومون دخول الإسلام إلى منطقتهم وقد قدم وفد منهم سنة 9 من الهجرة=630 وفيهم مُسَيْلمة المشهور بالكذّاب وقد كانت بنو حنيفة من أشد العرب شوكة في حرب الردّة... – كحالة : معجم قبائل العرب هذا ويلاحظ أن معلوماته التاريخية حول هذه المنطقة تعتبر شحيحة ...

الأمير برسم الحج، وذلك في سنة ثنتين وثلاثين، فوصلت إلى مكّة شرّفها الله تعالى، وحجَّ في تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر رحمه الله وجملةٌ من امرائه، وهي آخر حجّة حجّها، وأجزل الإحسان لأهل الحرمين الشريفين وللمجاورين وفيها قَتَل الملك الناصر أمير احمد الذي يُذكر أنّه ولده وقَتَلَ أيضًا كبير أمرائه بَكْتُمُور الساقي (150).

حكاية [مقتل أمير أحمد]

ذكر أن الملك الناصر وهب لبَكْتُمور الساقي جارية، فلمّا أراد الدنوّ منها قالت له : إنّي حامل من الملك الناصر، فاعتزلها، وولدت ولدًا سمّاه بأمير احمد ونشأ في حجره، فظهرت نجابته واشتهر بابن الملك الناصر، فلمّا كان في هذه الحجّة تعاهدا على الفتك بالملك الناصر، وأن يتولى أمير أحمد الملك وحمل بَكْتُمور معه العلامات والطبول والكسوات والأموال فنمى الخبر إلى الملك الناصر فبعث عن أمير أحمد في يوم شديد الحرّ فدخل عليه وبين يديه أقداح الشرب فشرب الملك ‖ الناصر قَدَحًا وناول أمير احمد قدحًا ثانيًا فيه السمّ فشربه، وأمر بالرَّحيل في تلك الساعة ليشغل الوقت، فرحل النّاس ولم يبلغوا المنزل حتى مات أمير أحمد فاكترث بكتمور لموته وقطع أثوابه وامتنع من الطعام والشراب، وبلغ خبره إلى الملك الناصر فأتاه بنفسه ولاطفه وسلاّه وأخذ قدحًا فيه سمّ فناوله إيّاه وقال له : بحياتي عليك ألا شربت فبرّدت نار قلبك ! فشربه ومات من حينه، ووُجد عنده خلع السلطنة والأموال فتحقّق ما نسب اليه من الفتك بالملك الناصر.

250/2

---

(150) حج الملك الناصر في هذا التاريخ 732 = (2 شتنبر 1332) مذكور في المصادر الأخرى مع مقتل الأمير أحمد ومقتل كذلك بَكْتُمور عند مرجع الملك الناصر إلى القاهرة – الدرر 2، ص 19-20 – ابن إياس : بدائع الزهور ص 462.

* * *

الفصل السابع

آسيا الصُّغرى

- من جُدة إلى عيذاب - مصر - الشام.
- من اللاّذقية إلى (الأناضول) - جماعة الفتيان الأخيّة.
- في مدينة لاذق وفي قونية.
- من قونية إلى قيسارية - أرزَنجان الأرمن.
- مدينة بركي حيث اجتمع بطبيب يهودي بمجلس السلطان !
- حديث عن البطل عُمر أمير يزمير.
- بُرصَى وسلطانها أرْخَان بك بن عثمان الذي ينسب إليه العثمانيون
- في بولي حيث رأى الموقد لأول مرة !
- اجتماعه في يزنيك بالسلطان أرخان وزوجته بيلون خاتون.
- من قصطمونية إلى شبه جزيرة صنوب على البحر الأسود.

خريطة آسيا الصغرى

ولمّا انقضى الحجّ توجّهتُ إلى جدّة برسم ركوب البحر إلى اليمن والهند، فلم يُقض لي ذلك ‖ ولا تأتّى لي رفيق. وأقمت بجدة نحو أربعين يومًا وكان بها مركب لرجل يعرف بعبد الله التونسي يروم السّفر إلى القُصَير من عمالة قوص (1) فصعدت إليه لأنظر حاله فلم يُرضني ولا طابت نفسي بالسفر فيه، وكان ذلك لطفًا من الله تعالى فانّه سافر فلمّا توسّط البحر غرق بموضع يقال له : رأس أبي محمد (2) فخرج صاحبه وبعض التجار في العُشاريّ بعد جهدٍ عظيم وأشرفوا على الهلاك وهلك بعضهم وغرق سائر الناس وكان فيه نحو سبعين من الحجّاج !

251/2

ثم ركبت البحر بعد ذلك في صنبوق برسم عيذاب فردّتنا الريح إلى مرسى يعرف برأس دوائر، وسافرنا منه ‖ في البرّ مع البُجاة فسلكنا صحراء كثيرة النّعام والغزلان فيها عرب جُهَينة وبني كاهل وطاعتهم للبجاة (3) ووردنا ماءً يعرف بمفرور وماء يعرف بالجديد، ونفد زادنا فاشترينا من قوم من البُجاة، وجدناهم بالفلاة، أغنامًا وتزوّدنا لحومها.

252/2

ورأيت بهذه الفلاة صبيًا من العرب كلّمني باللّسان العربيّ وأخبرني أن البُجاة أسروه وزعم أنّه منذ عام لم يأكل طعامًا، إنّما يقتات بلبن الإبل. ونفد لنا بعد ذلك اللحم الذي اشتريناه ولم يبق لنا زاد، وكان عندي نحو حمل من التمر الصَّيحاني والبَرْنيّ (4) برسم الهديّة لأصحابي، ففرقته على الرفقة وتزوّدناه ثلاثًا.

---

(1) القُصَير : ميناء مصر على البحر الاحمر يقابل الموقع الجغرافي الذي يحمل اسم (الوجه) على ساحل الجزيرة العربية شمال جدة... وهو الميناء الأقرب إلى وادي النيل، على بعد خمس مراحل من قوص ، ويقدر هربك أن ابن بطوطة غادر جدة أوائل محرم 733 أواخر شتنبر أو أول اكتوبر 1332.

HRBEKIVAN : THE CHRONOLOGY....

(2) رأس أبي محمد لم نتمكن من تحديده – العشاري مركب يسير بالمجاذيف ليحمل المسافرين من وإلى السفن الكبرى التي تنتظرهم في عرض البحر...

(3) حول (رأس دوائر) ميناءً يوجد بين عيذاب وسواكن ج II – 160 – البجاة I، 110-111 II 161-162 – بنو كاهل II، 161-162 – جهينة II 162. وتتميما للحديث عن رأس دوائر نذكر أنه يوجد بالمنطقة مرسى دُرُور حوالي 190 ميلاً جنوب عيذاب، ويظهر أن ابن بطوطة والحالة هذه – يقصد إلى رأس راوية وساحلها المسمى خليج دخانة، حوالي 100 ميلا جنوب عيذاب Gibb II P 415.

(4) الصَّيحاني والبَرْني من أجود أنواع التمور وقد أثر عن البرني أنه يقاوم الأوجاع كما أثر عن الصيحاني أنه كان مفضلا عند الرسول عليه الصلوات، وقد ورد البرني في قصيدةٍ لمعروف الرصافي :

ونأكل الموت دون العز نمضغه   كمضغنا التمر بِرْنيًا وشهريزا

– عباس العزاوي : النخل في تاريخ العراق، بغداد 1382=1962، ص 27/14.

253/2 وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دوائر وصلنا إلى عَيذاب (5) وكان قد تقدّم ‖ إليها بعض الرفقة فتلقّانا أهلها بالخبز والتمر والماء وأقمنا بها أيّاما واكترينا الجمال، وخرجنا صحبة طائفةٍ من عَرب دُغيم ووردنا ماءً يعرف بالجُنيب وحللْنا بحُمَيْثرا حيث قبرُ وليّ الله تعالى أبي الحسن الشاذليّ، وحصلت لنا زيارته ثانية وبتنا في جواره، ثم وصلنا إلى قرية العطواني وهي على ضفّة النيل مقابلة لمدينة أدفو من الصعيد الأعلى وأجزنا النيل إلى مدينة إسنا، ثم إلى مدينة أرمنت ثم إلى الأقصر، وزرنا الشيخ أبا الحجاج الأقصري ثانية، ثم إلى مدينة قُوص ثم إلى مدينة قَنا، وزرنا الشيخ عبد الرحيم القنّاوي ثانيةً، ثم إلى مدينة هُو ثم إلى مدينة أخميم، ثم إلى مدينة أسيوط ثم إلى مدينة منفلوط ثم إلى مدينة منلوي، ثم إلى مدينة الأشمونين، ثم إلى مدينة ‖ منية ابن خصيب ثم إلى مدينة البهنسة ثم إلى مدينة بوش ثم إلى مدينة مُنية القايد، وقد تقدّم لنا ذكر هذه البلاد، ثم إلى مصر وأقمت بها أيّامًا، وسافرت على طريق بِلبيس إلى الشام ورافقني الحاجّ عبد الله بن أبي بكر بن الفرحان التوزري، ولم يزل في صحبتي سنين إلى أن خرجنا من بلاد الهند، فتوفّي بسندابور وسنذكر ذلك، فوصلنا إلى مدينة غزّة ثم إلى مدينة الخليل عليه السلام وتكرّرت لنا زيارته، ثمَّ إلى بيت المقدّس ثم إلى مدينة الرّملة، ثم إلى مدينة عكّا ثم إلى مدينة طرابلس ثم إلى مدينة جَبْلة، وزرنا إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ثانيةً، ثم إلى مدينة اللاذقية، وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلّها.

254/2

255/2 ومن اللاذقية ركبنا في قرْقورة كبيرة (6) للجنويين ‖ يسمّى صاحبها بمَرْتَلْمين (7) وقصدنا بَرّ التُّركيّة المعروف ببلاد الروم، وانّما نسبت إلى الروم لأنّها كانت بلادَهم في القديم، ومنها الروم الأقدمُون واليونانية (8)، ثم استفتحها المسلمون، وبها الآن كثير من النصارى

(5) حول عيذاب، انظر ج 1 فصل 2 تعليق 208 وحول حُمَيْثِرَا، والشاذلي، انظر ج 1 ص 40 تعليق 21-23، 27 وحول العطواني، انظر ج 1 ص 109 تعليق 187 – يلاحظ أنّ ابن بطوطة من العطواني إلى القاهرة– يعيد ذكر المحطات على خلاف الترتيب الذي قدمه في السفرة السابقة – تراجع المسالك التي مرّ بها المرة الأولى

(6) القُرقورة تعني سفينة تجارية كبيرة تتوفر على اثنين أو ثلاثة جسور. ويلاحظ أن المركب تابع لأسطول جنوة التي كانت على ذلك العهد في قمة مُلاّك السفن التجارية العاملة بالمشرق...

(7) مَرْتَلْمين لعل القصد إلى (Bartoloméo) على ما تُقدر الترجمة الفرنسية.

(8) الرّوم هو الاسم الذي أطلق من لدن العرب ثم الاتراك على البيزنطيين الاغريق ولكنه أطلق كذلك على الرومان القدماء بينما أطلقت كلمة اليونان على الاغريق القدماء عندما نقول مثلا الطب اليوناني...

تحت ذمّة المسلمين من التركمان (9)، وسرنا في البحر عشرًا بريح طيّبة، وأكرمنا النّصرانيّ ولم يأخذ منّا نَوْلا (10)، وفي العاشر وصلنا إلى مدينة العلايا (11)، وهي أول بلاد الروم.

وهذا الاقليم المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا وقد جمع الله فيه ما تفرّق من المحاسن في البلاد، فأهله أجمل الناس صورًا وأنظفهم ملابس وأطيبهم مطاعم واكثر خلق الله شفقةً، ولذلك يقال البركة في الشام والشفقة في الروم، وانّما || عني به أهل هذه البلاد، وكنّا متى نزلنا بهذه البلاد زاويةً أو دارًا يتفقّد أحوالَنا جيرانُنا من الرجال والنساء، وهنّ لا يحتجبن فإذا سافرنا عنهم ودّعونا كأنهم أقاربنا وأهلنا، وترى النساء باكياتٍ لفراقنا متأسفات.

256/2

ومن عادتهم بتلك البلاد أن يخبزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة يعدّون فيه ما يقوتهم سائرها، فكان رجالهم يأتون الينا بالخبز الحار في يوم خبزه ومعه الإدام الطيّب إطرافًا لنا بذلك، ويقولون لنا : إنّ النساء بعثن هذا إليكم وهنّ يطلبن منكم الدعاء.

وجميع أهل هذه البلاد على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه مقيمين على السُنّة لاقدرّي فيهم ولا رافضيّ ولا معتزلي ولا خارجيّ ولا مبتدع، وتلك فضيلة || خصّهم الله تعالى بها إلاّ أنّهم ياكلون الحشيش ولا يعيبون ذلك.

257/2

ومدينة العلايا التي ذكرناها كبيرة على ساحل البحر يسكنها التّركمان، وينزلها تجار مصر واسكندريّة والشام، وهي كثيرة الخشب ومنها يحمل إلى اسكندرية ودمياط ويحمل

(9) فتحت بلاد الأناضول (ANATOLIA) انطلاقًا من آسيا، من لدن التركمان الذين عمّروها في وقت سابق بعد الانتصار الذي حققه ألب ارسلان السلجوقي في ملازكيرد MALAZGIRD بتاريخ 20 ذي القعدة 463=19 غشت 1071 على الامبراطور رومانيوس الرابع وفي وقت لاحق مع تأسيس وتطور الإمارات التركية ابتداء من القرن السابع الهجري = الرابع عشر الميلادي...

(10) النّول ج أنوال : الأجرة ويعتقد كيب أن للكلمة صلةً بالمعنى التقني للكلمة الايطالية التي تعني تكلفة الشحن... ومنه الإسم بالإيطالية Nolo.

(11) العلايا هي اليوم ألانيا (ALANYA)، ربما كان الاسم في الأصل هو العلائية نسبة إلى علاء الدين كَيْقُباد بن غياث الدّين كيخسرو الأول السلطان السلجوقي لبلاد الروم : آسيا الصغرى، وتقع العلايا شرقي خليج أنطاليا Antalya وقد احتلها عام 617=1220 وحصّنها كمنفذ لدولته على البحر المتوسط وقد حكم علاء الدّين مدة 26 عاما... وتوفي عام 636=1238 بعد أن تجرع السم من يد ابنه كيخسرو الذي جلس على العرش تحت اسم غياث الدين كيخسر بن كيقباد.. إلى أن أصبح الحل والعقد في المنطقة بيد المغول... د. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت 1395=1975 ص 87.

منها إلى سائر بلاد مصر ولها قلعةٌ بأعلاها (12) عجيبةٌ منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين الروميّ، ولقيت بهذه المدينة قاضيَها جلال الدين الأرزنجانيّ، وصعد معي إلى القلعة يوم الجمعة فصلّينا بها، وأضافني وأكرمني وأضافني أيضا بها شمس الدين بن الرجِيحاني الذي توفّى أبوه علاء الدين بمالي من بلاد السودان.

ذكر سلطان العلايا

258/2 وفي يوم السبت ركب معي القاضي جلال الدين وتوجّهنا إلى لقاء ملك العلايا، وهو يوسف بَك (13) ومعنى بك : الملك، ابن قرمان بفتح القاف والراء، ومسكنه على عشر أميال من المدينة فوجدناه قاعدًا على الساحل وحده فوق رابية هنالك والأمراء والوزراء أسفل منه والأجناد عن يمينه ويساره وهو مخضوب الشّعر بالسواد فسلّمتُ عليه، وسألني عن مقدمي فأخبرته عمّا سأل وانصرفت عنه، وبعث إليّ إحسانا.

وسافرت من هنالك إلى مدينة أنْطالية (14) وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان النون وفتح الطاء المهمل والف ولام مكسور وياء كآخر الحروف، وامّا التي بالشام هي أنطاكية على وزنها إلا أن الكاف عوّض عن اللاّم، وهي من أحسن المدن متناهية في اتّساع الساحة والضخامة أجمل ما يرى من البلاد وأكثره عمارة وأحسنه ترتيبًا، وكل فرقة من سكّانها 259/2 منفردةٌ بأنفسها عن الفرقة الأخرى، فتجار النصارى ماكثون منها بالموضع المعروف بالميناء (15) وعليهم سورٌ تسدّ أبوابه عليهم ليلاً، وعند صلاة الجمعة، والروم الذين كانوا أهلها قديماً ساكنون بموضعٍ آخر منفردين به، وعليهم أيضا سور، واليهود في موضع آخر وعليهم سور، والملك وأهل دولته ومماليكه يسكنون ببلدة عليها أيضا سور يحيط بها، ويفرّق بينها وبين ما

(12) هذا الحصن كما نرى من بناء علاء الدين قيقباذ الأول على موقع بيزنطي سابق، القدرية : قوم يقولون : ان كل عبد من عباد الله خالق لفعله متمكن من عمله أو تركه بارادته، عكس الجبرية - لفظ (الجمعة) يعني به ابن بطوطة (الأسبوع) على ما هو المستعمل عند المغاربة في دارجتهم اليوم وليس القصد إلى يوم الجمعة - حول القدَري والرافضي والمعتزلي والخارجي والمبتدع تراجع دائرة المعارف الاسلامية - المبتدع : المرتكب للبدع : حول باقي العبارات انظر دائرة المعارف الإسلامية.

(13) فتحت العلايا عام 692=1293 من قبل أصحاب قرمان أغْلوا الذين خلفوا السلاجقة في المركز الجنوبي للأناضول، العمري الجغرافي المعاصر لابن بطوطة المتوفى 749=1349 يذكر كذلك اسم يوسف كحاكم للعلايا باسم قرمان أو غلو، بيد أن هذه الشخصية لم تظهر ضمن شجرة هذه الدولة ...

(14) أنْطاليا هي بالتركية اداليا ADALIA، وفي العصر الوسط سميت ساطاليا، احتلت عام 603=1207 من قبل الملك السلجوقي غياث الدين كيْخُسرو الاول (KAYHUSRIO) ثم بعد ذلك احتلت من لدن التركمان بزعامة تيك أوغلو.

(15) يلاحظ من خلال هذه الافادة وجود التجار المسيحيين وكذا اليهود في هذا الموقع...

ذكرناه من الفرق، وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى، وبها مسجد جامع ومدرسة وحمّامات كثيرة وأسواق ضخمة مرتّبة بأبدع ترتيب، وعليها سور عظيم يحيط بها، وبجميع المواضع التي ذكرناها، وفيها البساتين الكثيرة والفواكه الطّيبة والمشمش العجيب المسمّى عندهم بقمر الدين، وفي نواته لوزٌ حلو وهو ييبس ويحمل إلى ديار مصر، وهو بها مستطرف، وفيها عيون الماء الطيّب العذب الشديد البرودة في أيّام الصيف. ونزلنا من هذه المدينة بمدرستها، وشيخُها شهاب الدين الحمويّ، ومن عادتهم أن يقرأ جماعة من الصبيان بالأصوات الحسان بعد العصر من كلّ يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة أيضا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عمّ (16). 260/2

ذكر الأخيّة الفِتيان (17).

واحد الأخية أخي على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلّم إلى نفسه، وهم بجميع البلاد التُركمانيّة الروميّة في كل بلدٍ ومدينةٍ وقرية، ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفالاً بالغرباء من الناس وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج، والأخذ على أيدي الظّلَمة، وقتل الشُرَط ومن لحق بهم من أهل الشرّ. 261/2

والأخي عندهم : رجل يجتمعُ أهل صناعته وغيرهم من الشبّان الأعزاب والمتجرّدين ويقدّمونه على أنفسهم، وتلك هي الفتوّة (18) أيضًا، ويَبْنِي زاويةً ويجعل فيها الفرش والسُرُج، وما يحتاج اليه من آلات، ويخدم أصحابه بالنهار في طلب معائشهم ويأتون إليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيشترون به الفواكه والطعام إلى غير ذلك ممّا ينفق في الزّاوية، فإذا ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافته لديهم، ولا يزال عندهم حتى ينصرف، وإن لم يرد وارد اجتمعواهم على طعامهم فأكلوا وغنّوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعتهم بالغدوّ، وأتوا بعد العصر إلى مُقدّمهم بما اجتمع لهم. 262/2

ويسمّون بالفِتْيان، ويسمّى مقدّمهم كما ذكرنا الأخي، ولم أر في الدنيا أجمل أفعالاً منهم، ويشبههم في أفعالهم أهل شيراز وإصفهان إلاّ أنّ هؤلاء أحبّ في الوارد والصادر وأعظم اكرامًا له وشفقةً عليه. وفي الثاني من يوم وصولنا إلى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء

---

(16) السورة 48 و 67 و 78 من القرآن الكريم.

(17) هاته الجماعة (الأخية) يمكن ترتيبها بين الزاوية الدينية، وبين الرابطة المهنية، : تنظيم أصيل في آسيا الصغرى في عهد الفتوح والثورات السياسية والدينية، والجدير بالذكر أن معظم المعلومات التي نتوفر عليها حول هذه الجماعة هي التي قدمها لنا هذا الرحالة المغربي ...

(18) الفتوّة رابطة مهنية وشعبية حضرية في العالم الإسلامي، وعلى ذلك العهد وجدنا أن الأخية والفتوة يرتبطان معًا بالزاوية الصوفية. الموسوعة الإسلامية Ency. ISLAM.



الفتيان إلى الشيخ شهاب الدين الحمويّ وتكلّم معه باللّسان التركيّ، ولم أكن يومئذ أفهمه (19)، وكان عليه أثواب خلقة وعلى رأسه قَلَنْسُوة لبد، فقال لي الشيخ : أتعلم ما يقول هذا الرجل؟ لا أعلم ما قال، فقال لي أنّه يدعوك إلى ضيافته أنت وأصحابك فعجبت منه وقلت له نعم، فلمّا انصرف، قلت للشيخ : هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضييفنا ولا نريد أن نكلّفه، فضحك الشيخ، وقال لي : هذا أحد شيوخ الفتيان الأخيّة، وهو من الخرّازين، وفيه كرم نفس وأصحابه نحو مائتين من أهل الصناعات قد قدّموه على أنفسهم وبنوا زاويةً للضيافة وما يجتمع لهم بالنّهار أنفقوه بالليل.

263/2

فلمّا صلّيت المغرب عاد إلينا ذلك الرجل وذهبنا معه إلى زاويته فوجدنا زاويةً حسنة مفروشة بالبسط الروميّة الحسان، وبها الكثير من ثريّات الزجاج العراقي.

وفي المجلس خمسة من البَيَاسيس والبيْسُوس شبه المنارة من النحاس له أرجلٌ ثلاث وعلى رأسه شبه جلاّس من النحاس وفي وسطه أنبوب للفتيلة، ويملأ من الشّحم المذاب، وإلى جانبه آنية نحاس ملأى بالشحم وفيها مقراضٌ لإصلاح الفتيل، وأحدهم موكّل بها، ويسمّى عندهم الجِراجي (20).

264/2

وقد اصطفّ في المجلس جماعةٌ من الشبّان ولباسهم الأقبية (21)، وفي أرجلهم الأخفاف، وكل واحد منهم متحزّم، على وسطه سكّين في طول ذراعين، وعلى رؤسهم قلانسُ (22) بيض من الصوف، بأعلى كلّ قلنسوةٍ قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض أصبعين، فإذا استقرّ بهم المجلس نزع كلُّ واحدٍ منهم قلنسوة ووضعها بين يديه، وتبقى على رأسه

---

(19) يعلّق كيب على هذا بأن ابن بطوطة في قوله "يومئذ" انما كان يتبجح ! والا فانه لم يكن في استطاعته أن يعرف التركية حتى فيما بعد ...! لكن يبدو لنا من خلال تتبُّع الرّحالة المغربي أنّه، على العكس من ذلك، أمسى بالفعل يتوفر على نصيبٍ من هذه اللغة ولو أن بضاعته في الفارسية كانت أكثر وأوفر على ما نرى...

(20) كلمة البَيْسُوس من أصل فارسي PIH-SUZ، وكذلك كلمة الجراجي فإن أصلها شيراغجي (Chiraghji) ، والمصباح يحمل اسم جراغ (CHIRACH).

(21) جمع قباء : لباس فضفاض،

خاط لي عمرُو قباء ليت عينَيْه سواء !!

(22) أصبحت القلانس فيما بعد هي الشعار الذي اتخذه الجيش الانكشاري للإمبراطورية العثمانية على ما يذكر ...

قلنسوة أخرى من الزَّرْدَخانيّ (23)، وسواه حسنة المنظر، وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين.

ولمّا استقرّ بنا المجلس عندهم أتو بالطعام الكثير والفاكهة والحلواء ثم أخذوا في الغناء 265/2 والرقص، فراقنا حالهم وطال عجبُنا من سماحهم وكرم أنفسهم وانصرفنا عنهم آخر الليل وتركناهم بزاويتهم.

ذكر سلطان أنطاليا

وسلطانها خُضر بَك بن يوسف بك (24)، وجدناه عند وصولنا إليها عليلاً، فدخلنا عليه بداره وهو في فراش المرض فكلّمنا بألطف كلام وأحسنه وودّعناه وبعث إلينا بإحسان، وسافرنا إلى بلدة بُرْدُور (25) وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وضم الدال المهمل وواو وراء، وهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين والأنهار، ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا بدار خطيبها واجتمعت الأخيّة، وأرادوا نزولنا عندهم، فأبى عليهم الخطيب فصنعوا لنا 266/2 ضيافةً في بستان لأحدهم وذهبوا بنا إليها فكان من العجائب إظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح. وهم لا يعرفون لساننا ونحن لا نعرف لسانهم ولا ترجمان فيما بيننا، وأقمنا عندهم يومًا وانصرفنا.

(23) الزردخاني : الكلمة من أصل فارسي الزَّرْد (يعني اللون الأصفر)، ويبدوا أنه ثوب حريري شفاف. وفي المغرب وبفاس على الخصوص كان الناس يطلقون الزردخان على نوع من القماش الشبيه بالملف الا أنه أقل منه قيمة ...

(24) هذه الدولة التركمانية التي تحكمت طوال القرن الرابع عشر في ساحل خليج أنطاليا (اداليا) وفي القواعد الخلفية للبلاد التي تعرف "بمنطقة الترك" تكوّن هذه الدولة فرعين اثنين انحدرا من أخوين: الأول دونْدار (Dundar) الذي سيُعرف المنحدرون منه باسم آل حميد أوغلو في إكريدير (EGRIDIR) الثاني يونس (Yunus)، الذي سيُكوّن أسرة تِيكْ أوغلو في أنطاليا-(التعليق 14) تمرتاش ابن النوين جوبان هو الذي سيُخضع الفرعين معًا عام 724=1324، وسيعطي أنطاليا لأحد أبناء يونس، يسمى محمود لكن بعد فرار تمرتاش إلى الناصر عام 727=1327، قام ولدٌ له آخر يحمل اسم خضر بضبط أنْطاليا ... وهو الذي يحكي عنه ابن بطوطة... والمهم في حياة تمرتاش هذا أنه اصابته لوثة في عقله فزعم انه المهدي المنتظر فبلغ أباه ذلك وركب اليه وردّه عن هذا المعتقد ثم ولاه ابو سعيد الحكم في بلاد الروم. وبعد أن قتل أخوه دمشق خُجَا خاف من بوسعيد ففر إلى مصر حيث قوبل بالترحاب، وكانت المهادنة بين الناصر وبين أبي سعيد فكتب هذا للناصر يطلب رأس تمرتاش وطلب الناصر في مقابلة ذلك رأسَ قراسُنقرا وكان قتل تمرتاش في رمضان 728 يوليه - غشت 1328 الدرر 2، 53.

(25) بُرْدور الحالية على مقربة من البركة التي تحمل نفس الاسم على بعد 160كـ.م شمال أنْطاليا. لم يبق أي أثر للقلعة التي ذكرها ابن بطوطة.

ثم سافرنا من هذه البلدة إلى بلدة سَبَرْتا (26) وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة واسكان الراء وفتح التاء المعلوّة وألف، وهي بلدة حسنة العمارة والأسواق كثيرة البساتين والأنهار، لها قلعة في جبل شامخ وصلناها بالعشيّ، ونزلنا عند قاضيها، وسافرنا منها إلى مدينة أكْرِيدُور (27)، وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مدّ ودال مهمل مضموم وواو مدّ وراء، مدينة عظيمة كثيرة العمارة، حسنة الأسواق ذات أنهار وأشجار وبساتين ولها بُحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها يومين إلى أقشَهَر وبقشَهْر وغيرهما من البلاد والقرى(28) ونزلنا منها بمدرسةٍ تقابل الجامع الأعظم بها 267/2 المدرس العالم الحاجّ المجاور الفاضل مصلح الدين، قرأ بالدّيار المصريّة والشام وسكن العراق مدّة وهو فصيح اللسان، حسن البيان، أطروفة من طرف الزمان، أكرمنا غاية الاكرام، وقام بحقّنا أحسن قيام.

ذكر سلطان أكريدور

وسلطانها أبو إسحاق بَك بن الدُّنْدَاربك (29)، من كبار سلاطين تلك البلاد سكن ديار مصر أيّام أبيه، وحجّ وله سِيَر حسنة، ومن عادته أنه يأتي كل يوم إلى صلاة العصر بالمسجد الجامع فإذا قضيت صلاة العصر استند إلى جدار القبلة وقعد القرّاء بين يديه على مصطبة خشب عالية فقرأوا سورة الفتح والمُلك وعمّ، بأصوات حسان فعّالة في النفوس 268/2 تخشع لها القلوب وتقشعرّ الجلود وتدمع العيون، ثم ينصرف إلى داره، وأظلّنا عنده شهر رمضان (30) فكان يقعد في كلّ ليلة منه على فراش لاصقٍ بالأرض من غير سرير، ويستند

(26) سبرتا (ISPARTA) على بعد 22 ك.م. شرقي برْدور احتلت أولاً عام 599=1203 من قبل السلاجقة، وكانت على ما يذكر المؤرخون تمتاز على سائر مدن انطاليا في مائها ومناخها...

(27) القصد إلى إكريدير (EGRIDIR) على بعد 30 ك.م شمال شرق إسبُرتا جنوب طرق البحيرة التي تحمل نفس الاسم، كانت على ذلك العهد عاصمة لدُنْدار بك الذي أعطاها اسم فلك أباد، أخذا من اسمه فلك الدّين.

(28) توجد أقشَهر (AKSHEHIR) على بعد 125 ك.م شمال شرقي أكريدير، وراء جبال السلطان دا غ أما بقشهر BEYSHEHIR فتقع في الجنوب الشرقي، على ساحل البحيرة التي تحمل نفس الاسم. ويبدو أن ابن بطوطة يقصد بقوله وغيرهما من البلاد والقرى، أنه بقطع هذه البحيرة يمكن للمرء أن يقف على مواقع أخرى...

(29) إبو اسحاق هو الملك الثالث من دولة حميد أوغلو دوندار ابن حميد الذي كان له لقب فلك الدّين توفر على عدد كبير من المواقع بيد أنه عام 1324=724 انهزم وقتل من لدن تمُرتاش ابن الجوبان وبعد فرار هذا الأخير إلى القاهرة تولى أبو اسحاق الأمر على قسم من منطقة شمال المملكة التي ما تزال تحمل اسم حميد إلي Hamid-eli.

(30) أول شهر رمضان لسنة 733 يوافق 16 ماي 1333.

إلى مخدّةٍ كبيرة، ويجلس الفقيه مصلح الدين إلى جانبه، وأجلس إلى جانب الفقيه، ويلينا أرباب دولته وأمراء حضرته ثم يؤتي بالطعام، فيكون أوّلَ ما يفطر عليه ثريدٌ في صحفة صغيرة، عليه العدس مسقى بالسمن والسكّر، ويقدّمون الثريد تبرّكا، ويقولون : إن النبيّ صلى الله عليه وسلم فضّله على سائر الطعام فنحن نبدأ لتفضيل النبيّ له، ثم يؤتى بسائر الأطعمة، وهكذا فعلهم في جميع ليالي رمضان.

وتوفّى في بعض تلك الأيام ولد السلطان فلم (31) يزيدوا على بكاء الرحمة كما يفعله أهل مصر والشام خلافًا لما قدّمناه من فعل أهل اللّور حين مات ولد سلطانهم، فلمّا دفن أقام السلطان والطلبة ثلاثة أيّام يخرجون إلى قبره بعد صلاة الصبح، وفي ثاني يومٍ من دفنه خرجتُ مع الناس فرءاني السلطان ماشيًا على رجليّ فبعث لي بفرسٍ واعتذر فلمّا وصلت المدرسة بعثت الفرس فردّه وقال إنّما أعطيته عطيّة لا عاريّة وبعث إليّ بكسوة ودراهم، فانصرفنا إلى مدينة قُلْ حِصار (32)، وضبط اسمها بضمّ القاف واسكان اللام ثم حاء مهمل مكسور وصاد مهمل وآخره راء، مدينة صغيرة بها المياه من كل جانب قد نبتَتْ فيها القصب فلا طريق لها إلاّ طريق كالجسر مهيأ ما بين القصب والمياه لا يسع إلاّ فارسًا واحدًا، 270/2
والمدينة على تلٍّ في وسط المياه منيعة لا يُقدر عليها ونزلنا بزاوية أحد الفتيان الأخيّة بها.

ذكر سلطان قُل حصار.

وسلطانها محمّد جلبي، وجَلَبى بجيم معقود ولام مفتوحين وباء موحدة وياء، وتفسيره بلسان الروم سيّدي (33)، وهو أخو السلطان أبي إسحاق ملك أكريدور، ولمّا وصلنا لمدينته كان غائبًا عنها فأقمنا بها أيّامًا ثم قدم فأكرمنا وأركبنا وزوّدنا وانصرفنا على طريق قَرَا أغَاجْ (34)، وقَرَا بفتح القاف تفسيره أسود، وأغاج بفتح الهمزة والغين المعجم وآخره جيم تفسيره الخشب، وهي صحراء خَضِرةٌ يسكنها التركمان، وبعث معنا السلطان فرسانًا يبلّغوننا إلى مدينة لاذق، بسبب أن هذه الصحراء يقطع الطريقَ فيها طائفةٌ يقال لهم 271/2

(31) كان الأمير الذي توفي هو ولد أخيه محمد سلطان قولهزار Golhisar الذي سيخلف إسحاق.

(32) (قل حصار) قل هزار GUL-Hisar حصن يقع في جزيرة على بحيرة 90 كـم. جنوب غرب بُرْدور ترتبط مع الأرض بواسطة ممر صغير...

(33) هذا النعت (شلبي) أعطي لرؤساء المتصوفة وللأمراء ثم أعطي أيام العثمانيين للفقهاء والأدباء.

(34) قرا أغاج ASI-KARA-AGHACH ويعرف اليوم تحت إسم (Garbi Kara-Aghac) منطقة سهلية قاعدتها مدينة تحمل اسم اسيبّايام (ACIPAYAM) 45 كـم جنوب شرق مدينة دونيزلي (Denizli) – انظر الخريطة.

الجَرْميان (35) يذكر انهم من ذرّية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها كُوتاهية فَعَصمنا الله منهم.

ووصلنا إلى مدينة لاذِق، وهي بكسر الذال المعجم وبعده قاف، وتسمّى أيضا دون غُزْلُه (36)، وتفسيره بلد الخنازير، وهي من أبدع المدن وأضخمها، وفيها سبعة من المساجد لإقامة الجمعة ولها البساتين الرائقة، والأنهار المطرّدة، والعيون المُنبعة، وأسواقها حسان، وتصنع بها ثياب قطن مُعلمة بالذهب لا مثل لها، تطول أعمارها لصحّة قُطنها وقوّة غزْلها، وهذه الثياب معروفة بالنسبة إليها، وأكثرُ الصنّاع بها نساء الروم، وبها من الروم كثير تحت الذمّة، وعليهم وظائف للسلطان من الجزية وسواها. 272/2

وعلامة الروم بها القلانس الطوال، منها الحمر والبيض ونساء الروم لهنّ عمائم كبار، وأهل هذه المدينة لا يغيّرون المنكر بل كذلك أهل الاقليم كلّه، وهم يشترون الجواري الروميّات الحسان ويتركونهنّ للفساد، وكلّ واحدةٍ عليها وظيف لمالكها تؤدّيه له، وسمعت هنالك أنّ الجواري يدخلن الحمّام مع الرجال، فمن أراد الفساد فعل ذلك بالحمّام من غير منكر عليه، وذكر لي انّ القاضي بها له جوارٍ على هذه الصورة ! 273/2

وعند دخولنا لهذه المدينة مررنا بسوقٍ لها فنزل إلينا رجالٌ من حوانيتهم واخذوا بأعنّة خيلنا، ونازعهم في ذلك رجالٌ آخرون، وطال بينهم النزاع حتّى سلّ بعضهم السكاكين، ونحن لا نعلم ما يقولون، فخِفنا منهم وظننّا أنّهم الجَرْميان الذين يقطعون الطرق، وان تلك مدينتهم، وحسبنا أنّهم يريدون نهبنا، ثم بعث الله لنا رجلاً حاجّا يعرف اللسان العربيّ فسألته عن مرادهم منّا، فقال : إنهم من الفتيان وان الذين سبقوا الينا أوّلاً هم أصحاب

(35) الجيرميان أوغلو : هم وحدهم الذين لن يزور ابن بطوطة مملكتهم التركمانية... المعلومات التي قدمها ابن بطوطة يظهر أنها مستمدة من بعض الأمراء الذين يواجهون عدوان (الجيرميان أوغلو) الذين كانت قاعدة مملكتهم في الوسط الغربي : كوتاهية (KUTAHYA) لا منفذ لهم إلا عن طريق الإمارات المجاورة (انظر الخريطة)، ويؤكد العُمَري ما يتحدث به ابن بطوطة من عدوان الجيرميان أوغلو - انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة Germianoghlu.

(36) لاذق أصلا هي المدينة العتيقة التي تحمل اسم لَوْذيكية LAODICAEA، وقد تحول هذا الإسم إلى لاذق عند افتتاحها - تقع على بعد خمسة كيلومترات شمال Denizli.

- أما عن اسم (دونْغُزْلُه) (DONGOUZLOU) فهو مركب من أصل تركي دونوز (Dunuz) مع لاحقة (Lu) : دونوزلو، وقد كان هذا الموقع يتوفر على المياه والهضاب حتى لَكان يدعى أحيانا دمشق "الأناضول" وكانت لبعض الوقت يقع عليها الإختيار من لدن إلْخان غازان خان ليتخذ منها منزلا صيفيا... حيث كان اسمها يكتب على نفس ما نراه اليوم : دُون غزله - انظر تعليق الإثنين D.S. ص 456 رقم 271.

الفتى أخي سنان والآخرون أصحاب الفتى أخي طومان (37)، وكل طائفة ترغب أن يكون نزولكم عندهم، فعجبنا من كرم نفوسهم، ثم وقع بينهم الصلح على المقارعة، فمن كانت قرعته نزلنا عنده أولاً، فوقعت قرعة أخي سنان، وبلغه ذلك، فأتى إلينا في جماعةٍ من أصحابه فسلّموا علينا ونزلنا بزاويةٍ له وأتى بانواع الطعام ثم ذهب بنا إلى الحمّام، ودخل معنا وتولّى

274/2 خدمتي بنفسه، وتولّى أصحابه خدمة أصحابي يخدم الثلاثة والأربعة الواحدَ منهم، ثم خرجنا من الحمّام فاتوا بطعام عظيم وحلواء وفاكهة كثيرة. وبعد الفراغ من الاكل قرأ القراءُ آياتٍ من الكتاب العزيز، ثم اخذوا في السماع والرقص واعلموا السلطان بخبرنا، فلمّا كان من الغد بعث في طلبنا بالعشيّ، فتوجهنا إليه وإلى ولده كما نذكره، ثم عدنا إلى الزاوية فألْفينا الأخى طومان وأصحابه في انتظارنا فذهبوا بنا إلى زاويتهم، ففعلوا في الطعام والحمّام مثل أصحابهم وزادوا عليهم أن صبّوا علينا ماء الورد صبّا بعد خروجنا من الحمّام

275/2 ثم مضوا بنا إلى الزاوية ففعلوا أيضا من الاحتفال في الأطعمة والحلواء والفاكهة وقراءة القرآن بعد الفراغ من الأكل ثم السماع والرقص كمثل ما فعله أصحابهم أو أحسن وأقمنا عندهم بالزاوية أيّاماً.

ذكر سلطان لاذق

وهو سلطان يَنَنجْ بَك (38) واسمه بياء آخر الحروف مفتوحة ثم نونين اولاهما مفتوحة والثانية مسكنة وجيم، وهو من كبار سلاطين بلاد الروم ولمّا نزلنا بزاوية أخي سنان كما قدّمناه، بعث الينا الواعظ المذكّر العالم علاء الدين القَسْطمونيّ، واستصحب معه خيلاً بعددنا، وذلك في شهر رمضان فتوجّهنا إليه وسلّمنا عليه.

ومن عادة ملوك هذه البلاد التواضعُ للواردين ولين الكلام وقلّة العطاء فصلّينا معه

276/2 المغرب وحضر طعامه فأفطرنا عنده، وانصرفنا وبعث الينا بدراهم ثم بعث عنّا ولده مراد بك وكان ساكنًا في بستان خارج المدينة، وذلك في ابّان الفاكهة وبعث أيضا خيلاً على عددنا كما فعله أبوه فأتينا بستانه وأقمنا عنده تلك الليلة وكان له فقيه يترجم بيننا وبينه، ثم انصرفنا غدوة.

---

(37) عندما مرّ أوليا شلبي Evliya Tchelebi الرحالة التركي بمدينة (دُنِزْلي) حوالي 1060=1650 وجد هناك مقبرة أخي سنان وأخي تومان والناس يعتبرونهما في عداد الأولياء. د. التازي، القدس والرحالة المغاربة.

(38) كانت لاذق قد اعطيت من لدن السلاجقة لأبناء أحد وزرائهم الصاحب أتا عند نهاية القرن السابع الهجري = القرن الثالث عشر الميلادي وفي أثناء حركة توسعهم وجدنا الجرميان يدخلون في صراع مع حفدة الصاحب أتا وهكذا تعاقبت الأيدي على لاذق ليؤول أمرها في الأخير عام 688 = 1289 إلى علي بك الذي ينتمي إلى أسرة جيرميان وينّنج بك Inanch المذكور هنا هو ابن لهذا الأخير توفي بعد سنة 738 = 1335، وابنه مراد أرسلان الذي سيذكر فيما بعد هو الذي خلفه..

وأظلّنا عيد الفطر بهذه البلدة (39) فخرجنا إلى المصلّى وخرج السلطان في عساكره والفتيان الأخية، كلهم بالأسلحة، ولأهل كل صناعة الأعلام والبوقات والطبول والأنفار، وبعضهم يفاخر بعضاً ويباهيه في حسن الهيأة، وكمال الشّكة، ويخرج أهل كل صناعة معهم البقر والغنم وأحمال الخبز، فيذبحون البهائم بالمقابر ويتصدّقون بها وبالخبز، ويكون خروجهم أوّلاً إلى المقابر، ومنها إلى المصلّى ولمّا صلّينا صلاة العيد دخلنا مع السلطان إلى منزله وحضر الطعام فجُعل للفقهاء والمشائخ والفتيان سماط على حدة وجعل للفقراء والمساكين سماط على حدة، ولا يُردّ عن بابه في ذلك اليوم فقير ولا غني، وأقمنا بهذه البلدة مدّةً بسبب مخاوف الطريق، ثم تهيّأت رفقةٌ فسافرنا معهم يومًا وبعض ليلة، ووصلنا إلى حصن طَوَاس (40)، واسمه بفتح الطاء وتخفيف الواو وآخره سين مهمل، وهو حصن كبير، ويذكر أنّ صُهيْبا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه من أهل هذا الحصن (41)، وكان مبيتنا بخارجه، ووصلنا بالغد إلى بابه فسألنا أهله من أعلى السور عن مقدمنا، فأخبرناهم، وحينئذ خرج أمير الحصن إلياس بك (42) في عسكره ليختبر نواحي الحصن والطريق خوفًا من إغارة السرّاق على الماشية، فلمّا طافوا بجهاته خرجت مواشيهم، وهكذا فعلهم أبدًا.

277/2

278/2

ونزلنا من هذا الحصن بربضه في زاوية رجل فقير، وبعث الينا أمير الحصن بضيافة وزاد، وسافرنا منه إلى مُغْلة (43)، وضبط اسمها بضم الميم واسكان الغين المعجم وفتح اللام، ونزلنا بزاوية أحد المشايخ بها، وكان من الكرماء الفضلاء يكثّر الدخول علينا بزاويته ولا يدخل إلاّ بطعام أو فاكهة أو حلواء، ولقينا بهذه البلدة ابراهيم بَك ولد سلطان مدينة ميلاس وسنذكره، فأكرمنا وكسانا ثم سافرنا إلى مدينة ميلاس (44) وضبط اسمها بكسر الميم وياء

(39) كان ذلك يوافق 15 يونيه 1333.

(40) حصن طَوَاس، هو TAVAS الحالية، على بعد 40 كلم جنوب دُنِزْلي (DENIZLI) وقد ذكرها العُمري كإمارة...

(41) صهيب بن سنان حسب ما روته المصادر ولد بالموصل وأن الروم أغارت على الناحية فسبَوه وهو صغير فنشأ بينهم وكان ألكن، ثم اشتُرِى وقدِم إلى مكة حيث احترف التجارة واعتنق الإسلام وهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم أدركه أجله عام 38 = 359 وهو المقصود في الأثر الذي حفظناه ونحن ندرس معاني (لولم) في العربية نعم العبد صُهَيب لولم يخف الله لم يعصِه...

(42) إلياس بك ذكر من لدُن ابن فضل الله العمري كأمير مملكة كان مركزها طواس التي قضي عليها في أعقاب ذلك من لدُن مَنْتشا (MENTECHE) على ما سيأتي ...

(43) تقع مغلة MUGLA على بعد 75 كلم على الطريق جنوب غرب طواس مغلة الحالية، لقد دخل ابن بطوطة هنا في إمارة منتشا

(44) تقع ميلاس على بعد 81 كـ.م شمال غرب مُغْلة، اليوم هي ولاية ثانية لهذه المدينة الأخيرة، هي بالذات ميلازا (MYLASA) القديمة عاصمة لاكاري LACARIE-CARIA) احتلت المنطقة عام 659=1261 من لدن التركمان باسم السلاجقة

مدّ وآخره سين مهمل، وهي من أحسن بلاد الروم وأضخمها، كثيرة الفواكه والبساتين والمياه، نزلنا منها بزاوية أحد الفتيان الأخيّة ففعل أضعاف ما فعله من قبله من الكرامة و الضيافة ودخول الحمّام وغير ذلك من حميد الأفعال، وجميل الأعمال. 279/2

ولقينا بمدينة ميلاس رجلاً صالحًا معمّرًا يسمّى بَابا الششتريّ (45) ذكروا أنّ عمره يزيد على ماية وخمسين سنة وله قوّة وحركة وعقله ثابت وذهنه جيّد دعى لنا وحصلت لنا بركته.

ذكر سلطان ميلاس.

وهو السلطان المكرّم شجاع الدين أُرْخان بك بن المَنْتَشَا (46)، وضبط اسمه بضمّ الهمزة واسكان الراء وخاء معجم وآخره نون، وهو من خيار الملوك حسن الصورة والسيرة جلساؤه الفقهاء، وهم معظّمون لديه، وببابه منهم جماعة، منهم الفقيه الخوارزميّ عارف بالفنون فاضل، وكان السلطان في أيام لقائي له واجدًا عليه بسبب رحلته إلى مدينة أيا سلوق ووصوله إلى سلطانها وقبول ما أعطاه، فسأل منّي هذا الفقيه : أن أتكلّم عند الملك في شأنه بما يذهب ما في خاطره فأثنيت عليه عند السلطان وذكرت ما علمته من علمه وفضله، ولم أزلْ به حتى ذهب ما كان يجده عليه، وأحسن إلينا هذا السلطان وأركبنا وزوّدنا. 280/2

وسُكناه في مدينة بَرجين وهي، قريبة من ميلاس بينهما ميلان (47)، وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة واسكان الراء وجيم وياء مدّ وآخره نون، وهي جديدة على تلّ هنالك، بها العمارات الحسنة والمساجد، وكان قد بنى بها مسجدًا جامعًا لم يتمّ بناؤه (48) بعد، وبهذه البلدة لقيناه، ونزلنا منها بزاوية الفتى أخي عليّ، ثم انصرفنا بعد ما أحسن إلينا كما 281/2

(45) ذكر الرحالة التركي أوليا شلبي سالف الذكر أن قبر الششتري موجود إلى اليوم، وأنه موضع عناية ورعاية من لدن سكان ميلاس.

(46) يذكر أن المنطقتين القديمتين : ليسي (LYCIE) وكاري (CARIE) اللتين كانتا بحوزة البيزنطيين، احتلتا من لدن التركمان الذين وردوا من البحر انطلاقًا من سواحل خليج انطاليا. مينتشي I (MENTECHE) المؤسس الأول الذي تسمى الدولة به توفي بعد عام 680=1282 تاركًا ولدًا (مسعود) في ميلاس، كما ترك ولدًا آخر (كرمان) في فِينيك خَلَف مسعود كان هو ولده أُرخان 718=1319 إلى ما قبل 744=1344. الشخصية التاريخية التي التقى بها ابن بطوطة هو الذي قام عام 1320 بمهاجمة رودس RHODES وقد خلفه ولده ابراهيم الذي ذكره رحالتنا في مغْلة.

(47) برجين (PECHIN) على بعد خمسة كيلوميترات جنوب ميلاس.

(48) هناك نقش على هذا المسجد يحمل حسب الرحالة التركي أوليا شلبي سالف الذكر تاريخ 7(3)2 = 1331 بيد أن الرقم الوسط غير مؤكد وبما أن زيارة ابن بطوطة تمت بتاريخ 731 فإن الأمر يحتاج إلى تأويل ولعلّ التاريخ المنقوش تاريخ إتمام البناء.

قدّمناه إلى مدينة قُونْية (49) وضبط اسمها بضم القاف وواو مدّ ونون مسكن وياء آخر الحروف، مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكه، وبها المشمش المسمّى بقمر الدين وقد تقدّم ذكره ويحمل منه أيضا إلى ديار مصر والشام، وشوارعها متّسعة جداً، وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة، ويقال : إن هذه المدينة من بناء الاسكندر، وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان، وسنذكره، وقد تغلّب عليها صاحب العراق في بعض الأوقات لقربها من بلاده التي بهذا الإقليم، نزلنا منها بزاوية قاضيها، ويعرف بابن قَلَم شاه (50)، وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا، وله طائفة كبيرة من التلاميذ، ولهم في الفتوّة سند يتّصل 282/2 إلى أمير المومنين عليّ بن أبي طالب (54) عليه السلام ولباسها عندهم السّراويل (52) كما تلبس الصوفيّةُ الخرقة.

وكان صنيع هذا القاضي في إكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله وأجمل، وبعث ولده عوضًا منه لدخول الحمّام معنا، وبهذه المدينة تربة الشيخ الإمام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا (53)، وكان كبير القدر، وبأرض الروم طائفة ينتمون اليه ويعرفون

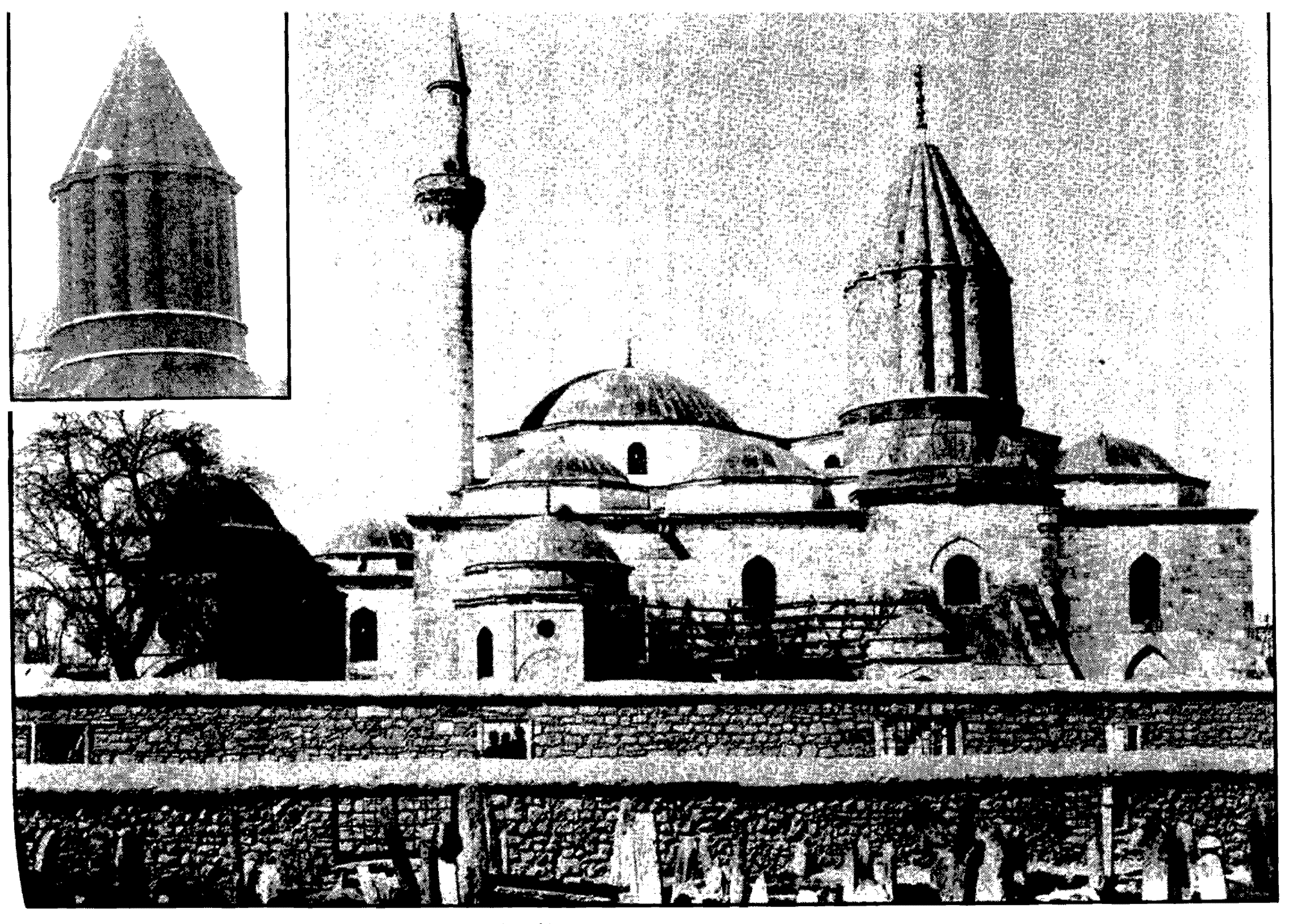
(49) فوجيْ الذين يتتبعون تنقلات ابن بطوطة عبْر الخريطة ويعيشون معه وهو في ميلاس غرب أنطاليا، فوجئوا وهم يرون ذاكرته تخونه فيقفز إلى قونية شرقي البلاد . قونية تقع على بعد 600 كلم من ميلاس وكان أقرب إلى المنطق لو أنه تحدث عن قونية وهو في أكريدير وبيشهير فإن هذه المدينة الأخيرة يفصلها عن قونية 90 كلم. هذا وقد كانت قونية عاصمة للسلاجقة في أنطاليا الروم إلى أن سقطت دولتهم عام 708 = 1308، وقد أصبحت محلّ نزاع بين المغول وبين قرمان أوغلوا واحتلت من هؤلاء بعد فرار تيميرتاش إلى القاهرة عام 727=1327 - على ما أسلفنا.

(50) تاج الدين بن قلم شاه ذكر أيضا من لدن مؤلفين آخرين من أمثال أفلاكي في مناقب العارفين».

(51) الفُتوة منظمة شعبية لسلطة سياسية أخذت تنمو في المجتمع الإسلامي استُبدلت بأمر من الخليفة العباسي الناصر 577=620 =1181-1233 بما يشبه مؤسسة تدعوا إلى التفاف ملوك الإسلام تحت راية علي... وسنرى أن الخليفة الناصر يبعث بسفير خاص حول هذه القضية، لدى السلطان السلجوقي في قونية علاء الدّين قيقباد الأول 634/616=1219-1237، يبعث أبا حفص عمر السُّهرورْدي مؤسس الطريقة السُّهرودية الصوفية الإرستوقراطية التي تحمل نفس الإسم وهكذا نرى أنه كان على "الفتوة" في العاصمة السلجوقية : قونية أن تحتفظ بصفاتٍ تختلف عن التي كانت في المدن الأخرى.

(52) السراويل ترمز لنقاء الذيل والعفة...

(53) القصد إلى مولانا جلال الدّين محمد بن محمد الرّومي أعظم شعراء الإسلام صاحب الطريقة الصوفية المولوية نسبة إلى مولانا، ومؤسس طريقة الجلاليين (أو المولويين)، ولد في بلخ، وتوفي في قونية عام 672=1273 كانت طريقةً محميةً من لدن السلاجقة، ثم من لدُن العثمانيين... وهو صاحب (المثنوي)المشهور بالفارسية، وقد ترجم إلى التركية وشرح وطبع بها وبالعربية : منظومة صوفية فلسفية في 25.700 بيت EVA DE VITRAY-Meyerovitch : Rûmî et le soufisme - Edition du Seuil 1977 - MEHMET ÖNDER MEVLANA Jelaleddin Rumi, Ministry of Culture Turk / 1131.



لقطات من مدينة قونية حيث ضريح مولانا جلال الدّين الرومي

باسمه فيقال لهم الجَلاليّة، كما تعرف الأحمديّة (54) بالعراق، والحيدريّة (55) بخراسان، وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر (56).

حكاية [الشيخ الشاعر]

283/2 يذكر أنّه كان في ابتداء امره فقيهًا مدرّسا يجتمع اليه الطلبة بمدرسته بقُونْية فدخل يومًا إلى المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى رأسه طبق منها، وهي مقطوعة قِطعًا، يبيع القطعة منها بفلس، فلمّا أتى مجلس التدريس، قال له الشيخ : هات طبقك ! فأخذ الحلوانيّ قطعةً منه وأعطاها للشيخ فأخذها الشيخ بيده وأكلها، فخرج الحلوانيّ ولم يطعم أحدًا سوى الشيخ فخرج الشيخ في اتباعه، وترك التدريس (57)، فابطأ على الطلبة، وطال انتظارهم ايّاه فخرجوا في طلبه، فلم يعرفوا له مستقرًا.

ثمّ إنّه عاد إليهم بعد أعوام وتولّه وصار لا ينطق الاّ بالشعر الفارسيّ المنغلق الذي لا يفهم، فكان الطلبة يتّبعونه ويكتبون ما يصدر عنه من ذلك الشعر، وألّفوا منه كتابًا سمّوه المَثْنَوي (58)، وأهل تلك البلاد يعظّمون ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه، ويعلّمونه ويقرؤونه بزواياهم في ليالي الجمعات، وفي هذه المدينة أيضا قبْر الفقيه أحمد الذي يُذكر أنّه كان معلّم جلال الدين المذكور. 284/2

ثمّ سافرنا إلى مدينة اللاّرَنْدَة (59) وهي بفتح الراء التي بعد الألف واللام واسكان النون وفتح الدال المهمل، مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين.

---

(54) هي بالذات الطريقة الرفاعية سالفة الذكر. ج I، 223 - ج II، ص 25

(55) انظر II، 6، 7 وسيأتي ذكرها أيضا

(56) يحتوي المُجَمّع على ضريح (مولانا) وعلى الزاوية وهما إلى الآن شاخصتان في قونية.

(57) يتعلق الأمر بشمسي تبريزي الذي نجد أن علاقته مع مولانا ترجع لتاريخ 642=1244 - استمرت العلاقات خمسة عشر شهرًا وبلغ الأمر إلى حد أن الطلبة وعائلة مولانا - وقد دخلهم الهم من تأثير تبريزي - قرروا قتله !!

(58) المثْنوي : وزن شعري يحتوي على أبيات من وزن واحد، اثنان من مصارعها لهما قافية واحدة، كتبت باللغة الفارسية، اعتبرت من لدن تلامذته كأبيات تحتوي على المعاني الخفية للقرآن !

(59) هي كَرْمان الحالية، على بعد 100 كـ.م جنوب شرق قونية، هدمت من طرف إيلخان كَيْخَتُو بعد سنة 690=1291، وبنيت من جديد حوالي 711=1311 من لدن كرمان أوغلو الذي يعتبر أقوى أمراء أسيا الصغرى والذي جعل من كرمان محلّ إقامته ومن اسمه أخذت المدينة اسمها..

ذكر سلطان اللأرندة.

وسلطانها الملك بدر الدين بن قَرمان (60)، بفتح القاف والراء، وكانت قبله لشقيقه موسى فنزل عنها للملك الناصر وعوّضه عنها بعوضٍ وبعث إليها أميرًا وعسكرًا (61) ثم تغلّب عليها السلطان بدر الدين وبنى بها دار مملكته واستقام أمره بها.

285/2 ولقيتُ هذا السلطان خارج المدينة وهو عائد من ‖ تصيّده فنزلت له عن دابّتي فنزل هو عن دابّته وسلّمت عليه وأقبل عليّ، ومن عادة ملوك هذه البلاد أنه إذا نزل لهم الوارد عن دابته نزلوا له وأعجبهم فعله، وزادوا في إكرامه، وإن سلّم عليهم راكبًا ساءهم ذلك ولم يُرضهم ويكون سببًا لحرمان الوارد! وقد جرى لي ذلك مع بعضهم، وسأذكره، ولمّا سلّمت عليه وركب سألني عن حالي وعن مقدمي ودخلت معه المدينة، فأمر بإنزالي أحسن نزل، وكان يبعث الطعام الكثير والفاكهة والحلواء في طيافير الفضّة، والشمع، وكَسا، وأركب وأحسن، ولم يطل مقامنا عنده.

وانصرفنا إلى مدينة أقصَرا (62)، وضبطها بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الصاد ‖ المهمل والراء، وهي من أحسن بلاد الروم وأتقنها، تحُفّ بها العيونُ الجارية والبساتين من كل ناحية، ويشقّ المدينة ثلاثة أنهار ويجري الماء بدورها، وفيها الأشجار ود والي العنب، وداخلها بساتين كثيرة، وتصنع بها البُسُط المنسوبة إليها من صوف الغنم لا مثْل لها في بلدٍ من البلاد (63) ومنها تحمل إلى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبلاد الأتراك. 286/2

---

(60) بدر الدين ابراهيم بن بدر الدين محمود 699-708=1300-1308 وحفيد كرمان المؤسس الرمز للدولة، خلف أخاه يَخْشي، وامتلك اللارندة حوالي 717=1317-1318 وتنازل عن الحكم عام 733=1333، في نفس السنة التي مر فيها ابن بطوطة بالمنطقة، لصالح أخيه خليل ولكن مع احتفاظه - على ما يبدو - بقسمٍ من الإمارة كإقطاع...

(61) امتلك موسى لارندة من 711=1311 إلى 718=1318، وقد كان كأغلب أفراد اسرة كرمان حَليفا لدولة المماليك بمصر. التقى به ابن بطوطة أثناء موسم الحج عام 728=1328 بيد أنه لا يظهر أن هناك تجريدةً من المماليك وردت على لارندة.

(62) توجد أقصرا (AKSARAY) على بعد 155كم شمال شرق لأراندا على الطريق الآخذ من قونية إلى قيسارية (Kayseri)، وليس على الطريق التي تذهب من قونية إلى نِكده (Nigde) عبْر لارندة المسلوكة - على ما يظهر - من طريق ابن بطوطة، ومع هذا فيمكن أن يكون الامر يتعلق بخط سير طريق العودة. المدينة التي أنشئت من لدن الأمير السلجوقي عز الدين كِيلِتّج أرسلان الثاني سنة 566=1171 كانت حسب مستوفي، مكاناً خصبًا يُنتج الحبوب الرفيعة والعنب الكثير...

(63) تحدث ماركو پولو عندما ذكر بلاد التركمان عن الزرابي الرفيعة التي لا نظير لها في العالم... وبما أن قونية كانت هي مركز التصدير فقد تنسب الزرابي اليها ...

وهذه المدينة في طاعة ملك العراق، ونزلنا منها بزاوية الشريف حسين النائب بها عن الأمير أرْتَنا، وأرْتَنَا هو النائب عن ملك العراق فيما تغلّب عليه من بلاد الروم، وهذا الشريف من الفتيان وله طائفة كثيرة وأكرمنا اكرامًا متناهيًا وفعل أفعال من تقدّمه.

ثم رحلنا إلى مدينة نَكْدَة (64)، وضبط اسمها بفتح النون واسكان الكاف ودال مهمل مفتوح، وهي من بلاد ملك العراق، مدينة كبيرة كثيرة العمارة قد تخرّب بعضها ويشقّها النهر المعروف بالنّهر الاسود، وهو من كبار الأنهار عليه ثلاث قناطير، إحداها بداخل المدينة وثنتان بخارجها، وعليه النواعير بالداخل والخارج منها تُسقي البساتين. والفواكه بها كثيرة، ونزلنا منها بزاوية الفتى أخي جاروق، وهو الأمير بها فأكرمنا على عادة الفتيان، وأقمنا بها ثلاثا. 287/2

وسِرْنا منها بعد ذلك إلى مدينة قيْسارية (65) وهي من بلاد صاحب العراق وهي إحدى المدن العظام بهذا الإقليم، بها عسكرُ أهل العراق، وإحدى خواتين الأمير علاء الدين أرْتنا المذكور وهي من أكرم الخواتين وأفضلهنّ، ولها نسبة من ملك العراق وتدعى أَغَا (66)، بفتح الهمزة والغين المعجم، ومعنى أغا الكبير، وكلّ من بينه وبين السلطان نسبة يدعى بذلك، واسمها طُغَى خاتون، ودخلنا اليها فقامت لنا وأحسنت السلام والكلام، وأمرت بإحضار الطعام، فأكلنا ولمّا انصرفنا بعثت لنا بفرسٍ مسرّج ملجم وخلعة ودراهم مع أحد غلمانها واعتذرت. 288/2

ونزلنا من هذه المدينة بزاوية الفتى الأخي أمير عليّ، وهو أمير كبير من كبار الأخيّة بهذه البلاد، وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها (67) وزاويته من أحسن الزوايا فرشًا وقناديل وطعامًا كثيرًا وإتقانًا، والكبراء من أصحابه وغيرهم يجتمعون كل ليلة عنده ويفعلون في كرامة الوارد أضعاف ما يفعله سواهم. 289/2

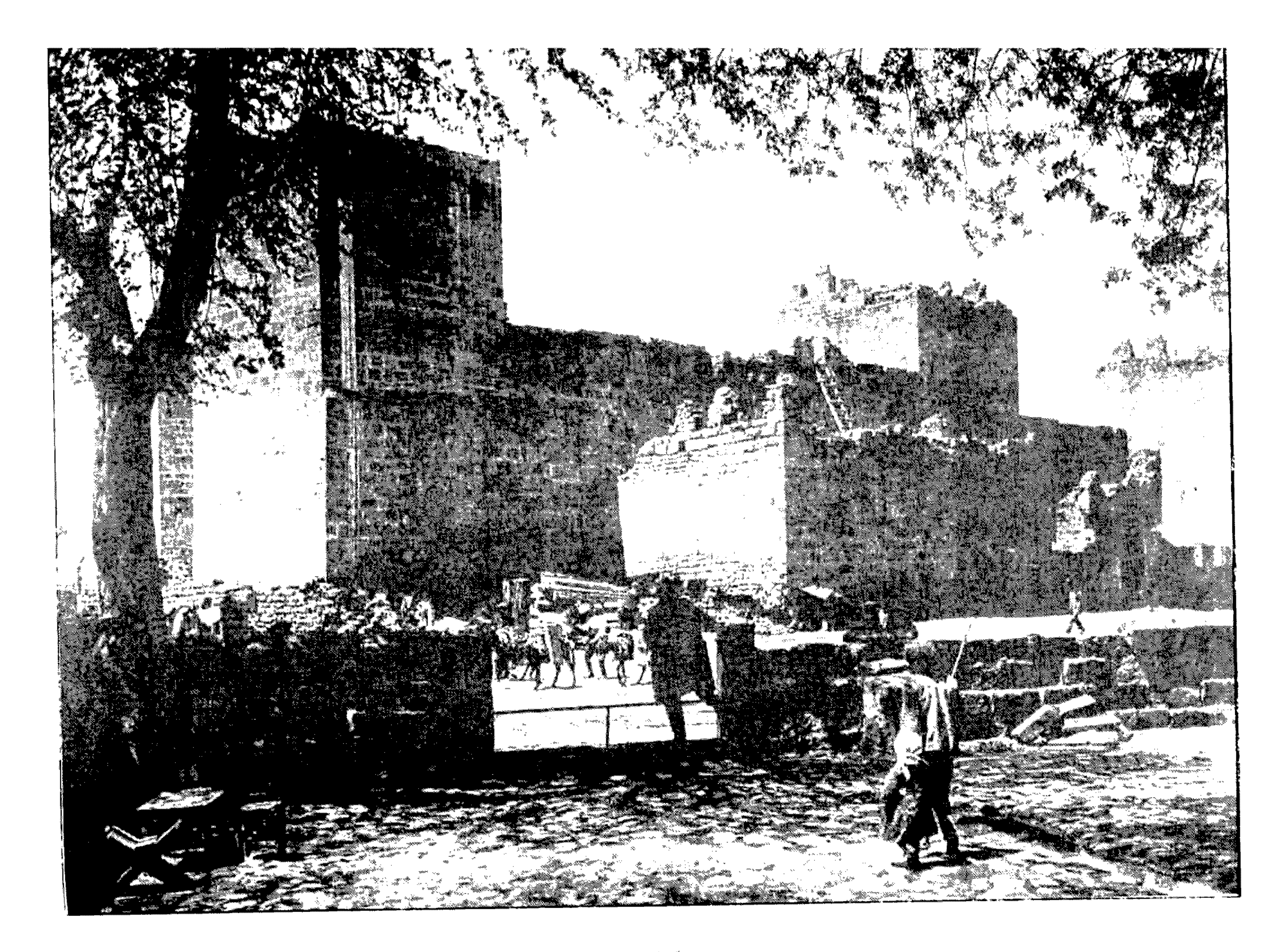
---

(64) تقع نَكده (NIGDE) على الوادي الصغير الذي يحمل اسم KSERAY كَارَاسُو (النهر الأسود) والذي لا يعتبر من كبار الأنهار كما يذكر ابن بطوطة...

(65) تقع قيسارية (كايسري Kayseri) على بعد 110 كـ.م شمال شرق نكدة (Nigde) كانت قد احتلت من لدن المغول عام 1244 ولكنها لم تلبث أن انجدت من سلطان مصر بَيْبرس عام 1277 أنظر الخريطة.

(66) كلمة (أغا) تأتي من أصل مغولي aga وتعني (الأخ الاكبر) وقد أصبحت لقبًا تشريفيًا ثم أصبحت في العهد العثماني لقباً عسكريا ...

(67) هذه إشارات تعبر عن "الفتوة" في شكلها الأرستقراطي ، راجع التعليق السالف رقم 51.



مدينة القيسارية

ومن عوائد هذه البلاد أنّه ما كان منها لس به سلطان فالأخي هو الحاكم به (68)، وهو يُركب الوارد ويكسوه ويُحسن إليه على قدره، وترتيبُه في أمره ونهيه وركوبه ترتيبُ الملوك.

ثمّ سافرنا إلى مدينة سيواس (69)، وضبط بكسر السين المهمل وياء مدّ واخره سين مهمل، وهي من بلاد ملك العراق، وأعظم ماله بهذا الإقليم من البلاد، وبها منزل أمرائه وعمّاله، مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع، أسواقها غاصّة بالناس وبها دارٌ مثل المدرسة تسمّى دار السيادة (70) لا ينزلها الاّ الشرفاء، ونقيبهم ساكنٌ بها وتجرى لهم فيها مدّة مقامهم الفُرْش والطعام والشمع وغيره فيزوّدون إذا انصرفوا. 290/2

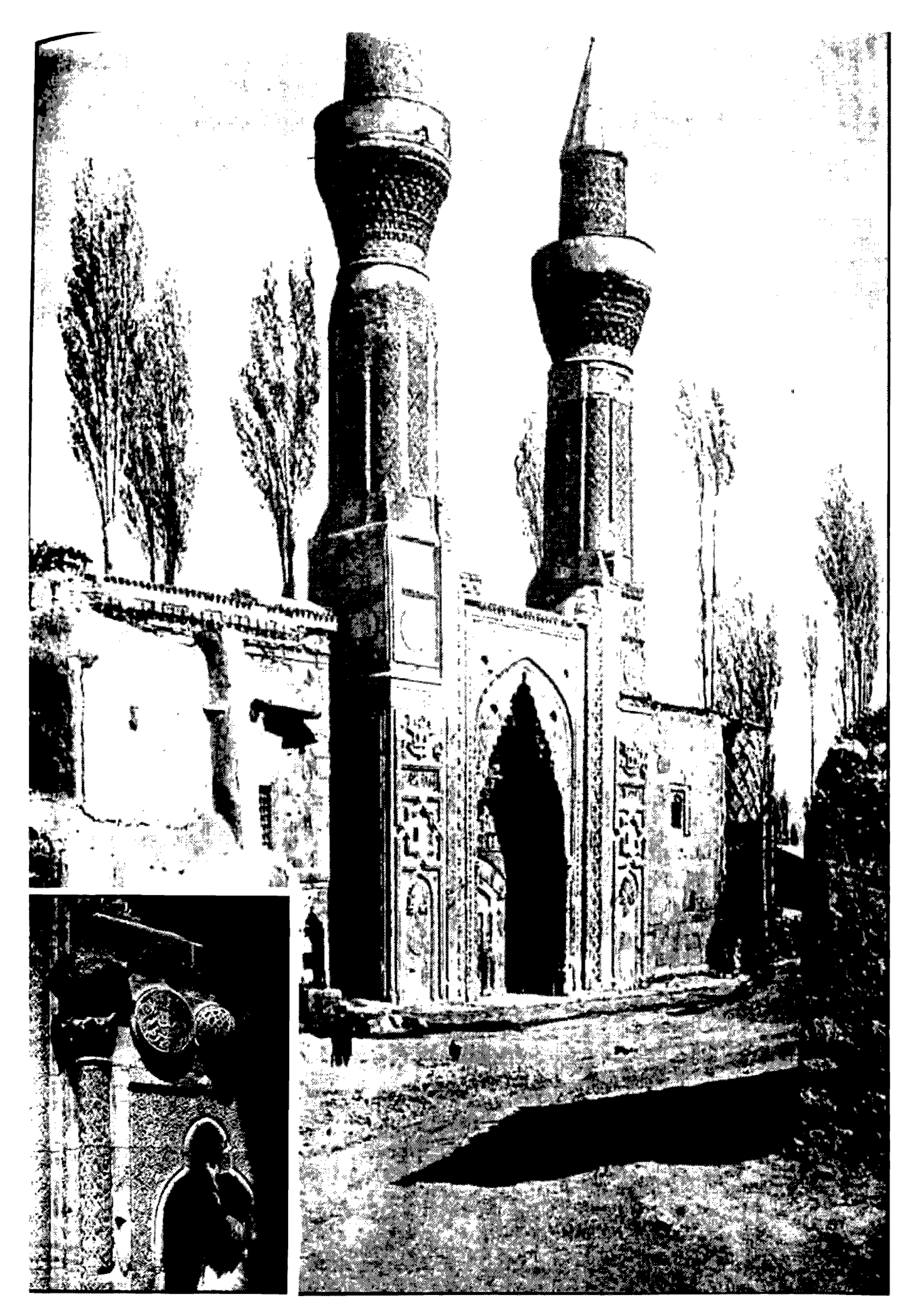
ولمّا قدمنا إلى هذه المدينة خرج إلى لقائنا أصحاب الفتى أخي احمد بِجَقْجِي، وجَق بالتّركية السكّين، وهذا منسوب إليه، والجيمان منه معقودان بينهما قاف، وباؤه مكسورة. وكانوا جماعةً منهم الركبان والمشاة، ثم لقينا بعدهم أصحاب الفتى أخي جلبي، وهو من كبار الأخية، وطبقته أعلى من طبقة أخي بجقّجي، فطلبوا أن ننزل عندهم فلم يمكن لي ذلك لسبق الأولين، ودخلنا المدينة معهم جميعًا وهم يتفاخرون والذين سبقوا إلينا قد فرحوا أشدّ الفرح بنزولنا عندهم، ثم كان من صنيعهم في الطعام والحمّام والمبيت مثل صنيع مَن تقدّم وأقمنا عندهم ثلاثة في أحسن ضيافة ثم أتانا القاضي وجماعة من الطلبة ومعهم خيل الأمير علاء 291/2 الدين أرْتنا نائب ملك العراق ببلاد الروم فركبنا إليه واستقبلنا الأمير إلى دهليز داره فسلّم علينا ورحّب، وكان فصيح اللسان بالعربية، وسألني عن العراقين وإصبهان وشيراز وكرمان (71) وعن السلطان أتابك وبلاد الشام ومصر وسلاطين التركمان، وكان مراده أن أشكر الكريم منهم وأذمّ البخيل فلم أفعل ذلك، ! بل شكرت الجميع فسرّ بذلك منّي، وشكرني عليه ثم

(68) عند نهاية حكم السلاجقة في الأناضول عرفت قونية حُكّامًا من الأخية وفي سنة 714=1314 وجدنا الكرمان أوغلو يخشى بحتل قونية ضد الاخي مصطفى، وكذلك فقد وجدنا في أنقرة حكومة تنتمي إلى الأخية

(69) سيواس إحدى المدن المهمة كثيرا في الأناضول على ذلك العهد، وهي سيباسط وتقع على بعد 175 شمال شرقي قيسارية وهي سباستيا القديمة (Sebastea) القديمة مقر الحكام المغوليين منذ سنة 1304=704

(70) دار السيادة يعني دار السادة أي الاشراف المنحدرين من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أسست هذه الدار التي في سيواس من لدن الايلخان غازان خان وأصلحت من لدن الوزير رشيد الدين

(71) القصد إلى هرمز التي اعتبرت عند سائر الجغرافيين العرب كقاعدة ضمن إقليم كرمان على ما تقدم..



مدينة سيواس

أحضر الطعام فأكلنا وقال . تكونون في ضيافتي. فقال له الفتى أخي جلبي. إنّهم لم ينزلوا بعد بزاويتي، فليكونوا عندي وضيافتك تصلهم. فقال افعل. فانتقلْنا إلى زاويته وأقمنا بها ستّا في ضيافته وفي ضيافة الأمير، ثم بعث الامير بفرس وكسوةٍ ودراهم، وكتب لنوّابه بالبلاد أن يضيفونا ويكرّمونا ويزوّدونا. 292/2

وسافرنا إلى مدينة أماصية، (72) وضبط اسمها بفتح الهمزة والميم والف وصاد مهمل مكسور وياء آخر الحروف مفتوحة، مدينة كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة وعلى أنهارها النواعير تسقى جنّاتها ودُورَها. وهي فسيحة الشوارع والأسواق، وملكها لصاحب العراق، وبقرب منها بلدة سُونُسَى (73)، وضبط اسمها بضم السين المهمل وواو مدّ ونون مضموم وسين مهمل مفتوح، وهي لصاحب العراق أيضا. وبها سكنى أولاد وليّ الله تعالى أبي العبّاس أحمد الرفاعي، منهم الشيخ عزّ الدين، وهو الآن شيخ الرواق، وصاحب سجّادة الرفاعي، واخوته الشيخ عليّ والشيخ ابراهيم والشيخ يحيى أولاد الشيخ أحمد كُوجُك، ومعناه الصغير، ابن تاج الدين الرفاعي (74) ونزلنا بزاويتهم، ورأينا لهم الفضل على من سواهم. 293/2

ثم سافرنا إلى مدينة كُمِش (75) وضبط اسمها بضم الكاف وكسر الميم وشين معجم، وهي من بلاد ملك العراق مدينة كبيرة عامرة يأتيها التجار من العراق والشام. وبها معادن الفضّة، وعلى مسيرة يومين منها جبال شامخة (76) وعرة لم أصل إليها، ونزلنا منها بزاوية الأخي مجد الدين، وأقمنا بها ثلاثًا في ضيافته، وفَعَل أفعالَ من قبله، وجاء إلينا نائب الامير أرْتَنَا وبعث بضيافةٍ وزاد.

---

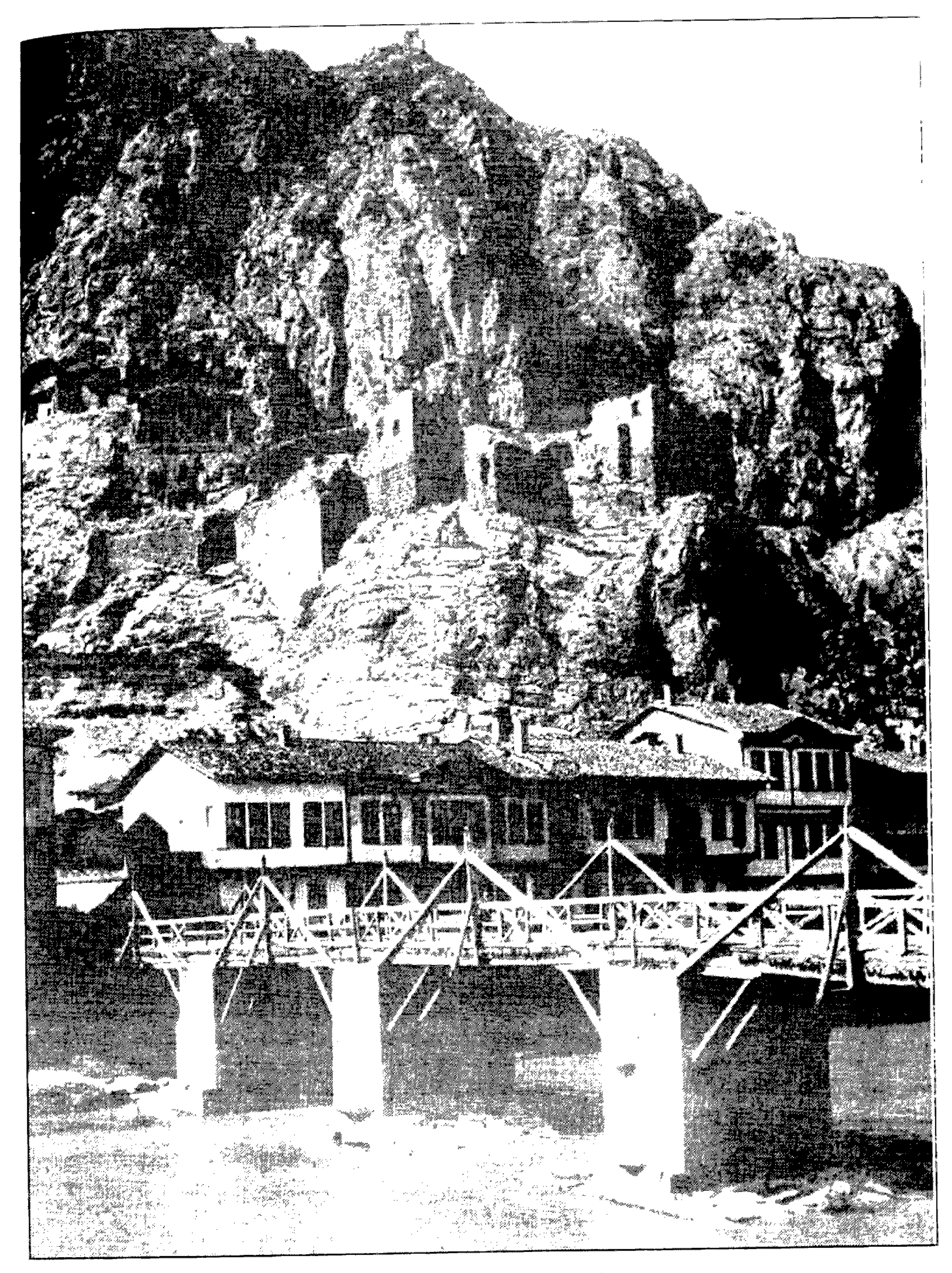
(72) تقع أماصْيا على بعد 140 كـ.م شمال غربي سيواس على نهر (YESILIRMAK) حيث إنها كانت – في بداية القرن الرابع عشر – تابعةً لغازي شلبي ملك صنوب على ماياتي وستلحق ابتداءً من تاريخ 741=1341 بمملكة أرتنا.

(73) المدينة الحالية (SONUSA) على بعد 50 كـ.م على الطريق شرق أماصْيا في سافلة نهر (Yesil Irmak).

(74) كانت المنطقة محكومةً أثناء القرن الثامن الهجري القرن الرابع عشر الميلادي من لدن أسرة تدعى "أبناء تاج الدين" وقد كان سلطانهم على ذلك العهد يسمى تاج الدين دوغان شاه -748=1308-1348-708. بيد أنه من الصعب أن نجد علاقة، أيّ علاقة مع الرفاعيين المذكورين من لدن ابن بطوطة، والذين لا تعرف صلاتهم بهذه المنطقة، فهذه إفادة من الإفادات التي استأثر بها ابن بطوطة، ربما كان استقاها عند اجتماعه بعز الدّين في إيزمير. هذا وقد سبق أن الشيخ أحمد بن علي الرفاعي مات ولم يخلف وان العقب كان لأخيه، حول الرفاعي، انظر ج 1 فصل 5 تعليق 28.

(75) (كومش) أوكوموشان Gümüsane يوجد على بعد اكثر من 60 كـ.م شرق سُونُسَي، ومن المفروض أن لا يصلها المرء الا انطلاقًا من طرابزون أو من بايبورط Baiburt 70 كـ.م. شرقيها.

(76) جبال شمال شرق أنطاليا عبارة عن سلسلةٍ تبتدئ مع كُلاط دا غ Kolat Dagh



الجسر والقلعة – مدينة أماصية

وانصرفنا عن تلك البلاد فوصلنا إلى أرْزَنْجان (77)، وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الراء وفتح الزاي وسكون النون وجيم والف ونون، وهي من بلاد صاحب العراق مدينة كبيرة عامرة وأكثر سكّانها الأرمن (78) والمسلمون يتكلّمون بها بالتركية، ولها أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثيابُ حسان تنسب إليها، وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الأواني والبياسيس التي ذكرناها، وهي شبه المنار عندنا، ونزلنا منها بزاوية الفتى أخي نظام الدين، وهي من أحسن الزوايا وهو ايضا من خيار الفتيان وكبارهم أضافنا أحسن ضيافة

294/2

وانصرفنا إلى مدينة أرْزَ الروم (79)، وهي من بلاد ملك العراق كبيرة الساحة خرب أكثرها بسبب فتنة وقعت بين طائفتين من التركمان بها، ويشقّها ثلاثة أنهار، وفي أكثر دورها بساتين فيها الأشجار والدّوالي، ونزلنا منها بزاوية الفتى أخي طومان وهو كبير السّن يقال : إنه أناف على مائة وثلاثين سنة، ورأيته يتصرّف على قدميه متوكئا على عصا، ثابت الذهن مواظبا للصلاة في أوقاتها لم ينكر من نفسه شيئا، إلا أنّه لا يستطيع الصوم، خدمنا بنفسه في الطعام، وخدمنا أولاده في الحمّام، وأردنا الانصراف عنه ثاني يوم نزولنا فشقّ عليه ذلك وأبى منه، وقال : إن فعلتم نقصتم حرمتي، وانّما اقلّ الضيافة ثلاث، فاقمنا لديه ثلاثة

295/2

ثم انصرفنا إلى مدينة بِرْكي (80) وضبط اسمها بباء موحدة مكسورة وكاف معقود مكسور بينهما راء مسكن، ووصلنا إليها بعد العصر فلقينا رجلا من أهلها فسألناه عن زاوية الأخي بها، فقال أنا أدلكم عليها فاتّبعناه فذهب بنا إلى منزل نفسه في بستان له، فأنزلنا

---

(77) ارْزَنْجان (Erzinjan) في كرا سو (Kara su) أحد المنابع الرئيسية لنهر الفرات 80 كـ م جنوب كوموشاب، وهذا في المنطقة التي سماها ماركوبولو أرمينيا الكبرى (Greater Armenia)

(78) حديث ابن بطوطة عن أكثرية سكان أرْزنجان من الأرمن يعكس الحقيقة التاريخية التي تحدثت عنها المصادر التي اهتمت بتاريخ الأرمن الذين كانت لهم عملتهم الخاصّة والذين استرعى اهتمامي بهم عندما وجدت نفسي صحبة عدد من رجالهم الذين أثارو الانتباه إلى نشاطهم من أمثال كولبنكيان الذي يعرفه الناس من خلال مؤسسته الحضارية الذائعة الصيت
– يراجع عن الأرمن ما كتبه الأستاذ كانار (CANARD) في ENCYE. de l'Islam 1954
راجع تعليقنا ج 1 163-164

(79) أرز الروم ERZURUM على بعد 150 كـ م، شرقي أرزنجان سالفة الذكر، اسم ارز الروم اعطى لهذا الموقع من لدن الأرمنيين الذين انتقلوا اليها بعد تخريب أرزان من لدن السلاجقة عام 440=1049. الاسم المحلي لها هو كرين Karine - لم ينص مصدر اخر على وجود الأنهار بها ولكن فقط السقايات، وكذلك فإنه لا توجد بها دوالي

(80) هنا نجد ابن بطوطة يستعيد ذاكرته التي خانته عندما قفز بالأمس من ميلاس إلى قونية (تعليقنا رقم 49) وهكذا نجده يعود إلى غرب انطاليا وبالذات الى بركي (Birgi) التي تقع في شمال شرقي أودميش (Odemish) شرقي إيزمير على بعد 150 كـ م من ميلاس محطته الأخيرة اسم برْجى ات من الإسم الاغريقي بيرجيون PYRGION

296/2 بأعلى سطح بيته والأشجار مظلّلة له وذلك أوان الحرّ الشديد، وأتى الينا بأنواع الفاكهة، واحسن في ضيافته وعلّف دوابنا، وبتنا عنده تلك الليلة، وكنّا قد تعرّفنا أن بهذه المدينة مدرّسًا فاضلاً يسمّى بمُحي الدين، فأتى بنا ذلك الرجل الذي بتنا عنده وكان من الطلبة إلى المدرسة، وإذا بالمدرّس قد أقبل راكبًا على بغلة فارهة، ومماليكه وخدّامه عن جانبيه، والطلبة بين يديه وعليه ثياب مفرّجة حسان مطرّزة بالذهب فسلّمنا عليه فرحّب بنا وأحسن السلام والكلام وأمسك بيدي وأجلسني إلى جانبه، ثم جاء القاضي عزّ الدين فِرِشْتَي، ومعنى فِرِشْتَي المَلَك، لقّب بذلك لدينه وعفافه وفضله، فقعد عن يمين المدرّس وأخذ في تدريس العلوم الأصليّة

297/2 والفرعيّة ثم لمّا فرغ من ذلك أتى دُويرة بالمدرسة فأمر بفرشها وأنزلني فيها وبعث ضيافةً حافلة ثم وجّه عني بعد المغرب فمضيت إليه فوجدته في مجلسٍ ببستان له وهنالك صهريج ماء ينحدر اليه الماء من خصّة رخام أبيض يدور بها القاشانيّ، وبين يديه جملة من الطلبة، ومماليكه وخدّامه وقوف عن جانبيه وهو قاعدٌ على مرتبة عليها أنطاع منقوشة حسنة فخلتهُ لمّا شاهدتُه مِلكًا من الملوك، فقام إليّ واستقبلني وأخذ بيدي واجلسني إلى جانبه على مرتبته وأُتي بالطعام فاكلنا وانصرفنا إلى المدرسة.

وذكر لي بعض الطلبة أنّ جميع من حضر تلك الليلة من الطلبة عند المدرّس، فعادتهم

298/2 الحضور لطعامه كلّ ليلة، وكتب هذا المدرّس إلى السلطان بخبرنا وأثنى في كتابه، والسلطان في جَبَل هنالك يصيّف فيه لاجل شدّة الحرّ وذلك الجبل بارد وعادته أن يُصيّف فيه (81).

ذكر سلطان بِركي

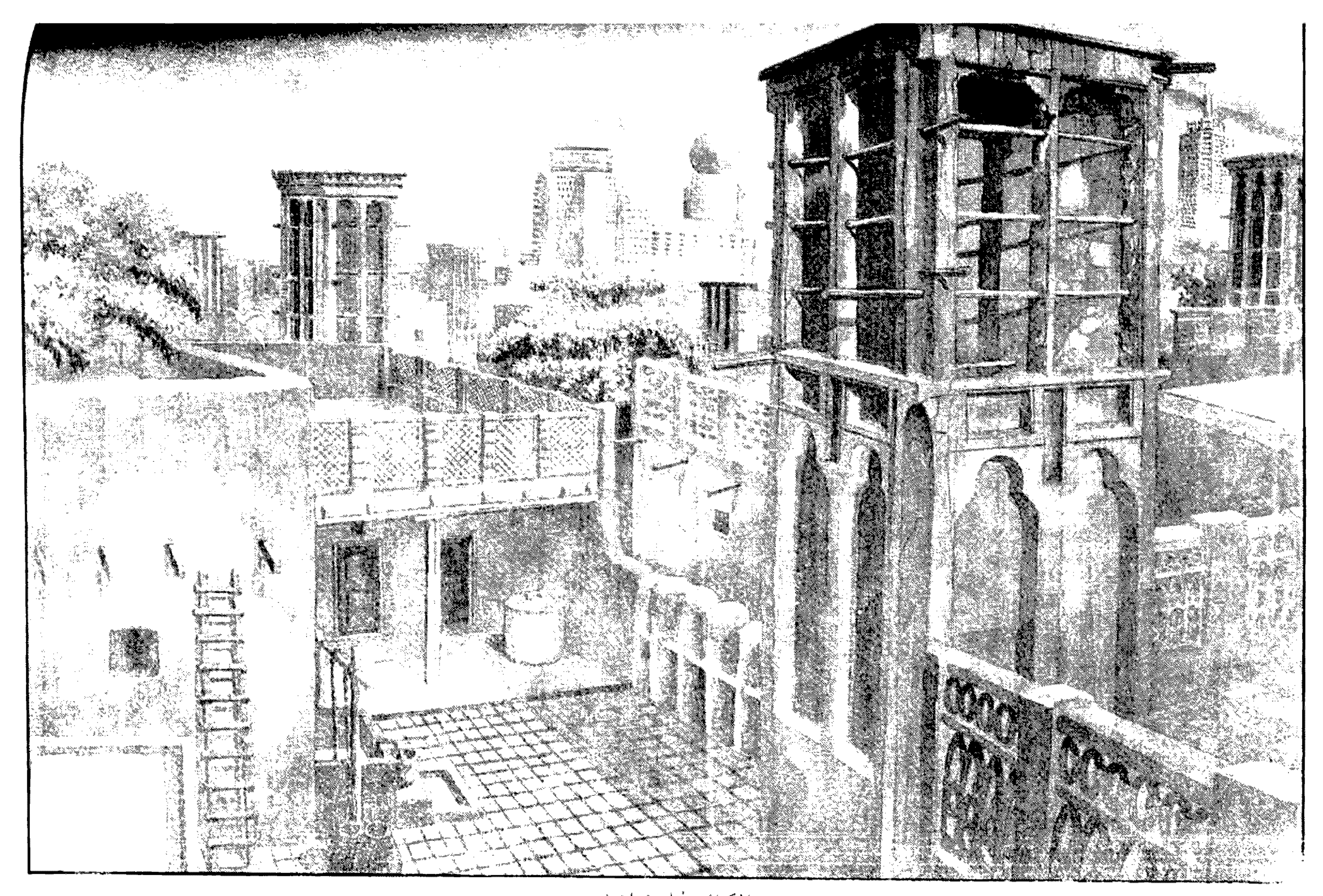
وهو السلطان محمّد بن أيدين (82)، من خيار السلاطين، وكرمائهم وفضلائهم ولمّا بعث إليه المدرّس يعلّمه بخبري وجّه نائبه إليّ لآتيه، فأشار عليّ المدرّس أن أقيم حتّى يبعث عنّي ثانية، وكان المدرّس إذ ذاك قد خرجت برجله قُرحة لا يستطيع الركوب بسببها وانقطع عن المدرسة، ثمّ إن السلطان بعث في طلبي ثانية فشقّ ذلك على المدرّس، فقال : أنا لا

299/2 أستطيع الركوب ومن غرضي التوجّه معك لأقرر لدى السلطان ما يجب لك، ثم إنّه تحامل ولفّ على رجله خِرَقًا وركب ولم يضع رجلَه في الركاب، وركبت أنا وأصحابي وصعدنا إلى الجبل في طريقٍ قد نحتت وسوّيت فوصلنا إلى موضع السلطان عند الزوال، فنزلنا على نهر ماء تحت ظلال شجر الجوز، وصادفْنا السلطان في قلقٍ وشغل بال بسبب فرار ابنه الأصغر

(81) هو جبل بوزداگ (BOZDAG) شمال بِرْكي، على علو 2130 ميتر.

(82) سلطان بركي هو المؤسس لبيت بركي أيدين اوغلو وقد اعطى اسمه للمدينة التي أصبحت تعرف باسم (AYDIN) (انظر الخريطة)... وقد عرفت المنطقة على أنها مملكة بركي. ادركه أجله عام 734=1334...

P. Lemerl : l'Emirat d'Aydin PARIS 1957.



المكيفات أيام زمان!

سليمان (83) عنه إلى صهره السلطان أرخان بك، فلمّا بلغه خبر وصولنا بعث إلينا ولديه خضربك وعمر بك، (84) فسلّما على الفقيه، وأمرهما بالسلام عليّ ففعلا ذلك وسألاني عن حالي ومقدمي، وانصرفا وبعث إليّ ببيت يسمّى عندهم الخَرقة (85) وهو عُصِيّ من الخشب تجمع شبه القبّة، وتجعل عليها اللبود، ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل البَادْهَنج، ويسد متى أحتيج إلى سدّه، وأتوا بالفرش ففرشوه، وقعد الفقيه وقعدت معه وأصحابه وأصحابي خارج البيت تحت ظلال شجر الجوز، وذلك الموضع شديد البرد، ومات لي تلك الليلة فرسٌ من شدّة البرد!

300/2

ولمّا كان من الغد ركب المدرّس إلى السلطان وتكلّم في شأني بما اقتضته فضائله، ثم عاد إليّ وأعلمني بذلك، وبعد ساعةٍ وجه السلطان في طلبنا معًا فجئنا إلى منزله ووجدناه قائما فسلّمنا عليه، وقعد الفقيه عن يمينه وأنا ممّا يلي الفقيه فسألني عن حالي ومقدمي وسألني عن الحجاز ومصر والشام واليمن والعراقين وبلاد الأعاجم، ثم حضر الطعام فأكلنا وانصرفنا وبعث الأرز والدقيق والسمن في كروش الأغنام، وكذلك فِعْلُ الترك، وأقمنا على تلك الحال أيّامًا يبعث عنّا في كلّ يوم فنحضر طعامه، وأتى يومًا إلينا بعد الظهر وقعد الفقيه في صدر المجلس وأنا عن يساره وقعد السلطان عن يمين الفقيه وذلك لعزّة الفقهاء عند الترك، وطلب منّي أن أكتب له أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (86) فكتبتُها له وعرضها الفقيه عليه في تلك الساعة، فأمره أن يكتب له شرحها باللّسان التركيّ، ثم قام فخرج ورأى الخدّام يطبخون لنا الطعام تحت ظلال الجوز بغير أبزار ولا خضر، فأمر بعقاب صاحب خزانته وبعث بالإبزار والسمن.

301/2

وطالت إقامتنا بذلك الجبل فأدركني الملل، وأردت الانصراف وكان الفقيه أيضًا قد ملّ من المقام هنالك فبعث إلى السلطان يُخبره أني أريد السفر، فلمّا كان من الغد، بعث السلطان نائبه فتكلم مع المدرّس بالتركيّة، ولم أكن إذ ذاك أفهمها، فأجابه عن كلامه

302/2

---

(83) سليمان الإبن الرابع لمحمد كان قد أحرز على مدينة (تيره) كإقطاع له وبعد موت والده استولى على إقطاعه إلى وفاته عام 749=1349. أرخان بك هو ملك ميلاس أو MENTESHE.

(84) عُمر بك بطل لعددٍ الملاحم التركية في الأناضول، أعطاه والده يزمير كإقطاع له، وقد خلفه عام 734=748=1334-1348 خضر الولد الأكبر لمحمد بك وسيتحدث ابن بطوطة عنْ عُمَر الذي ما يزال يحتاج للتعريف بمواقفه العظيمة الشجاعة...

(85) الخَرقة : لفظ فارسي وقد ورد وصفها على هذا النحو تقريبا في مصادر أخرى.

(86) يلاحظ أن الناس كانوا مستعدين أبدًا لاملاء أحاديث من حفظهم وبدون سابق تحضير وقد كان ابن بطوطة من هؤلاء العلماء الأمر الذي يدل على تمكّنه من المادة التي يتوفّر عليها أمثاله الفقهاء.

وانصرف فقال لي المدرّس: أتدري ماذا قال؟ قلت: لا أعرف ما قال. قال: إن السلطان بعث إليّ ليسئلني: ماذا يعطيك؟ فقلت له: عنده الذهب والفضّة والخيل والعبيد فليُعطيه ما أحبّ من ذلك. فذهب إلى السلطان ثم عاد إلينا فقال: إن السلطان يأمر أن تقيما هنا اليوم وتنزلا معه غداً إلى داره بالمدينة.

فلمّا كان من الغد بعث فرسا جيّدا من مراكبه، ونزل ونحن معه إلى المدينة فخرج الناس لاستقباله، وفيهم القاضي المذكور آنفا وسواه. ودخل السلطان ونحن معه فلمّا نزل بباب داره ذهب مع المدرّس إلى ناحية المدرسة، فدعا بنا وأمرنا بالدخول معه إلى داره فلمّا وصلنا إلى دهليز الدّار وجدْنا من خدّامه نحو عشرين، صورهم فائقة الحسن، وعليهم ثياب الحرير، وشعورهم مفروقة مرسلة، وألوانهم ساطعة البياض مُشْرَبة بحمرة، فقلت للفقيه: ما هذه الصور الحسان؟ فقال: هؤلاء فتيان روميون. وصعدنا مع السلطان درجًا كثيرة إلى أن انتهينا إلى مجلس حسن في وسطه صهريج ماء وعلى كلّ ركن من أركانه صورة سبع من نحاس يمجّ الماء من فيه، وتدور بهذا المجلس مصاطب متّصلة مفروشة، وفوق إحداها مرتبة السلطان، فلمّا انتهينا اليها نحّى السلطان مرتبته بيده، وقعد معنا على الأنطاع وقعد الفقيه عن يمينه، والقاضي ممّا يلي الفقيه وأنا ممّا يلي القاضي. وقعد القرّاء أسفل المصطبة والقرّاء لا يفارقونه حيث كان من مجالسه ثم جاءوا بصحاف من الذهب والفضّة مملوءة بالجُلّاب المحلول، قد عُصر فيه ماء الليمون وجُعل فيه كعكات صغار مقسومة، وفيها ملاعق ذهب وفضّة، وجاءوا معها بصحاف فيها مثل ذلك، وفيها ملاعق خشب فمن تورّع استعمل صحاف الصينيّ وملاعق الخشب، وتكلّمتُ بشكر السلطان، وأثنيت على الفقيه وبالغت في ذلك فأعجب ذلك السلطان وسرّه.

303/2

304/2

305/2

حكاية [الطبيب اليهودي]

وفي أثناء قعودنا مع السلطان أتى شيخ على رأسه عمامة لها ذُؤابة فسلّم عليه، وقام له القاضي والفقيه وقعد أمام السلطان فوق المصطبة والقراء أسفل منه فقلت للفقيه: من هذا الشيخ؟ فضحك وسكت، ثم أعدت السؤال، فقال لي: هذا يهوديّ طبيب، وكلّنا محتاج اليه،

فلأجل هذا فعلنا ما رأيت من القيام له، فأخَذَني ما حَدُث وقدُم من الإمتِعاض (87)، فقلت لليهوديّ : يا ملعون بن ملعون، كيف تجلس فوق قرّاء القرآن وانت يهوديّ؟ وشتمتُه، ورفعت صوتي فعجب السلطان، وسأل عن معنى كلامي فاخبره الفقيه به، وغضب اليهوديّ فخرج عن المجلس في أسوأ حال، ولمّا انصرفنا قال لي الفقيه : أحسنت بارك الله فيك إن أحدًا سواك لا يتجاسر عن مخاطبته بذلك ولقد عرّفتَه بنفسه !

حكاية أخرى [الحجر النازل من السماء]

وسألني السلطان في هذا المجلس، فقال لي : هل رأيت قطّ حجرًا نزل من السماء؟ فقلت : ما رأيت ذلك ولا سمعت به. فقال لي : إنه قد نزل بخارج بلدنا هذا حجرٌ من السماء، ثم دعا رجالاً وأمرهم أن يأتوا بالحجر فاتوا بحجر أسود أصمّ شديد الصّلابة له بريق، قدّرت أنّ زنته تبلغ قنطارًا وأمر السلطان باحضار القطّاعين فحضر أربعة منهم، فأمرهم أن يضربوه فضربوا عليه ضربة رجل واحد أربع مرّات بمطارق الحديد فلم يؤثّروا فيه شيئًا، فعجبت من أمره وأمر بردّه إلى حيث كان.

307/2 وفي ثالث ‖ يومٍ من دخولنا إلى المدينة مع السلطان صنع صنيعًا عظيمًا ودعا الفقهاء والمشايخ واعيان العسكر ووجوه أهل المدينة فطعموا وقرأ القرّاء القرآن، بالأصوات الحِسان، وعُدنا إلى منزلنا بالمدرسة وكان يوجّه الطعام والفاكهة، والحلواء والشّمع في كلّ ليلة، ثم بعث إليّ مائة مثقال ذهبًا والف درهم وكسوةً كاملةً وفرسًا ومملوكًا روميًا يسمّى ميخائيل، وبعث لكلٍّ من أصحابي كسوة ودراهم، كلّ هذا بمشاركة المدرّس محيي الدّين جزاه الله تعالى خيرًا، وودّعنا وانصرفنا وكانت مدّة مقامنا عنده بالجبل والمدينة أربعة عشر يومًا.

---

(87) لا ننسى أن المغرب في عهد بني مرين كان يعيش فترة راجت فيها حملة ضد الاستعانة باليهود سواء في الميادين المالية أو الطبية وذلك نتيجة خذلان بعضهم للمسلمين وتآمرهم ضدهم في الأندلس والمغرب، ولا بدَّ أن ابن بطوطة سمع وهو ما يزال بالمغرب بنكبة الفقيه عبد الله بن أبي مدين صاحب العلامة (الاستقصا 3، 99) وقد سجلت بعض تلك الأصداء على لسان الشاعر أبى إسحاق الألبيري الذي خاطب السلطان أبا الحسن قائلا : (التازي : التأريخ الدبلوماسي للمغرب ج II ، 253 ج 202.7)

وكـيـف يـتـم لـك المرتـقـى
إذا كنت تبني وهم يهـدمـون؟!
وإني احـتـللـتُ بـغـرناطة
فكنت أراهم بهـا عـابثين !!
لقـد نكثـوا عـهـدنا عندهم
فكيف تُلام على الناكـثين ؟!

ثم قصدنا مدينة تيرة (88) وهي من بلاد هذا السلطان، وضبط اسمها بكسر التاء المعلوّة وياء مدّ وراء، مدينة حَسَنَة ذات أنهار وبساتين 308/2 وفواكه، ونزلنا منها بزاوية الفتى أخي محمّد، وهو من كبار الصالحين صائم الدهر، وله أصحاب على طريقته فأضافنا ودعا لنا، وسرنا إلى مدينة أيَا سلُوق (89)، وضبط اسمها بفتح الهمزة والياء آخر الحروف وسين مهمل مضموم ولام مضموم وآخره قاف، مدينة كبيرة قديمة معظّمة عند الروم وفيها كنيسة كبيرة مبنيّة بالحجارة الضخمة، ويكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها منحوتة أبدع نحت والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له في الحُسن، وكان كنيسةً للروم ومعظّمة عندهم يقصدونها من البلاد، فلّما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجدًا جامعًا (90)، وحيطانه من الرخام 309/2 الملوّن وفرشه الرخام الابيض وهو مسقّف بالرصاص وفيه إحدى عشرة قبّة منوّعة، وفي وسط كل قبّة صهريج ماء، والنهر يشقّه (91)، وعن جانبي النهر الأشجار المختلفة الأجناس ودوالي العنب ومعرّشات الياسمين، وله خمسة عشر بابًا، وأمير هذه المدينة خِضر بك بن السلطان محمد بن أيدين، وقد كنت رايته عند أبيه ببركي، ثم لقيته بهذه المدينة خارجها فسلّمت عليه وأنا راكب، فكرهَ ذلك منّي، وكان سبَب حرماني لديه، فإنّ عادتهم إذا نزل لهم الوارد نزلوا له وأعجبهم ذلك، ولم يبعث إليّ ثوبًا واحدًا من الحرير المذهّب يسمّونه النَّخ (92)، بفتح النون وخاء معجم، واشتريتُ بهذه المدينة جاريةً روميّة بكرًا بأربعين دينارًا ذهبًا.

ثم (93) سرنا إلى مدينة يَزْمِير (94)، وضبط 310/2 اسمها بياء آخر الحروف مفتوحة وزاي مسكّن وميم مكسورة وياء مدّ وراء، مدينةٌ كبيرة على ساحل البحر معظمها خَراب، ولها قلعة

(88) تيره (TIRE) على بعد 30 كـ.م جنوب غرب بركي وهكذا فبعد أن زار ابن بطوطة عاصمة المملكة (بركى) يتجه الآن نحو الجنوب الغربي للقيام بزيارة إقطاعات ابناء السلطان محمد بك.

(89) أيا سلوق يُرسم الاسم الآن في الخريطة التركية سلكوك (Selçuk) – الكنيسة المذكورة هي على ما يبدو كنيسة ماري وقد بنيت مكان بناء قديم وكان يقصدها الإغريق

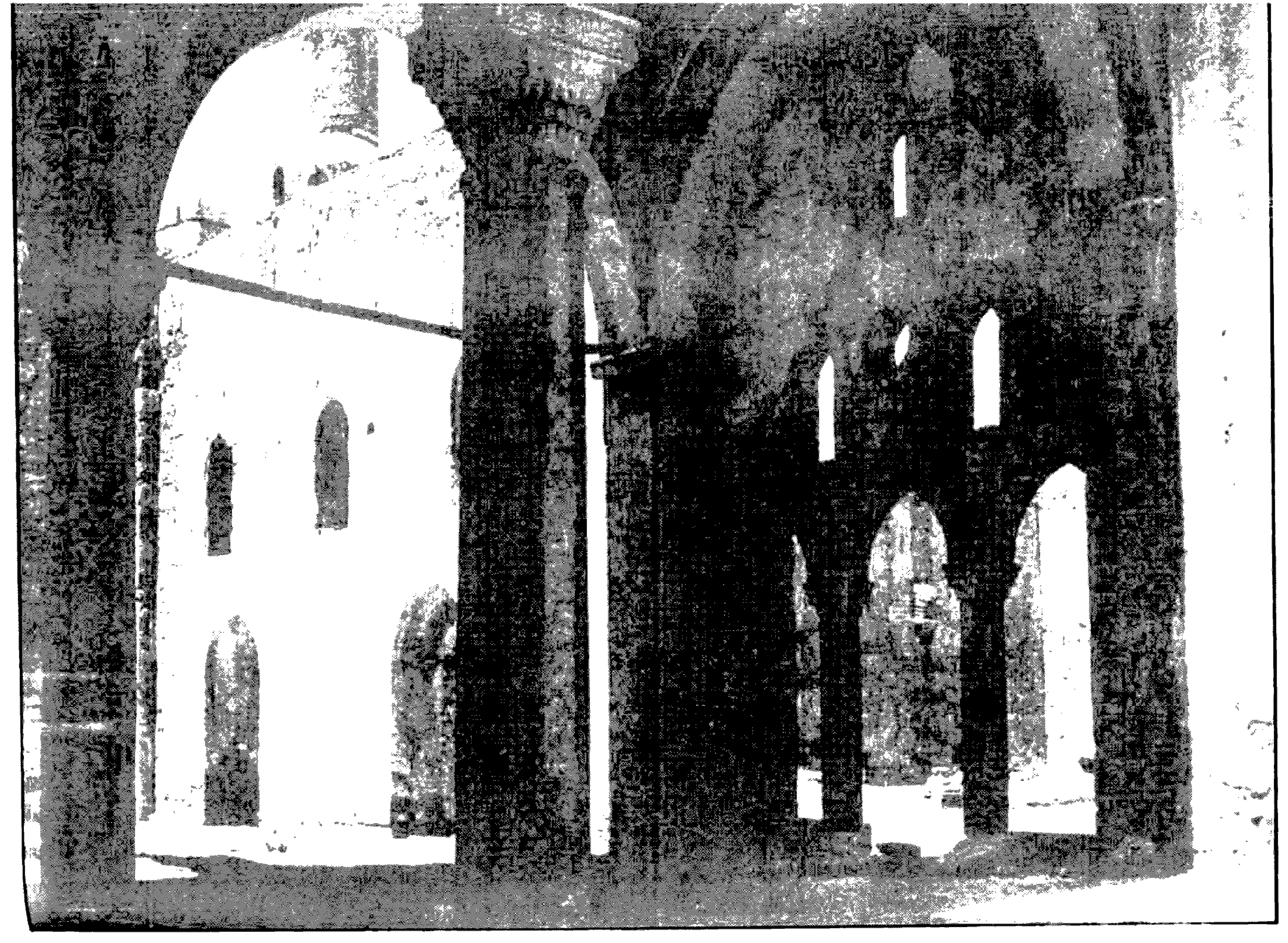
(90) تُظهر الاشارة إلى القباب بأن المكان كان كنيسة للقديس جوهن، التي كانت تتوفر على ست قباب في البناية الأساس وعلى خمس قباب في المجاز المؤدي إلى الصحن وقد عوضت بجامع الأمير عيسى بك ابن أخي خضر بك والكنيسة نفسها خربت من لدن تيمور عام 804-1402.

(91) النهر هو المعروف تحت اسم le caïstre des anciens

(92) النّخ تعبير فارسي يعني النسيج بخيوط ذهبية اشتهرت التجارة فيه بمنطقة المتوسط.

(93) على ذكر اقتناء الجواري نشير إلى ما ذُكِر من أن ماثيو (MATHIEU) رئيس أساقفة إيفيزوس EPHESUS منذ 739 هـ = 1339 لم يكن خدامه إلا من عبيد الأتراك واليهود...

(94) إزمير أو (SMYRNA) كانت تتوفر على قلعتين احداهما ب Mons Pagus وما تزال إلى الآن أطلالها شاخصة، انتزعها عام 717=1317 الأمير محمد بك من لدن الجنويين ! ثانيتهما قريبة من الميناء، احتلت عام 729=1329 من قبل عُمر بك...



جامع أياسلوق

متّصلة بأعلاها نزلنا منها بزاوية الشيخ يعقوب، وهو من الاحمديّة صالحٌ فاضل، ولقينا بخارجها الشيخ عزّ الدين بن أحمد الرفاعيّ ومعه : زادَه الأخلاطيّ، من كبار المشايخ، ومعه مائة فقير من المولّهين، وقد ضرب لهم الأمير الأخبية وصنع لهم الشيخ يعقوب ضيافةً وحضرتها، واجتمعتُ بهم، وأمير هذه المدينة عمر بك بن السلطان محمّد بن آيدين المذكور آنفاً، وسكناه بقلعتها، وكان حين قدومنا عند أبيه، ثم قدم بعد خمْسٍ من نزولنا بها فكان من مكارمه أنْ أتَى إليّ بالزاوية فسلّم عليّ واعتذر، وبعث ضيافةً عظيمةً وأعطاني بعد ذلك مملوكًا روميًا خماسيًا إسمه نِقُوله، وثوبين من الكَمْخَا (95) وهي ثياب حرير تصنع ببغداد وتبريز وبنيسابور وبالصين وذكر لي الفقيه الذي يؤمّ به أنّ الامير لم يبق له مملوك سوى ذلك المملوك الذي أعطاني بسبب كرمه رحمه الله، وأعطى أيضا للشيخ عزّ الدين ثلاثة أفراس مجهّزة وآنية فضّة كبيرة تسمّى عندهم المشربة مملوّةً دراهم، وثيابًا من الملفّ والمرعزّ والقدسيّ (96)، والكمخا وجواري وغلمانًا. 311/2

وكان هذا الأمير كريمًا صالحًا كثير الجهاد (97)، وله أجفان غزويّة يضرب بها على نواحي القسطنطينية العظمى فيسبي ويغنم ويُفني ذلك كرمًا وجودًا، ثمّ يعود إلى الجهاد إلى أن اشتدّتْ على الروم وطأتُه فرفعوا أمرهم إلى البابه، فأمر نصارى جنوه وافرانسه بغزوه فغزوه وجهّز جيشاً من رومه وطرقوا مدينتَه ليلاً في عددٍ كثير من الأجفان وملكوا المرسى والمدينة، ونزل إليهم الأمير عمر من القلعة فقاتلهم، فاستشهد هو وجماعة من ناسه (98)، واستقرّ النّصاري بالبلد ولم يقدروا على القلعة لمنعتها. 312/2

---

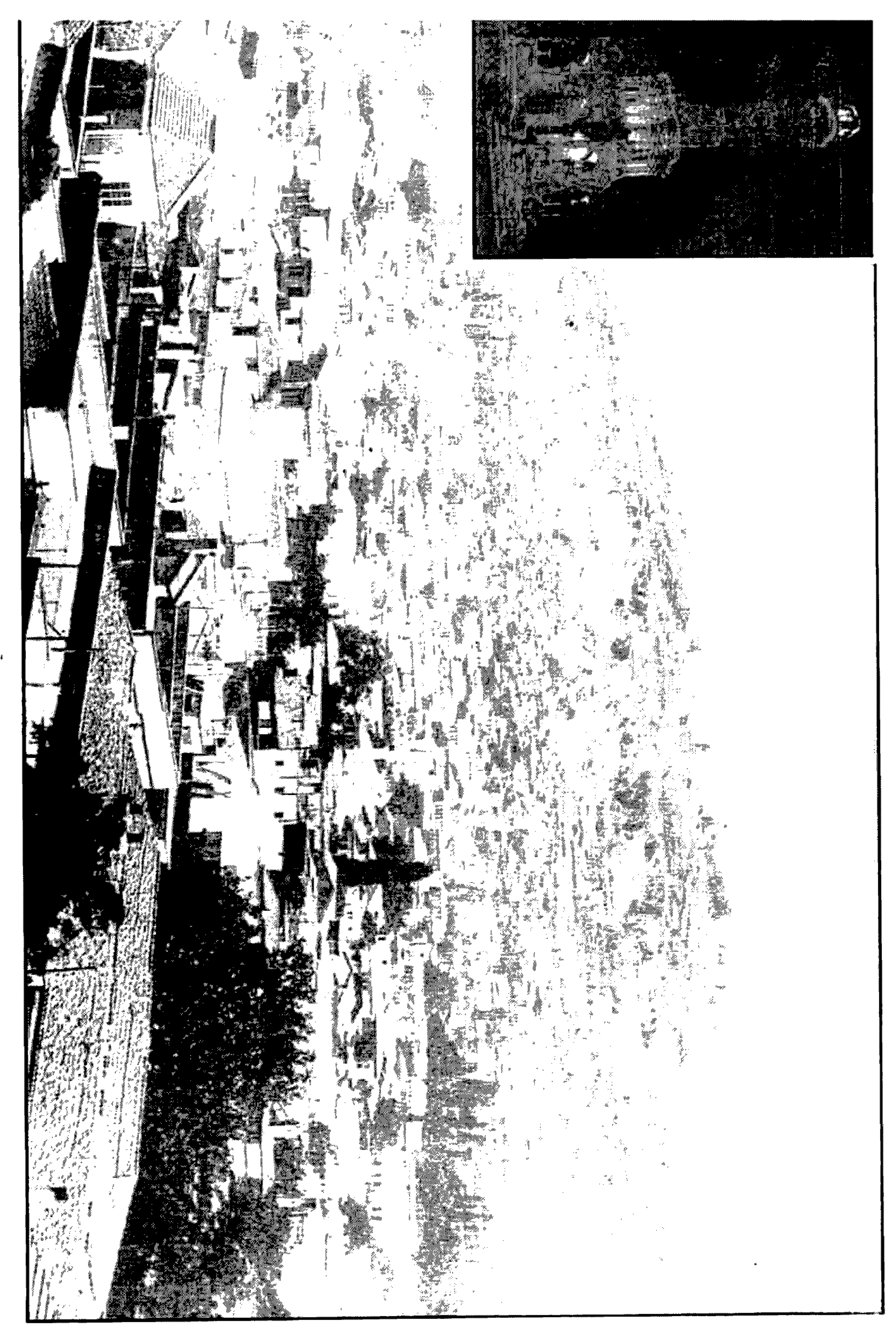
(95) الكمخا نسيج يقوم على خيوطٍ من ذهب أو فضة.

(96) الملف : كلمة يبدو أنها تعني القماش المجلوب من المدينة الإيطالية : أمالفي التي كانت لها صلات تجارية مع الشرق أما القدسي فهو نسبة إلى القدس : ثوب من صوف نجهل نوعه وقد سلف ذكره في أحد التعاليق.

(97) عُمر (وينطق عند الأتراك هكذا (UMUR) يعتبر من الأبطال الملحمين الصناديد كان أميرًا لإيزمير اولاً منذ حوالي 727=1327 وعوض والده كسلطان على بركي، احتفظ له التاريخ بذكر طيّب جميل سواء في حياته أو عند استشهاده. Le Destin d'Umur Pacha ed. I. melikoff Sayar - Paris 1954.

(98) كانت أول غارة للسلطان عمر على الدردنيل باتفاق مع ابن صاروخان أتى الذكر عام 1332=732 هـ غالبا بُعيد زيارة ابن بطوطة وقد قام فيما بعد بالغارة على الممتلكات اللاتينية باتفاق مع امبراطور بيزنطة في بلاد الاغريق وعرض نفسه للهجومات العسكرية... وبعد عودة الامبراطور إلى القسطنطينية عام 747=1347 أخذ يبحث عن طريق للتخلص من عُمر وذلك بتحالفه مع اللاّتينيين. وهكذا استشهد عمر تحت اسوار أزمير في شهر ربيع الأول 748 مايه 1348. بعد تحالف البنادقة والروديسين والبابا وقد توفر ابن بطوطة على هذه المعلومات وهو في مصر عند عودته إلى المغرب...

Alexandre popovic : Islam Balkanique, Berlin 1986 - P. 66



ثم سافرنا من هذه المدينة إلى مدينة مَغْنِيسيّة (99) وضبط اسمها بميم مفتوحة وغين معجمة مسكنة ونون مكسورة وياء مدّ وسين مهملة مكسورة وياء آخر الحروف مشدّده، نزلنا بها عشيّ يوم عرفة (100) بزاوية رجل من الفتيان وهي مدينة كبيرة حسنة في سفح جبل وبسيطها كثير الأنهار والعيون والبساتين والفواكه.

ذكر سلطان مغنيسيّة

وسلطانها يسمى صارُوخان (101)، ولمّا وصلنا إلى هذه البلدة وجدناه بتربة ولده، وكان قد توفّي منذ أشهر فكان هو وأم الولد ليلة العيد (102) وصبيحتَها بتربته، والولدُ قد صُبّر وجعل في تابوت خشب مغشى بالحديد المقزدر وعلّق في قبّةٍ لا سقف لها (103) لأنْ تذهب رائحته، وحينئذ تُسقّف القبّة ويجعل تابوته ظاهرًا على وجه الارض، وتجعل ثيابه عليه، وهكذا رأيت غيره أيضا من الملوك فعل. وسلّمنا عليه بذلك الموضع وصلّينا معه صلاة العيد، وعدنا إلى الزاوية فأخذ الغلام الذي كان لي أفراسنا وتوجّه مع غلامٍ لبعض الأصحاب برسم سقيها، فأبطأ، ثم لمّا كان العشيّ لم يظهر لهما 313/2 أثر، وكان بهذه المدينة الفقيه المدرّس الفاضل مصلح الدين، فركب معي إلى السلطان وأعلمناه بذلك فبعث في طلبهما فلم يوجدا واشتغل الناس في عيدهم وقصدا مدينة للكفار على ساحل البحر تسمّى فُوجة (104) على مسيرة يومٍ من مغنيسيّة، وهؤلاء الكفار في بلد حصين، وهم يبعثون هديّة في كلّ سنة إلى سلطان مَغْنِيسيّة فيقنع منهم بها لحصانة بلدهم، فلمّا كان بعد الظهر أتى بهما بعض الأتراك وبالأفراس وذكروا أنّهما اجتازا بهم عشيّة النهار، فانكروا أمرهما واشتدّوا عليهما حتى أقرّا بما عزما عليه من الفرار !

---

(99) مغْنيسية (MAGNESI) هي (مانيزا) MANISA الحالية، على بعد 35 كـ.م شمال شرق أزمير، استولى عليها صاروخان (SARU-KHAN) مؤسس الدولة التركمانية عام 713=1313.

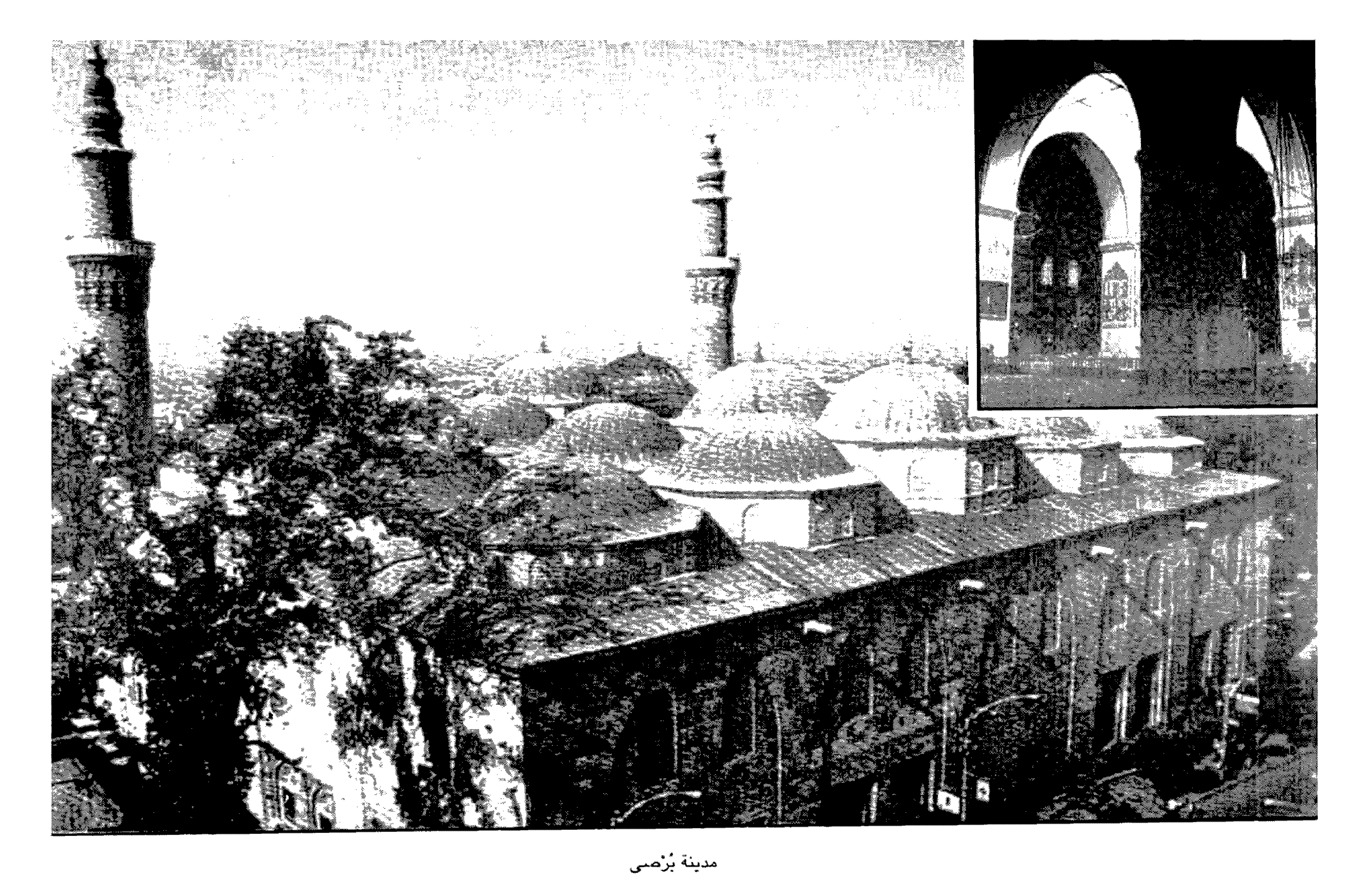
(100) إذا كان عام 731 فيوافق 13 شتنبر 1331 وإذا كان من عام 733 فانه يوافق 21 غشت 1333.

(101) صاروخان (SARUKHAN) –SARU رئيس قبيلة تركمانية، استولى على مغنيسية من يد الكاطلان حوالي 707=1313، واحتل كذلك أعظم جانب في ليديا LYDIA وقد توفي صاروخان عام 745=1345، وعوضه المنحدرون المباشرون منه إلى الفتح العثماني عام 793=1391.

(102) كان عيد الأضحى يوافق يوم 22 غشت.

(103) ربما كان هذا من بقايا عادة ترجع لتقاليد من سيبيرية حيث كان أهلها يعلقون جثة الميت على شجرة حتى تَيْبس !

(104) فوجة هي فوكيا PHOCAEA القديمة التي تقع في الطرف الغربي لقنة الجبل، 60كـ.م غرب مغنيسية، كانت في ذلك العهد مملوكةً لأسرة جنوية تنتسب إلى زَكَريا ZACCARIA وكانت تراقب منجم الشب هناك وتجارة المصطكى.. وقد انشأوا ميناء جديدًا لهم مباشرًا للمناجم هناك وسموه فوكيا الجديدة (Yeni Foja) ... ويظهر أن هذا هو المكان الذي يشير اليه ابن بطوطة.



مدينة بُرْصى

315/2 ثمّ سافرنا من مَغْنيسيّة وبتنا ليلةً عند قومٍ من ‖ التركمان قد نزلوا في مرعى لهم ولم نجد عندهم ما نعلف دوابّنا تلك الليلة، وبات أصحابنا يحترسون مداولةً بينهم خوف السرقة، فأتت نوبة الفقيه عفيف الدين التّوزري فسمعته يقرأ سورة البقرة (105)، فقلت له : إذا أردت النوم فأعلمني لأنظر من يحترس ثم نَمتُ فما أيقظني الاّ الصباح، وقد ذهب السرّاق بفرسٍ لي كان يركبه عفيف الدين بسرجه ولجامه وكان من جياد الخيل اشتريته بأيا سلُوق.

ثم رحلنا من الغد فوصلنا إلى مدينة بَرْغَمة (106)، وضبط اسمها بباء موحدة مفتوحة وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة، مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة بأعلى جبل، ويقال : إن أفلاطون الحكيم من أهل هذه المدينة وداره تشتهر باسمه إلى الآن (107)، 316/2 ونزلنا منها بزاوية ‖ فقيرٍ من الأحمديّة، ثمّ جاء أحد كبراء المدينة فنقلنا إلى داره وأكرمنا إكرامًا كثيرًا.

ذكر سلطان برغمة

وسلطانها يسمّى يخشِي خان (108)، بكسر الشين، وخان عندهم هم السلطان، ويخشي بياء آخر الحروف وخاء معجم وشين معجم مكسور، ومعناه : جيّد، صادفناه في مصيف له فأعلم بقدومنا فبعث بضيافةٍ وثوب قدسيّ، ثم اكترينا من يدلّنا على الطريق وسرنا في جبالٍ شامخة وعرة إلى أن وصلنا إلى مدينة بَلي كَسْرِي (109)، وضبط اسمها بباء موحدة مفتوحة ولام مكسور وياء مدّ وكاف مفتوح وسين مهمل مسكن وراء مكسور وياء، مدينة حسنة كثيرة العمارة مليحة الأسواق، ولا جامع لها يُجمَّع فيه، وأرادوا بناء جامع 317/2 خارجها ‖ متّصل بها فبنوا حيطانه ولم يجعلوا له سقفًا وصاروا يصلّون به ويُجْمِّعون تحت ظلال الأشجار ونزلنا من هذه المدينة بزاوية الفتى أخي سنان وهو من أفاضلهم وأتى إلينا قاضيها وخطيبها الفقيه موسى.

---

(105) السورة الثانية من القرآن الكريم البقرة وهي أطول السور كما نعلم.

(106) برغمة (BERGAMA) هي (PERGAMON) القديمة على بعد 60 كم شمال مغنيسية.

(107) يتعلق الأمر بالطبيب جالينوس وليس بأفلاطون كما نبه اليه المترجمان الفرنسيان (D.S.) ونقله عنهما هاميلتون كيب.

(108) يخْشِي خان الذي أصبح سلطانًا على برْغَمة بعد وفاة والده قَرَسي اقتباسًا من اسمه قرا عيسى (QARASI) QARA-ISA) وهو الذي احتل برغمة حوالي 706=1306 ولده يخشي خان منعوت في المصادر الاغريقية واللاتينية على أنه أحد أعيان القراصنة !

(109) بَلي كسري (BALIKESIR) تقع على بعد 80 كم شمال شرقي برغمة. منطقة مشهورة بانتاج الحرير كما يقول العُمَري.

ذكر سلطان بَلِي كَسْرِي

ويسمى دمور خان (110)، ولا خير فيه، وأبوه هو الذي بنى هذه المدينة وكثرت عمارتها بمن لا خير في مدّة ابنه هذا، والنّاس على دين الملك، ورأيته، وبعث إليّ ثوب حرير، واشتريت بهذه المدينة جاريةً رومية تسمّى مَرْغَلِيطة.

ثم سرنا إلى مدينة بُرْصى (111)، وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وفتح الصاد المهمل، مدينة كبيرة عظيمة 318/2 حسنة الأسواق فسيحة الشوارع تحفّها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية، وبخارجها نهر ماء شديد (112) الحرارة يصبّ في بركة عظيمة، وقد بنى عليها بيتان : أحدهما للرجال والآخر للنساء، والمرضى يستشفون بهذه الحمّة ويأتون اليها من أقاصي البلاد.

وهنالك زاوية للواردين ينزلون بها ويطعمون مدّة مقامهم وهي ثلاثة أيام، عمّر هذه الزاوية أحد ملوك التركمان، ونزلنا في هذه المدينة بزاوية الفتى أخي شمس الدين (113) من كبار الفتيان، ووافقنا عنده يومَ عاشوراء (114) فصنع طعامًا كثيرًا ودعا وجوه العسكر وأهل المدينة ليلاً وأفطروا عنده، وقرأ القرّاء بالأصوات الحسنة، وحضر الفقيه الواعظ مجد الدين القونوّي. 319/2 ووعظ وذكّر وأحسن، ثم أخذوا في السماع والرقص وكانت ليلةً عظيمة الشأن، وهذا الواعظ من الصالحين يصوم الدهر ولا يفطر إلاّ في كلّ ثلاثة أيّام ولا يأكل إلا من كدّ يمينه ويقال : إنّه لم يأكل طعام احد قطّ ولا منزل له ولا متاع إلا ما يستتر به ولا ينام إلا في المقبرة، ويعظ في المجالس ويذكّر، فيتوب على يديه في كلّ مجلس الجماعةُ من الناس، وطلبتُه بعد هذه الليلة فلم أجدْه، وأتيتُ الجبّانة فلم أجده، ويقال : إنّه ياتيها بعد هجوع الناس.

---

(110) دُمورخان : هو أخ أو ابن أخي "يخشي خان" حفيد قَرَسِي وكانت مملكته تحمل اسم أكيرا ضمت الامارة إلى العثمانيين 745=1345.

(111) بُرْصَى (Bursa) تقع على 120 كـ.م شمال شرق بَلي كَسْرى انتزعها أورخان من لدن البيزنطيين الإغريق بضعة أيام قبل وفاة والده عثمان عام 726=1326، وبُرَصى مشهورة إلى يومنا هذا بعيون مائها الحارة، وهي مهد العثمانيين، وقد كتب الناس عنها كثيرًا...

(112) كانت معلومات ابن بطوطة عن المياه المعدينة الحارة مما لفت أنظار الأطباء الذين يجدون في هذا النوع من الحمات علاجًا لأمراض زبنائهم...

(113) عرف بانه والد الأخي حسن المستشار الروحي للسلطان أورخان.

(114) هذا التاريخ 10 محرم يوافق 21 شتنبر 1333.

حكاية [الفقير الصيّاح]

لمّا حضرنا ليلة عاشوراء بزاوية شمس الدين وعظ بها مجد الدين من آخر الليل فصاح أحد الفقراء صيحة غشي عليه منها، فصبّوا عليه ماء الورد فلم يفق، فأعادوا عليه ذلك فلم يفق واختلف الناس فيه، فمن قائل : إنّه ميّت، ومن قائل : إنّه مغشي عليه، وأتم الواعظ كلامه وقرأ القراء وصلّينا الصبح وطلعت الشمس، فاختبروا حالَ الرجل فوجدوه فارق الدنيا، رحمه الله، فاشتغلوا بغسله وتكفينه، وكنت فيمن حضر الصلاة عليه ودفنه.

320/2

وكان هذا الفقير يسمى الصيّاح وذكروا إنه كان يتعبّد بغار هنالك في جبل فمتى علم أن الواعظ مجد الدين يعظ قصده وحضر وعظه، ولم يأكل طعام أحدٍ فإذا وعظ مجد الدين يصيح ويغشى عليه، ثم يفيق فيتوضأ ويصلّي ركعتين، ثم إذا سمع الواعظ صاح، يفعل ذلك مرارًا في الليلة ويسمّى الصيّاح لأجل ذلك وكان أعْذَر اليد والرجل، لا قدرة له على الخدمة، وكانت له والدة تقوته من غزلها فلمّا توفيّت اقتات بنبات الأرض.

321/2

ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح عبد الله المصريّ السايح وهو من الصالحين، جال الأرض إلاّ أنّه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب ولا الأندلس ولا بلاد السودان، وقد زدّت عليه بدخول هذه الأقاليم !

ذكر سلطان بُرْصَى [الملك الثاني في الامبراطورية العثمانية]

وسلطانها اختيار الدين أُرخان بك، وأرخان بضمّ الهمزة وخاء معجم، ابن السلطان عثمان جوق، وجوق بجيم معقود مضموم وآخره قاف، وتفسيره بالتركية الصغير (115)، وهذا السلطان، أكبر ملوك التركمان، وأكثرهم مالاً وبلادًا وعسكرًا، له من الحصون ما يقارب ماية حصن، وهو في أكثر أوقاته لا يزال يطوف عليها ويقيم بكلّ حصن منها أيّامًا لإصلاح شؤونه وتفقّد حاله، ويقال : إنه لم يقم قطّ شهرًا كاملا ببلد، ويقاتل الكفار ويحاصرهم، ووالده

322/2

(115) السلطان الثاني للدولة العثمانية 726-757=1326-1359 ابْنُ وخَلَفُ مؤسس الدولة العثمانية : عثمان الأول 698-726=1229-1326. عند مرور ابن بطوطة لم تكن إمارة عثمان على ما يظهر ذات أهمية في مساحتها وفي قوتها بالنسبة للإمارات الأخرى، ولكنها – وهي تقع في مواجهة دولة بيزنطية في طريقها إلى الضعف والتمزق يومًا عن يوم، كانت أي إمارة عثمان مرشحة لمستقبل عظيم ... وعلى كل حال ففي الاستطاعة القول بأن الرّحالة المغربي كان أول من تحدث لنا عن الدولة العثمانية وهي في مهدها الأول قبل أن تصبح امبراطورية ! – د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7، ص 229.

هو الذي استفتح مدينة بُرْصَى من أيدي الروم وقبره بمسجدها، وكان مسجدها كنيسة للنصارى (116).

ويذكر (116) أنه حاصر مدينة يَزْنيك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها ولدُه، هذا الذي ذكرناه ثنتى عشر سنة وافتتحها (117)، وبها كان لقاءى له (118) وبعث إليَّ بدراهم كثيرة.

ثم سافرنا إلى مدينة يزنيك، وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان الزاي وكسر النون وياء مدّ وكاف، وبتنا قبل الوصول إليها ليلةً بقرية تدعى كُرله (119) بزاوية فتى من ‖ الأخية، ثم سرنا من هذه القرية يومًا كاملاً في أنهار ماءٍ على جوانبها أشجار الرمّان الحلو والحامض، ثم وصلنا إلى بحيرة ماءٍ تُنبت القصب على ثمانية أميال من يزنيك لا يستطاع دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها إلا فارس واحد (120)، وبذلك امتنعت هذه المدينة.

323/2

والبحيرة محيطة بها من جميع الجهات وهي خاوية على عروشها لا يسكن بها الا أناس قليلون من خدّام السلطان (121)، وبها زوجته بيْلون خاتون (122)، وهي الحاكمة عليهم،

---

(116) هو الدير القديم (Saint-Elias) الذي يقع في القلعة - المقبرة الحالية للسلطان عثمان، بنيت من جديد في نهاية القرن التاسع عشر وهناك من الباحثين الأتراك من يقول إنه دفن في صوكوت Sogut على بعد 60 كـ.م. جنوب شرق يزنيك التي تقع شمالاً على مقربة من البحيرة التي تحمل نفس الاسم ... وهو المركز الأصيل الذي نشأت فيه الدولة.

(117) احتلت يزنيك (NICA aea) من طرف أورخان في جمادى 731 مارس 1331.

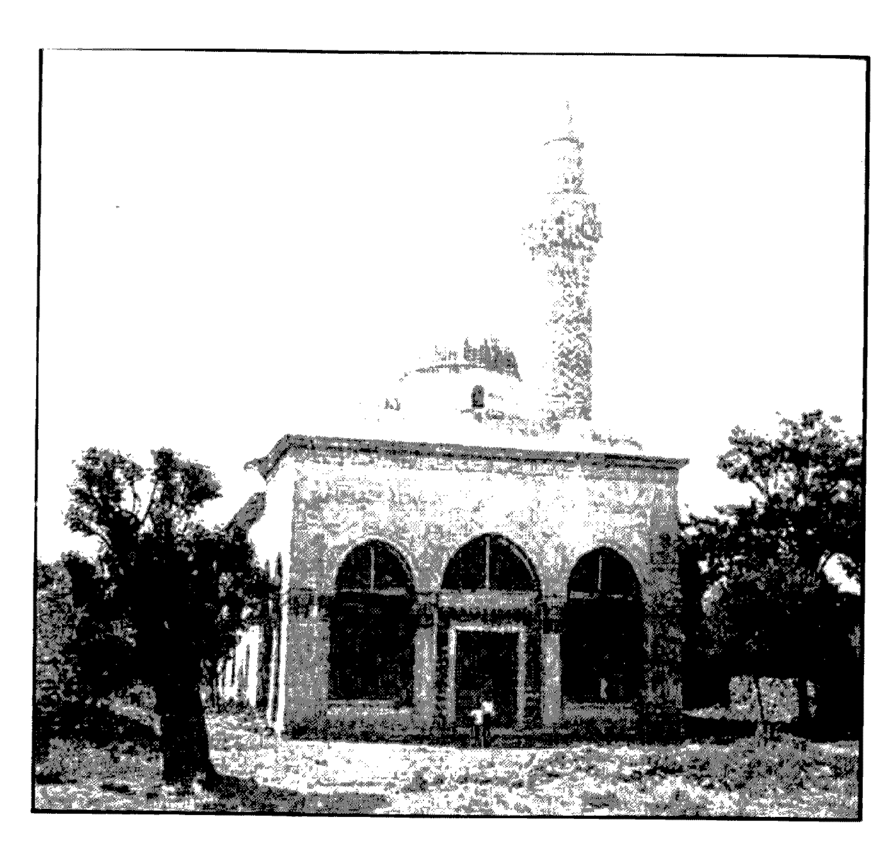
(118) ابن بطوطة يسجل ان اجتماعه بالسلطان اختيار الدين أرخان بك (ثاني ملوك الامبراطورية العثمانية) تَمَّ بمدينة يزنيك التي تقع شمال شرقي بُرصَى.

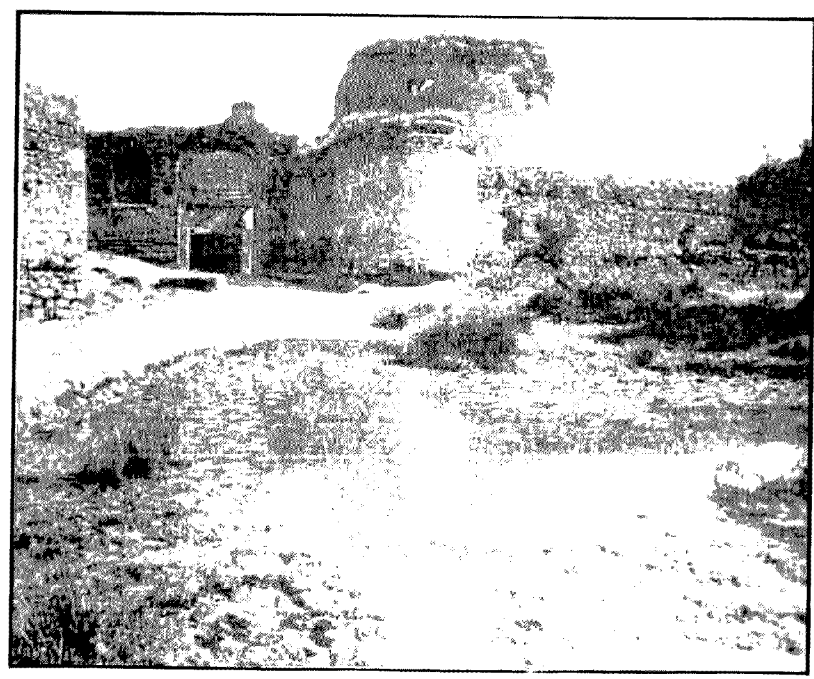
(119) كُرْله هي (GURLE) الحالية في منتصف الطريق بين بُرصَى ويزنيك، يقول بِرَاز يموس، ولوانَّ كيب مثلي لم يقف لها على أثر في الخريطة !

(120) يعتقد كيب أن هذه الافادة من الرحالة المغربي مُربكة نظرًا الى أن المدينة بنيت في الطرف الشرقي للبحيرة كما نرى في الخريطة، إن الجدار الخارجي حُمِي بخندق، وان المدخل في الجدار الجنوبي قريب كذلك من طريق ممر، وذهب كيب إلى القول بأن هذا الوصف ربما كان ينطبق على موقع آخر قُلْ حصار سالف الذكر... ولكن كيب عاد ليذكران ابن بطوطة ربما كان وجد المكان مغمورًا بفيضان من نتيجة ارتفاع مياه النهر...

(121) عند احتلال هذه المدينة (يزنيك) من لدن أُرخان تركها معظم سكانها الاقدمون لكنها عمرت تدريجيا فيما بعد...

(122) بيلون زوجة أورخان، والكلمة من أصل إغريقي، نيلوفر Nilufar وسنرى أن اسم بيلون سيُذكر من ابن بطوطة كَعَلَم لإحدى زوجات السلطان محمد أوزبك خان، ويشك كَيب في طريقة رسم بيلون وهل لايكون تحريفاً عن نيلوفر سيما والشكل متقارب...





يزنيك - الجامع الأخضر والباب البيزنطي

امرأة صالحة فاضلة، وعلى المدينة أسوار أربعة بين كل سورين خندق فيه الماء (123)، ويُدخل إليها على جسور خشب متى أرادوا رفعها رفعوها، وبداخل المدينة البساتين والدور والأرض والمزارع، فلكل إنسان داره ومزرعته وبستانه مجموعة، وشرابها من آبار بها قريبة، وبها من جميع أصناف الفواكه والجوز، والقسطل عندهم كثير جدًا رخيص الثمن، ويسمّون القسطل قسْطنة بالنون، والجوز القوز بالقاف، وبها العنب العذاري (124) لم أر مثله في سواها متناهي الحلاوة عظيم الجرم صافي اللون رقيق القشر، للحبّة منه نواة واحدة، أنزلنا بهذه المدينة الفقيه الامام الحاجّ المجاور علاء الدين السلطانيوكي، وهو من الفضلاء الكرماء، ما جئت قطّ إلى زيارته الاّ أحضر الطعام وصورته حسنة وسيرته أحسن وتوجه معي إلى الخاتون المذكورة فأكرمت وافاضت واحسنت. 324/2

وبعد قدومنا بأيام وصل إلى هذه المدينة السلطان أرخان بك الذي ذكرناه، وأقمت بهذه المدينة نحو أربعين يومًا بسبب مرض فرسٍ لي، فلما طال عليّ المكث تركته وانصرفت، ومعي ثلاثة من أصحابي وجارية وغلمان، وليس معنا من يحسن اللسان التركي ويترجم عنّا، وكان لنا ترجمان فارقنا بهذه المدينة. 325/2

ثم خرجنا منها فبتنا بقرية يقال لها : مَكَّجَا (125)، بفتح الميم والكاف والجيم، بتنا عند فقيه بها أكرمنا وأضافنا، وسافرنا من عنده وتقدّمتْنا امرأة من الترك على فرسٍ ومعها خديم لها، وهي قاصدة مدينة يَنجا (126)، ونحن في اتباع أثرها، فوصلتْ إلى واد كبير يقال له سَقَرِيّ، كأنّه نُسِب إلى سَقَر أعاذنا الله منها (127)، فذهبت تجوز الوادي، فلما توسطته كادت الدابة تغرق بها ورمتْها عن ظهرها، وأراد الخديم الذي كان معها استخلاصها فذهب الوادي بهما معًا، وكان في عدوة الوادي قومٌ رموا بأنفسهم في أثرهما سباحةً فاخرجوا المرأة وبها من الحياة رمق، ووجدوا الرجل قد قضى نحبه، رحمه الله.

وأخبرنا أولائك الناس أن المَعَدّية اسفل من ذلك الموضع فتوجهنا إليها وهي أربع خشبات مربوطة بالحبال، يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجال من العدوة

---

(123) كانت المدينة تتوفر على سورين اثنين يحميهما خندق... ويعتقد گيب أن تلك التفصيلات مشكوك فيها ولا نشاطره هذا الرأي مادمنا نتحدث عن مدينة لها تلك الأهمية الكبرى ...

(124) سمي كذلك لان حبوبه تشبه أصابع العذارى !!

(125) مَكْجاهي (MEKECE) على بعد نحو 30 كـ.م شرق إيزنيك...

(126) ينجا هي طرَكْلي Tarakli–Venijesi على بعد 20كـ.م جنوب شرق مدينة جيف (Geyve) التي سيُسميها ابن بطوطة (كاوية).

(127) هذا بالذات وادي (سَكَريا) (Sakarya).

الأخرى، ويركب عليها الناس، وتُجاز الدواب سباحةً وكذلك فعلنا ووصلنا تلك الليلة إلى كاوية (128) واسمها على مثال فاعلة، من الكيِّ، نزلنا منها بزاوية أحد الأخية فكلّمناه بالعربية فلم يفهم عنّا، وكلّمنا بالتركيّة فلم نفهم عنه ! فقال : اطلبوا الفقيه فإنّه يعرف العربية 327/2 فأتى الفقيه فكلّمنا بالفارسيّة، وكلّمناه بالعربية، فلم يفهمها منّا فقال للفتى : ايشان عَرَبيَ كُهْنَا ميقُوَانْ ومن عَرَبيَ نُومِيدَ انَم، وإيشان، معناه : هؤلاء، وكُهْنَا : قديم، وميقْوان : يقولون، ومن أنَا، ونو : جديد. وميدَا نَم : نعرف وانّما أراد الفقيه بهذا الكلام ستْر نفسه عن الفضيحة حين ظنّوا أنّه يعرف اللسان العربيّ وهو لا يعرفه فقال لهم : هؤلاء يتكلّمون بالكلام العربيّ القديم وأنا لا أعرف الاّ العربيّ الجديد ! فظنّ الفتى أن الأمر على ما قاله الفقيه، ونفعنا ذلك عنده، وبالغ في إكرامنا وقال : هؤلاء تجب كرامتهم لأنهم يتكلمون باللسان العربي القديم ! وهو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولم نفهم كلام الفقيه إذا ذاك 327/2 لاكني حفظت لفظه، فلما تعلمت اللسان الفارسي فهمتُ مراده، وبتنا تلك الليلة بالزاوية، وبعث معنا دليلاً إلى يَنِجا، وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف وكسر النون وجيم، بلدة كبيرة حسنة بحثنا بها عن زاوية الأخي فوجدنا أحد الفقراء المولّهين، فقلت له : هذه زاوية الأخي ؟ فقال لي : نعم فسررت عند ذلك اذ وجدت من يفهم اللسان العربي، فلما اختبرته أبرز الغيب انّه لا يعرف من اللسان العربي الا كلمة نعم خاصّة ! وانزلنا بالزاوية وجاء إلينا أحد الطلبة بطعام ولم يكن الأخي حاضرًا، وحصل الأنس بهذا الطالب، ولم يكن يعرف اللسان العربي لاكنه تفضّل وتكلّم مع نائب البلدة، فأعطاني فارسًا من أصحابه وتوجه معنا إلى كَيْنُوك (129)، وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون 329/2 الياء وضم النون، وهي بلدة صغيرة يسكنها كفار الرّوم تحت ذمّة المسلمين، وليس بها غير بيت واحدٍ من المسلمين وهم الحكّام عليهم، وهي من بلاد السلطان أرْخان بك، فنزلنا بدار عجوزٍ كافرة وذلك إبّان الثلج والشتاء، فأحسنّا إليها وبتنا عندها تلك الليلة.

وهذه البلدة لا شجر بها ولادوالي العنب، ولا يزرع بها الاّ الزعفران، وأتتنا هذه العجوز بزعفران كثير وظنّتْ أننا تجار نشتريه منها ! ولما كان الصباح ركبنا وأتانا الفارس الذي بعثه الفتى معنا من كاوية فبعث معنا فارسًا غيره ليوصلنا إلى مدينة مُطُرْني، وقد وقع في تلك الليلة ثلجٌ كثير عفّى الطرق، فتقدّمَنا ذلك الفارس فاتّبعنا أثره إلى 330/2 أن وصلنا في نصف النهار إلى قرْيةٍ للتركمان، فاتوا بطعام فأكلنا منه وكلّمهم ذلك الفارس، فركب معنا أحدهم وسلك بنا أوعارًا وجبالاً ومجرى ماء تكرّر لنا جوازه أزيد من ثلاثين مرّة، فلمّا خلصنا

(128) كاويه : هي (GEYVE) على بعد 50كـ.م. شرق إيزنيك.

(129) كَيْنُوك (GÖYNÜK) تقع على بعد 25 كـ.م شرقي طَرَكلي.

من ذلك، قال لنا ذلك الفارس : أعطوني شيئا من الدراهم، فقلنا له : إذًا وصلْنا إلى المدينة نعطيك ونرضيك، فلم يرض ذلك منّا أو لَمْ يفهم عنّا، فأخذ قوسًا لبعض أصحابي ومضى غير بعيد، ثم رجع فردَّ إلينا القوس، فأعطيته شيئا من الدراهم فأخذها وهرب عنّا وتركنا لا نعرف أين نقصد، ولا طريقَ يظهر لنا، فكنّا نتلمّح أثر الطريق تحت الثلج، ونسلكه إلى أن بلغنا عند غروب الشمس إلى جبلٍ يظهر الطريق به لكثرة الحجارة، فخِفت ‖ الهلاك على نفسي ومَن معي، وتوقعت نزول الثلج ليلاً، ولا عمارة هنالك، فإنْ نزلنا عن الدوابّ هلكْنا وإن سرينا ليلتنا لا نعرف أين نتوجّه ! وكان لي فرسٌ من الجياد فعلمت على الخلاص، وقلت في نفسي : إذا سلمت لعلّي أحتال في سلامة أصحابي، فكان كذلك واستودعتهم الله تعالى وسرتُ.　331/2

وأهل تلك البلاد يبْنون على القبور بيوتًا من الخشب يظنّ رائيها أنها عمارة فيجدها قبورًا، فظهر لي منها كثير فلما كان بعد العشاء وصلتُ إلى بيوت، فقلت : اللهمّ اجعلْها عامرة، فوجدتها ‖ عامرة، ووفّقني الله تعالى إلى باب دار فرأيت عليه شيخًا فكلّمتُه بالعربي فكلّمني بالتركي وأشار إليّ بالدخول فأخبرته بشأن أصحابي، فلم يفهم عنّي، وكان من لطف الله أن تلك الدار زاوية للفقراء والواقف بالباب شيخُها فلمّا سمع الفقراء الذين بداخل الزاوية كلامي مع الشيخ، خَرَجَ بعضهم، وكانت بيني وبينه معرفة، فسلّم عليّ، وأخبرته خبر أصحابي وأشرت إليه بأن يمضي مع الفقراء لاستخلاص الأصحاب، ففعلوا ذلك وتوجّهوا معي إلى أصحابي وجئنا جميعًا إلى الزاوية، وحمِدنا الله تعالى على السلامة !　332/2

وكانت ليلةَ جمعة، فاجتمع أهل القرية وقطعوا ليلتهم بذكر الله تعالى، وأتى كلٌّ منهم بما تيسّر له من الطعام وارتفعت المشقّة، ورحلنا عند الصباح فوصلنا إلى مدينة مُطُرْني (130) عند صلاة الجمعة، وضبط اسمها بضم الميم والطاء المهملة واسكان الراء وكسر النون وياء ‖ مدّ، فنزلنا بزاوية أحد الفتيان الأخية، وبها جماعة من المسافرين ولم نجد مرْبطًا للدواب فصلينا الجمعة ونحن في قلق لكثرة الثلج والبرد وعدم المرْبط، فلقينا أحد الحجّاج من أهلها فسلّم علينا، وكان يعرف اللسانَ العربي، فسررت برؤيته وطلبتُ منه أن يدلّنا على مربط للدواب بالكراء، فقال : امّا ربطُها في منزلٍ فلا يتأتّى لأن أبواب دور هذه البلدة صغارٌ لا تدخل عليها الدّوابّ، ولاكني أدلكم على سقيفةٍ بالسوق يربط فيها المسافرون دوابّهم، والذين يأتون لحضور السوق، فدلّنا عليها وربطنا بها دوابنا، ونزل أحد الاصحاب بحانوتٍ خالٍ ازاءها ليحرس الدواب ‖ .　333/2 334/2

(130) مُطُرني (MUDURNU) على بعد 35 كـ.م. شرقي كينوك سالف الذكر والطريق فعلاً جبلي.

وكان من غريب ما اتّفق لنا أنّي بعثث أحد الخدّام ليشتري التّبن للدواب، وبعثت أحدهم يشتري السمن، فأتى أحدهما بالتبن، وأتى الآخر دون شيء وهو يضحك، فسألناه عن سبب ضحكه فقال إنّا وقفنا على دكّانٍ بالسوق، فطلبنا منه السمن فأشار الينا بالوقوف، وكلّم ولدًا له فدفعْنا له الدراهم فأبطأ ساعةً وأتى بالتبن فأخذناه منه وقلنا له : إنّا نريد السمن، فقال : هذا السمن، وأبرز الغيب أنهم يقولون للتبن سمن بلسان الترك ! وأما السمن فيسمّى عندهم رُوغَان !! (131).

ولمّا اجتمعنا بهذا الحاجّ الذي يعرف اللسان العربي رغبنا منه أن يسافر معنا إلى قَصْطَمُونية، وبينها وبين هذه البلدة مسيرة عشر، وكسوته ثوبًا مصريًا [335/2] من ثيابي وأعطيته نفقةً تركها لعياله، وعيّنت له دابّة لركوبه ووعدتُه الخير وسافر معنا فظهر لنا من حاله أنّه صاحبُ مال كثيرٍ وله ديونٌ على الناس غير أنّه ساقط الهمّة خسيس الطبع سيء الأفعال ! وكنا نعطيه الدراهم لنفقتنا فيأخذ ما يفضل من الخبز ويشتري به الأبزار والخضر والملح ويمسك ثمن ذلك لنفسه ! وذكر لي أنه كان يسرق من دراهم النفقة دون ذلك، وكنا نحتمله لما كنا نكابده من عدم المعرفة بلسان الترك، وانتهت حاله إلى أن فضحناه، وكنا نقول له في آخر النهار : يا حاجّ كم سرقت اليوم من النفقة ؟ فيقول : كذا ! فنضحك منه ونرضى بذلك !!

ومن أفعاله الخسيسة أنه مات لنا فرس في بعض المنازل فتولى [336/2] سلخ جلده بيده وباعه، ومنها أنّا نزلنا ليلةً عند أختٍ له في بعض القرى فجاءت بطعام وفاكهة من الإجّاص والتفّاح والمشمش والخوخ كلّها ميبّسة وتجعل في الماء حتى ترطب فتُوكل ويشرب ماؤها، فأردنا أن نحسن إليها، فعلِم بذلك فقال : لا تعطوها شيئا وأعطوا ذلك لي، فأعطيناه ارضاءً له، وأعطيناها إحساناً في خفية بحيث لم يعلم بذلك !

ثم وصلنا إلى مدينة بُولي (132) وضبط اسمها بباء موحدة مضمومة وكسر اللام، ولما انتهينا إلى قريب منها وجدنا واديًا يظهر في رأى العين صغيرًا فلما دَخَله بعض أصحابنا وجدوه شديد الجِرْية والانزعاج فجازوه جميعًا، وبقيت جاريةٌ صغيرة خافوا من تجْويزها، وكان [337/2] فرسي خيرًا من أفراسهم فأردفتها، وأخذت في جواز الوادي فلمّا توسطته وقع بي الفرس ووقعت الجارية فأخرجها أصحابي وبها رمق، وخَلَصتُ أنا.

---

(131) هذه الحكاية أثارت انتباه الامير مولاي العباس القائد العام لحرب تطوان المغربية عام 1860 فعلّق على مخطوطته قائلا : قِف ولا بد على هذه الحكاية !!

(132) بُولِي (Bolu) وتقع على بعد 45 كـ.م شمال شرقي مدينةُ مطرني الطريق الذي يربط اسطنبول بأنقره وكانت على ذلك العهد من الممتلكات العثمانية. في هذه المدينة رأى ابن بطوطة لأول مرة الموقد (la cheminée) في مؤسسة دينية وقد رأيت عام 1996 بالمسجد الأزرق في تبريز موقدين ينطبق عليهما وصف ابن بطوطة.

ودخلنا المدينة فقصدنا زاوية أحد الفتيان الأخية، ومن عوائدهم أنه لا تزال النار موقودة في زواياهم أيام الشتاء أبدًا يجعلون في كل ركن من أركان الزاوية موقدًا للنار ويصنعون لها منافس يصعد منها الدخان ولا يؤذي الزاوية، ويسمونها البَخَاريّ واحدها بَخيريّ.

قال ابن جزي : وقد احسن صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحليّ (133) في قوله في التورية، وتذكّرتُه بذكر البَخَيريّ :

338/2

إنّ البَخِيريّ مُذ فارقتُموه غَدَا يُحثي الرّماد عَلَى كَانُونِهِ التُّرب

لو شِئتُمُ انَّهُ يُمْسِي أَبَا لـهب جَاءت بغالُكُم حمّالَة الحَطَب (134)

رجع. قال : فلمّا دخلنا الزاوية وجدنا النار موقدةً فنزعتُ ثيابي ولبست ثيابًا سواها واصطليت بالنار، وأتى الأخي بالطعام والفاكهة وأكثر من ذلك، فللّه درّهم من طائفةٍ ما أكرم نفوسهم وأشدّ إيثارهم، وأعظم شفقتهم على الغريب، وألطفهم بالوارد، وأحبّهم فيه وأجملهم احتفالاً بأمره ! فليس قدوم الانسان الغريب عليهم الاّ كقدومه على أحبّ أهله إليه ! وبتنا تلك الليلة بحالٍ رضيّة، ثم رحلنا بالغداة فوصلنا إلى مدينة كَرَدَيْ بُولي (135)، وضبط اسمها بكاف معقودة وفتح الراء والدال المهمل وسكون الياء وباء موحدة مضمومة وواو مدّ ولام مكسورة وياء، وهي مدينة كبيرة في بسيطٍ من الأرض حسنة متّسعة الشوارع والأسواق من أشدّ البلاد بردًا، وهي محلاّتٌ مفترقة. كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم.

339/2

ذكر سلطانها

وهو السُّلطان شاه بك (136) من متوسطي سلاطين هذه البلاد، حسن الصورة والسيرة جميل الخلق، قليل العطاء، صلّينا بهذه المدينة صلاة الجمعة، ونزلنا بزاويةٍ منها،

(133) عبد العزيز بن سرايا علي الطائي الحلي شاعر تاجر... وقد تقرب من ملوك الدولة الارتُقية ومدحهم وأجزلوا له عطاءاتهم ورحل إلى القاهرة سنة 726-1326 فمدح الملك الناصر، أدركه أجله ببغداد عام 750=1349، وقد سلف ذكره عند الحديث عن ماردين II، 143.

(134) تلميح للشخصيتين المذكورتين في القرآن أبو لهب وزوجته حمالة الحطب، السورة 111 سورة المسد.

(135) كَرَدَي بُولي هي (Bolu) (GEREDE) الحالية على بعد 37كـ.م. شرقي بولو (BOLU) سالفة الذكر – على بعد قليل نحو الشرق من هذه المدينة. نجد ابن بطوطة يغادر الطريق الرئيسي لأنطاليا متّجهًا نحو شاطئ البحر الأسود.

(136) لا يعرف شيء كثير عن هذه الامارة ولا عن مَلِكها الذي يسميه العُمَري شاهين ربما كان ذلك تحريفا لشاه بك. وهو أي العمري يقدر جيشه بحوالي 5000 فرس. وقد احتلت هذه المدينة كردي بولي Gerede من لدن العثمانيين عام 755=1354.

ولقيتُ بها الخطيب الفقيه شمس الدين الدمشقي الحنبلي، وهو مستوطنها منذ سنين، وله بها أولاد، وهو فقيه هذا السلطان وخطيبُه ومسموع الكلام عنده، ودخل علينا هذا الفقيه بالزاوية فأعلمنا أن السلطان قد جاء لزيارتنا فشكرتُه على ‖ فعله، واستقبلتُ السلطان فسلّمت عليه، وجلس فسألني عن حالي، وعن مقدمي وعمّن لقيته من السلاطين، فأخبرته بذلك كلّه، وأقام ساعةً ثمّ انصرف، وبَعَثَ بدابّةٍ مسرجة وكسوة.

340/2

وانصرفنا إلى مدينة بُرْلُو، (137) وضبط اسمها بضمّ الباء الموحدة واسكان الراء وضم اللام، وهي مدينة صغيرة على تلٍّ تحتها خندق ولها قلعةٌ بأعلى شاهقٍ نزلنا منها بمدرسةٍ فيها حسنة، وكان الحاج الذي سافر معنا يعرف مدرّسها وطلبتها ويحضر معهم الدرس، وهو، على علاّتِه، من الطلبة حنفيّ المذهب، ودعانا أمير هذه البلدة وهو عليّ بك بن السلطان المكرّم سليمان بادشاه ملك قَصْطَمُونية، وسنذكره، فصعدنا إليه إلى القلعة فسلّمنا عليه فرحّب بنا، وأكرمنا، وسألني عن أسفاري وحالي ‖ فأجبته عن ذلك، وأجلسني إلى جانبه، وحضر قاضيه وكاتبه الحاجب علاء الدين محمد، وهو من كبار الكتّاب وحَضَر الطعام فأكلْنا، ثم قرأ القراء بأصواتٍ مبكية وألحانٍ عجيبة وانصرفنا.

341/2

وسافرنا بالغد إلى مدينة قَصْطَمُونْية (138)، وضبط اسمها بقاف مفتوح وصادٍ مهمل مسكن وطاء مهمل مفتوح وميم مضمومة وواو ونون مكسورة وياء آخر الحروف، وهي من أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار نزلنا منها بزاوية شيخ يعرف بالأطرش لثقل سمعه، ورأيتُ منه عجبًا، وهو أن أحد الطلبة كان يكتب له في الهواء وتارة في الأرض بأصبعه (139)، فيفهم عنه، ويجيبه، ويحكي له بذلك الحكايات فيفهمها وأقمنا بهذه المدينة ‖ نحو أربعين يوما فكنّا نشتري طابق اللحم الغنميّ السمين بدرهمين ونشتري خبزًا بدرهمين فيكفينا ليومنا ونحن عشرة، ونشتري حلواء العسل بدرهمين فتكفينا أجمعين ونشتري جوزًا بدرهم وقسطلاً بمثله، فنأكل منها أجمعون ويفضل باقيها ونشتري حَمْلَ الحطب بدرهمٍ واحد، وذلك أوان البرد الشديد، ولم أر في البلاد مدينة أرخص أسعارًا منها.

342/2

(137) مدينة (برلو) هي سافْرَانْبُولُو (SAFARANBOLU) الحالية على بعد 65 كـ.م. شمال شرقي بولي (GEREDE) وتسمى في النصوص القديمة زعفران بُرْلو لأن الزعفران يزرع بها.

(138) قصطمونية (KASTAMONU) على بعد 90 كـ.م شرقي سَافْرَانبولو (SAFRONBOLU).

(139) ضرب من المبتكرات للتفاهم مع الآخرين وربما للتعامل السري عند الحاجة. أنظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (حساب العقد) - د. التازي : الرموز السرية في المراسلات المغربية عبْر التاريخ، مطبعة المعارف المعارف، الرباط 1983.

ولقيت بها الشيخ الامام العالم المفتي المدرس تاج الدين السلطانْيوكي من كبار العلماء، قرأ بالعراقين وتبريز واستوطنها مدّةً وقرأ بدمشق وجاور بالحرمين قديمًا.

ولقيت بها العالم المدرس صدْر الدين سليمان الفِنِيكي، من أهل فِنِيكة (140) من بلاد الروم، وأضافني بمدرسته التي ‖ بسوق الخيل (141) ولقيت بها الشيخ المعمّر الصالح دادا أمير علي دخلت عليه بزاويته بمقربة من سوق الخيل فوجدته ملقى على ظهره فأجلسه بعض خدامه ورفع بعضهم حاجبيه عن عينيه ففتحهما، وكلمني بالعَربي الفصيح، وقال قدمتَ خير مقدم وسألته عن عمره فقال: كنت من أصحاب الخليفة المستنصر بالله وتوفّى وأنا ابن ثلاثين سنة وعمري الآن مائة وثلاث وستّون سنة (142)، فطلبت منه الدعاء لي وانصرفت. 343/2

ذكر سلطان قصطمونية

وهو السلطان المكرم سليمان بادشاه، واسمه بباء معقودة والف ودال مسكن، وهو كبير السن ينيف على سبعين سنة، حسن الوجه طويل اللّمة (143) ‖ صاحب وقار وهيْبة، يجالسه الفقهاء والصلحاء دخلت عليه بمجلسه فأجلسني إلى جانبه وسألني عن حالي ومقدمي وعن الحرمين الشريفين ومصر والشام، فأجبته وأمر بإنزالي على قرب منه، وأعطاني ذلك اليوم فرسًا عتيقًا قرطاسيَّ اللون وكسوة وعيّن لي نفقة وعلفًا وأمر لي بعد ذلك بقمح وشعير نُفِّذ لي في قريةٍ من قرى المدينة على مسيرة نصف يوم منها، فلم أجدْ من يشتريه لرخص الأسعار فاعطيته للحاج الذي كان في صحبتنا. 344/2

---

(140) فنيكة (FINIKE) مدينة تقع على الساحل الجنوبي لتركيا جنوب غربي أنطاليا، كانت على ذلك العهد تحت هيمنة أسرة ما نطيشي (MENTECHE).

(141) تشتهر قصطمونية بخيولها الرفيعة حسبما يؤكد العُمَري.

(142) بما أن المستنصر بالله الخليفة ما قبل الأخير في بغداد توفي عام 640=1242 فإن عمر الشيخ لا ينبغي أن يتجاوز أكثر من 123 ولا غرابة في ذلك عند الذين يتتبّعون كتب التراجم...

(143) شجاع الدين سليمان 700-740=1301-1340 ابن تِمُر جاندار (TIMUR JANDAR) الذي كان يملك منذ سنة 690=1291 منطقة نفوذ: أفْلاني (AFLANI) شمال شرق زعفران بولو (SAFRONBOLU) - وقد انتزع شجاع الدّين قصطمونية من ورثتها الحكام السلاجقة الجوبانيين عام 1310 أو عام 1320، وهناك أسس مملكته الخاصة (جاندار أوغلو أو الإسفاندياريين -IS FADIYARIDES)، وقد احتل أيضا بُرْلو وصنوب، وعين ولده علي وابراهيم حاكمين لهما، وحسب بعض المصادر المعاصرة فإنه معروف بسليمان باشا- اللّمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن ... وفي بعض النسخ: اللحية عوض اللّمة - قدّر الإمام عليّ عليه السلام أرذلَ العُمُر (la sénilité) بخمس وسبعين سنة...

ومن عادة هذا السلطان أن يجلس كلّ يوم بمجلسه بعد صلاة العصر ويوتى بالطعام فتفتح الأبواب ولا يمنع أحد من حضريٍّ أو بدويٍّ، أو غريب أو مسافر من الأكل، ويجلس في أول النهار جلوسًا خاصًا، ويأتي ابنه فيقبّل يديه، وينصرف إلى مجلسٍ له، ويأتي أرباب الدولة فيأكلون عنده وينصرفون. 345/2

ومن عادته في يوم الجمعة أن يركب إلى المسجد، وهو بعيد عن داره، والمسجد المذكور هو ثلاث طبقات من الخشب، فيصلّي السلطان وأرباب دولته والقاضي والفقهاء ووجوه الأجناد في الطبقة السفلى، ويصلي أفندي (144)، وهو أخو السلطان، وأصحابه وخدّامه وبعض أهل المدينة في الطبقة الوسطى، ويصلي ابن السلطان وليّ عهده وهو أصغر أولاده، ويسمى الجواد (145)، وأصحابه ومماليكه وخدامه وسائر الناس في الطبقة العليا، ويجتمع القراء فَيَقعُدون حلقةً أمام المحراب، يقعد معهم الخطيب والقاضي ويكون السلطان بازاء المحراب ويقرءون سورة الكهف (146) بأصواتٍ حسان ويكرّرون الآيات بترتيبٍ عجيب، فإذا فرغوا من قراءتها صعِد الخطيب المنبر فخطب ثم صلّى، فإذا فرغوا من الصلاة تنفّلوا وقرأ القارئ بين يدي السلطان عُشرًا وانصرف السلطان ومن معه، ثم يقرأ القارئ بين يدي أخي السلطان، فإذا أتمّ قراءته انصرف هو ومن معه، ثم يقرأ القارئ بين يدي ابن السلطان، فإذا فرغ من قراءته قام المعرّف، وهو المذكّر (147) فيمدح السلطان بشعرٍ تركيٍّ ويمدح ابنه ويدعو لهما وينصرف، ويأتي ابن الملك إلى دار أبيه بعد أن يقبل يد عمّه في طريقه، وعمّه واقف في انتظاره ثم يدخلان إلى السلطان فيتقدم أخوه ويقبّل يده ويجلس بين يديه، ثم يأتي ابنه فيقبّل يده وينصرف إلى مجلسه فيقعد به مع ناسه، فإذا حانت صلاة العصر صلوها جميعا وقبل أخو السلطان يده وانصرف عنه فلا يعود اليه إلاّ في الجمعة الأخرى وامّا الولد فإنّه يأتي كلّ يوم غدوة كما ذكرناه. 346/2 347/2

ثو سافرنا من هذه المدينة ونزلنا في زاويةٍ عظيمة بإحدى القرى من أحسن زاويةٍ

(144) كلمة أفندي من أصل إغريقي (AFTHENTES) بمعنى سيّد – ويتعلق الأمر هنا بأحد الاستعمالات الأولى لهذه الكلمة في اللغة التركية. هذا الأفندي ربما كان هو الأمير يعقوب الأخ الوحيد المعروف لسليمان الذي خلف ابن هذا الأخير ابراهيم 742-745=1342-1345.

(145) لم نعرف عن هذا الجواد شيئا، لقد كان خلف سليمان عند وفاته ولده ابراهيم الذي كان على ذلك العهد أمير صنوب.

(146) هي السورة رقم 18 من القرآن الكريم.

(147) لقب المذكّر وظيفة سياتي قريبًا وصفها والحديث عنها.

رأيتها في تلك البلاد، بناها أمير كبير تاب إلى الله تعالى يسمّى فخر الدين (148) وجعل النظر فيها لولده والإشراف لمن أقام بالزاوية من الفقراء، وفوائد القرية وقف عليها، وبنى بازاء الزاوية حمّامًا للسبيل يدخله الوارد والصادر من غير شيء يلزمه وبنى سوقًا بالقرية ووقفه على المسجد الجامع وعيّن من أوقاف هذه الزاوية لكلّ فقير يرد من ‖ الحرمين الشريفين أو من الشام ومصر والعراقين وخراسان وسواها كسوةً كاملةً ومائة درهم يوم قدومه وثلاثماية درهم يوم سفره والنفقة أيّام مقامه، وهي الخبز واللحم والأرز المطبوخ بالسمن والحلواء، ولكل فقير من بلاد الروم عشرة دراهم وضيافة ثلاثة أيّام. 348/2

ثم انصرفنا وبتْنا ليلةً بزاوية في جبل شامخ لا عمارة فيه عمّرها بعض الفتيان الأخيّة، ويعرف بنظام الدين من أهل قَصطمُونية ووقف عليها قريةً ينفق خراجها على الوارد والصادر بهذه الزاوية.

وسافرنا من هذه الزاوية إلى مدينة صَنُوب (149)، وضبط اسمها بفتح الصاد وضمّ النون وآخره باء، وهي مدينةٌ حافلة جمعت بين التحصين والتحسين، يحيط بها البحر من جميع جهاتها إلا واحدة وهي جهة الشرق، ولها ‖ هنالك باب واحد لا يدخل إليها أحد إلا بإذنِ أميرها إبراهيم بك (150) ابن السلطان سليمان بادشاه الذي ذكرناه. 349/2

ولما أستوذن لنا عليه دخلنا البلد ونزلنا بزاوية عزّ الدين أخي جلبى، وهي خارج باب البحر، ومن هنالك يصعد إلى جبلٍ داخل في البحر، كَمينا سبتة (151)، فيه البساتين والمزارع والمياه وأكثر فواكهه التين والعنب وهو جبل مانع لا يستطاع الصعود إليه، وفيه إحدى عشرة قرية يسكنها كفار الروم تحت ذمّة المسلمين وبأعلاه رابطة تنسب للخضر وإلياس عليهما

(148) حسب الوصف فإن القصد إلى المدرسة المشيَّدة في طاشكُوبْرو (Tashköprü) على بعد 40كـ.م شمال شرق قسطمونية من لدن أمير قصطمونية الجوباني ومظفر الدّين يولوق أرسلان (تـ 1304-5) وكذا سليمان باد شاه الذي خصص له وقفاً عام 1329 على ما تدل عليه المنقوشات الأثرية. يبقى بعد هذا أن نذكر أن لقب فخر الدين مما خانته الذاكرة فيه...

(149) صِنوب (SINOP) على بعد 95 كـ.م شمال شرق طاشكوبرو إحدى المراسي الأساسية للاناضول على البحر الاسود على ذلك العهد، تقع على شبه جزيرة تتصل باليابسة من جهة الغرب (وليس جهة الشرق كما يقول...

(150) ابراهيم أمير صنوپ ابتداءً على ما يبدوا - من 722=1322 وكان تابعًا للسلطان جاندار أوغلو (742-740=1340-1342.

(151) لم ينس ابن بطوطة منطقة بلده فهو يقارن ويفارق بين معالمها ومعالم الجهات الأخرى، وهنا نراه يفارق بين أنف الجبل الممتد في البحر بصنوب وبينه في سبتة، ومن المعروف أن الأنف هناك يحمل اسم بوزداغ (BOZTEPE) والمرتفع هنا في سبتة يحمل اسم مينا (MÜNA) وهو الذي يهيمن على الجانب الشرقي لشبه جزيرة سبتة (انظر الخريطة).

السلام لا تخلو عن متعبد وعندها عين ماء، والدعاء فيها مستجاب.وبسفح هذا الجبل قبْر الوليّ الصالح الصحابي بلال الحبشي (152)، وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر. 350/2

والمسجد الجامع بمدينة صنُوب من أحسن المساجد وفي وسطه بركة ماء عليها قبّة تقلّها أربع أرجُلْ ومع كل رجلٍ ساريتان من الرخام وفوقها مجلس يصعد له على درج خشب وذاك من عمارة السلطان برْوانه ابن السلطان علاء الدين الروميّ، وكان يصلي الجمعة بأعلى تلك القبة وملك بعده ابنه غازي جلبي، فلما مات تغلب عليها السلطان سليمان المذكور (153)، وكان غازي جلبي المذكور شجاعًا مقدمًا، ووهبه الله خاصيّة في الصبر تحت الماء وفي قوّة السباحة (154)، وكان يسافر في الأجفان الحربيّة لحرب الروم، فإذا كانت الملاقاة واشتغل الناس بالقتال غاص تحت الماء وبيده آلة حديد يخرق بها أجفان العدو فلا يشعرون بما حلّ بهم حتّى يدهمهم الغرق، وطرقتْ مرسى بلده مرّة أجفان للعدو فخرقها وأسر من كان فيها!(155) 351/2

وكانت فيه كفاية لا كفاء لها إلاّ أنهم يذكرون انّه كان يكثر أكل الحشيش، وبسببه مات فإنه خرج يوما للتصيد وكان مولعًا به فاتبع غزالةً ودخلت له بين أشجار وزاد في ركض فرسه فعارضته شجرة فضربت رأسه فشدّخته فمات، وتغلب السلطان سليمان على البلد

---

(152) ذكر هذا القبر أيضا في دمشق (I، 222).

(153) بني هذا المسجد الجامع 665=1267 من لدن سليمان بُيرْوَان (PERVAN) الوزير السلجوقي، وقد استمر صامدًا وجرت عليه عدة ترميمات إلى يومنا، وهو معروف تحت إسم جامع علاء الدين...

(154) استوقفت هذه الفقرة بعض الذين اشتغلوا بالرحلة ابتداءً من الناشريْن الأولين (D.S) وانتهاءً بگيب لقد لاحظوا ان هنا جملة فراغات لابد من التنبّه اليها

لقد كان (بروانة) وهو لقبٌ للأمراء الحاكمين في دولة صنوب، تحت سيادة المغول إيلخان فارس - صنوب كانت مخفرًا لحماية الطريق التجارية من طرابيزون إلى تبريز.

وقد أسست الدولة حوالي سنة 1260 من لدن أحد أصهار سلاجقة الروم و قد خلفه عام 1301 غازي شلبي ابن السلطان السلجوقي مسعود الثاني المتوفى عام 1304 وفي سنة 1322 احتلت المدينة من لدن سليمان، يضاف إلى الاضطراب الحاصل أن العُمري في أحد مصادره يذكر أن غازي شلبي كان حاكما لصنوب تحت سيادة خلف سليمان ابراهيم.

(155) كان من أروع ما سجلته حروب الرّوم والإفرنج والمسلمين من أحداث دَعْم السباحة للأغراض العسكرية، وإن الذين يعرفون عن تحمل الخليجيين في مغاصات اللؤلؤ مما تحدثنا عنه - وابن بطوطة في سيراف والبحرين - لا يستبعدون ما يحكى اليوم عن غازي شلبي الذي مكنته مهارته من القيام بدور الغواصات التي تخرق السفن وتجهز على ربابنتها ''

هذا وحسب المصادر الجنوية فإن هذه الحادثة التي ذكرها ابن بطوطة ربما تؤرخ عام 724=1324 وحسب تلك المصادر فإن جلبي الذي يذكر تحت اسم ZARABI ربَّما هاجم أسطولا من عشرة سفن جنوية. Gibb T.2, P. 467 - Note 197.

- د. التازي : الأمير مُرْهف في سفارته للمغرب عن السلطان صلاح الدين بحث قدم للمؤتمر الدولي السادس لتاريخ بلاد الشام ونشرته مجلة أكاديمية المملكة المغربية... العدد 11 سنة 1994.

وجعل به ابنه ابراهيم، ويقال : إنّه ايضا يأكل ماكان يأكله صاحبه، على أن أهل بلاد الروم كلها لا ينكرون أكلها، ولقد مررت يومًا على باب الجامع بصَنوب، وبخارجه دكاكين يقعد الناس عليها، فرأيت نفرًا من كبار الأجناد وبين ايديهم خديم لهم بيده شكّارة مملوّة بشيء يشبه الحنّاء وأحدهم يأخذ منها بملعقة ويأكل وأنا أنظر إليه ولا علم لي بما في الشكّارة فسألت من كان معي فأخبرني أنه الحشيش (156) ! وأضافنا بهذه المدينة قاضيها ونائب الأمير بها ومعلّمه ويعرف بابن عبد الرزّاق.

لما دخلنا هذه المدينة رءانا أهلها ونحن نصلي مسبلي أيدينا، وهم حنفيّة لا يعرفون مذهب مالك، ولا كيفية صلاته، والمختار من مذهبه هو إسبال اليدين، وكان بعضهم يرى 353/2 الروافض بالحجاز والعراق يصلّون مسبلي أيديهم، فاتّهمونا بمذهبهم وسألونا عن ذلك فأخبرناهم انّنا على مذهب مالك فلم يقنعوا بذلك منّا واستقرّت التُّهمة في نفوسهم حتى بعث إلينا نائب السلطان بأرنب وأوصى بعضَ خدامه أن يلازمنا حتى يرى ما نفعله به فذبحناه وأكلناه، وانصرف الخديم اليه وأعلمه بذلك فحينئذ زالت عنّا التهمة، وبعثوا لنا بالضيافة، والروافض لا يأكلون الأرنب !

وبعد أربعة أيام من وصولنا إلى صنوب، توفيت أمّ الأمير إبراهيم بها فخرجتُ في جنازتها، وخرج ابنها على قدميه كاشفًا شعره، وكذلك الأمراء والمماليك 354/2 وثيابهم مقلوبة، وامّا القاضي والخطيب والفقهاء فإنهم قلبوا ثيابهم ولم يكشفوا، بل جعلوا عليها مناديل من الصوف الأسود عوضًا عن العمايم، وأقاموا يطعمون الطعام أربعين يومًا، وهي مدة العزاء عندهم.

(156) لقد استرعى انتباه ابن بطوطة تناول النّاس للحشيش في تلك المناطق، وفيه ما يتناول على شكل معجون أو أقراص يتخذ من أوراق القنّب، وموقف الإسلام معروف من المخدِّرات التي كان بعض المجاهدين يستعملونها استصغارًا للموت ، وكان بعض المتصوفة كذلك يتناولونها طلباً للراحة - أنظر حول حشيشة الفقراء كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقيّ الدّين المقريزي طبعة جديدة بالأوفسيت، دار صادر ج I، ص 125 ومابعدها دار صادر، بيروت.

الفصل الثامن

القَفَجَق بلاد السلطان محمد أوزبك خان

- من صنوب عبْر البحر الأسود إلى الكِرش حيث يُوجد الجنْويون
- من القِرَم إلى محلة السلطان أوزبك على متن العربات
- مع السلطان محمد أوزْبَك أحد الملوك السبعة لعالَم ابن بطوطة
- خصوصية الأميرة طَيْطُغْلي !
- أرض الشمال وبلاد الظلمة
- مراسيم الأوزبَك في العيد
- من مدينة الحاج ترْخان إلى القسطنطينية صحبة الأميرة
- وصف القسطنطينية
- العودة إلى حضرة السلطان عبْر اِتل (فولكا) في مناخ قارس

خريطة جنوبي روسيا

وكانت اقامتنا بهذه المدينة نحو أربعين يومًا ننتظر تيسير السَّفر في البحر إلى مدينة القِرَم (1)، فاكترينا مركبًا للروم وأقمنا أحد عشر يومًا ننتظر مساعدة الريح، ثم ركبنا البحر. فلما توسطناه بعد ثلاث، هال علينا واشتدّ بنا الأمر، ورأينا الهلاك عيانًا وكنت بالطّارمة ومعي رجلٌ من أهل المغرب يسمّى أبا بكر، فأمرته أن يصعد إلى أعلى المركب لينظر كيف البحر، ففعل ذلك، وأتاني بالطّارمة، فقال ‖ لي : أستودعكم الله ! ودَهَمَنا من الهول ما لم يُعهد مثله، ثم تغيرت الريح وردَّتْنا إلى مقربةٍ من مدينة صَنُوب التي خرجنا منها، وأراد بعض التجار النزول إلى مرساها فمَنَعتُ صاحب المركب من إنزاله. 355/2

ثم استقامت الريح وسافرْنا فلمّا توسطنا البحر هال علينا وجرى لنا مثل المرّة الأولى، ثم ساعدت الريح ورأينا جبال البرّ وقصدنا مرسى يسمّى الكِرْش (2)، فأردنا دخوله، فأشار الينا أناس كانوا بالجبل : أن لا تدخلوا، فخِفنا على أنفسنا وظنّنا أن هنالك أجفانًا للعدوّ، فرجعنا مع البرّ فلما قاربناه، قُلت لصاحب المركب : أريد أن أنزل هاهنا، فأنزلني بالساحل، ورأيت كنيسة (3) فقصدتها فوجدت بها راهبًا ورأيت في أحد ‖ حيطان الكنيسة صورة رجلٍ عربيّ عليه عمامة متقلّد سيفًا وبيده رمح وبين يديه سراج يَقِد : فقلت للراهب ما هذه الصورة؟ فقال : هذه صورة النبيّ علي (4) فعجبت من قوله، وبتنا تلك الليلة بالكنيسة وطبخنا دجاجًا فلم نستطع أكلها إذ كانت ممّا استصحبناه في المركب، ورائحة البحر قد غلبت على كل ما كان فيه، وهذا الموضع الذي نزلنا به هو من الصحراء المعروفة بدَشت قَفْجق، (5) 356/2

(1) تكوّن القِرَم نقطة الإتصال الأساس بين جنوب الروسيا المعروف أنداك باسم قفجق وبين مدينة صنوب التي قضى فيها ابن بطوطة أربعين يوما، والتي كانت المينا الأساس لروسيا الصغرى على ضفاف البحر الأسود... وقد نشطت الحركة التجارية بين الموقعين نشاطا متزايدًا –حول التجارة بين صنوب والقِرم– انظر :

Heyd Won : Histoire du commerce du levant au moyen âge. Lepzig 1885-6-2 vols.

– د التازي : مع ابن بطوطة من البحر الأحمر إلى نهر جيحون، مجلة (المناهل) المغربية صفر 1395 = مارس 1975.

(2) الكِرْش (KERC) يقع على الساحل الغربي للمضيق الذي يحمل نفس الاسم وهو يربط البحر الاسود ببحيرة أزوف (AZOV) جزيرة القِرَم على ذلك العهد كانت جزءًا من الامبراطورية المغولية (القبيلة الذهبية)، بيد أن الجنويين نزلوا بالساحل الجنوبي وكان مركزهم في المكان الذي يحمل اسم كَفًا وهو بالذات المرسى الذي يعرف اليوم باسم فيُضوزيا (FEODOSIA) الحالية ... على ما سنرى...

(3) كرش كان مركزا أسقفيا منذ عام 794=1392.

(4) من المعلوم أنه لا يوجد نبي يحمل إسم علي ولعل قصده أن يقول : النبي الياس الذي ينطق عندهم (ELIE) فحسبه ابن بطوطة عليّ وياليته الحّ في السؤال..!!

(5) بعد فتح جنوب الروسيا من لدن القفجق المعروفين عند البيزنطيين ب (Comans) أصبح الإسم الجاري عند الجغرافيين العرب للفيافي الروسية هو القفجق – انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (Kipcak)

والدَّشْتُ، بالشين المعجم والتاء المثناة، بلسان الترك هو الصحراء وهذه الصحراء خضرة نضرة لا شجر بها ولا جبل ولا ثنيّة ولا حطب، وإنّما يوقدون الأرْواث ويسمّونها التَّزك، بالزاي المفتوح، فترى كبراءهم يلقطونها ويجعلونها في أطراف ثيابهم، ولا يسافر في هذه الصحراء إلاّ في العَجَل، وهي مسيرة ستة أشهر، ثلاثة في بلاد السلطان محمد أوزبك، وثلاثة في بلاد غيره. 357/2

ولمّا كان الغدُ من يوم وصولنا إلى هذه المرسى توجه بعض التجار من أصحابنا إلى مَن بهذه الصحراء من الطائفة المعروفة بقَفْجَق، وهم على دين النصرانيّة (6)، فاكترى منهم عَجَلةً يجرّها الفرس، فركبناها ووصلنا إلى مدينة الكَفَا، واسمها بكاف وفاء مفتوحتين، وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفّة البحر يسكُنها النصارى، واكثرهم الجنْويّون (7)، ولهم أمير يعرف بالدّمْدير، ونزلنا منها بمسجد المسلمين.

حكاية [أصوات النواقيس]

358/2 ولمّا نزلْنا بهذا المسجد أقمنا به ساعةً ثم سمعنا أصوات النواقيس من كل ناحية، ولم أكن سمعتها قط (8)، فهالني ذلك وأمرت أصحابي أن يصعدوا الصومعة ويقرأوا القرآن ويذكروا الله ويؤذّنوا، ففعلوا ذلك فإذا برجلٍ قد دخل علينا وعليه الدرع والسلاح فسلّم علينا واستفهمناه عن شأنه، فأخبرنا أنه قاضي المسلمين هنالك، وقال: لما سمعت القراءة والآذان خِفت عليكم فجئت كما ترون، ثم انصرف عنّا، وما رأينا إلاّ خيرًا، ولما كان من الغد جاء إلينا الأخي وصنع طعامًا فأكلنا عنده وطفنا بالمدينة فرأيناها حسنة الأسواق، وكلّهم كفار، ونزلنا إلى مرساها فرأينا مرسى عجيباً به نحو مائتي مركب ما بين حربيّ وسَفَرّي صغير وكبير،

(6) هناك قوم من القفجق اعتنقوا المسيحية في أعقاب اتصالاتهم بالبيزنطيين والروس ...

(7) مدينة كَفًا (KAFFA) هي ثيوضوزيا القديمة، فيوضوزيا الحالية، شيدت من لدن الجنويين في القرن (13) كمركز تجاري لهم في القرم وقد خرّبت من لدن المغول عام 1308 ثم أعيد بناؤها فيما بعد - كلمة (الدمدير) تعني غالبا اسم دوميطريو Demetrio ولكنا لا نتوفر على القصد منه كما لا نعرف عما يقصد ابن بطوطة بكلمة أمير الجنويين. كانت كفاً نهاية الطرق البحرية الذاهبة من القسطنطينية وصنوب وكان سكانها في عام 823=1420 يقدرون بأربعين ألف نسمة تعليق 2.

(8) يظهر من ابن بطوطة أنه لم يشهد كنيسةً بطنجة مع العلم أن عهد العاهل المغربي السلطان أبي سعيد المريني (710-731=1310-1331) عُرف باحترام سياسة التسامح الديني التي تميزت بها الدبلوماسية المغربية وبالتالي تميزت بوجود عددٍ من الرهبان بالمغرب لمساعدة الجالية المسيحية المقيمة ببلادنا
CUILLAUME M ATRINGE : Eglise chatienes en terre d'Aslame. 1965. T.2 P. 648
- د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2، ص 285.

359/2 وهو من مراسي الدنيا الشهيرة، ثم اكترينا عجلةً وسافرنا إلى مدينة القِرَم (9)، وهي بكسر القاف وفتح الراء، مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظَّم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قِبله اسمه تُلُكْتُمُور (10)، وضبط اسمه بتاء مثناة مضمومة ولام مضموم وكاف مسكن وتاء كالأولي مضمومة وميم مضمومة وواو وراء وكان أحدُ خدّام هذا الأمير قد صحبنا في طريقنا فعرَّفه بقدومنا، فبعث إليّ مع إمامه سعد الدين بفرس، ونزلنا بزاوية شيخها زاده الخراساني، فأكرمنا هذا الشيخ ورحّب بنا وأحسن الينا وهو معظم عندهم، ورأيت الناس يأتون للسلام عليه من قاضٍ وخطيب وفقيه وسواهم.

وأخبرني هذا الشيخ زاده أنَّ بخارج هذه المدينة راهبًا من النصارى في دير يتعبد به 360/2 ويكثر الصوم، وانّه انتهى إلى أن يواصل أربعين يومًا ثم يفطر على حبّة فول، وانّه يكاشف بالأمور، ورغب منّي أن أصحبه في التوجه إليه فابيت ثمَّ ندمت بعد ذلك على أنْ لم أكن رأيته وعرفت حقيقة أمره.

ولقيتُ بهذه المدينة قاضيها الاعظم شمس الدين السايليّ قاضي الحنفية، ولقيت بها قاضي الشافعية وهو يسمى بخِضْر والفقيه المدرس علاء الدين الأصيّ، وخطيب الشافعية أبا بكر، وهو الذي يخطب بالمسجد الجامع الذي عمّره الملك الناصر (11) رحمه الله بهذه المدينة، والشيخ الحكيم الصالح مظفّر الدين، وكان من الروم فأسلم وحسن إسلامه والشيخ الصالح العابد مظهر الدين وهو من الفقهاء المعظّمين.

وكان الأمير تُلكتمور مريضًا فدخلنا عليه فأكرمنا وأحسن إلينا، وكان على وشك

(9) القِرم : هي صُولْغات (SOLGHAT) في العصر الوسيط وهي سْطَاري كْريم (STARY KRIM) في العصر الحديث، ومن هنا أخذت الجزيرة اسمها : القِرَم، مدينة تقع على بعد 42 كـ.م من فيُوضُوزيا سالفة الذكر، وقد كانت القِرّم داخلة ضمن الامبراطورية المعروفة بالأسرة الذهبية (Golden Horde) كانت في الواقع اقطاعا منح للأسرة من أكبر ابناء جنكيز خان يوشي واحفاده المعروفين عند العرب تحت إسم خانات قفجق - السلطان أوزبك الذي تملك من 1312 إلى 1341 كان من أقوى الخانات واعظمهم في عشيرته وقد اشتهرت هذه الجزيرة بالحرب التي شنّتها روسيا على تركيا وحلفائها عام 1270-1272=1854-1856 والتي انتهت بتغلّب روسيا وإجلاء تركيا عن الجزيرة...

(10) كان حاكم القِرم تُلكتُمور يمارس سلطته المستقلة الواسعة على الجزيرة وقد رسم اسمه في بعض المصادر الأوربية ايضا هكذا (Tolaktemür) - هذا ولم نستطع الوقوف على نسبة القاضي السايلي وفيما يتعلق بعلاء الدّين نذكر أنه حسب المخطوطة التي اعتمدناها في المكتبة الملكية فإن الموجود فيها هو الفقيه علاء الدين الأرضي. الاصي يمكن أن يكون نسبته إلى عشيرة الاص الآتية الذكر تعليق 115

(11) تذكر المصادر التّاريخية أن السلطان الجركسي بَيْبَرْسْ بعث عام 687=1288 بمهندس معماري وبالف دينار لتشييد جامع القِرَم بيد أن المسجد الرنيسي شُيِّد من لدن السلطان أوزبك خان عام 714=1314

361/2 التوجه إلى مدينة ‖ السَّرا حضرة السلطان محمد أوزبك فعملت على السير في صحبته واشتريتُ العجلات برسم ذلك.

ذكر العجلات التي يسافر عليها بهذه البلاد.

وهم يسمون العجلة عَرَبة، بعين مهملة وراء وباء موحدة مفتوحات، وهي عجلات تكون للواحدة منهنّ أربع بكرات (12) كبار، ومنها ما يجرّه فرسان ومنها ما يجرّه أكثر من ذلك، وتجرّها أيضا البقر والجمال على حال العربة في ثقلها أو خفّتها. والذي يخدم العربة يركب أحد الأفراس التي تجرّها ويكون عليه سرج، وفي يده سوطٌ يحرّكها للمشي، وعود كبير يصوِّبها به إذا عاجت عن القصد، ويُجعل على العربة شبه قبّة من قضبان خشب مربوط 362/2 بعضها إلى بعض بسيور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتُكَسى باللّبد ‖ أو بالملفّ، ويكون فيها طيقان مشبكة، ويرى الذي بداخلها الناسَ ولا يرونه، ويتقلّب فيها كما يحبّ وينام، ويأكل ويقرأ ويكتب وهو في حال سيْره والتي تحمل الأثقال والأزواد وخزائن الأطعمة من هذه العربات يكون عليها شبه البيت كما ذكرنا، وعليه قفل.

وجَهّزْتُ لمّا أردت السفر عربةً لركوبي مغشاةً باللّبد، ومعي بها جارية لي وعربةً صغيرة لرفيقي عفيف الدين التوزريّ، وعجلةً كبيرة لسائر الأصحاب يجرّها ثلاثة من الجمال يركب أحدها خادم العربة، وسرنا في صحبة الأمير تُلكتُمور وأخيه عيسى وولديه قُطلودمور وصارُوبك، وسافر أيضا معه في هذه الوجهة أمامه سعد الدِّين والخطيب أبو بكر والقاضي 363/2 ‖ شمس الدين والفقيه شرف الدين موسى والمعرِّف علاء الدين، وخطّة هذا المعرف أن يكون بين يدي الأمير في مجلسه، فإذا أتى القاضي يقف له هذا المعرّف ويقول بصوت عالٍ : بسم الله، سيدنا ومولانا قاضي القضاة والحكّام، مبيّن الفتاوي والأحكام، بسم الله، وإذا أتى فقيه معظّم أو رجل مشار إليه قال : بسم الله، سيدنا فلان الدين، بسم الله فيتهيأ مَن كان حاضرًا لدخول الداخل، ويقوم إليه ويفسح له في المجلس. وعادة الأتراك أن يسيروا في هذه الصحراء سيرًا كسير الحجّاج في درب الحجاز، يرحلون بعد صلاة الصبح وينزلون ضُحًى، 364/2 ويرحلون بعد الظهر وينزلون عشيًّا، وإذا نزلوا حلّوا الخيل والإبل والبقر ‖ عن العربات وسرّحوها للرعي ليلاً ونهارًا ولا يعلف أحد دابّة لا السلطان ولا غيره.

(12) ورد وصف هذه العَربات في مصادر أوربية (W. DE REBRUCK) وكان مما ذكر فيها أن بعض المراكب قد تجرها 22 عجلا، 11 تمشي موازيةً مع 11 الأخرى... هذا ويلاحظ أن (القبجق) استعاروا كلمة (عربة) وادخلوها لغتّهم، وقد زرت وأنا في قلب موسكو عام 1974 ساحة تحمل اسم (أرَبا) قيل لي إنها كانت محطة تجمّع لنقل المسافرين على العربات .... د. التازي : مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون (المناهل) 1975 مصدر سابق.



العجلات التي يسافر عليها بهذه البلاد

الرسم عن أبيركرومبي مجلة ناسيونال جيوكرافيك دجنبر ١٩٩١

وخاصيّة هذه الصحراء أن نباتها يقوم مقام الشعير للدوابّ، وليست لغيرها من البلاد هذه الخاصية، ولذلك كثرت الدّواب بها، ودوابّهم لا رُعاة لها ولا حرّاس، وذلك لشدّة أحكامهم في السرقة، وحكمهم فيها أنّه مَن وجد عنده فرس مسروق كلّف أن يردّه إلى صاحبه ويعطيه معه تسعةً مثله، فإن لم يقدر على ذلك أخذ أولاده في ذلك، فإن لم يكن له أولادٌ، ذُبح كما تذبح الشاةُ (13)! وهؤلاء الأتراك لا يأكلون الخبز ولا الطّعام الغليظ، وانّما يصنعون طعامًا من شيء عندهم شبه أنِلي يسمونه الدُّوقي (14)، بدال مهمل مضموم وواو وقاف ‖ مكسور معقود، يجعلون على النار الماء فإذا غلى صبّوا عليه شيئا من هذا الدُّوقي، وإن كان عندهم لحمٌ قطعوه قطعًا صغارًا وطبخوه معه، ثم يجعل لكلّ رجل نصيبه في صحفة ويصبّون عليه اللّبن الرائب وشربون عليه لبن الخيل، وهم يسمّونه القِمِزّ (15)، بكسر القاف والميم والزاي المشدّد، وهم أهلُ قوّةٍ وشدة وحسن مزاج. 365/2

ويستعملون في بعض الأوقات طعامًا يسمونه البورخاني، وهو عجين يقطعونه قُطيعات صغارًا ويثقبون أوساطها ويجعلونها في قدر، فإذا طبخت صبُّوا عليها اللَّبن الرائب وشربوها، ولهم نبيد يصنعونه من حبّ الدُّوقي الذي تقدم ذكره، وهم يرون أكل الحلواء عيبًا!

366/2 ولقد حضرت يومًا عند السلطان أوزبك في رمضان فأُحضِرت لحوم الخيل وهي ‖ أكثر ما يأكلون من اللّحم ولحوم الأغنام والرشتا، وهو شبه الإطرية يطبخ ويشرب باللبن، وأتيته تلك الليلة بطبق حلواء صنعها بعضُ أصحابي فقدّمتها بين يديه فجعل إصبعه عليها وجعله على فيه، ولم يزد على ذلك. وأخبرني الأمير تُلُكتُمور أنّ أحد الكبار من مماليك هذا السلطان، وله من أولاده وأولاد أولاده نحو أربعين ولدًا، قال له السلطان يومًا : كلْ الحلواء واعتقكم جميعًا فأبى ! وقال : لو قتلتني ما أكلتها!!

(13) قريب من هذه المعلومات رواها ماركوبولو.

(14) أنِلي كلمة بربرية (LE MILLET) والدوقي تعني أنلي المفتّت المحروش.
Lina TAZI, Evaluation des ressources Genetiques des mils du Maroc, thèse de Doctorat de l'Université, Paris XI Orsay 12/7/1991.

(15) القِمِزّ Kumizz ما يزال في عادة المنطقة إلى اليوم تقديم لبن الخيل للضيوف في بعض الحفلات، وقد حدث هذا بالنسبة الينا ونحن في مدينة (أوفا) عاصمة جمهورية تاشقردستان عام 1974 حيث وضعت أمامنا كؤوس من المشروب المذكور وهو في منتهى الحموضة والرقة والخفة كذلك، وبالرغم مما قال عنه ابن بطوطة من أنه (لا خير فيه) فإن الناس هناك مطبقون على ان له مفعولا لا يقل عما عهد في المشروبات المنبهة الأخرى... هذا ولم نجد للبورخاني ذكرا في جهة أخرى، نعم هناك البوراني وهو يختلف عما ذكر ابن بطوطة.

ولما خرجنا من مدينة القِرَم نزلنا بزاوية الأمير تُلُكْتمور في موضع يعرف بسِجِجَان، فبعث إليّ أن أحضر عنده فركبت إليه، وكان لي فرس معدّ لركوبي يقوده خديمُ العربة فإذا أردت ركوبه ركبته، وأتيت الزاوية فوجدت الأمير قد صنع بها طعامًا كثيرًا فيه الخبز، ثم أتوا بماءٍ أبيض في صحافٍ صغار، فشرب القوم منه، وكان الشيخ مظفر الدين يلي الأمير في مجلسه، وأنا إليه فقلت له : ما هذا؟ فقال هذا ماء الدُّهن، فلم أفهم ما قال، فذقتُه فوجدت له حموضةً فتركته، فلما خرجت سألت عنه فقالوا : هو نبيذٌ يصنعونه من حبّ الدوقي، وهم حنفيّة المذهب والنبيذ عندهم حلالٌ، ويسمّون هذا النبيذ المصنوع من الدُّواقي : البوزة، (16) بضم الباء الموحدة وواو مدّ وزاي مفتوح، وإنّما قال لي الشيخ مظفر الدين : ماء الدُّخْن (17) ولسانه فيه اللكنة الأعجمية فظننت إنّه يقول ماء الدُّهن. وبعد مسيرة ثمانية عشر منزلاً من مدينة القِرَم وصلنا إلى ماء كثير نخوضه يومًا (18) كاملا، وإذا كثر خوض الدواب والعربات في هذا الماء اشتدّ وحله، وزاد صعوبةً فذهب الأمير إلى راحلتي وقدّمني أمامه مع بعض خدّامه، وكتب لي كتابًا إلى أمير أزاق (19) يُعلِمه أنّي أريد القدوم على الملك، ويحضّه على إكرامي، وسرنا حتى انتهينا إلى ماءٍ آخر نخوضه نصف يوم، سرنا بعده ثلاثًا ووصلنا إلى مدينة أزاق، وضبط اسمها بفتح الهمزة والزاي وآخره قاف، وهي على ساحل البحر حسنة العمارة، يقصدها الجَنْويّون وغيرهم بالتّجارات. وبها من الفتيان أخي بِجَقْجي، وهو من العظماء يطعم الوارد والصادر.

367/2

368/2

ولما وصل كتاب الأمير تُلُكْتُمور إلى أمير أزاق، وهو محمد خوارجه الخوارزمي (20)

---

(16) البوزة مشروب ثخين مخمّر قليلاً مصنوع من طبيخ أنلي، ما يعرف اليوم باسم البيرّة ولفظ البوظة معروف كذلك إلى اليوم، وهي من أصل صقلبي سلافي (Cyrilique) هذا ويلاحظ أن تناول الخبز في المنطقة قليل...

(17) الدخن : أنلي أما الدهن فهو الشحم وشبهه.

(18) من الممكن أن يكون القصد إلى نهر ميوس (Miuss) الذي يقع في غرب طاكانروك(TAGANROG) . كان على ابن بطوطة أن يصعد القِرَم ثانية ويحاذي الساحل الشمالي لبحيرة أزوف، وكانت تسمى أزاق.

(19) أزاق : هي المعروفة اليوم أزوف AZOV، وقد عرفت في العصورالوسطى باسم طانا TANA على بعد 30 كـ.م. غرب روسطوف ROSTOV و جنوب ساحل مصب نهر ضون Don. كانت أزوف (أزاق) نقطة انطلاق للقوافل الذاهبة نحو فولگا وما وراءها، الإسم التركي لازاق كان يظهر على قطع السكة النقدية ابتداء من عام 717=1317، أولاً في جنْوة حوالي 716=1316 ثم عند البنادقة 732=1332 الذين أقاموا هناك مستعمرات تجارية.

(20) المهم أن نشير إلى أن اسم محمد خواجا الخوارزمي يوجد في نصٍّ بندقي لعام 734=1334 ذكر على أنه حاكم طانا أي أزاق... وقد تحدث التاريخ الدّولي عن الاتفاقية المبرمة بين امبراطورية طرابيزون والبندقية عام 764=1364.

369/2 خرج إلى استقبالي ومعه القاضي والطلبة وأخرج الطعام فلما سلّمنا عليه نزلنا بموضع أكلنا فيه، ووصلنا إلى المدينة ونزلنا بخارجها بمقربةٍ من رابطة هنالك تنسب للخضر وإلياس عليهما السلام، وخرج شيخ من أهل أزاق يسمى برَجَب النَّهر مَلِكي، نسبة إلى قريةٍ بالعراق (21)، فأضافنا بزاويةٍ له ضيافةً حسنة، وبعد يومين من قُدُومنا قدِم الأمير تُلُكْتمور وخرج الأمير محمد للقائه ومعه القاضي والطلبة، وأعدّوا له الضيافات، وضربوا ثلاث قباب متّصلا بعضها ببعض إحداها من الحرير الملوّن عجيبة، والثنتان من الكتّان، وأداروا عليها سرّاجة، وهي المسما عندنا أفراج(22)، وخارجها الدّهليز، وهو على هيئة البرج عندنا.

370/2 ولمّا نزل الأمير بُسطت بين يديه شقاز الحرير يمشي عليها ، فكان من مكارمه وفضله أنْ قدّمني أمامه ليُرى ذلك الأمير منزلتي عنده ثم وصلنا إلى الخباء الأولى وهي المعدّة لجلوسه، وفي صدرها كرسي من الخشب لجلوسه كبير مرصّع وعليه مرتبة حسنة فقدّمني الأمير أمامه، وقدم الشّيخ مظفّر الدين، وصعد هو فجلس فيما بيننا ونحن جميعاً على المرتبة، وجلس قاضيه وخطيبه وقاضي هذه المدينة وطلبتها عن يسار الكرسي على فرش فاخرة، ووقف ولدا الأمير تُلُكْتُمور وأخوه والأمير محمد وأولاده في الخدمة، ثم أتوا بالأطعمة من لحوم الخيل وسواها وأتوا بألبان الخيل، ثم بالبُوزة، وبعد الفراغ من الطعام قرأ القرّاء

371/2 بالأصوات الحسان، ثم نصب منبر وصعده الواعظ، وجلس القرّاء بين يدَيْه وخطب خطبةً بليغة ودعا للسلطان وللأمير وللحاضرين، ويقول ذلك بالعربيّ ثم يفسّره لهم بالتركيّ، وفي أثناء ذلك يكرّر القراء آيات من القرآن بترجيعٍ عجيب، ثم أخذوا في الغناء يغنّون بالعربيّ،

(21) يقع هذا النهر على بعد 20 ميلاً جنوب بغداد على القناة الملكية القديمة من الفلُّوجة إلى دجلة...

(22) أفْراك بالكاف وزن بربري وقد رسمت في المخطوطات جيمًا أفراج وقافا : أفراق، ومن القواعد السائرة "كلّ ما يكمكم يجمجم أو يقمقم" ومعنى الكلمة بالبربرية السّياج يتخذ من السّدر ونحوه، ثم أطلق على السياج المحيط بالخيام التي تُنصب لاستراحة الملك وحاشيته اثناء ترحاله، والواقع أن أفراگ يعني مدينة متنقلة بكامل مرافقها وأجهزتها صنعت من شقاق الكتان الأبيض والملوّن، تحتوي على عدد من القباب والخيام وقاعات الاستقبال على مختلف الأحجام كما تحتوي على المسجد والمدرسة، كلٌّ له مكانه ومأواه وقد زينت الطرق والأبواب والأركان والشرفات بأنواع الزينة، وقد خصّص ابن الحاج النُّميري فصلاً من خمس صفحات لوصف هذه (المَعْلَمَة) الحضارية الكبرى التي ما نزال نشاهدها عند التحركات الملكية لجهة ما من الجهات هذا ويبدوا أن كلمة (سراجه) هنا فارسية الأصل (SE-RATCHEH) ونشير كذلك إلى أن الدّهليز يعني المر بين باب الدّار ووسطها - يلاحظ الحديث عن بسط الشقاق أو الزرابي لمرور الشخصيات السامية عليها..

. فيض العباب لابن الحاج، دراسة د. محمد بن شقرون دار الغرب الاسلامي 1990 ص 232/228.

ويسمّونه القوال (23)، ثم بالفارسيّ والتركي ويسمونه المُلَمّع (24)، ثم أتو بطعام آخر، ولم يزالوا على ذلك إلى العشيّ، وكلما أردت الخروج منعني الأمير، ثم جاءوا بكسوة للأمير وكُسًى لولديه وأخيه وللشيخ مظفر الدّين ولي، وأتوا بعشرة أفراس للأمير ولأخيه ولولديه بستة أفراس ولكل كبير من أصحابه بفرس ولي بفرس، والخيلُ بهذه البلاد كثيرٌ جداً، وثمنها نزر قيمة الجيّد منها خمسون درهمًا ‖ أو ستّون من دراهمهم، وذلك صرف دينار من دنانيرنا أو نحوه، وهذه الخيل هي التي تعرف بمصر بالأكاديش (25)، ومنها معاشهم وهي ببلادهم كالغَنَم ببلادنا بل أكثر فيكون للتُّركي منهم آلافٌ منها. 372/2

ومن عادة الترك المستوطنين تلك البلاد، أصحاب الخيل، انّهم يضعون في العربات التي تركب فيها نساؤهم قطعةَ لبْد في طول الشبر مربوطة إلى عودٍ رقيقٍ في طول الذراع في ركن العربة ويُجعل لكلّ ألف فرسٍ قطعة، ورأيت منهم مَن يكون له عشرة قطع، ومن له دون ذلك، تُحمل هذه الخيل إلى بلاد الهند فيكون في الرفقة منها ستّة آلاف وما فوقها ومادونها، لكل تاجر المائة والمائتان فما دون ذلك وما فوقه، ويستأجر التّاجر لكل ‖ خمسين منها راعيًا يقوم عليها ويرعاها كالغنم، ويسمّى عندهم القَشِيّ (26)، ويركب أحدها وبيده عصى طويلة فيها حبل، فإذا أراد أن يقبض على فرس منها حاذاه بالفرس الذي هو راكبه ورمى الحبل في عنقه وجذَبه فيركبه ويترك الآخر للرعي، وإذا وصلوا بها إلى أرض السند أطعموها العلف لأن نبات أرض السند لا يقوم مقام الشّعير ويموت لهم منها الكثير ويُسْرق، ويغرمون عليها بأرض السند سبعة دنانير فضّة على الفرس بموضع يقال له شِشْنَقَار (27)، ويغرمون عليها بمُلتان قاعدة بلاد السند، وكانوا فيما تقدّم يغرمون رُبُع ما يجلبونه، فرفع ملك الهند إلى السلطان محمد ذلك، وأمر أن يؤخذ من تجار المسلمين ‖ الزّكاة، ومن تجار الكفار العُشر، 373/2 374/2

(23) معنى الكلمة في اللغة العربية : الذي يقول، ولكن القواميس الفارسية تعطى الانطباع بأن القول نوع من أوزان الغناء.

(24) المُلمّع يعني المبرقش المجتمع من خليط، وهو تعبير يطبق على الأشعار المؤلفة من أبيات يتناوب فيها الفارسي والتركي...

(25) الأكاديش ج إكديش : فرس من أصل مزيج، ويطلق أيضا على الفرس الخصّي وكثيرًا ما نسمع بهذا التعبير عندما يتعلق الامر بهدايا متبادلة بين ملوك المشرق والمغرب، وقد تعني كلمة الاكداش (ج كدش) العَربة التي تجرها الخيل وهي تعريب للفظ الاسباني.
– ابن عثمان : الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي 1965، ص 12.

(26) القشي (ALQASHI) تعبير تركي الأصل هكذا ينطق : ألقْشِي يعني سائس الخيل.

(27) من المحتمل أن يكون القصد إلى الموقع الجغرافي الذي يحمل اسم هاشْتْنَكار (HASHTNAGAR) على بعد 16 ميلا شمال غرب بيشاوَر (BESHAWAR).

ومع ذلك يبقى للتجار فيها فضلٌ كبير لأنهم يبيعون الرخيص منها ببلاد الهند بمائة دينار دراهم، وصرفها من الذهب المغربي خمسة وعشرون دينارا، وربّما باعوها بضِعف ذلك وضعفَيْه.

والجياد منها تساوي خمسمائة دينار، وأكثر من ذلك، وأهل الهند لا يبتاعونها للجري والسَّبق لأنهم يلبسون في الحرب الدروع ويدرِّعون الخيْل، وإنّما يبتغون قوة الخيل واتّساع خطاها، والخيل التي يبتغونها للسبق تجلب إليهم من اليمن وعُمان وفارس، ويباع الفرس منها بألف دينار إلى أربعة آلاف.

ولما سافر الأمير تُلُكتُمور عن هذه المدينة أقمت بعده ثلاثة أيّام حتى جهّز لي الأمير محمد خواجه آلات سفري وسافرت إلى مدينة المَاجَر، وهي بفتح الميم والف وجيم مفتوح معقود وراء، مدينةٌ كبيرة من أحسن مدن التُّرك على نهرٍ كبير، وبها البساتين والفواكه الكثيرة (28)، ونزلنا منها بزاوية الشيخ الصالح العابد المعمّر محمد البطائحي من بطائح العراق، وكان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه، وفي زاويته نحو سبعين من فقراء العَرَب والفرس والترك والروم، منهم المتزوج والعزب وعيشهم من الفتوح، ولأهل تلك البلاد اعتقادُ حسن في الفقراء، وفي كلّ ليلة ياتون إلى الزاوية بالخيل والبقر والغنم، ويأتي السلطان والخواتين لزيارة الشيخ والتّبرّك به، ويُجزلون الإحسان ويُعطون العطاء الكثير وخصوصًا النساء فإنهم يُكثرن الصدقة ويتحرّين أفعال الخير.

375/2

376/2

وصلّينا بمدينة المَاجَر صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صَعِد الواعظ عزّ الدين المنبر، وهو من فقهاء بُخاري وفضلائها وله جماعة من الطلبة، والقرّاء يقرأون بين يديه، ووعظ وذكّر وأمير المدينة حاضرٌ وكبراؤها فقام الشيخ محمد البطائحيّ فقال : إن الفقيه الواعظ يريد السفر، ونريد له زوّادة، ثم خلع فرجيّة مرعز كانت عليه، وقال : هذه منّي إليه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن أعطى فرسًا ومن أعطى دراهم، واجتمع له كثير من ذلك كله.

ورأيت بقيساريّة هذه المدينة يهوديا سلّم عليّ وكلّمني بالعربي، فسألته عن بلاده فذكر أنّه من بلاد الأندلس وأنّه قدم منها في البرّ، ولم يَسلك بحرًا، وأتى على طريق القسطنطينية

377/2

(28) مدينة الماجر حُددت على أنها بُوركومادْزري (BURGOMADZHRY) على ساحل نهر كُوما (KUMA) على الخط 50' °44 شمالا و 27' 44' شرقا

العُظْمى وبلاد الروس وبلاد الجـركس (29)، وذكـر أن عـهـده بالأندلس منذ أربعـة أشـهـر، وأخبرني التجار المسافرون الذين لهم المعرفة بذلك بصحّة مقاله.

ورأيت بهذه البلاد عجبًا من تعظيم النسـاء عندهم وهنّ أعلى شـأنا من الرجـال، فأمـا نسـاء الأمراء فكانت أوّل رؤيتي لهنّ عند خروجي من القِرَم رؤية الخاتون زوجة الأمير سَلْطِيه في عربةٍ لها، وكلّها مجلّلة بالملف الأزرق الطيب، وطيقان البيت مفتوحة وأبوابه، وبين يديها أربع جوار فاتنات الحسن، بديعات اللّباس وخلفها جملة من العَرَبات فيها جوار يتبعْنها، ولمّا قـربت من منزل الأمـيـر نزلَتْ عن العربة إلى الارض ونزل معـهـا نحـو ثلاثين من الجـواري يرفـعن أذيالهـا، ولأثوابها عُـرًى تأخـذ كل جـارية بعُـروة ويرفـعن الأذيال عن الأرض من كلّ جانب، ومشت كذلك متبخترةً فلمّا وصلت إلى الأمير قام إليها وسلّم عليها وأجلسها إلى جانبه، ودار بها جَواريها، وجاءوا بروايا القِمِزَ فصبّت منه في قدح وجلست على ركبتيها قدّام الأمير وناولته القدح، فشرب ثمّ سقت أخاه، وسقاها الأمير، وحضر الطعام فأكلت معه وأعطاها كسوة وانصرفت، وعلى هذا الترتيب نساء الأمراء، وسنذكر نساء الملك فيما بعد.

378/2

وأمّا نسـاء الباعة والسوقة فرأيتُهنّ، وإحداهنّ تكون في العَربة والخيل تجرّهن، وبين يديها الثلاث والأربع من الجواري يرفعن أذيالها وعلى رأسها البُغْطاق (30)، وهو أقرُوف (31)، مرصّع بالجوهر، وفي أعلاه ريش الطواويس. وتكون طيقان البيت مفتحةً، وهي بادية الوجه لأنّ نساء الأتراك لا يحتجبن، وتأتي إحداهن على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللبن فتبيعه من النّاس بالسلع العطريّة، وربّما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنّه مَن يراه بعضَ خدّامها، ولا يكون عليه من الثياب الا فروة من جلد الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها الكُلاَ.

379/2

(29) الجركس شُعوبٌ كانت تقطن في القوقاز وهاجر أغلبها إلى بلاد الشام. عرفوا بحسن الطلعة، وكانوا مضرب المثل في اقتصادهم وتدبيرهم على ما جربته في مخالطتهم - الدولة الجركسية بمصر (المماليك) خلدت ذكرها في التاريخ بما قدمته من عطاء - انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة جركس، عوض كلمة الروس نجد في بعض المخطوطات الروم

(30) البغطاق سيأتي أن ابن بطوطة نفسه يشرحها بقوله بأنها مثل التاج الصغير المكلل بالجواهر وبأعلاه ريش الطواويس ... وقد أتعب دوزي نفسه في البحث عن الكلمة في معجم الملابس ونقل عن غيره أنها قميص ثم ذكر أخيرا أنها ثياب تزين بالجواهر واللئالئ بل كان بعضها ينسج ويطعم بالأحجار

(31) أقروف لفظ بربري الصيغة، وهو يعني حسب القرائن المحتفة باستعماله - ما يعبر عنه دوزي بقوله: ضرب من تيجان الرأس المستعملة في المغرب . أقول وما تزال بعض نساء شمال المغرب يتزيّن به عند المناسبات ... وربما كان اقروف (وليس أخروق كما حرفها ترجمان معجم الملابس) يشبه ما كان يسمى بالحنطوز في المغرب مما تغطى به السيدة رأسها ويكون مرصعا في الغالب بالجواهر واللئالي
- د. التازي، اعراس فاس 1961 ص 28



صورة من بلاد الجركس عن تاليف محمد خير حعندوقة

وتجهّزنا (32) من مدينة الماجر نقصد معسكر السلطان وكان على أربعة أيام من الماجر بموضع يقال له بِشْ دَغ (33)، ومعنى بِشْ عندهم خمسة وهو بكسر الباء، وشين معجم، ومعنى دغ الجَبَل، وهو بفتح الدال المهمل وغين معجم، وبهذه الجبال الخمسة عين ماء حارّ (34) يغتسل منها الاتراك ويزعمون أنّه من اغتسل منها لم تصبه عاهة مرض ! 380/2

وارتحلنا إلى موضع المحلّة فوصلناه أوّل يوم من رمضان فوجدنا المحلة قد رحلت، فعُدنا إلى الموضع الذي رحلْنا منه لأن المحلة تنزل بالقرب منه، فضربت بيتي على تل هنالك وركّزت العَلَم أمام البيت وجعلتُ الخيل والعربات وراء ذلك، وأقبلت المحلّة وهم يسمونها الأرْدو. وبضمّ الهمزة (35)، فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها المساجد والأسواق ودخان المطبخ صاعد في الهواء، وهم يطبخون في حال رحيلهم، والعربات تجرّها الخيل بهم فإذا بلغوا المنزل نزّلوا البيوت عن العربات وجعلوها على الأرض وهي خفيفة المحمل، وكذلك يصنعون بالمساجد والحوانيت، واجتاز بنا خواتين السلطان، كلُّ واحدة بناسها على حدة، 381/2 ولمّا اجتازت الرابعة منهن وهي بنت الأمير عيسى بك، وسنذكرها، رأت البيت بأعلى التل والعَلَم أمامه، وهو علامة الوارد، فبعثت الفتيان والجواري فسلّموا عليّ وبلّغوا سلامها إليّ وهي واقفةٌ تنتظرهم فبعثت اليها هديّة مع بعض أصحابي ومع معرّف الأمير تُلُكتُمور فقبلتها تبركًا، وأمرت أن أنزل في جوارها وانصرفت وأقبل السلطان فنزل في محلّته على حدة.

---

(32) الكُلاَ باللغة الفارسية الطاقية كما نعرف.

(33) بِشْ دَغْ هي بالروسية P'Atigorsh، الحالية، ترجمةُ الاسم باللغة التركية وتقع في منطقة القوقاز.

(34) العيون الكبريتية المعدنية توجد إلى الآن في المكان المذكور، ومن الطّريف أن نسمع أن مطار الإقليم يحمل اسم "مطار المياه المعدنية"، ويقول الروس وهم يتحدثون عن الحمة . إن أول من اكتشف فائدة هذه المياه المعدنية رحالة مغربي قديم إسمه ابن بطوطة ! ولكنها اهملت قرونا حتى إكتشفها الفرنسيون أيام حملة نابليون على روسيا... وهي نافعة فعلاً من الأمراض الجلدية على نحو ما يوجد في الديار المغربية بالنسبة للحمّة التي تحمل اسم (مولاي يعقوب) على مقربة من مدينة فاس - د. التازي : شيء من التاريخ عن حمة سيدي حرازم ومولاي يعقوب والعيون الأخرى بحث خصص للمؤتمر العالمي للمياه المعدنية 9 فبراير 1981 د. التازي مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون - مصدر سابق.
- احمد بهاء الدين : يوميات، رحلة مُسكوفية، الأهرام المصرية. 1-9-1988.

(35) الأرْدو (Urdu) بالتركية تعني معسكر السلطان المتنقّل، وهناك من يعمّم معنى اللفظ فيجعله شاملا لكل معسكر حتى ولو كان شخصيا...

ذكر السلطان المعظّم محمد أوزبَك خان (36).

واسمه محمد أوزبَك بضم الهمزة وواو وزاي مسكن وباء موحدة مفتوحة، ومعنى خان عندهم السلطان، وهذا السلطان عظيم المملكة، شديد القوّة، كبير الشأن رفيع المكان، قاهرٌ لأعداء الله أهل قسطنطينية العظمى، مجتهد في جهادهم وبلاده متّسعة، ومدنه عظيمة، منها الكفا والقِرَم والماجر وأزاق وسُرْداق (37) وخَوارزم، وحضرته السَّرا.

382/2

وهو (38) أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤها، وهم مولانا أمير المومنين ظلّ الله في أرضه إمام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحقّ إلى قيام الساعة أيّد الله أمره، وأعزّ نصره(39)، وسلطان مصر والشام، وسلطان العِراقين، والسلطان أوزبَك هذا، وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند، وسلطان الصين(40).

ويكون هذا السلطان، إذا سافر في محلةٍ على حدةٍ معه مماليكه وأرباب دولته، وتكون كلُّ خاتون من خواتينه على حدةٍ في محلتها، فإذا أراد أن يكون عند واحدة منهن بعث إليها يعلمها بذلك فتتهيأ له، وله في قُعوده وسفره وأموره ترتيبٌ عجيب بديع.

383/2

---

(36) أوزبَك خان (UZBEK KHAN) 712-741=1312-1341، سلطان مغولي من القبيلة الذّهبية كما نعلم، والجدير بالذكر أنه إبتداءً من هذا السلطان أوزبك وجدنا أن ملوك (القبيلة الذهبية) يصبحون مسلمين.

(37) سُرْداق (SOLDAÏA) : سوداق (SUDAK) الحالية : بجزيرة القِرَم جنوب شرقي فيوضوزيا (FEODOSIA) كانت الميناء الأساسي في جزيرة القِرَم قبل بزوغ كَفّا، وقد كانت بها وكالة تجارية للبندقية... على ما سنرى.

(38) القصد إلى (SARAY) أول مدينة تحمل هذا الاسم أسست من لدن باتو (BATU) أول سلطان للقبيلة الذهبية 624-654=1227-1256 كمقر لإقامة الخريف، قريبًا من القرية الحالية سُولِتْرُونُوج (SELITRONNOJE) على بعد مائة كيلومتر في أعالي أسترخان (ASTRAKHAN) على الفولگا. سراي الجديدة أسست على ما يبدو من قبَل برك (BERKE) 655-614=1257-1266 في الشمال أكثر على الموقع الحالي لكاروف CAR'OV على بعد 70 كـ.م شرقيّ بيترسبورغ (ستالين گراد).

(39) القصد إلى السلطان أبي الحسن علي بن أبي سعيد (731-752=1330-1351)، فإن هذا الثناء كان عام 734=1334. هذا وقد علق الامير مولاي العباس على مخطوطته مفرّقًا بين لقب أمير المومنين الذي يختص به العاهل المغربي وبين الالقاب الأخرى التي يَختص بها في نظره ملوك العجم...

(40) يلاحظ أن ابن بطوطة كان دقيقا جداً في تصنيف قادة العالم على عهده، فإنه لم يذكر «الخليفة» العباسي بمصر. كما لم يذكر شريف مكة، ولاملك اليمن وأخيرا لم يذكر ملك تونس ولاتلمسان لأنه يعرف مدى نفوذ هؤلاء جميعا في الوقت الذي كان يقوم فيه بهذا التصنيف الهام !

ومن عادته أن يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب : مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسوة بصفائح الذَّهب، وفي وسطها سريرٌ من خشب مكسوَ بصفائح الفضّة المذهَّبة، وقوائمه فضّة خالصة ورؤوسها مرصَّعة بالجواهر، ويقعد السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون طَيْطُغْلي، وتليها الخاتون كِبك وعلى يساره الخاتون بيِلُون، وتليها الخاتون أُرْدُجي، ويقف أسفل السرير عن اليمين ولد السلطان تين بِك وعن الشمال ولده الثاني : جانِ بك، وتجلس بين يديه ابنته إيتْ كُجُكُج، وإذا أتت إحداهن قام لها 384/2 السلطان وأخذ بيدها حتى تصعد على السرير، وأمّا طَيْطُغْلي وهي الملكة وأحظاهنّ عنده فإنه يستقبلها إلى باب القبّة فيسلّم عليها، ويأخذ بيدها فإذا صعدت على السَّرير وجلست، حينئذ يجلس السلطان، وهذا كلُّه على أعين الناس دون احتجاب !

ويأتي بعد ذلك كبار الأمراء، فتنصب لهم كراسيّهم عن اليمين والشمال، وكل إنسان منهم إذا أتى مجلس السلطان يأتي معه غلامٌ بكرسيه، ويقف بين يدي السلطان أبناء الملوك من بني عمّه وإخوته وأقاربه ويقف في مقابلتهم عند باب القُبّة أولاد الأمراء الكبار، ويقف خلفهم وجوه العساكر عن يمين وشمال، ثم يدخل النّاس للسلام، الأمثل فالأمثل : ثلاثة ثلاثة، 385/2 فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بُعد، فإذا كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة من الخواتين، ثم ينصرفون فيجلسون على بعد، فإذا كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة من الخواتين، ثم ينصرف سائرهن فيتبعنها إلى محلّتها، فإذا دخلت إليها انصرفت كلُّ واحدة إلى محلتها راكبةً عربتها، ومع كل واحدة نحو خمسين جارية، راكبات على الخيل! وأمام العربة نحو عشرين من قواعد النساء راكباتٍ على الخيل فيما بين الفتيان والعربة وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان، وأمام الفتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركبانًا، ومثلهم مشاة بأيديهم القُضبان والسيوف مشدودةٌ على أوساطهم وهم بين الفرسان والفتيان، وهكذا ترتيب كلّ خاتون منهن في انصرافها ومجيئها.

وكان نزولي من المحلة في جوار ولد السلطان جانِ بك الذي يقع ذكره فيما بعد، وفي 386/2 الغد من يوم وصولي دخلتُ إلى السلطان بعد صلاة العصر، وقد جمع المشائخ والقضاة والفقهاء والشرفاء والفقراء، وقد صنع طعامًا كثيرًا وأفطرنا بمحضره، وتكلّم السيد الشريف نقيبُ الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضي حمزة في شأني بالخير، وأشاروا على السلطان بإكرامي.

وهؤلاء الأتراك لا يعرفون إنزال الوارد ولا إجراء النفقة وانّما يبعثون له الغنم والخيل للذّبح وروايا القِمزّ، وتلك كرامتهم، وبعد هذا بأيام صلّيت صلاة العصر مع السلطان، فلما أردت الانصراف أمرني بالقعود، وجاءوا بالطّعام من المشروبات كما يصنع من الدُّوقي ثم

387/2 باللُّحوم المسلوقة من الغنمي والخيلي، وفي تلك الليلة أتيت السلطان بطبق حلواء فجعل اصبعه عليه وجعله على فيه ولم يزد على ذلك !

ذكر الخواتين وتربيتهن

وكلُّ خاتون منهن تركب في عربةٍ وللبيت الذي تكون فيه قبّة من الفضّة المموّهة بالذهب أو من الخشب المرصّع، وتكون الخيل التي تجرّ عربتها مجلّلة بأثواب الحرير المذهّب، وخديم العربة الذي يركب أحد الخيل فتى يدعى القشي (41)، والخاتون قاعدة في عربتها وعن يمينها إمرأةٌ من القواعد تسمى أُولُو خاتون (42)، بضم الهمزة واللام، ومعنى ذلك الوزيرة، وعن شمالها امرأة من القواعد ايضا تسمى كُجُك خاتون، بضم الكاف والجيم، ومعنى ذلك الحاجبة، وبين يديها ستٌّ من الجواري الصغار يقال لهن : البنات، فائقات الجمال، متناهيات 388/2 الكمال، ومن ورائها ثنتان مثلهنّ، تستند إليهنّ، وعلى رأس الخاتون البُغْطاق، وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وبأعلاه ريشُ الطواويس وعليها ثياب حرير مرصّعة بالجوهر شبه المِنُوت (43) التي يلْبسها الروم، وعلى رأس الوزيرة والحاجبة مقْنَعَة حرير، مزركشةُ الحواشي بالذّهَب والجوهر، وعلى رأس كلّ واحدةٍ من البنات الكُلا وهو شبه الأقروف، وفي أعلاه دائرة ذهب مرصّعة بالجوهر وريش الطواويس من فوقها وعلى كلّ واحدةٍ ثوب حرير مذهب يسمى النّخّ، ويكون بين يدي الخاتون عشرةٌ أو خمسة عشرمن الفتيان الرّوميين والهنديّين، وقد لبسوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر، وبيد كلّ واحدٍ منهم عمود ذهب أو فضّة أو يكون من عودٍ ملبس بهما وخلف عربة الخاتون نحو مائة عربة في كل عربةٍ الثلاث 389/2 والأربع من الجواري الكبار والصغار، ثيابهن الحرير وعلى رؤوسهن الكُلا، وخلف هذه العربات نحو ثلاثمائة عربة تجرها الجمال والبقر تحمل خزائن الخَاتون وأموالها وثيابها وأثاثها وطعامها ومع كلّ عربة غلامٌ موكّل بها متزوج بجارية من الجواري التي ذكرنا، فإن العادة عندهم أنّه لا يدخل بين الجواري من الغلمان الاّ من كان له بينهن زوجة ! وكل خاتونٍ فهي على هذا الترتيب ولنذكرهن على الانفراد.

---

(41) الكلمة من لغة قفجق وتعني سائس الخيول والخادم المساعد - راجع التعليق السابق رقم 26.

(42) أولو (ULU) : معناها الكبيرة، أو المعظمة بينما كجك (KOSI) تعني الصغيرة.

(43) المنوت : الكلمة حسب الترجمانين .D.S من أصل اغريقي (MELLOÛTHAH) وحوّلها الأقباط بدورهم إلى ملّوطة، وهي بالانجليزية Manth وهي تعني العباءة التي تلبس فوق... وتغطي الكل... حول البغطاق انظر تعليق 30، وحول أقروف انظر التعليق 31 وحول النخ انظر ج II، 309 - يلاحظ أن گيب يترجم دائما كلمة الروم بالإغريق.

ذكر الخاتون الكُبرى

والخاتون الكبرى - هي الملكة أم ولدي السلطان جان بك وتين بك وسنذكرهما، وليست أم ابنته ايت كُجُجُك، وامها كانت الملكة قبل هذه واسم هذه الخاتون طَيْطُغْلِي (44) بفتح الطاء المهملة الأولى واسكان الياء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الغين المعجمة وكسر الام وياء مدّ، وهي أحظى نساء هذا السلطان عنده، وعندها يبيت أكثر لياليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمه لها، وإلا فهي أبْخل الخواتين ! وحدّثني من اعتمده من العارفين بأخبار هذه الملكة أنّ السلطان يحبُّها للخاصيّة التي فيها، وهي أنّه يجدها كلّ ليلة كأنّها بِكر (45) !! وذكر لي غيره أنها من سلالة المرأة التي يذكر أن المُلك زال عن سليمان عليه السلام بسببها، ولما عاد إليه ملكه أمر أن توضع بصحراء قَفْجَق (45)، وأن رحم هذه الخاتون شبه الحلقة خلقةً، وكذلك كلُّ من هو من نسل المرأة المذكورة، ولم أر بصحراء قَفْجَق ولا غيرها مَن أخبر أنّه رأى امرأةً على هذه الصورة ولا سمع بها الاّ هذه الخاتون ! اللهمّ الاّ أنّ بعض أهل الصين أخبرني أنّ بالصين صنفًا من نسائها على هذه الصورة ولم يقع بيدي ذلك ولا عرفت له حقيقة!!.

390/2

391/2

وفي غد اجتماعي بالسلطان دخلتُ إلى هذه الخاتون وهي قاعدةٌ فيما بين عشرٍ من النساء القواعد كأنّهنّ خديماتٌ لها وبين يديها نحو خمسين جارية صغاراً يسمون البَنات، وبين أيديهن طيافير الذهب والفضّة مملوّة بحَبّ الملوك وهنّ ينقينه، وبين يدي الخاتون صينيّة ذهب مملوة منه وهي تُنقّيه، فسلّمنا عليها وكان في جملة أصحابي قارئ يقرأ القرآن على طريقة المصريّين بطريقةٍ حسنة وصوت طيّب، فقرأ ثم أمرت أن يوتى بالقِمِزّ فأوتي به في أقداح خشب لطاف خفاف، فأخذت القدح بيدها وناولتني إيّاه وتلك نهاية الكرامة عندهم، ولم

392/2

---

(44) هذه الأميرة العظيمة الخاتون طَيْطُغْلِي سجل اسمها في التاريخ بسبب رسالة وجهت إليها من لدن البابا بِنُوَا الثاني عشر (BENOIT XII) بتاريخ 17 غشت 1340 بهذا العنوان "امبراطورة التتار الشماليين طاي ضولا" يعرب فيها البابا عن الأمل بأن طاي ضُلا المعروفة بتشجيعها للمسيحيين أن تعتنق هي نفسها الدين المسيحي، على نحو ما قام به البابا اينوصانت الرابع بالنسبة للخليفة الموحدي المرتضى في الرسالة التي بعث بها إلى المغرب بتاريخ 31 أكتوبر 1246=18 جمادى الثانية 644.

P. Pelliot : Notes sur l'histoire de la Horde d'or. Thaytholu Katou -Paris 1950 p.101-5.

– د. التازي : التاريخ الدبلوماسي ج 6 ص 165، 166 مصدر سابق

(45) يذكّر هذا الكلام فيما يَرويه التنوخي عن القصيدة اليتيمة التي تصف أميرة بأوصاف كان منها ما جاء في هذين البيتين :

وَلَـهَـا هَـنٌ رابٍ مجَسَّتُـهُ ... صَعْبُ المَسالكِ، حَشْوُهُ وَقْدُ

فَإذَا طَعَنْتَ طَعَنْت في لَبَدٍ ... وإذَا سَلَلْتَ يَكَادُ يَنْسَدُّ !!

أمّا عن قصة سليمان فتراجع الآية "ولقد فتنا سليمان" السورة 38 الآية 34.



مشهد للخواتين

أكن شربت القِمِزّ قبلها، ولاكن لم يمكنني إلاّ قبوله ! وذقتُه ولا خير فيه، ودفعته لأحد أصحابي، وسألتْني عن كثيرٍ من حال سفرنا، فأجبناها، ثم انصرفنا عنها، وكان ابتداؤنا بها لأجل عظمتها عند الملك !

ذكر الخاتون الثانية التي تلي الملكة

واسمها كَبَك خاتون، بفتح الكاف الأولى وفتح الباء الموحدة، ومعناه بالتركية النُّخَالة، وهي بنت الأمير نَغَطَى، واسمه بنون وغين معجمة وطاء مهملة مفتوحات وياء مسكنة، وأبوها حيّ مبتلى بعلة النِّقرس، وقد || رأيته، وفي غد دخولنا على الملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبةٍ تقرأ في المصحف الكريم وبين يديها نحو عشرٍ من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرّزن ثياباً فسلّمنا عليها وأحسنت في السلام والكلام، وقرأ قارئنا فاستحسنتْه، وأمرت بالقِمِزّ فأُحضر وناولتني القَدَح بيدها كمثل ما فعلته الملكة وانصرفنا عنها.

393/2

ذكر الخاتون الثالثة

واسمها بَيْلُون بباء موحدة وياء آخر الحروف كلاهما مفتوح ولام مضموم وواو ومدّ ونون، وهي بنت ملك القسطنطينية العظمى السلطان تَكفور (46) ودخلنا على هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصّع وقوائمه فضّة وبين يديها || نحو مائة جارية : روميّات وتركيّات ونوبيّات، منهن قائمات وقاعدات، والفتيان على رأسها، والحجّاب بين يديها من رجال الروم، فسألت عن حالنا ومقدمنا وبُعد أوطاننا، وبكت ومسحت وجهها بمنديلٍ كان بين يديها رقّةً

394/2

(46) عرف ملك بيزنطة في الأدب العربي تحت اسم تَقفور

نَقَضَ الذي أعطيته تَقْفورُ

وعليه دائرة البَوار تدور !

وهو محرف فيما يبدو عن الكلمة الأرمنية تاكافور (TAGAVOR)، وبالنسبة للتعريف بالأميرة بيلون فاننا نتوفر على إشارة واحدة وغير مباشرة لا توجد في الشجرة البيزنطية وهذه الاشارة وردت في الرسالة المكتوبة عام 741=1341 من لدن الراهب البيزنطي الأديب كريكوار أكيندينوس (G. AKINDYNOS) إلى صديقه دافيد دشيبّاطوس، (D. Dshypatos) الذي كان عندئذ راهبا في بلاد البلقان، كانت الرسالة تحكي عن التوصل في القسطنطينية برسالة من ابنت الامبراطور، زوجة سلطان الشيث (Scythes) (يعني المغول) تخبر بغارة يقوم بها ستون الف رجل ضد منطقة الدانوب وثْراسي (THRACE). - بيْلون المذكورة ينبغي أن تكون اذن بنتاً طبيعية لأندرونيك (ANDRONIC) الثالث باليُولوگ (Paléologue) – د. التازي : مراسلة دبلوماسية شعرية بين القسطنطينية وبغداد دار الجيل – بيروت 1993 ص 257.

منها وشفقةً، وأمرت بالطعام فأحضر وأكلنا بين يديها وهي تنظر إلينا ولمّا أردنا الانصراف، قالت : لا تنقطعوا عنّا وتردّدوا إلينا وطالعونا بحوائجكم : وأظهرت مكارم الاخلاق وبعثت في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة جيّدة وثلاثة من جياد الخيل وعشرةً من سائرها، ومع هذه الخاتون كان سفري إلى القسطنطينية العظمى كما نذكره بعد . 395/2

ذكر الخاتون الرابعة

واسمها أُردُجا بضمّ الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهمل وجيم والف، وأُرْدُ بلسانهم المحلّة، وسُمّيتْ بذلك لولادتِها في المحَلّة، وهي بنت الأمير الكبير عيسى بك أمير الأُلُوس (47) بضمّ الهمزة واللام، ومعناه أمير الأمراء، وأدركته حيّا وهو متزوج ببنت السلطان ايت كُجُجُك، وهذه الخاتون من أفضل الخواتين وألْطفهنّ شمائل وأشفقهنّ، وهي التي بعثت إليّ لمّا رأت بيتي على التل عند جواز المحلة كما قدّمناه، دخلْنا عليها فرأينا من حُسن خلقها وكرم نفسها ما لا مزيد عليه، أمرت بالطعام فأكلنا بين يدّيها، ودعت بالقمِزً فشرب أصحابنا، وسألت عن حالنا، فأجبناها، ودخلنا أيضا إلى أختها زوجة الأمير علي بن أرزق . 396/2

ذكر بنت السلْطان المعظّم أوزبك

واسمها إيت كُجُجُك، وايت بكسر الهمزة وياء مدّ وتاء مثناة وكُجُجُك بضم الكاف وضم الجيمين، ومعنى اسمها الكلْب الصغير، فإنّ إيت هو الكلب، وكجُجُك هو الصغير (48) وقد قدّمنا أنّ الترك يسمون بالفأل، كما تفعل العرب، وتوجهنا إلى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلةٍ منفردة على نحو ستّة أميال من محلة والدها فأمرت بإحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشائخ والفقراء، وحضر زوجها الأمير عيسى الذي بنتُه زوجة السلطان، فقعد مَعَها على فراش واحدٍ وهو معتلّ بالنّقرس فلا يستطيع التصرُّف على قدميه ولا ركوب الفرس وانّما يركب العربة، وإذا أراد الدخول على السلطان أنزله خدّامه وأدخلوه إلى المجلس محمولاً؛ وعلى هذه الصورة رأيت أيضا الأمير 397/2 نَغَطَيْ، وهو أبو الخاتون الثانية، وهذه العلّة فاشية في هؤلاء الأتراك، ورأينا من هذه الخاتون

(47) الكلمة أُلُوس : (ULUS) بالمغولية، تعني قبيلة عظيمة من القبائل المغولية التي كانت تخضع لرئيس أعلى...

(48) في الحقيقة أن كلمة كُشُك (Küchük) لها معنى الكلب الصغير وكلمة جُك في الأخير لاحقة تعني التّصغير فالمعنى اذن على الأصغر وليس فقط علي الصغير.

بنت السلطان من المكارم وحسن الأخلاق ما لم نره من سواها وأجزلت الاحسان وافضلت جزاها الله خيرًا.

ذكر ولدَي السلطان

وهما شقيقان، وأمهما جميعًا طَيْطُغْلي التي قدّمنا ذكرها والأكبر منهما اسمه تِينَ بك (49)، بتاء معلوّة وياء مدّ ونون مفتوحة، بك معناه الأمير، وتينَ معناه الجسد، فكأن اسمه أمير الجسد، واسم أخيه جانِ بك بفتح الجيم وكسر النون، ومعنى جان : الروح فكأنّه يسمّى أمير الروح، ولكل واحد منهما محلة على حدة، وكان تينَ بك من أجمل خلق 398/2 الله صورة وعهد له أبوه بالملك، وكانت له الحظوة والتشريف عنده، ولم يرد الله ذلك، فإنه لمّا مات أبوه وُلّي يسيرًا، ثم قتل لأمور قبيحة جرت له، وولى أخوه جانِ بك وهو خيْرٌ منه وأفضل.

وكان السيّد الشريف ابن عبد الحميد هو الذي تولّى تربية جانِ بك، وأشار عليّ هو والقاضي حمزة والإمام بدر الدين القومي والإمام المقرئ حسام الدين البخاريّ وسواهم حين قدومي أنْ يكون نُزولي بمحلة جانِ بك المذكور لفضله ففعلت ذلك.

ذكر سفري إلى مدينة بلغار

وكنت سمعت بمدينة بُلْغار (51) فأردت التوجه إليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قِصَر الليل بها، وقصر النهار في عكس ذلك الفصل، وكان بينها وبين محلّة 399/2 السلطان مسيرة

(49) تِينَ بك (TINI) خلف والده لبضعة شهور سنة 742 هـ = 1342-1343، وينبغي التحقيق مع ابن بطوطة حول أصل الكلمتين ودلالتهما... وقد أثبت بعض الباحثين بيلو (Pelliot) أن اسم الأمير تيني (Tini) من اشتقاق تركي Tino (بمعنى الروح)، وان اسم (جاني) من اشتقاق فارسي بمعنى الروح كذلك - Gibb 2, Note 280.

(50) عوّض جان بك أخاه بتنحيته واستمر في الحكم من 742 إلى 758 = 1342-1357.

(51) توجد أطلال مدينة بلغار على بعد 115كـم. جنوب قازان عند الكيلوميتر السابع انطلاقا من يسار ساحل نهر فولگا. وقد اعتنقت عاصمة بلغار : (الفولكا) الإسلام في القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي، واستولى عليها المغول عام 635=1237 واحتفظت بطابعها كمركز تجاري خلال هذه الفترة.

وتُلاحظ بعض التعاليق هنا وخاصة تعليق جانيكسيك Janicsek وهربك Hrbec أنه نظرًا لكون مدينة البلغار تقع على بعد ثمانمائة ميل شمال بش داغ فانه من غير الممكن أن يستطيع ابن بطوطة تحقيق هذا السفر خلال شهر رمضان وإنا نعتقد أن المساعدة الملكية الخاصة للرحالة المغربي قد تكون كفيلة بتحقيق الغرض سيما ونحن نعلم عما تستطيع الإمكانيات أن تقوم به من طي المسافات ... والتغلب على العقبات، وأمامنا عدد من الحالات المشابهة التي تبرّر ما نذهب اليه من صدق ابن بطوطة فيما يقول. وهناك اليوم رحلاتٌ قمنا فيها بمساعدة السلطة بقطع مسافات خيالية لم يكن في استطاعتنا أن نقوم بعشرها عندما كنا نعتمد على وسائلنا الخاصة !!

عشر. فطلبتُ منه مَن يوصلني إليها فبعث معي من أوصلني إليها وردّني إليه ووصلتُها في رمضان فلمّا صلينا المغرب أفطرنا وأذّن العشاء في أثناء إفطارنا فصلّينا وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر إثر ذلك، وكذلك يقْصر النهار بها في فصل قصره أيضا وأقمت بها ثلاثًا.

ذكر أرض الظلمة

وكنت أردت الدخول إلى أرض الظلمة والدخول اليها من بُلغار، وبينهما مسيرة أربعين يوماً (52)، ثم أضربتُ عن ذلك لعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى، والسفر إليها لا يكون إلاّ في عجلاتٍ صغار، تجرّها كلاب كبار، فإن تلك 400/2 المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدميّ ولا حافرُ الدابّة فيها، والكلاب لها الأظفار فتثبت أقدامها في الجليد، ولا يدخلها إلاّ الأقوياء من التجار الذين يكون لأحدهم مائة عجلة أو نحوها مُوقرةً بطعامه وشرابه وحطبه (53) فإنّها لا شجر فيها ولا حجر ولا مدر. والدليل بتلك الأرض هو الكلب (54) الذي قد سار فيها مرارًا كثيرة، وتنتهي قيمته إلى ألف دينار ونحوها، وتُربط العربة إلى عنقه ويقرن معه ثلاثة من الكلاب ويكون هو المقدّم وتتبعه سائر الكلاب بالعربات، فإذا وقف وقفت وهذا الكلب لا يضربه صاحبه ولا ينهره، وإذا حضر الطعام أطعم الكلاب أوّلاً قبل بني آدم وإلاّ غضِب الكلب وفرّ وترك صاحبه للتلف! فإذا كَمُلَتْ للمسافرين بهذه الفلاة أربعون مرحلةً نزلوا 401/2 عند الظُلمة وترك كلُّ واحد منهم ما جاء به من المتاع هنالك، وعادوا إلى منزلهم المعتاد فإذا كان من الغد عادوا لتفقّد متاعهم فيجدون بإزائه من السمُّور والسّنجاب والقاقُم، فإن أرضى صاحب المتاع ما وجده إزاء متاعه أخذوه وإن لم يرضه تركه فيزيدونه، وربّما رفعوا متاعهم أعني أهل الظلمة، وتركوا متاع التجار، وهكذا بيعُهم وشراؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون إلى هنالك مَن يبايعهم ويشاريهم أمِن الجنّ أمْ من الإنس ولا يرون أحدًا!

(52) "... وسمعت ببُلغار، وهي مدينة في آخر بلاد الاسلام في الشمال هي فوق سقسين بأربعين يومًا، يكون النهار في الصيف عشرين ساعة والليل أربع ساعات ... ويشتد البرد فيها حتى إذا مات لأحدٍ ميت لا يقدر أن يدفنه ستة شهور ... ولقد مات لي ولدٌ وكان في آخر الشتاء فلم أقدر على دفنه. ويخرج التجار من بلغار إلى ولايةٍ من الكفار ... منها يجيء القندس الجيّد..." من رحلة أبي حامد الغرناطي الذي زار المنطقة عام 525=1130 - Journal Asiatique, Juillet 1925 P. 116.

(53) يجب أن ننتبه إلى حرص ابن بطوطة على ذكر الحَطَب وأهمية موادّ التَّسْخين وخاصة في مثل هذه الظروف التي تصير فيها الأرض كالحديد ولا يمكن أن يحفر فيها قبر كما يقول الغرناطي ...

(54) من الأمثال المعروفة ببلاد المغرب "من طنجة لبرّ الكلب" يضرب مثلا في بعد المسافة ونحن نرى فيه إشارةً للمسافة التي قطعها ابن بطوطة من طنجة لأرض الظلمات حيث تتجلى مزية من المزايا الحميدة المعروفة للكلاب! التازي: التاريخ الدبلوماسي 7، 32.

والقاقُم (55) : هو أحسن أنواع الفراء وتساوي الفروة منه ببلاد الهند ألف دينار وصرفها من ذهبنا مايتان وخمسون، وهي شديدة البياض من جلد حيوانٍ صغير في طول الشبر وذنبُه طويلٌ يتركونه في الفرْوة على حاله، والسمّور دون ذلك تساوي الفروة منه أربعمائة دينار فما دونها. 402/2

وخاصّية هذه الجلود أنّه لا يدخلها القمل، وأمراء الصين وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متّصلاً بفرواتهم عند العنق، وكذلك تجار فارس والعراقين.

وعدت من مدينة بُلغار مع الأمير الذي بعثه السلطان في صحبتي فوجدتُ محلّة السلطان على الموضع ببش دغ وذلك في الثامن والعشرين من رمضان وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة (56).

ذكر ترتيبهم في العيد

ولمّا كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكره العظيمة، وركبتْ كلُّ خاتون عَربتها ومعها عساكرها وركبتْ بنت السلطان والتاجُ على رأسها إذ هي الملكة على الحقيقة ورثت الملك من أمّها (57)، وركب أولاد السلطان كلّ واحدٍ في عسكره. 403/2

وكان قد قدم لحضور العيد قاضي القضاة شهاب الدين السايليّ، ومعه جماعة من الفقهاء والمشايخ، فركبوا وركب القاضي حمزة والامام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبد الحميد، وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تِينَ بك ولي عهد السلطان ومعهم الأطبال والأعلام، فصلّى بهم القاضي شهاب الدين وخطب أحسن خطبة، وركب السلطان وانتهى إلى برج خشب يسمّى عندهم الكُشك (58)، فجلس فيه ومعه خواتينه، ونُصب برج ثانٍ دونه فجلس فيه وليّ عهده وابنته صاحبة التاج ونُصب برجان دونهما عن يمينه وشماله فيهما أبناء السلطان 404/2

(55) تضافرت نصوص التاريخ على أن الأوربيين عَرفوا هذا النوع من "التجارة الخرساء" مع الهنود الحمر في أمريكا كما عرفه القرطاجنيون والفينيقيون مع بعض الإمارات المغربية...

– د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 3، ص : 10-103.

(56) عيد الفطر كان عام 734 يوافق يوم الأحد 4 يونيه 1334 على حسب جداول كاطنوز..

(57) كانت أمها على ما يحتمل هي أولى الزوجات عند أوزبك المسماة في التاريخ الروسي بعلين بيلون ؟ توفيت سنة 723=1323 ... هذا وتحتاج عبارة ابن بطوطة : وورثت الملك من أمّها" تحتاج إلى بيان أكثر دقة...

(58) من هذه الكلمة الكشك يأتي لفظ (KIOSQUE) في اللغة الفرنسية.

وأقاربه ونُصبت الكراسي للأمراء وأبناء الملوك، وتسمّى الصّندليات (59) عن يمين البرج وشماله، فجلس كل واحدٍ على كرسيّه.

ثمّ نصبت طبلات للرمْي لكل أمير طومان (60) طبلة مختصّة به، وأمير طومان عندهم هو الذي يركب له عشرة آلاف، فكان الحاضرون من أمراء طومان سبعة عشر يقودون مائة وسبعين ألفا، وعسكره أكثر من ذلك، ونصب لكل أمير شبه منبر فقعد عليه وأصحابه يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة.

ثمّ أُتي بالخلع فخلعت على كل أمير خلعة وعندما يلبسها يأتي إلى أسفل برج السلطان، فيخدم، وخدمته أن يمسّ الأرض بركبته اليمنى ويمدّ رجله عليها ‖ والأخرى قائمة. 405/2 ثم يؤتي بفرسٍ مسرج ملجم فيرفع حافره ويُقبّل فيه الأمير ويقوده بنفسه إلى كرسيه، وهنالك يركبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل كلُّ أمير منهم، ثم ينزل السلطان عن البُرج ويركب الفرس وعن يمينه ابنه وليّ العهد، وتليه بنته الملكة إيت كُجُجُك، وعن يساره ابنه الثاني، وبين يديه الخواتين الأربع في عربات مكسوّة بأثواب الحرير المذهّب، والخيل التي تجرّها مجلّلة بالحرير المذهّب، وينزل جميع الأمراء الكبار والصغار وابناء الملوك والوزراء والحجّاب وأرباب الدولة فيمشون بين يدَيْ السلطان على أقدامهم إلى أن يصل إلى الوِطاق (61)، والوطاق بكسر الواو وهو أفْراج، وقد نصبت هنالك باركة (62) عظيمة، والباركة عندهم بيت كبير له أربعة ‖ أعمدة من الخشب مكسوّة بصفائح الفضة المموّهة بالذهب، وفي أعلى كلّ عمود 406/2 جامور من الفضّة المذهّبة له بريق وشعاع وتظهر هذه الباركة على بعد كأنّها تنيّة، ويوضع عن يمينها ويسارها سقائف من القطن والكتّان، ويفرش ذلك كلّه بفرش الحرير، وينصب في وسط الباركة السرير الأعظم، وهم يسمونه التّخْت (63)، وهو من خشب مرصّع وأعواده مكسوّة بصفائح مذهّبة، وقوائمه من الفضة الخالصة المموّهة، وفوقه فرش عظيم.

وفي وسط هذا السرير الأعظم مرتبة يجلس بها السلطان والخاتون الكبرى وعن يمينه مرتبة جلست بها بنته ايتِ كجُجُك ومعها الخاتون أُردُجا، وعن يساره مرتبة جلست بها

(59) (SANDALI) بالفارسية تعني الكرسي أو المنصة أو العرش كذلك.

(60) طومان كلمة تركية (TUMEN) وتعني عشرة آلاف.

(61) تتعدّد المخطوطات بين عبارة (الرّطان بكسر الرّاء) وبين (الوطاق بكسر الواو) ونميل إلى اعتماد الأخيرة لأنها بالتركية وطاق من الأصل العربي وِثَاق، وإلى الآن تستعمل بمعنى الخيمة – تعليق 22.

(62) بارغه (BARGHA) بالفارسية تعني قاعة الاستقبال أو المحكمة.

(63) باللغة الفارسية : الكرسي – حول الجامور انظر ج II، ص 30 و ج II، ص 13.

الخاتون بيلون، ومعها الخاتون كَبَك، ونُصب عن يمين السرير كُرسيٌ قعد عليه تِينَ بك ولد السلطان، ونصب عن شماله كرسي قعد عليه جانِ بك ولده الثاني، ونصبت كراسي عن اليمين والشمال جلس فوقها أبناء الملوك والأمراء الكبار، ثم الأمراء الصغار مثل أمراء هزارة (64)، وهم الذين يقودون ألفا. 407/2

ثم أُتي بالطعام على موائد الذهب والفضّة وكلّ مائدة يحملها أربعة رجال وأكثر من ذلك، وطعامهم لحوم الخيل والغنم مسلوقة، وتوضع بين يدي كلّ أمير مائدة وياتي الباوَرْجي (65)، وهو مقطّع اللحم وعليه ثياب حرير وقد ربط عليها فوطة حرير وفي حزامه جملة سكاكين في أغمادها، ويكون لكلّ أميرٍ بَاورجي، فإذا قدّمت المائدة قعد بين يدي أميره، ويؤتى بصحفةٍ صغيرة من الذهب أو الفضّة فيها ملحٌ محلول بالماء فيقطع الباروجي اللّحم قطعًا صغارًا . ولهم في ذلك صنعة في قطع اللحم مختلطا بالعظم فإنهم لا يأكلون منه إلاّ ما اختلط بالعظم. 408/2

ثم يؤتي بأواني الذهب والفضّة للشرب، وأكثر شربهم نبيذ العسل وهم حنفيّة المذهب يحلّلون النبيذ، فإذا أراد السلطان أن يشرب أخذت بنتُه القَدَح بيدها، وخدمت برجلها، ثم ناولتْه القَدَح فشرب ثم تأخُذ قدحا آخر فتناوله للخاتون الكبرى، فتشرب منه ثم تناول لسائر الخواتين على ترتيبهنّ، ثم يأخذ وليّ العهد القَدَح ويخدم ويناوله أباه فيشرب ثم يناول الخواتين ثم أخته ويخدم لجميعهن، ثم يقوم الوَلَد الثاني فيأخذ القَدَح ويسقي أخاه له ثم يقوم الأمراء الكبار فيسقي كلُّ واحد منهم وليّ العهد، ويخدم له ثم يقوم أبناء الملوك فيسقي كلُّ واحد منهم هذا الابن الثاني ويخدم له، ثم يقوم الأمراء الصغار فيسقون أبناء الملوك.

ويغنّون أثناء ذلك بالملالية (66) وكانت قد نصبت قبّة كبيرة أيضًا إزاء المسجد للقاضي والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشائخ، وأنا معهم فأوتينا بموائد الذهب والفضة، يحمل كلَّ واحدةٍ أربعةٌ من كبار الأتراك، ولا يتصرف في ذلك اليوم بين يدي السلطان إلاّ الكبار فيأمرُهم برفع ما أراد من الموائد إلى مَن أرادَ فكان من الفقهاء من أكل، ومنهم من تورّع من الأكل في الموائد الفضّة والذّهب. ورأيت مدّ البصر عن اليمين والشمال 409/2

(64) هزارة بالفارسية (HEZAR) تعني الف.

(65) الكلمة بالمغولية (Le BAO URTCHIN) ضابط مهمّ في القصر المغولي.

(66) هكذا في سائر النسخ : الملألية، يظهر أنها نسبة إلى المُلاَّ : اللّقب الذي يُطلق على السيّد المرشد وقد جعل الناشران أمامها كلمة (الموالية ...) والقصد إلى أغاني قصيرة.

من العرَبات عليها رَوَايا القِمِزّ فأمر السلطان بتفريقها على الناس، فأتوا إليّ بعربة منها فأعطيتها لجيراني من الأتراك، ثم أتينا المسجد ننتظر صلاة الجمعة فأبطأ السلطان، فمن قائل إنّه لا يأتي لأن السُّكْر قد غلبَ عليه، ومن قائل إنّه لا يترك الجمعة، فلمّا كان بعد تمكُّن الوقت أتى وهو يتمايل ! فسلم على السيد الشريف وتبسَّم له وكان يخاطبه باطا، وهو الأب بلسان التُّركية، ثم صلّينا الجمعة وانصرف الناس إلى منازلهم وانصرف السلطان إلى الباركة، فبقي على حاله إلى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقي مع الملك تلك الليلة خواتينه وبنته.

410/2

ثم كان رحيلنا مع السلطان والمحلّة لمّا انقضى العيد فوصلنا إلى مدينة الحاجّ تَرخان (67)، ومعنى ترخان عندهم : الموضع المحرّر من المغارم، وهو بفتح التاء المثناة وسكون الراء وفتح الخاء المعجم وأخره نون، والمنسوب اليه هذه المدينة هو حاجّ من الصالحين، تركي نزل بموضعها وحرّر له السلطان ذلك الموضع فصار قرْية، ثم عظمت وتمدّنت، وهي من أحسن المُدُن عظيمة الأسواق مبنيّة على نَهْر إتل (68)، وهو من أنهار الدنيا الكبار، وهنالك يقيم السلطان حتّى يشتدّ البرد ويجمد هذا النهر، وتجمد المياه المتّصلة به، ثم يأمر أهل تلك البلاد فيأتون بآلاف من أحمال التبن فيجعلونها على الجليد المنعقد فوق النهر، والتبن هنالك لا تأكله الدواب، لأنّه يضرّها، وكذلك ببلاد الهند، وانّما أكلها الحشيش الأخضر لخصب البلاد، ويسافرون بالعَرَبات فوق هذا النهر، والمياه المتصلة به ثلاثُ مراحل، وربّما جازت القوافل فوقه مع آخر فصلِ الشتاء فيغرقون ويهلكون.

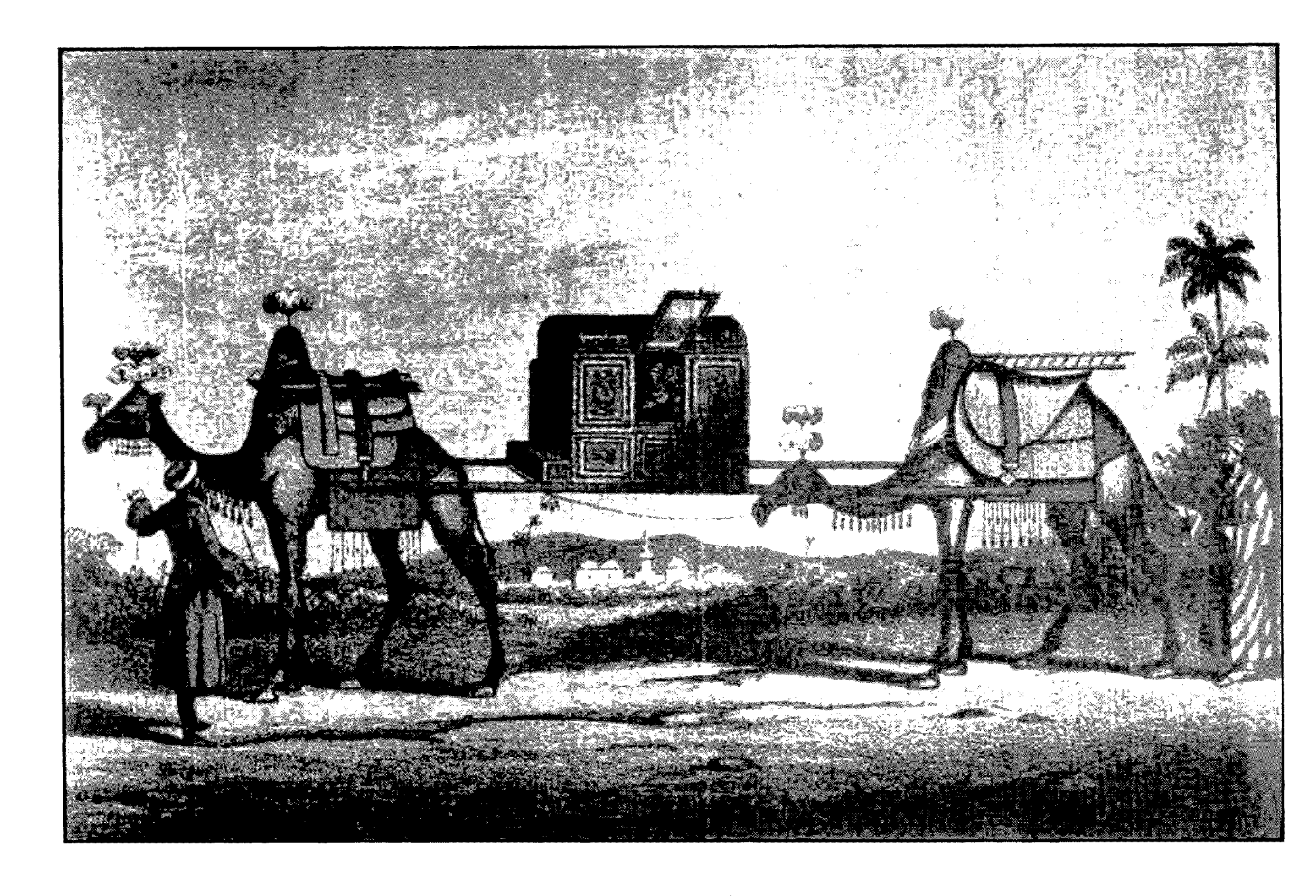
411/2

412/2

ولمّا وصلنا مدينة الحاجّ ترخان رغبت الخاتون بيلون ابنة ملك الروم من السلطان أن ياذن لها في زيارة أبيها لتضع حملها عنده وتعود إليه، فأذن لها ورغبتُ منه أن يأذن لي في التوجّه صحبتها لمشاهدة القسطنطينية العظمى، فمنعني خوفًا عليّ فلاطفتُه وقلتُ له : إنّما أدخلها في حرمتك وجوارك فلا أخاف من أحد! فأذن لي وودّعناه ووصلني بألف وخمسمائة دينار وخلعة وأفراس كثيرة وأعطتني كلُّ خاتون منهنّ سبائك الفضة، وهم يسمّونها الصَّوْم،

(67) ترخان يتعلق الامر بمدينة أسترْخان (OSSETES AS-ASTRAKHAN) على مصب نهر الفولكا. أصل الكلمة يكمن إما في اسم لأحدِ الملوك (MAZAR) أو في إسم (OSSETES AS) شعب في شمال القوقاز، وهناك من جعل، الاشتقاق من الكلمة التركية... (تركان) لقب ملكي أو من الكلمة المغولية دَارْكَان : شخص معفى من حقوق الديوانة.

(68) نهر إتل هو الاسم الذي يعطيه المؤلفون العرب لنهر الفولكا : أنظر رحلة الغرناطي ص 15.



من وسائل النقل في الصحراء

بفتح الصاد المهمل، واحدتها صَوْمة (69)، وأعطتْ بنته أكثر منهنّ وكسْتي وأركبتني، واجتمع لي من الخيل والثياب وفروات السنجاب والسَّمور جملة.

ذكر سفري إلى القسطنطينية

413/2 وسافرنا في العاشر من شوّال (70) في صحبة الخاتون بَيلون وتحت حرمتها، ورحل السلطان في تشييعها مرحلةً ورجع هو والملكة ووليُّ عهده، وسافر سائر الخواتين في صحبتها مرحلةً ثانية، ثم رجعْن، وسافر صحبتها الأمير بَيْدَرة في خمسة آلافٍ من عسكره (71).

وكان عسكر الخاتون نحو خمسمائة فارس منهم خدَّمُها من المماليك والروم نحو مائتين والباقون من التُّرك، وكان معها من الجواري نحو مائتين أكثرهنّ روميات، وكان لها من العربات نحو أربعمائة عربة ونحو ألفي فرس لجرّها وللركوب، ونحو ثلاثمائة من البقر ومائتين من الجمال لجرّها، وكان معها من الفتيان الروميين عشرة، ومن الهنديّين مثلهم، وقائدهم الأكبر يسمّى بسُنبُل الهندي، وقائد الروميين يسمى بميخائيل، ويقول له الأتراك لؤلؤ، وهو من 414/2 الشجعان الكبار وتركت أكثر جواريها وأثقالها بمحلة السلطان إذ كانت قد توجّهت برسم الزيارة ووضع الحَمْل.

وتوجهنا إلى مدينة أُكَك (72)، وهي بضم الهمزة وفتح الكاف الأولى، مدينة متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد وبينها وبين السّرا حضرة السلطان مسيرة عشر،

---

(69) الصّوم ج صومة : سبائك صغيرة من الفضة كانت تساوي على ذلك العهد خمس فلورينات من الذهب، الكلمة آتية من اللغة البلغارية القديمة التي تعني، إلى الآن، في التركية الشرقية الروبّلات، وتعني في التركية الغربية النقد أو الذهب الخالص.

(70) عاشر شوال من السنة 734 يوافق 14 يونيه 1334.

(71) تعتبر المعلومات التي قدمها ابن بطوطة هنا عن غرب البحر الأسود : منطقة الشمال الشرقي للبلقان : مولدافيا – رومانيا – دوبروجا، بلغاريا ... إلى القسطنطينية، تعتبر الوحيدة التي حررت بالعربية في العصر الوسيط فلا أبو حامد الغرناطي ولا الشريف الادريسي يمكن أن يوازيه ...
Alexandre Popovic : ISLAM BALKANIQUE
Berlin 1986 - H.T. Norris : FACT'or fantasy in Ibn Battuta's Journey along The northeren shares of the Blak Sea... Colloque. : Tanger 1994.

(72) أكك : لا يتعلق الأمر هنا بـ (UKAK) المشهورة التي ذكرها ماركوبولو والتي تقع على نهر الفولكا جنوب سَرَاطُوف، ولكن القصد إلى موقع جغرافي صغير يحمل اسم لُوكَاك (LOCAQ) على بحر أزُوف.



منظر يقرب لموكب الأميرة التركية وهي في طريقها إلى القسطنطينية

وعلى مسيرة يومٍ من هذه المدينة جبال الرّوس وهم نصارى شُقْر الشعور زُرْق العيون قِباح الصور، أهل غدرٍ، وعندهم معادن الفضّة (73)، ومن بلادهم يوتي بالصَّوْم، وهي سبائك الفضّة التي بها يباع ويشترى في هذه البلاد ووزن الصّومة منها خمس أواقي.

ثم وصلنا بعد عشر من هذه المدينة إلى مدينة سُرْداق (74) وضبط اسمها بضم السين المهمل وسكون الراء وفتح الدال المهمل وآخره قاف، وهي من مدن دشت قفْجق على ساحل البحر، ومرساها من أعظم المراسي وأحسنها، وبخارجها البساتين والمياه وينزلها الترك وطائفة من الروم تحت ذمّتهم، وهم أهل الصنائع، وأكثر بيوتها خشب، وكانت هذه المدينة كبيرةً فخرب معظمها بسبب فتنةٍ وقعت بين الروم والترك، وكانت الغلبة للرّوم فانتصر للترك أصحابهم وقتلوا الروم شرّ قتْله ونفوا أكثرهم وبقي بعضهم تحت الذمّة إلى الآن.

415/2

وكانت (75) الضيافة تُحمل إلى الخاتون في كلٍّ منزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر والدُّوقي والقِمِزّ وألبان البقر والغنم، والسَّفر في هذه البلاد مُضْحىً ومُعشىً، وكل أمير بتلك البلاد يصحب الخاتون بعساكره إلى آخر حدّ بلاده تعظيماً لها، لا خوفًا عليها، لأن تلك البلاد آمنة.

416/2

ثم وصلنا إلى البلدة المعروفة باسم بابا سَلطوق (76)، وبابا عندهم بمعناها عند البربر سواء (77)، إلاّ أنّهم يفخّمون الباء وسَلْطُوق بفتح السين المهمل واسكان اللام وضمّ الطاء

(73) يلاحظ أن المعلومات التي قدمها ابن بطوطة اعتمد فيها على ما كان يسمعه فإنه توجد في المنطقة مناجم رصاص فضّي على مقربة من نهر مِيِيوس (MIUSS) بين أَزُوف وأكّك هذا وقد علقت مخطوطة مغربية على كلمة (غدر) بأن هذا غير معهود في الروس !!

(74) تقع سُرْداق (SURDAQ) أو (سولْدايا) في جزيرة القِرَم وقد كانت الميناء الأساسي للتجارة في الشمال الشرقي لساحل البحر الأسود وكانت مركزا للبنادقة والجنويين.. وبما انها لم تكن على الطريق فيظهر أن زيارته لها تمت أثناء وجوده في جزيرة القرم.

(75) لعل الإشارة إلى الصدام الذي أدى لاحتلال سُرْدَاق من لدن أوزبك خان عام 722=1322. راجع الموسوعة الإسلامية مادة (Sughdak).

(76) حسب الرواية التركية فإن ساري سلطيق كان رجلا مجاهداً احتل بواسطة جماعة من التركمان - دُوبْرُوجا (DOSBURDJA) بعد سنة 658=1260، وقد أدركه أجله بها بعد سنة 699=1300، قبره يوجد في مدينة بَابَا دَا غْ شمال دُوبْرُوجا. وحيث إن ذلك الرجل الصالح على ما قيل عاش ردحًا من الزمان في البراري الروسية فانه من المحتمل أن يكون المكان الذي يحمل اسمه موجودًا في جنوب الروسيا على بعد 1200 كـ.م. من اصطرخان - تعليق 71

(77) نلاحظ أن ابن بطوطة وهو من قبيلة لَواته المغربية لا يفتأ يقارن بين الألفاظ التي سمعها مما يجد لها علاقة بين ما هنا وهناك.

المهمل وآخره قاف، ويذكرون أن سلطوق هذا كان مكاشفًا لاكن يذكر عنه أشياء ينكرها الشرع، وهذه البلدة آخر بلاد الآتراك، وبينها وبين أوّل عمالة الرُوم ثمانية عشر يومًا في بريّة غير معمورة، منها ثمانية أيّام لا ماء بها، يُتزوّد لها الماء، ويحمل في الرَّوايا والقِرب على العربات، وكان دخولنا اليها في أيام البرد، فلم نحتج إلى كثير من الماء (78)، والأتراك يرفعون الألبان في القِرب ويخلطونها بالدّوقي المطبوخ، ويشربونها فلا يعطشون.

417/2

وأخذنا من هذه البلدة في الاستعداد للبريّة، واحتجتُ إلى زيادة أفراسٍ فأتيت الخاتون فأعلمتُها بذلك، وكنت أسلّم عليها صباحًا ومساءً ومتى أتتْها ضيافةٌ تبعْث إليَ بالفرسين والثلاثة وبالغنم، فكنت أترك الخيل لا أذبحها وكان مَن معي من الغِلمان والخدّام يأكلون من أصحابنا الأتراك فاجتمع لي نحو خمسين فرسًا، وأمرَتْ لي الخاتون بخمسة عشر فرسًا وأمرت وكيلَها ساروجة الرومي (79) أن يختارها سِمانًا من خيل المطبخ، وقالت : لا تخفْ فإن احتجت إلى غيرها زدناك !!

ودخلنا البرية في منتصف ذي القعدة (80)، فكان سيرنا من يوم فارقنا السلطان إلى أول البرية تسعة عشر يومًا، وإقامتُنا خمسة، ورحلنا من هذه البريّة ثمانية عشر يومًا مُضْحًى ومُعْشى، وما رأينا إلاّ خيرًا، والحمد لله.

418/2

ثم وصلنا بعد ذلك إلى حصن مَهْتولي (81) ، وهو أول عمالة الروم، وضبط اسمه بفتح

---

(78) هنا يظهر أن ابن بطوطة يخلط بين خط سيره وهو ذاهب، وبينه وهو عائد فإن البرية المتحدث عنها هي صحراء نوكي (NOGAI) وتوجد شمال القِرَم. والبرد المشار اليه ينبغي أن يتفق مع وقت عودته أواخر اكتوبر رحلته صحبة الخاتون كانت في عز الصّيف على ما سنرى...
- د. التازي : مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون. المناهل، مارس 1775.

(79) ساروجة : الاسم تركي، ولكنه يعني : أشقر الشعر.

(80) يوافق 15 ذو القعدة 734=15 يوليه 1334 فكيف يكون هذا أيام اشتداد البرد وارتداء ثلاث فروات وسروالين وخفّين و ... و... على ما سنقرأه (التعليق الآتي رقم 113) !!
- هذا وبالنظر لما قدمه ابن بطوطة من تاريخ لابتداء الرحلة فإن المنطق يقتضي أن نقول : تسعة وعشرين يوما عوض تسعة عشر ...

(81) من الصعب أن يحدّد الباحث الطريق التي اتبعها ابن بطوطة في هذه الإشارة لأنه كان يقطع فضاءً واسعا، ولهذا فإن افاداته ليست واضحة، ونعتقد أن ذاكرته كانت تخونه وهو يملي مذكراته... لا سيما في هذه الرحلة الرسمية التي كان فيها - ضمن ركب الملكة - مُسيّرًا لا مخيّراً على نحو ما لاحظناه عليه وهو يصحب الأمير من بغداد إلى تبريز ... والعكس...
وان المدينة الحدودية كانت على ذلك العهد ديامبوليس (Diampolis) أو كافولي (KAVULI) (جامبولي حاليا) جنوب نهر تونجا في بلغاريا وان عدد الأيام التي اجتازها من بابا سلطوق تشير إلى أن المسافة كانت 800 كـم وهي نفس المسافة بين نهر دنيبّير وجامبولي!

الميم وسكون الهاء وضم التاء المعلوّة وواو مدّ ولام مكسور وياء، وكانت الروم قد سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصلها إلى هذا الحصن كَفَالي نقُوله (82) الرومي في عسكر عظيم وضيافة عظيمةٍ وجاءت الخواتين والدايات من دار أبيها ملك القسطنطينية.

وبين مَهْتُولي والقسطنطينية مسيرة اثنين وعشرين يومًا إلى الخليج وستة منه إلى القسطنطينية، ولا يسافَر من هذا الحصن إلا بالخيل والبغال، وتترك العربات به لأجل الوعر والجبال، وجاء كفالي المذكور ببغالٍ كثيرة وبعثت إليَّ الخاتون بستةٍ منها وأوصت أمير ذلك الحصن بمن تركتُه من أصحابي وغلماني مع العربات والأثقال، فأمر لهم بدارٍ، ورجع الأمير بيْدَرة بعساكره، ولم يسافر مع الخاتون إلا ناسُها، وتركت مسْجدها بهذا الحصن وارتفع حكم الآذان !!

419/2

وكان يؤتَى إليها بالخمور في الضيافة فتشربها وبالخنازير، وأخبرني بعض خواصّها أنها أكلتْها ولم يبق معها مَن يصلّي الا بعض الأتراك كان يصلي معنا، وتغيّرت البواطن لدخولنا في بلاد الكفر، ولاكن الخاتون أوصت الأمير كَفَالي بإكرامي، ولقد ضرب مرةً بعض مماليكه لما ضحِك من صلاتنا ! ثم وصلنا حصن مسلمة بن عبد الملك (83) وهو بفسح جبل على نهر زخّار يقال له أصْطَفيلي، ولم يبق من هذا الحصن إلاّ آثاره، وبخارجه قرية كبيرة، ثم سرنا يومين ووصلنا إلى الخليج (84) وعلى ساحله قريةٌ كبيرة فوجدنا فيه المدّ، فأقمنا حتى كان الجَزْر وخضناه، وعرضه نحو ميلين ومشينا أربعة أميال في رمالٍ ووصلنا الخليج الثاني فخُضناه وعرضه نحو ثلاثة أميال، ثم مشينا نحو ميلين في حجارةٍ ورملٍ ووصلنا الخليج الثالث، وقد ابتدأ المدّ فتعبنا فيه وعرضه ميلٌ واحد، فعرضُ الخليج كله مائيّةً ويابسةً اثنا عشر ميلاً، وتصير ماءً كلها في أيام المطر فلا تخاض إلاّ في القوارب.

420/2

(82) كفالي ترجمة للعلم الجغرافي الإغريقي Kephale معناه الرئيس والقائد، ولفظ نِقوله عند العرب يعني نيكولاص (Nicolas)

(83) مَسْلَمَة ابن الخليفة عبد الملك له فتوحات مشهورة سار في مائة وعشرين ألفًا لمحاصرة القسطنطينية في دولة أخيه سليمان، سنة 98=716-717، وقد غزا مَسْلمة الترك عام 109=727م، أدركه أجله بالشام عام 120=738، هذا وتذكر التعاليق أن الحصن المتحدث عنه لم يبق له أثر وأن النهر المذكور لا تعرف عنه معلومات، ومعنى هذا أن هذه معلومات أصيلة استأثر بها ابن بطوطة.

- M. Canard : les expéditions des arabes contre constantinopole. PARIS 1926.

– فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية، 2، 84، 3، 282 دار الكتاب العربي – القاهرة 1966.

(84) الحديث عن الخلجان بهذا الشكل يوحي بأن ابن بطوطة يتحدث عن منافذ نهر الدانوب ولو أن هذا يسلمنا إلى مشاكل حاولنا عبثًا أن نتغلب عليها على ما سنرى.

وعلى ساحل هذا الخليج الثالث مدينة الفَنيكة (85) واسمها بفاء مفتوحة ونون وياء مدّ وكاف مفتوح، وهي صغيرة لاكنّها حسنة مانعة، وكنائسها وديارها حِسان، والأنهار تخرقها والبساتين تحفُّها، ويدَّخر بها العنب والاجّاص والتفاح والسفرجل من السنة إلى الأخرى، وأقمنا بهذه المدينة ثلاثًا والخاتون في قصرٍ لأبيها هنالك، ثمّ قدم أخوها شقيقها واسمه كَفَالي قَرَاس (86) في خمسة آلافِ فارس شاكّين في السلاح، ولما أرادوا لقاء الخاتون ركب أخوها المذكور فرسًا أشهب ولبس ثيابا بيضا، وجعل على رأسه مظلاً مُكلّلاً بالجواهر، وجعل عن يمينه خمسةً من أبناء الملوك، وعن يساره مثلهم لابسين البياض أيضا، وعليهم مظلاّت مزركشة بالذهب وجعل بين يديه مائة من المشّائين، ومائة فارس قد أسبغوا الدروع على أنفسهم وخيلهم، وكلُّ واحدٍ منهم يقود فرسًا مسرجًا مدرعا عليه شكّة فارس من البَيْضة المجوهرة والدرع والتركش والقوس والسيف ‖ وبيده رمح في طرف رأسه راية واكثر تلك الرماح مكسوّة بصفائح الذهب والفضة، وتلك الخيل المقودة هي مراكب ابن السلطان، وقسّم فرسانه على أفواج، كلّ فوجٍ فارس، ولهم أمير قد قدّم أمامه عشرةً من الفرسان شاكّين في السلاح، وكل واحد منهم يقوِد فرسًا وخلفه عشرة من العَلاَمات ملوّنةً بأيدي عشرة من الفرسان، وعشرة أطبال يتقلدها عشرةُ من الفرسان ومعهم ستةُ يضربون الأبواق والأنفار والصرّْنايات وهي الغيطات.

422/2

وركبت (87) الخاتون في مماليكها وجواريها وفتيانها وخدامها وهم نحو خمسمائة عليهم ثيابُ الحرير المزركشة بالذهب المرصَّعة وعلى الخاتون حلّة يقال لها النّخ، ويقال لها ‖ أيضا النسيج، مرصّعة بالجوهر وعلى رأسها تاج مرصع، وفرسها مجلّل بجل حرير، مزركش بالذهب، وفي يديه ورجليه خلاخل الذَّهب، وفي عنقه قلائد مرصَّعة وعظم السرج مكسوّ ذهبًا مكلَّلُ جوهرًا.

423/2

وكان التقاؤهما في بسيطٍ من الأرض على نحو ميل من البلد، وترجل لها أخوها لأنه أصغر سنًا منها وقبّل ركابها، وقبّلت رأسه، وترجل الأمراء وأولاد الملوك وقبّلوا جميعًا ركابها، وانصرفتْ مع أخيها.

(85) أمام الشكوك التي تحوم حول خط سير ابن بطوطة والتي تفضي إلى الإرباك والارتباك وخاصة عند ما يتعلق الأمر بتحديد الأعلام الجغرافية، أمام ذلك - نجد أنفسنا - تبعا لمن سبقونا أمام الافتراضات : وهكذا فإن مدينة الفنيكة يمكن أن تكون هي أكاطونيك AGATHONIK حيث توجد الطريق الرئيسية من ديامبوليس مخترقة نهر تونخا (Tunja) (Tontzos) على مقربةٍ من كيزيل أكاش Kizil Agach.

(86) قراس، يلاحظ أن هذا الاسم ليس علمًا يونانيا وأن استعمال اسم هيفالي استعمال خاصّ كذلك...

(87) القصد إلى مزامير القِرب (جمع قِربة) التي ما تزال المنطقة تحتفظ بها كفولكلور على ما نعلم.

وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى مدينة كبيرة على ساحل البحر لا أُثْبِتُ الآن اسمها (88) ذات أنهار وأشجار، نزلنا بخارجها. ووصل أخُو الخاتون وليّ العهد في ترتيبٍ عظيم وعسكر ضخم من عشرة آلاف مدرع، وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك، وعن يساره مثلُهم وقد رتّب فرسانه على ترتيب أخيه سواء إلاّ أنّ الحفل أعظم والجمع أكثر، وتلاقت معه أخته في مثل زيّها الأول وترجّلا جميعًا وأوتي بخباء حرير فدَخلا فيه، فلا أعلم كيفية سلامِهما ! ونزلنا على عشرة أميالٍ من القسطنطينية. 424/2

فلما كان بالغد خرج أهلها من رجال ونساء وصبيان ركباناً ومشاةً في أحسن زيٍّ وأجمل لباس وضربت عند الصبح الأطبال والأبواق والأنفار، وركبت العساكر، وخرج السلطان وزوجته أمّ هذه الخاتون وأرباب الدولة والخوّاص وعلى رأس الملك رواقٌ يحمله جملةٌ من الفرسان ورجال بأيديهم عصيّ طوال في أعلى كل عصي شبه كرة من جلدٍ يرفعون بها الرّواق، وفي وسط الرواق مثل القبّة يرفعها الفرسان بالعصيّ. 425/2

ولما أقبل السلطان اختلطت العساكر وكثُر العجاج، ولم أقدر على الدخول فيما بينهم، فلزمت أثقال الخاتون وأصحابها خوفًا على نفسي، وذُكر لي أنّها لمّا قربت من أبَوَيْها ترجلت وقبلت الأرض بين أيديهما ثم قبلت حافري فرسيهما ! وفعل كبار أصحابها مثل فعلها في ذلك.

وكان دخولنا (89) عند الزوال أو بعده إلى القسطنطينية العظمى، وقد ضربوا نواقيسهم حتى ارتجّت الآفاق لاختلاط أصواتها، ولما وصلنا الباب الأول من أبواب قصر الملك وجدنا به نحو مائة رجل معهم قائدٌ لهم فوق دكّانةٍ، وسمعتهم يقولون : سراكنو !

---

(88) إذا كان الأمر يتعلّق بموقع قريب من القسطنطينية، فإنه من المحتمل أن يكون سليمبْريه (SELYMBRIA) وهي مدينة سيلڤيري SILIVIRI الحالية التي تقع على ساحل بحر مارْمَارا وتبعد عن القسطنطينية بنحو 70 كـم. هذا ومن خلال اعتراف ابن بطوطة بأنه لا يتذكر اسم المدينة نقف على حالةٍ أخرى تؤكد ما عرفناه عنه من صدق وأمانة...

(89) على نحو ما قدّمه (التعليق 88) من تحفظه حول عدم تذكره اسم المدينة التي نزل بها ركب الأميرة نجده هنا أيضا يتحفظ حول الوقت الذي دخل فيه للعاصمة فهو لا يتذكر هل عند الزوال أو بعده... وهذا يؤكد الأمانة التي عرف بها عند أداء الأخبار. حول القسطنطينية أنظر الادريسي ج 7 ص 801

426/2 سراكنو(90) ‖ ومعناه : المسلمون، ومنعونا من الدخول، فقال لهم أصحاب الخاتون إنهم من جهتنا، فقالوا : لا يدخلون إلا بالإذن ! فأقمنا بالباب وذهب بعض أصحاب الخاتون فبعث من أعلمها بذلك، وهي بين يدَيْ والدها، فذكرتْ له شأننا، فأمر بدخولنا وعيّن لنا دَارًا بمقربةٍ من دار الخاتون، وكتب لنا امرًا بأن لا نُعترض حيث نذهب من المدينة، ونودي بذلك في الأسواق وأقمنا بالدار ثلاثًا تبعث إلينا الضيافة من الدقيق والخبز والغَنَم والدجاج والسَّمن والفاكهة

427/2 والحوت والدراهم والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان ‖ .

ذكر سلطان القسطنطينية

واســمــه تَكْفُـور (91) بفـتـح التـاء المثناة وسكون الكاف وضم الفـاء وواو وراء، ابن السلطان جرجيس وأبوه السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنّه تزهّد وترهّب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده، وسنذكره. وفي اليوم الرابع من وصولنا إلى القسطنطينية بعثتْ إليّ الخاتون الفتى سُنبل الهندي فأخذ بيدي وأدخلني إلى القصر (92) فجُزْنا أربعة أبواب في كل باب سقائف، بها رجال وأسلحتهم وقائدهم على دكانةٍ مفروشة، فلما وصلْنا إلى الباب الخامس تركني الفتى سُنبل، ودخل، ثم أتى ومعه أربعة من الفتيان الروميين ففتّشوني لئلاّ

428/2 يكون معي سكّين ! وقال لي القائد : تلك عادة لهم لا بدّ ‖ من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاصٍّ أو عامّ غريب أو بلديّ وكذلك الفعلُ بأرض الهند.

---

(90) كـان من أوائل الذين نبـهـوا لاسـتـعـمـال هذا الكلمـة في حق العـرب والمسلمين المسـعـودي (توفي 346=956) في كتاب التنبيه والاشراف عندما قال : إن الروم إلى وقتنا هذا تسمي العرب ساراقينوس، وتفسير ذلك، طعناً منهم في هاجر وابنها اسماعيل، أنّهم أي المسلمين كانوا أبناء أمةِ سارة !... وذكر ابن الأثير أن الروم تسمي العرب سارقنوس يعني عبيد سارة...
وقد كان ابن بطوطة ثالث من سجل عنهم استعمال هذا اللفظ وهو يزور القسطنطينية العظمى...
وقد قرأت في قاموس التاريخ العالمي لمؤلفه ميشيل مور M. Mourre ما يفيد أن اللفظ يعني قبيلةً بشمال الجزيرة العربية قاومت الامبراطورية البيزنطية بضراوة وكانت من أوائل القبائل التي اعتنقت الإسلام (السراجين) (معجم قبائل العرب لكحالة 1، 252-506) انظر الموسوعة الإسلامية، وانظر كذلك بحثا لزهير أحمد القيسي حول السراجين مجلة (المورد) البغدادية عام 1994.

(91) تقدم الحديث عن القصد من تكفور وقد كان اسمه الحقيقي في هذه الفترة أنْدْرُونيكوسُ الثالث (ANDRONICUS) 728-741 = 1328-1341، والذي كان حفيداً لسلفه اندرونيكوس الثاني المتنازل عن العرش عام 728 = 1328 بعد حرب أهلية طويلة غَلَبَ أندرونيكوس في إثرها فأصبح راهبًا، وقد توفي بتاريخ 24 محرم 732 يبراير 1332 قبل وصول ابن بطوطة - أنظر التعليق رقم 46.

(92) كان قصر بَالْيولوجي (PALAEULOGI) هو بلاشيرنا (Blacherna) على مقربة من زاوية الشمال الغربي للمدينة وتعرف إلى اليوم باسم تكفور سَرَاي.

ثم لما فتّشوني قام الموكّل بالباب فأخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال : أمسك اثنان بكمّي واثنان من ورائي فدخلوا بي إلى مشْور كبير حيطانه بالفسيفساء قد نقش فيها صوَر المخلوقات من الحيوانات والجماد، وفي وسطه ساقية ماء ومن جهتها الأشجار والناس واقفون يمينًا ويساراً، سكوتًا لا يتكلم أحد منهم، وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوفٌ أسلمني أولائك الأربعة إليهم فأمسكوا بثيابي كما فعل الآخرون وأشار اليهم رجلٌ فتقدّموا بي وكان أحدهم يهوديًا، فقال لي بالعربي : لا تخف فهكذا ‖ عادتُهم أن يفعلوا بالوارد، وأنا التّرجمان، وأصلي من بلاد الشام فسألته : كيف أسلّم؟ فقال : قل السلام عليكم. 429/2

ثم وصلت إلى قبّةٍ عظيمة والسلطان على سريره وزوجته أمّ هذه الخاتون (93) بين يديه، وأسفل السرير الخاتون وإخوتها وعن يمينه ستّة رجالٍ، وعن يساره أربعة وعلى رأسه أربعة، وكلّهم بالسلاح، فأشار إليّ قبل السلام والوصول إليه بالجُلوس هُنيهة ليسكن روعي! ففعلت ذلك، ثم وصلت إليه فسلّمت عليه وأشار إليّ أن أجلس فلم أفعل ! وسألني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدّسة وعن القُمامة (94) وعن مهد عيسى، وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليه السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم، فأجبته عن ‖ ذلك كلّه، واليهوديّ يترجم بيني وبينه، فأعجبه كلامي، وقال لأولاده : أكرموا هذا الرجل وامّنوه، ثمّ خلع عليّ خلعة، وأمر لي بفرس مسرج ملجم ومظلّة من التي يجعلها الملك فوق رأسه، وهي علامة الأمان، وطلبت منه أن يعيّن مَن يركب معي بالمدينة في كلّ يوم حتى أشاهد عجائبها وغرائبها وأذكرها في بلادي، فعيّن لي ذلك. 430/2

ومن العوائد عندهم أن الذي يلبس خلعة الملك ويركب فرسه يُطاف به في أسواق المدينة بالأبواق والإنفار والأطبال ليراه الناس، وأكثر ما يفعل ذلك بالأتراك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك لئلا يُؤْذون فطافوا بي في الأسواق ‖ . 431/2

(93) هي جان، ابنة أمِيدِي (AMEDEE) الخامس صاحب صاڤوا (SAVOIE) : زوجته الثانية، كانا قد تزوجا عام 726=1326.

(94) القصد إلى كنيسة (l'Eglise du saint Sepulcre).

ذكر المدينة [القسطنطينية]

وهي متناهيةٌ في الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهرٌ عظيم فيه المدّ والجزر على شكل وادي سلا من بلاد المغرب، وكانت عليه فيما تقدم قنطرة مبنيّة، فخربت، وهو الآن يُعبر في القوارب، واسم هذا النهر أبْسُمِي (95) بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وضمّ السين المهمل وكسر الميم وياء مدّ، وأحد القسمين من المدينة يسمى أصْطَنْبُول (96) بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين وسكون النون وضمّ الباء الموحدة وواو مدّ ولام، وهو بالعدوة الشرقيّة من النَّهر، وفيه سكنى السُّلطان وأرباب دولته، وسائر الناس وأسواقه وشوارعه مفروشة بالصفاح، متّسعة، وأهل كلّ صناعة على حِدةٍ لا يشاركهم سواهم، وعلى كلّ سوق أبواب تسدّ عليه بالليل، وأكثر الصنّاع والباعة ‖ بها النساء. 432/2

والمدينة في سفح جبلٍ داخلٍ في البحر نحو تسعة أميال وعَرضه مثلُ ذلك أو أكثر وفي أعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان، والسور يحيط بهذا الجبل، وهو مانعٌ لا سبيل لأحد إليه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة، والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة وأمّا القسم الثاني منها فيسمى الغَلَطَة (97)، بغين معجمة ولام وطاء مهمل مفتوحات، وهو بالعدوة الغربيّة من النهر، شبيه برباط الفتح في قربه من النهر، وهذا القسم خاصّ بنصارى الافرنج يسكنونه، وهم أصناف فمنهم الجنْويّون، والبنادقة وأهل رومة، وأهل افرانسه، وحكمهم إلى ملك القسطنطينية يقدّم عليهم منهم مَن‖ يرتضونه، ويسمّونه القُمِص (98)، وعليهم وظيفة في كلّ عام لملك القسطنطينية، وربّما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يُصلح بينهم البابة، وجميعهم أهل تجارة، ومرساهم من أعظم المراسي، رأيت به نحو مائة 433/2

---

(95) وادي سلا يسمى عند المراكشي : وادي الرمّان انظر ابن صاحب الصلاة، الطبعة الثالثة ص 360 - أبسمي : (BSUMI) لعله تحريف للكلمة الإغريقية Potamose.

(96) استعمل لفظ (أصطنبول) من قبل ياقوت الذي قال : إنه اسم لمدينة القسطنطينية، وكذا قال أبو الفداء عند بيانه للخليج القسطنطيني حتى تصل إلى القسطنطينية، وهي اصطنول، يظهر من خلال المصادر أنه اسم استعمل من لدن التجار الطليان وقد تناول الباحثون أصل هذه الكلمة - انظر دائرة المعارف الإسلامية.

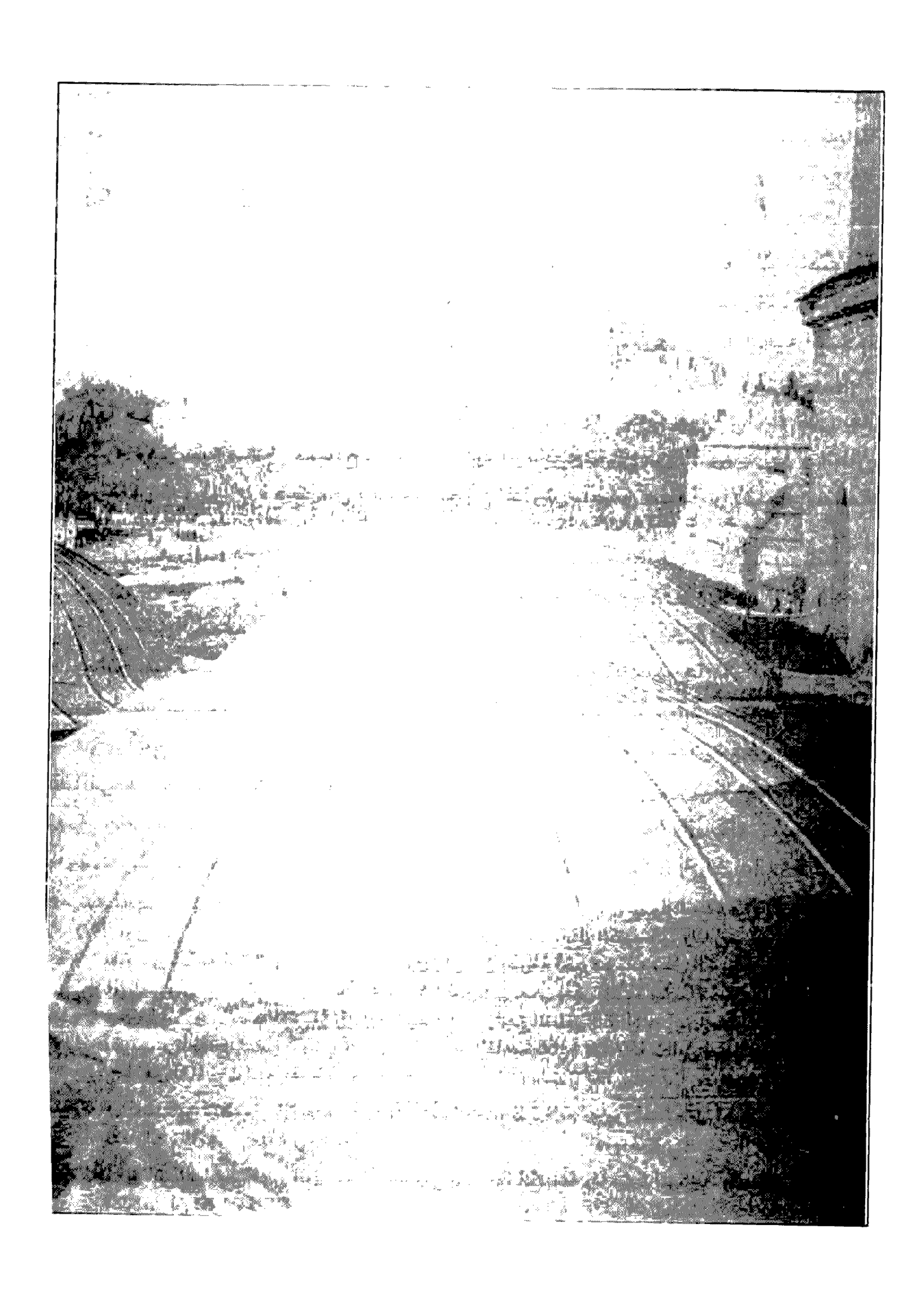
.D.J. Georgacas : The Names of constantinopole 1947

(97) الغَلَطَة : المدينة الجنْوية الواقعة في العدوة الغربية وقد كان حديثه عن جنسيات المقيمين بالمدينة حديثا موضوعيًا ولو أن المصادر تذكر أن الجنويين كانوا أكثر عددًا من غيرهم. وقد قارنها برباط الفتح الامر الذي يدل على أنه يعرف الرباط وأنه على تذكر دائم لعاصمة بني عبد المؤمن التي يقول عنها إنها قريبة إلى الوادي يعني عكس مدينة سلا التي تبتعد عن واديها الذي أصبح يحمل اسم بورقراق...

(98) القُمص (COMES) يعني الكونط، وقد كان الكونط الجنْوي يسمى بوديسطاط (PODESTAT) ومن هذا يظهر أن قصد ابن بطوطة بكلمة القمص : إلى القنصل...



اسطانبول عن المكتبة الوطنية بباريز رقم 67.959



جفن من القراقر وسواها من الكبار، وامّا الصغار فلا تُحصى كثرةً، وأسواق هذا القسم حسنة الاّ أنّ الأقذار غالبةٌ عليها ويشقّها نهر صغير قذِر نجِس وكنائسهم قذرة لا خير فيها !

ذكر الكنيسة العظمى.

وانما نذْكر خارجها، وامّا داخلها فلم أشاهده (99)، وهي تسمى عندهم أيَاصُوفِيا بفتح الهمزة والياء آخر الحروف والف وصاد مضموم وواو ومدّ وفاء مكسورة وياء كالأولى والف، ويذكر أنها من بناء آصف بن بَرَخِياء، وهو ابن خالة سليمان (100) عليه السلام، 434/2 وهي من أعظم كنائس الروم وعليها سور يطيف بها، فكأنّها مدينة، وأبوابها ثلاثة عشر بابًا، ولها حرم ميل عليه باب كبير ولا يُمنع أحدٌ من دخوله، وقد دخلته مع والد الملك الذي يقع ذكره، وهو شبه مَشْوَر مسطّح بالرخام، وتشقّه ساقية تخرج من الكنيسة لها حائطان مرتفعان نحو ذراع، مصنوعان بالرُّخام المجزّع المنقوش بأحسن صنعةٍ، والأشجار منتظمة عن جهتي الساقية.

ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشْوَر معرّش من الخشب مرتفع، عليه دوالي العنب وفي أسفله الياسمين والرَّياحين، وخارج باب هذه المشْور قبّة خشب كبيرة فيها طبْلات خشب يجلس عليها خدّام ذلك الباب، وعن يمين القبّة مصاطبُ وحوانيتُ أكثرها من الخشب يجلس 435/2 بها قضاتهم وكتّاب دواوينهم (101)، وفي وسط تلك الحوانيت قبّة خشب يصعد إليها على درج خشب، وفيها كرسي كبير مطبق بالملفّ يجلس فوقه قاضيهم، وسنذكره، وعن يسار القبة التي على باب هذا المشور سوق العطّارين.

---

(99) نرى ابن بطوطة يقول هنا بكل صدق وأمانة إنه لم يشاهد داخل الكنيسة... والغريب أن ابن الخطيب نقلاً عن شيخه أبي البركات ابن الحاج يروي أن ابن بطوطة أخبرهم بأنه دخل الكنيسة بالقسطنطينية العظمى وأن فيها إثنا عشر ألف أسقف ! كما نرى ابن حجر يعبّر بالزَّعْم بدل "الإخبار" والواقع أن ابن بطوطة إنما زار حَرَم الكنيسة وليس الكنيسة !! - راجع التعليق 88-89 - ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ج 3 ص 273 ج 4 ص 100 طبعة القاهرة 1366 = 1973 - ابن حجر : الدرر الكامنة ج 4 ص 100 - تراجع مقدمتنا لهذه الرحلة...

(100) أصَف بن بَرَخِياء كان حسب الرواية الإسرائيلية والاسلامية وزيرًا لسليمان بيد أن مصادر هذه الإفادات تظلّ هي رحلة ابن بطوطة.

(101) مباني البطريكية على طول الطرف الجنوبي وقاعتها للكنيسة وقاعتها المركزية، وتحتوي على بقاع أكثر من أن تكوّن مكانا للسوق أو رواقاً للقضاة أو باسيليكا الخ. Gibb II P. 509 N° 336 .

والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين : أحدهما يمرّ بسوق العطارين، والآخر يمر بالسوق حيث القضاة والكتّاب، وعلى باب الكنيسة سقائفُ يجلس بها خدامها، الذين يَقُمُّون طرقها، ويوقدون سرجها، ويغلقون أبوابها، ولا يَدعون أحدًا يدخلها حتى يسجد للصليب الأعظم عندهم الذي يزعمون أنه بقية من الخشبة التي صُلِّب || عليها شبيه عيسى عليه السلام وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذَهَبٍ طولها نحو عشرة أذرع وقد عرّضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتى صارت صليبا. 436/2

وهذا الباب مصفّح بصفائح الفضة والذهب وحلقتاه من الذهب الخالص، وذُكر لي أن عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي إلى آلاف (102)، وأنّ بعضهم من ذرّية الحواريّين، وأن بداخلها كنيسةً مختصّة بالنساء فيها من الابكار المنقطعات للعبادة أزيد من ألف، وأما القواعد من النساء فاكثر من ذلك كلّه.

ومن عادة الملك وأرباب دولته وسائر الناس أنْ يأتوا كلَّ يوم صباحًا إلى زيارة هذه الكنيسة، وياتي إليها البابة مرة في السنة، وإذا كان على مسيرة أربعة أميال (103) من البلد يخرج الملك إلى لقائه ويترجل له || وعند دخوله المدينة يمشي بين يديه على قدميه ويأتيه صباحًا ومساءً للسلام عليه طول مقامه بالقسطنطينية حتى ينصرف. 437/2

ذكر المانِستارات بقسطنطينية

والمانِستار (104) على مثل لفظ المارسْتان إلا أن نونه متقدّمة وراءه متأخرة، وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين، وهذه المانْستارات بها كثيرة، فمنها مانستار عمّره الملك جرجيس والد ملك القسطنطينية، وسنذكره، وهو بخارج أصطنبول مقابل الغَلَطة، ومنها مانستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل إليها، وهما في داخل بستانٍ يشقهما نهر ماء وأحدهما للرجال والآخر للنساء وفي || كلِّ واحدٍ منهما كنيسة ويدور بهما البيوت 438/2

(102) هكذا يقول ابن بطوطة : آلاف بدون أن يحدد عدداً أو رقماً، وفي إطار حَمْلة التشكيك التي قام بها لسان الدين ابن الخطيب نقلا عن شيخه أبي البركات نجد أنه أي ابن الخطيب ينقل أن العدد المنقول عن ابن بطوطة هو إثنا عشر الفا بالتمام والكمال ! راجع التعليق 99

(103) النسخة الملكية تذكر هكذا أربعة أميال على نحو النسخة الباريزية رقم 908=1290 بينما تقتصر معظم النسخ على كلمة اربع...

(104) القصد على ما يبدوا إلى البطريقية والدّير وإلى الكنيسة المعروفة تحت اسم أور سافيور (Our Saviour) وكذا إلى المارستان...

للمتعبدين والمتعبدات، وقد حبس على كل واحد منهما أحباس لكسوة المتعبدين ونفقتهم، بناهما أحد الملوك.

ومنها مانِستاران عن يسار الداخل إلى الكنيسة العظمى على مثل هاذين الآخرين (105)، ويطيف بهما بيوت وأحدهما يسكنه العُميان، والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممّن بلغ الستين (106) أو نحوها، ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معيّنة لذلك.

وفي داخل كل مانستار منها دويرة لتعبُّد الملك الذي بناه، وأكثر هؤلاء الملوك إذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستار ولبس المسوح، وهي ثياب الشَّعر وقلّد ولده الملك واشتغل بالعبادة ‖ حتّى يموت. 439/2

وهم يختفلون في بناء هذه المانستارات ويعملونها بالرخام والفسيفساء وهي كثيرة بهذه المدينة.

ودخلتُ مع الرومي الذي عيّنه الملك للركوب معي إلى مانستار يشقّه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسماية بكر، عليهن المسوح، ورءوسهنّ محلوقة فيها قلانيس اللّبد، ولهنّ جمال فائق وعليهن أثر العبادة ! وقد قَعَد صبيّ على منبرٍ يقرأ لهن الإنجيل بصوت لم أسمع قط أحسن منه، وحوله ثمانية من الصبيان على منابر ومعهم قِسّيسهم، فلما قرأ هذا الصبيّ قرأ صبيٌّ آخر. وقال لي الرُّومي : إن هؤلاء البنات من بنات الملوك وهبن أنفسهنّ لخدمة هذه الكنيسة، وكذلك الصبيان القرّاء، ولهم كنيسة أخرى ‖ خارج تلك الكنيسة. 440/2

ودخلت معه أيضا إلى كنيسة في بستان فوجدنا بها نحو خمسمائة بكر أو أزْيد، وصبيٌّ يقرأ لهنّ على منبر، وجماعة صبيان معه على منابر مثل الأوّلين، فقال لي الرومي : هؤلاء بنات الوزراء والأمراء يتعبدن بهذه الكنيسة.

ودخلت معه إلى كنائس فيها أبكار من وجوه أهل البلد، وإلى كنائس فيها العجائز والقواعد من النساء وإلى كنائس فيها الرهبان يكون في الكنيسة منها مائة رجل وأكثر وأقلّ.

(105) هناك عدد من الافتراضات لتعيين مواقع هذه الأديرة...

(106) الإشارة إلى ما يعرف اليوم باسم قانون التقاعد...

IZZEDIN, M. : IBN Battouta et la Toppographie byzantine actes du VI. COngrés internationale des Etudes Byzantines Paris 1951.

وأكثر أهل هذه المدينة رهبان ومتعبدون وقسّيسون وكنائسها لا تُحصى كثرة وأهل المدينة من جنديّ وغيره صغير وكبير يجعلون على رؤوسهم المظلاّت الكبار شتاء وصيفًا والنساء لهنّ عمائم كبار ▌. 441/2

ذكر الملك المترهّب جرجيس

وهذا الملك ولّى المُلك لابنه وانقطع للعبادة، وبنى مانستارا كما ذكرناه خارج المدينة على ساحلها، وكنت يومًا مع الرومي المعيّن للركوب معي فإذا بهذا المَلِك ماشياً على قدميه وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد وله لحية بيضاء طويلة ووجه حَسَنٌ عليه أثر العبادة وخلفه وامامه جماعة من الرهبان، وبيده عكاز، وفي عنقه سبحة فلما رءاه الرومي نزل، وقال لي : انزل ! فهذا والد الملك، (107) فلمّا سلّم عليه الرومي ساله عنّي، ثم وقف وبعث عنّي فجئتُ إليه فأخذ بيدي، وقال لذلك الرومي، وكان يعرف اللسان العربي : قل لهذا السراكنو (108)، يعني المسلم، أنا أصافح اليد التي دخلت بيت المقدس والرِّجل ▌ التي مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمّى قُمامة وبيت لحم، وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهه فعجبت من اعتقادهم فيمَن دخل تلك المواضع من غير ملّتهم ! 442/2

ثم أخذ بيدي ومشيتُ معه فسألني عن بيت المقدس ومَن فيه من النصارى، وأطال السؤال، ودخلت معه إلى حرم الكنيسة الذي وصفناه آنفا ولمّا قارب الباب الأعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان للسلام عليه، وهو من كبارهم في الرهبانيّة، ولما رءاهم أرسل يدي، فقلت له : أريد الدخول معك إلى الكنيسة، فقال للترجمان : قل له لابد لداخلها من السجود للصّليب الأعظم ▌ فإنّ هذا ممّا سنّته الأوائل ولا يمكن خلافه ! فتركته ودخل وحده ولم أره بعدها. 443/2

ذكر قاضي القسطنطينية.

ولمّا فارقتُ الملك المترهب المذكور دخلت سوق الكُتّاب فرءاني القاضي فبعث إليّ أحد

---

(107) يلاحظ بعض المعلقين على أن اجتماع ابن بطوطة بوالد الملك حتى على احتمال تقديم زيارة ابن بطوطة سنتين قبل هذا التاريخ - فانه لم يكن من الممكن للرحالة المغربي أن يجتمع باندرونيكوس الثاني (ANDRONICUS II) المتوفي يوم 24 محرم 732 12 بيراير 1332، يضاف إلى هذا اللّقب الدّيري الذي كان يحمله المترهب هو Antonius وليس جيرجيس (DJIRDJIS) كما يسميه ابن بطوطة غير أن أولئك المعلقين لم يفتهم الاعتذار عن ابن بطوطة بأنّه ذهب ضحية التراجمة والمبلغين يراجع التعليق 4.

(108) راجع التعليق رقم 90.

أعوانه، فسأل الرومي الذي معي، فقال له : إنه من طلبة المسلمين، فلما عاد إليه وأخبره بذلك، بعثَ إليّ أحد أصحابه، وهم يسمون القاضي النَّجْشي كفالي، فقال لي : النَّجْشِي كَفالي (109) يدعوك فصعدت إليه إلى القبة التي تقدم ذكرها فرأيت شيخا حسن الوجه واللمّة، عليه لباس الرهبان وهو الملفّ الاسود، وبين يديه نحو عشرةٍ من الكتّاب يكتبون فقام إليّ وقام أصحابه وقال : أنت ضيف الملك، ويجب علينا إكرامك وسألني عن بيت المقدس والشام ومصر وأطال الكلام، وكثر عليه الازدحام، وقال لي : لا بدّ لك أن تاتي إلى داري فأضيفك، فانصرفت عنه ولم ألقه بعد.

444/2

ذكر الانصراف عن القسطنطينية

ولمّا ظهر لمن كان في صحبة الخاتون من الأتراك أنها على دين أبيها وراغبة في المقام معه طلبوا منها الإذن في العودة إلى بلادهم، فأذنت لهم وأعطتهم عطاء جزيلاً وبعثت معهم من يوصلهم إلى بلادهم أميرًا يسمى سَارُوجه الصغير في خمسمائة فارس، وبعثت عنّي فأعطتْني ثلاثماية دينار من ذهبهم، وهم يسمونه البَرْبَرة (110)، وليس بالطيب، وألفَي درهم بندقيّة، وشقّة ملفّ من عمل البنات، وهو أجود أنواعه، وعشرة أثواب من حرير وكتّان وصوف وفرسين، وذلك من عطاء أبيها وأوصت بي سارُوجة وودّعتُها وانصرفت، وكانت مدّة مقامي عندهم شهرًا وستّة أيّام.

445/2

وسافرنا (111) صحبة ساروجة فكان يكرمني حتى وصلنا إلى آخر بلادهم حيث تركْنا أصحابنا وعرباتنا فركبنا العربات ودخلنا البريّة ووصل ساروجة معنا إلى مدينة باب سلطوق وأقام بها ثلاثًا في الضيافة وانصرف إلى بلاده وذلك في اشتداد البرد، وكنت ألبس ثلاث فروات وسراويل أحدهما مبطّن، وفي رجلي خفّ من صوف وفوقه خفّ مبطن بثوب كتّان

(109) لم نقف على معنى هذه العبارة والظاهر أن تحريفا مّا تعرضت له العبارة ويمكن أن تكون الكلمة هي البخْشي، كلمة مغولية وتركية تعني الكاتب أو الكاهن... ولعل في تقارب الحروف بين الكلمتين ما يبرر ذلك !

(110) القصد إلى هيبّربيرا (HYPERPYRA) وهي عبارة عن قطع ذهبية بيزنطية أخذ الناس يتعاملون بها على عهد أندرونيكيوس (Andronicus).

(111) كان عليه اذن أن يغادر القسطنطينية يوم 22-23 محرم 735 شتنبر 1334 يقول بيرازيموس بينما نجد كيب يقول : ان ذلك تم حوالي 24 أكتوبر 1332 ونحن نعلم أن هناك فترة غامضة مرت تتنازعها الإجتهادات بين المعلقين...

وفوقه خفّ من البرغالي (112)، وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذيب، وكنت أتوضأ بالماء الحارّ بمقربة من النار فما تقطر من الماء قطرة إلاّ جمدت لحينها ! وإذا غسلت وجهي يصل الماء إلى لحيتي فيجمد، فأحرّكها فيسقط منها شبه الثلج، والماء الذي ينزل من الأنف يجمد على الشارب، وكنت لا أستطيع الركوب لكثرة ما عليَّ من الثياب حتى يركبني أصحابي ! ثم (113) وصلت إلى مدينة الحاجّ ترخان حيث فارقنا السلطان أوزبك فوجدناه قد رحل واستقرّ بحضرة ملكه، فسافرنا على نَهْا إتِل وما يليه من المياه ثلاثًا وهي جامدة، وكنّا إذا احتجنا الماء قطعْنا قطعًا من الجليد وجعلْنا في القدر حتى يصير ماء فنشرب منه ونطبخ به !!

446/2

ووصلنا إلى مدينة السَّرا، وضبط اسمها بسين مهمل وراء مفتوحين وألف وتعرف بسَرَا بَركة (114)، وهي حضرة السلطان أوزبك، ودخلنا على السُّلطان فسألنا عن كيفيّة سفرنا وعن ملك الروم، ومدينته فأعلمناه، وأمر بإجراء النفقة علينا وأنزلنا.

ومدينة السّرا من أحسن المدن متناهية الكِبر في بسيط من الأرض تغصّ بأهلها كثرةً، حسنة الأسواق، متّسعة الشوارع، وركبنا يومًا مع بعض كبرائها وغرضُنا التطوّف عليها ومعرفة مقدارها، وكان منزلنا في طرفٍ منها فركبنا منه غدوة فما وصلنا لآخرها إلاّ بعد الزوال فصلّينا الظهر، وأكلنا طعامًا فما وصلنا إلى المنزل إلا عنْد المغرب، ومشينا يومًا عرضَها ذاهبين وراجعين في نصْفِ يوم، وذلك في عمارة متّصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين وفيها ثلاثة عشر مسجدًا لإقامة الجمعة : أحدها للشافعية، وأمّا المساجد سوى ذلك فكثيرٌ جدًا وفيها طوائف من الناس منهم المُغْل، وهم أهل البلاد، والسلاطين، وبعضهم مسلمون، ومنهم الآص (115) وهم مسلمون، ومنهم القَفْجَق، والجركس والرّوس، والروم، وهم

447/2

448/2

---

(112) كلمة البرغالي تحريف كلمة "البلغاري" . يعني جلد بلغاري ولعلها خطا من الذي كان يحكي له أو من الناسخ.

(113) " ولقد كنت أخرج من الحمام فإذا دخلت إلى البيت نظرت إلى لحيتي وهي قطعة واحدة من الثلج حتى كنت أدنيها إلى النار" هكذا قال ابن فضلان عام 309=921 وحكى عن الثياب الكثيرة كذلك، ويحكي ماركو بّولو في معرض الحديث عن البرد الرهيب في روسيا قصة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة عن امرأة أقعَتْ للتبوّل فتجمد زغب عانتها والتصق بالعشب وأقبل زوجها ليفكّها فلما نفخ تجمّدت لحيته والتصقت بزغب عانتها الأمر الذي لم يخلص الاثنين إلاّ تدخل شخص ثالث كسر الثلج!!
Le divesement du monde II - 1991 II p 532

(114) كانت عاصمة أزبك خان، قبل هذه الحركة بقليل تمتد من السَّرا (القديمة) وتقع قريبا من القرية الجديدة سيليتْرينّو Selitrennoe، 74 ميلا فوق اصطرخان، أقول تمتد من هناك إلى مدينة شيدت على ما يبدو من لدن بركة خان (1255-67) وتسمّى اليوم السرا الجديدة في موقع مدينة تْسَاريف (TSAREV) 225 ميلا فوق اصطراخان. SPULER.B Die Goledene Horde Leipzig 1943.

(115) ألاص : OSSETES شعب هندي أوربي ورد من أسيا، يسمّيه المغول (ASUT) وفي القرن الخامس عَشر ذابوا في المغوليين باستثناء من بقي منهم في القوقاز وهم الذين يعرفون باسم (OSSETES) ويكونون القسم الشمالي (داخل جمهورية روسيا) والجنوبي (داخل جمهورية جورجيا). لغتهم إيرانية وبعضهم مسلمون... راجع التعليق رقم 10.

نصارى، وكلّ طائفةٍ تسكن محلّةً على حدةٍ، فيها أسواقها والتجار والغرباء من أهل العراقين ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلّةٍ عليها سور احتياطا على أموال التجار، وقصر السلطان بها يسمّى ألْطُون طاش، وألْطُون بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الطاء المهمل، وواو مدٍّ ونون، ومعناه الذّهب، وطاش بفتح الطاء المهمل وشين معجم، ومعناه رأس (116).

448/2 وقاضي هذه الحضرة بدر الدين الأعرج من خيار القضاة وبها من مدرّسي ‖ الشافعيّة الفقيه الإمام الفاضل صدر الدين سليمان اللكزي (117) أحد الفضلاء، وبها من المالكيّة شمس الدين المصريّ، وهو ممّن يطعن في ديانته، وبها زاوية الصالح الحاجّ نظام الدين أضافنا بها وأكرمنا، وبها زاوية الفقيه الإمام العالم نعمان الدّين الخوارزمي، رأيته بها وهو من فضلاء المشايخ، حسن الأخلاق كريم النفس شديد التواضع شديد السَّطوة على أهل الدنيا، ياتي إليه السلطان أوزبك زائرا في كلّ جمعة، فلا يستقبله ولا يقوم إليه ويقعد السلطان بين يديه ويكلّمه ألطف كلام، ويتواضع له، والشيخ بضدّ ذلك ! وفعله مع الفقراء

449/2 والمساكين والواردين خلاف فعله مع السلطان فإنه يتواضع ‖ لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمهم وأكرمني جزاه الله خيرًا وبعث إليّ بغلامٍ تركيّ وشاهدت له بركة.

ذكر كرامةٍ له

كنت أردت السفر من السَّرا إلى خوارزم، فنهاني عن ذلك، وقال لي، أقِمْ أيّاما، وحينئذ تسافر، فنازعتني النفس، ووجدت رفقة كبيرة آخذة في السفر، فيهم تجارٌ أعرفهم، فاتّفقت معهم على السفر في صحبتهم، وذكرت له ذلك، فقال لي : لا بدّ لك من الإقامة، فعزمت على السفر، فأبق لي غلامٌ أقمت بسببه، وهاذه من الكرامات الظاهرة، ولمّا كان بعد ثلاثٍ وجد بعض أصحابي ذلك الغلام الآبق بمدينة الحاجّ ترخان فجاء به إليّ فحينئذ سافرت إلى

450/2 خوارزم، وبينها وبين حضرة السرا صحراء ‖ مسيرة أربعين يوما لا تسافر فيها الخيل لقلّة الكلأ وإنّما تجرّ العرباتِ بها الجمال.

---

(116) اختلط على ابن بطوطة الفرق بين طاش بمعنى الصخره وباش بمعنى الراس. كما التبست عليه كلمة التون وهي في الواقع ألتين التي تغنى الذهب.

(117) اللكزي نسبة الى لَكز (LAKZ) كانوا قبيلاً في منطقة دَاغِستان. اسمهم على صيغة لازكي LAZGI بتقديم الزاي، وعرفوا باهل جبل داغستان.

فهرس موضوعات المجلد الثاني

فهرس الصور والرسوم للمجلد الثاني